

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة باتنة 1

قسم العلوم السياسية



كلية الحقوق والعلوم السياسية

## العالم الإسلامي والغرب وجدلية الحوار والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية  
فرع: العلاقات الدولية

إشراف الأستاذ:  
د/عمار رزيق

إعداد الطالب:  
سعيد حفطاوي

### لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د/ عبد الناصر جندلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
د/عمار رزيق	أستاذ محاضر - قسم أ	جامعة باتنة 1	مقررا
أ.د/ حسين قادري	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشا
أ.د/ السعيد فكرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة تبسة	عضوا مناقشا
د/ رياض حمدوش	أستاذ محاضر - قسم أ	جامعة قسنطينة	عضوا مناقشا
د/ السعيد ملاح	أستاذ محاضر - قسم أ	جامعة المسيلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2017 / 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



صدق الله العظيم

سورة الرعد- الآية 11

# إهداء

إلى روح أبي الطاهرة،  
إلى أمي الغالية،  
إلى زوجتي العزيزة،  
إلى ابنتي وفاء وابني أحمد أمين،  
إلى إخوتي العايش والربيعي وسعيدة،  
إلى كل أصدقائي وزملائي في العمل،  
أهدي هذا العمل المتواضع.

# شكر و عرفان

أولا الحمد لله الذي أعانني على إنهاء هذا العمل المتواضع، وبعد

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي يد العون من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور عمار رزيق على قبوله الإشراف وعلى ما قدّمه لي من توجيهات في سبيل إنجاح هذا البحث العلمي.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور عبد الناصر جندلي والأستاذ الدكتور حسين قادري والأستاذ الدكتور السعيد فكرة والدكتور رياض حمدوش والدكتور السعيد ملاح على قبولهم مناقشة أطروحتي وتحمل عناء قراءتها.

## العالم الإسلامي والغرب وجدلية الحوار والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة

مقدمة.

### الفصل الأول: حول مفهومي العالم الإسلامي والغرب.

#### المبحث الأول: العالم الإسلامي.. مؤشرات القوة والضعف.

المطلب الأول: حول مدلول العالم الإسلامي.

الفرع الأول: تعريف العالم الإسلامي.

الفرع الثاني: موقع العالم الإسلامي.

الفرع الثالث: دول العالم الإسلامي.

المطلب الثاني: العالم الإسلامي.. مؤشرات القوة.

الفرع الأول: إستراتيجية الموقع.

الفرع الثاني: عوامل الوحدة.

الفرع الثالث: الثروات الطبيعية.

الفرع الرابع: الإمكانيات النووية الإسلامية.

المطلب الثالث: العالم الإسلامي.. مؤشرات الضعف.

الفرع الأول: المعضلة الثقافية.

الفرع الثاني: المعضلة الاقتصادية.

الفرع الثالث: المعضلة السياسية.

الفرع الرابع: المعضلة الأمنية.

#### المبحث الثاني: حول مفهوم الغرب.

المطلب الأول: مفهوم النظام الدولي الجديد.

الفرع الأول: تعريف النظام الدولي الجديد.

الفرع الثاني: خصائص النظام الدولي الجديد.

الفرع الثالث: أهداف النظام الدولي الجديد.

المطلب الثاني: العولمة كأهم سمات النظام الدولي الجديد.

الفرع الأول: تعريف العولمة.

الفرع الثاني: طبيعة العولمة.

الفرع الثالث: أسباب العولمة.

الفرع الرابع: أبعاد العولمة.

الفرع الخامس: أهداف العولمة.

الفرع السادس: تأثيرات العولمة.

المطلب الثالث: الغرب كمحور للنظام الدولي الجديد.

الفرع الأول: تطور مفهوم الغرب.

الفرع الثاني: الغرب ليس واحداً.

الفرع الثالث: المركزية الحضارية الغربية.

## الفصل الثاني: العالم الإسلامي والغرب.. موقف الأنا من الآخر.

### المبحث الأول: موقف العالم الإسلامي من الغرب.

المطلب الأول: تصورات العالم الإسلامي التاريخية للغرب.

الفرع الأول: الحروب الصليبية.

الفرع الثاني: إعادة فتح إسبانيا.

الفرع الثالث: تفكيك الإمبراطورية العثمانية.

الفرع الرابع: الحركة الاستعمارية.

الفرع الخامس: قيام إسرائيل.

الفرع السادس: التدخل الغربي.

المطلب الثاني: الاتجاهات العامة لموقف المسلمين من الغرب.

الفرع الأول: تيار التقليد للوافد الغربي وموقف القبول المطلق للغرب.

الفرع الثاني: تيار التقليد للموروث وموقف الرفض المطلق للغرب.

الفرع الثالث: تيار التوفيق بين الثقافة الإسلامية ومعطيات الحضارة الحديثة.

المطلب الثالث: موقف الحركات الإسلامية من الغرب.

الفرع الأول: الحركة الإسلامية السلفية.

الفرع الثاني: الحركات الإسلامية السياسية.

الفرع الثالث: الحركات الإسلامية المسلحة.

### المبحث الثاني: موقف الغرب من العالم الإسلامي.

المطلب الأول: تصورات الغرب التاريخية للعالم الإسلامي.

الفرع الأول: أجنبية الإسلام.

الفرع الثاني: الإسلام وفقدان أوروبا للوحدة المتوسطية.

الفرع الثالث: تراث الحقبة الاستعمارية.

الفرع الرابع: الثورة الإسلامية في إيران.

الفرع الخامس: أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001.

الفرع السادس: الإرهاب والجهاد.

المطلب الثاني: الاتجاهات العامة لموقف الغرب من العالم الإسلامي.

الفرع الأول: موقف الغرب الإعلامي.

الفرع الثاني: موقف الغرب الأكاديمي.

الفرع الثالث: موقف الغرب الرسمي.

- المطلب الثالث: الإستراتيجية الغربية تجاه العالم الإسلامي.
- الفرع الأول: إستراتيجية الاحتواء المزدوج.
- الفرع الثاني: إستراتيجية الدول المحورية.
- الفرع الثالث: الإستراتيجية العسكرية.
- الفرع الرابع: المشروع الشرق أوسطي.

### الفصل الثالث: العالم الإسلامي والغرب بين الحوار والصراع.

#### المبحث الأول: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "حوار الحضارات".

- المطلب الأول: حوار الحضارات في الأدبيات الغربية.
- الفرع الأول: الاتجاه الداعي لحوار الحضارات.
- الفرع الثاني: الاتجاه الرافض لحوار الحضارات.
- الفرع الثالث: الاستعلاء الغربي ومصير حوار الحضارات.
- المطلب الثاني: حوار الحضارات في الأدبيات الإسلامية.
- الفرع الأول: مبادرات حول حوار الحضارات.
- الفرع الثاني: عقدة الدونية ومدى مصداقية حوار الحضارات.
- الفرع الثالث: نظرية المؤامرة وفشل حوار الحضارات.
- المطلب الثالث: نحو تعارف الحضارات كبديل لحوار الحضارات.
- الفرع الأول: نقد حوار الحضارات كمدخل لتعارف الحضارات.
- الفرع الثاني: مرتكزات نظرية تعارف الحضارات.
- الفرع الثالث: التفاعل الحضاري كمدخل للتعارف ومنه إلى الحوار.

#### المبحث الثاني: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "صدام الحضارات".

- المطلب الأول: "صدام الحضارات" والنمط المستقبلي للصراع الدولي.
- الفرع الأول: الغرب والحاجة الدائمة للعدو.
- الفرع الثاني: الهوية كمحور للصراع الدولي المستقبلي.
- الفرع الثالث: مبررات الصراع الحضاري.
- المطلب الثاني: العالم الإسلامي ضمن "الغرب ضد الباقي".
- الفرع الأول: علاقة الغرب بالحضارات الأرثوذكسية واليابانية والهندية.
- الفرع الثاني: علاقة الغرب بحضارة أمريكا اللاتينية والحضارة الإفريقية.
- الفرع الثالث: علاقة الغرب بالحضارتين الإسلامية والكونفوشوسية.
- المطلب الثالث: صراعات العالم الإسلامي ضد جيرانه.
- الفرع الأول: الحدود الدموية للإسلام.
- الفرع الثاني: الحضارات المرشحة للتصادم مع الحضارة الإسلامية.
- الفرع الثالث: الصراع الحضاري ومركزية التنظير الغربية.

## الفصل الرابع: العالم الإسلامي والغرب بين "نهاية التاريخ" و"سقوط الغرب".

### المبحث الأول: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "نهاية التاريخ".

- المطلب الأول: "نهاية التاريخ" وسيادة الليبرالية الغربية.
- الفرع الأول: "نهاية التاريخ" بنهاية الحرب الباردة.
- الفرع الثاني: حول معنى "نهاية التاريخ".
- الفرع الثالث: مبررات سيادة الليبرالية الغربية.
- المطلب الثاني: "نهاية التاريخ" ومستقبل العالم الإسلامي.
- الفرع الأول: ثنائية عالم التاريخ وعالم ما بعد التاريخ.
- الفرع الثاني: وضع العالم الإسلامي ضمن "العالم التاريخي".
- الفرع الثالث: العالم الإسلامي.. حدود جاذبية الإسلام.
- المطلب الثالث: مدى مصداقية "نهاية التاريخ".
- الفرع الأول: "نهاية التاريخ" والغرور الغربي.
- الفرع الثاني: "نهاية التاريخ" والإستراتيجية الغربية تجاه الآخر.
- الفرع الثالث: "نهاية التاريخ" في مواجهة "أفول الغرب".

### المبحث الثاني: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "سقوط الغرب".

- المطلب الأول: الغرب واحتمال السقوط.
- الفرع الأول: محدودية الدورة الحياتية للحضارة.
- الفرع الثاني: الاختلال بين الفكرة والمادة.
- الفرع الثالث: الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط.
- المطلب الثاني: الأقطاب المرشحة لاستخلاف أمريكا والغرب.
- الفرع الأول: الكتلة الأوروبية.
- الفرع الثاني: الصين.
- الفرع الثالث: اليابان.
- المطلب الثالث: العالم الإسلامي واحتمال الصعود.
- الفرع الأول: صعود العالم الإسلامي في الأدبيات الغربية.
- الفرع الثاني: صعود العالم الإسلامي في الأدبيات الإسلامية.
- الفرع الثالث: صعود العالم الإسلامي والسنن الإلهية.

خاتمة.

الملاحق.

قائمة المصادر والمراجع.

فهارس البحث.



مقدمة

## مقدمة:

أدى انهيار الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة إلى إحداث تغييرات جوهرية في البيئة الإستراتيجية الدولية وكذا في الأدبيات السياسية المرافقة لتلك التغييرات، فعلى الصعيد الواقعي ظهر إلى السطح ما يسمى بالأحادية القطبية ذات الطابع الغربي والتي تنتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية، أما على الصعيد الفكري ونتيجة لما سبق فقد ظهرت دراسات وطروحات جديدة مفسرة للواقع الدولي ومستشرفة بما سيكون عليه وضع العلاقات الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة، بدايةً من "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما إلى "صدام الحضارات" لصامويل هنتنغتون كما برزت بعض الأدبيات الداعية إلى حوار حضاري ودراسات أخرى تتبأت بسقوط وشيك للغرب وحضارته.

كما تميّز المناخ الفكري السائد في فترة ما بعد الحرب الباردة بظهور دراسات غربية غالبيتها أمريكية تحذر من الخطر القادم المسمى "بالخطر الأخضر" وهو الإسلام والعالم الإسلامي، وذلك نظراً لغياب الاتحاد السوفييتي العدو الإيديولوجي السابق والمسمى بـ"الخطر الأحمر"، خاصة وأن أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001 قد عزّزت أكثر ما ذهبت إليه تلك الدراسات. من هنا كان من أهم إفرازات نهاية الحرب الباردة بروز بوادر ما يسمى عند بعض المفكرين الغربيين بـ "الحرب الباردة الجديدة"، بين الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية من جهة والعالم الإسلامي من جهة ثانية، وفي ضوء ذلك تولّد الاهتمام بالبحث في هذا الموضوع الموسوم بـ: "العالم الإسلامي والغرب وجدلية الحوار والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة".

**أهمية الموضوع:** تتمثل أهمية الموضوع محل الدراسة فيما يلي:

أولاً: الأهمية العملية من خلال:

- إن العالم الإسلامي قد بدأ منذ انهيار الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة وكأنه يمثل أحد طرفي المعادلة الدولية في مقابل الغرب، وذلك بالنظر إلى تصريحات بعض الساسة والكثير من الإعلاميين والأكاديميين في كلا العالمين الإسلامي والغربي.

ثانياً: الأهمية العلمية من خلال:

- قلة الدراسات الأكاديمية المتناولة لواقع ومستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب من طرف الأكاديميين العرب والمسلمين مقارنةً بما صدر عن الباحثين الغربيين، مما أدى إلى تزايد شدة ما يسمى "بالمركزية الغربية" في التنظير لعلاقة العالم الإسلامي والغرب، كما هو الحال في باقي العلوم الاجتماعية والإنسانية وحتى البيولوجية منها والتقنية.

- إن أغلب المراجع المتوفرة في موضوع العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب هي كتابات سطحية أو دينية ينقصها التحكم المنهجي في البحث والمصطلحات، فغالبيتها لا تميز بين الإسلام وبين العالم الإسلامي، أو ذات طابع تجاري لا تعكس مضامينها عناوينها البراقة.

- جدة الموضوع خاصةً من حيث طابعه الاستشراقي، فرغم توفر بعض الدراسات والطروحات التي تناولت مستقبل العالم الإسلامي والغرب وتنبأت بصعود قوى دولية معينة وهبوط قوى أخرى، إلا أن الحاجة ماسة إلى جمع هذه الدراسات وتحليل مضامينها لاستخراج أهم الأطر والاحتمالات المستقبلية لما سيؤول إليه العالم الإسلامي والغرب والعلاقة القائمة بينهما.

**الدراسات السابقة:** جدير بالذكر أن موضوع العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب قد أسأل الكثير من الحبر سواء من خلال الرسائل والأطروحات الجامعية أو من خلال المؤلفات والكتب العامة والمتخصصة، وسواء تناولت بالتحليل علاقة العالم الإسلامي بالغرب على مستوى رصد الواقع أو على مستوى استشراف المستقبل، ومن بين الدراسات الصادرة في هذا الصدد يمكن ذكر:

• أطروحة دكتوراه بعنوان: "مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام" لمحمد سعدي، منشورة وصادرة سنة 2006 عن مركز دراسات الوحدة العربية. تمحورت إشكالياتها حول مضمون طرح صدام الحضارات ومرتكزاته

وحججه وموقع التكتلات الحضارية داخل هذا الصدام الحضاري، وقد تناول الباحث هذه الإشكالية من خلال ثلاثة أقسام:

أولاً: أطروحة "صدام الحضارات": الظرفية والمضمون، في فصلين.

ثانياً: خلفيات الأطروحة وحدودها، في فصلين.

ثالثاً: مستقبل العلاقات الدولية وأطروحة "صدام الحضارات" في أربعة فصول.

وفي خاتمة البحث وبعد إشاراتته بإسهامات أطروحة صدام الحضارات نبه الباحث بضرورة رفع التحدي من طرف العالم الإسلامي لكونه يمثل عنصراً أساسياً في الرهانات الإستراتيجية العالمية.

إلا أن ما يعاب على هذه الدراسة هو المبالغة في تناول أطروحة صدام الحضارات حيث أدرجت هذه الأخيرة في سبعة فصول، في حين لم تخصص لحوار الحضارات إلا فصلاً واحداً وهو الفصل الثامن والأخير.

• دراسة بعنوان: "الغرب والإسلام: بين التعامل والمواجهة" لـ"جراهام أي فوللر" Graham E. Fuller و"إيان أو ليسر" Ian O.Lesser، صادرة عن مؤسسة الأهرام سنة 1996 ضمن برنامج الإستراتيجية والعقيدة الذي أعدته مؤسسة "راند" RAND. ركزت هذه الدراسة على الصراع بين العالم الإسلامي والغرب من خلال العوامل المغذية لهذا الصراع، وكذا المعضلات العصرية التي يفرضها العالم الإسلامي على الغرب وتلك التي يفرضها الغرب على العالم الإسلامي، إضافة إلى البعد الديني والسياسي والإستراتيجي للصراع.

إلا أن ما يعاب على هذه الدراسة هو تركيزها في جميع فصولها على الصراع دون الإشارة في أي منها إلى فكرة الحوار بين العالم الإسلامي والغرب، رغم أن عنوانها يوحي بتناول فكري الحوار والصراع.

• كتاب بعنوان: "الغرب والإسلام" لرجب البنا، صادر سنة 2002 عن هيئة الكتاب بمصر، حاول الكاتب من خلاله رصد المواقف السلبية للغرب تجاه الإسلام عبر أمريكا

وألمانيا وبريطانيا، داعيا من خلال كتابه إلى تصحيح صورة الإسلام في التصور الغربي من خلال الحوار بين الغرب والعالم الإسلامي.

• كتاب بعنوان: "في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام" للدكتور محمد عمارة، صادر سنة 2003 عن مكتبة الشروق الدولية بمصر، حاول الكاتب من خلاله رصد أهم محطات المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي، ليخلص في النهاية إلى ضرورة مجابهة التحديات التي يفرضها الغرب على المسلمين.

• كتاب بعنوان: "الإسلام والغرب" للدكتور محمود حمدي زقزوق، صادر سنة 2005 عن مكتبة الشروق الدولية بمصر، ركز فيه الكاتب على الحوار الحضاري بين العالمين الغربي والإسلامي وإمكانات التفاهم والتعاون بينهما.

• كتاب بعنوان: "الإسلام والغرب" للدكتور عطاء الله مهاجراني وترجمة عادل عبد المنعم سويلم، صادر سنة 2006 عن مكتبة الشروق الدولية بمصر، انطلق فيه الكاتب من تحديد مفهوم الـ"نحن" والـ"هم" لينتهي إلى نقد آراء ومواقف برنارد لويس تجاه الإسلام، ويعتبر الكتاب كمحاولة للرد على المتحاملين على الإسلام خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001.

يجب الإشارة إلى ملاحظة أساسية بشأن أغلب الدراسات المتناولة لموضوع العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب وهي أنها تتمحور حول ثنائية "الإسلام والغرب"، كما يبدو من عناوينها، وهي تعتبر ثنائية مغلوطة، إذ كيف تجوز المقارنة بين الإسلام بوصفه منظومة فكرية ودينية، وبين الغرب بوصفه رقعة جغرافية أو مفهوما جيوسراتيجيا، إضافة إلى أنه كثيرا ما يغلب التعميم على مثل هذه الدراسات.

رغم أن الدراسات المذكورة قد تناولت مستقبل العالم الإسلامي والغرب والعلاقة المحتملة بينهما في إطار الحوار أو الصراع، أو كليهما معا، كموضوع أساسي للدراسة، أو كأفكار ثانوية يمكن استنتاجها من خلال تحليل مضامينها، إلا أن هذا البحث يأتي كمحاولة لجمع هذه الدراسات، ودراسات أخرى لم يتم ذكرها، وتحليلها وتصنيف

تصوراتها وموازنة حججها للخروج بموقف موضوعي حول مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب بين احتمالي الحوار والصراع، وكذا موقعهما المستقبلي على سلم الزعامة الدولية.

**إشكالية الدراسة:** تتمحور إشكالية البحث حول السؤال التالي: ما هي الاحتمالات المستقبلية المتعلقة بنمط العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، وبموقعهما المستقبلي على سلم الزعامة الدولية في ظل المتغيرات الدولية لعالم ما بعد الحرب الباردة؟.

من أجل معالجة هذه الإشكالية لا بد من الإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

- ما مفهوم العالم الإسلامي وما مفهوم الغرب؟.
- ما هي أهم المحطات التاريخية التي تمثل احتكاكا بين العالم الإسلامي والغرب؟، وما تأثيرها على موقف كل طرف تجاه الآخر؟.
- ما هو النمط المستقبلي للعلاقة بين العالم الإسلامي والغرب؟،
- ما مدى إمكانية قيام حوار بين العالم الإسلامي والغرب؟، وما حدود هذه الإمكانية؟.
- هل يمكن أن يكون الصراع هو النمط المستقبلي للعلاقة بين الطرفين؟، وما هي مبررات الطرح القائل بوجود حرب باردة جديدة بين العالم الإسلامي والغرب؟.
- ما مآل الزعامة الغربية للعالم؟، وهل ستتحقق نبوءة "نهاية التاريخ" بسيادة الليبرالية الغربية للعالم؟، أم سيسقط الغرب؟.
- وإذا ما تحققت نبوءة "سقوط الغرب" فلن ستؤول الزعامة الغربية؟، وهل للعالم الإسلامي نصيب من احتمال استخلاف الزعامة الغربية على العالم؟.

**فرضيات الدراسة:** يمكن الانطلاق من الفرضيات الآتية لتحليل الإشكالية السابقة

الذكر:

- الاحتكاكات التاريخية بين العالم الإسلامي والغرب أنتجت صورة نمطية سلبية متبادلة بينهما، مما سيؤدي إلى توحيد الجهود باتجاه للحوار بينهما.

- الصورة النمطية السلبية المتبادلة بين العالم الإسلامي والغرب ستؤدي إلى تأجيج الصراع بينهما.

- الصراع بين العالم الإسلامي والغرب سيؤدي إلى تكريس التفوق الغربي وتأكيد مقولة "نهاية التاريخ".

- التفوق الغربي محدود وسيؤول للنهاية، مما سيؤدي إلى فتح احتمالات عدة بشأن من سيستخلف الزعامة الغربية على العالم.

**مبررات اختيار الموضوع:** لقد تم اختيار هذا الموضوع للدراسة والبحث بناءً على عدة عوامل أهمها:

أولاً: مبررات ذاتية متمثلة في:

- الانتماء للعالم الإسلامي.

- الرغبة الملحة في تناول هذا النوع من المواضيع وخاصة منها المهمة بالعالم الإسلامي.

- الحسرة على ما آل إليه وضع الإسلام والمسلمين في العالم، خاصة بعد نهاية الحرب الباردة.

ثانياً: مبررات موضوعية، أهمها:

- الأهمية التي يتمتع بها العالم الإسلامي خاصة بعد نهاية الحرب الباردة، واستقطابه الواسع لاهتمام الأكاديميين والإعلاميين والسياسيين في جميع أنحاء العالم، في الغرب وفي العالم الإسلامي.

- الحملة الغربية الشرسة ضد الإسلام والمسلمين سواء على الصعيد الإعلامي أو السياسي أو الأكاديمي، خاصة في فترة ما بعد الحرب الباردة، وتزايد حجمها ووتيرتها بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001.

- أهداف الدراسة: في سياق الحديث عن أهداف الدراسة يمكن الاستشهاد بشمس الدين البابلي (توفي سنة 1077 هـ) حين قال: "لا يؤلف أحد كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التأليف في غيرها، وهي:
- إما أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه يخترعه،
  - أو شيء ناقص يتممه،
  - أو شيء مستغلق يشرحه،
  - أو طويل يختصره، دون أن يخل بشيء من معانيه،
  - أو شيء مختلط يرتبه،
  - أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبيّنه،
  - أو شيء مفرق يجمعه" (1).

ومن ثم يمكن القول أن الهدف من هذه الدراسة يتمحور حول القسمين الخامس "شيء مختلط يرتبه" والسابع "شيء مفرق يجمعه"، ذلك أنه بالرغم من كون المكتبات الوطنية والعربية والإسلامية وحتى الغربية تزرخ بكم هائل من المؤلفات والمراجع المتناولة للعلاقات التاريخية بين العالم الإسلامي والغرب، بالإضافة إلى بعض الدراسات الاستشرافية المهمة في مجال العلاقات الدولية والمتعلقة بأهم الاحتمالات المستقبلية مثل الحوار الحضاري والصراع الحضاري وأقول الغرب..، إلا أن هناك حاجة ملحة تستدعي جمع أهم هذه الدراسات وترتيب وتصنيف آرائها ومواقفها وأحكامها بطريقة تسهل تحديد ملامح العلاقة المستقبلية المحتملة بين العالم الإسلامي والغرب وتوجهاتها بين الحوار والصراع، ومآل الزعامة الغربية للعالم ووضع العالم الإسلامي المستقبلي، كل ذلك يتم من خلال تحليل مضامين أهم الدراسات المستقبلية للعلاقات الدولية في هذا الشأن.

(1) محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج4، المطبعة الوهيبية، القاهرة، مصر، 1284 هـ، ص41.



بالإضافة إلى السعي للمساهمة في إثراء الساحة العلمية في مجال العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، وكذا التصور المستقبلي لهذه العلاقة.

**حدود الدراسة:** ترتبط هذه الدراسة بحدود زمنية ومكانية هي كالآتي:

- الحدود المكانية، تتمثل في قطبي العلاقة محل الدراسة وهما العالم الإسلامي من جهة والغرب من جهة ثانية، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه وللضرورة المنهجية فإن مجال الدراسة والتحليل سيكون مُركّزاً أحياناً على العالم العربي كعينة من العالم الإسلامي، وعلى الولايات المتحدة الأمريكية كقطب رئيس في الغرب.

- الحدود الزمنية، تتمثل في فترة ما بعد الحرب الباردة، وهي المرحلة التي شهدت اهتماماً غربياً غير مسبوق إعلامياً وأكاديمياً ورسمياً بالعالم الإسلامي، وما أفرزه هذا الاهتمام من مقولات "الحوار" و"الصراع" في العلاقة الآنية والمستقبلية بين العالم الإسلامي والغرب.

**المقاربة المنهجية:** بالنسبة إلى المنهج العلمي المُتَّبَع في هذه الدراسة يمكن الحديث عن المنهج الوصفي من خلال الاعتماد على تقنية تحليل المضمون بالإضافة إلى المنهج التاريخي، حيث تم اعتماد المنهج الوصفي في الفصل الأول لوصف وتحديد المفاهيم الأساسية المتعلقة بموضوع البحث، وإتباع المنهج التاريخي في الفصل الثاني لرصد أهم المحطات التاريخية بين العالم الإسلامي والغرب وكذا العوامل المؤثرة في تحديد المواقف المتبادلة بينهما، وفي الفصلين الثالث والرابع تم الاعتماد على تقنية تحليل المضمون لتحليل مضامين أهم الدراسات المستقبلية المتتوالفة لمستقبل العلاقات الدولية، واستنباط رؤيتها لمستقبل العالم الإسلامي والغرب والعلاقة المحتملة بينهما.

**صعوبات الدراسة:** تتمثل أهم الصعوبات التي واجهت البحث في هذا الموضوع

فيما يلي:

- إن موضوع العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب ومستقبلها يعتبر موضوعا واسعا ومتشعبا ومتعدد الزوايا، وهو ما يصعب من إمكانية التحكم فيه، وما البحث فيه إلا محاولة ومساهمة لضبطه منهجيا.

- تسارع الأحداث الدولية بعد نهاية الحرب الباردة وبالأخص بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001 وما سُمي إعلاميا بثورات الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن، وانقسام السودان إلى دولتين، مما جعل مواكبة الأحداث وتفسيرها إن كانت تلقائية أو ناتجة عن مؤامرة خارجية أمرا صعبا.

- ندرة المراجع الأكاديمية العربية والإسلامية المتخصصة في العلاقات الدولية المتناولة لواقع ومستقبل العالم الإسلامي، حيث يغلب على المتوفر منها الطابع الأدبي أو التاريخي أو الديني والعاطفي.

- ندرة الإحصائيات الدقيقة والجديدة بشأن العالم الإسلامي في شتى المجالات وخاصة منها المجال الأمني والسياسي وما يتعلق بالقضايا العرقية والمذهبية وذلك نظرا لحساسيتها، إضافة إلى مشكلة مدى مصداقية وموضوعية ما توفر من الإحصائيات.

**تبرير الخطة:** تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول كما يلي:

- الفصل الأول، وهو فصل مفاهيمي باعتبار أنه لا يمكن منهجيا تناول الموضوع بالبحث والتحليل دون التطرق إلى المفاهيم المحورية التي يدور حولها موضوع البحث، ألا وهي: العالم الإسلامي من خلال تحديد مفهومه ومؤشرات القوة والضعف فيه، والنظام الدولي لما بعد الحرب الباردة كإطار زمني للدراسة، إضافة إلى العولمة كأهم سماته، وكذا الغرب كمحور للنظام الدولي الجديد وكقطب فاعل في العلاقات الدولية وكأحد طرفي المعادلة في الموضوع محل الدراسة.

- الفصل الثاني، يتطرق إلى موقف الأنا من الآخر في العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، وذلك في الاتجاهين، أي التعرض لموقف العالم الإسلامي من الغرب في المبحث الأول ثم موقف الغرب من العالم الإسلامي في المبحث الثاني، من خلال تحليل التصورات التاريخية لكل طرف عن الآخر، ودورها في تشكل الصورة النمطية عن الآخر، والتي بدورها تؤثر في تشكيل مواقف كل منهما تجاه الآخر، وكذا تحديد موقف الحركات الإسلامية من الغرب، والإستراتيجية الغربية تجاه العالم الإسلامي .

- الفصل الثالث، يتناول بالتحليل والنقد الشق الأول من الاحتمالات المستقبلية، والمتعلق بمستقبل وآفاق العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب بين احتمالي "الحوار" و"الصراع"، وذلك على ضوء تحليل مضامين أهم الدراسات والطروحات المستقبلية المتعلقة بمستقبل العلاقات الدولية في هذا السياق، وعلى رأسها "حوار الحضارات" لروجي غارودي و"صدام الحضارات" لصامويل هنتينغتن، إضافة إلى بعض الدراسات الأخرى التي تصب في نفس الاتجاه.

- الفصل الرابع، يتناول بالتحليل والنقد الشق الثاني من الاحتمالات المستقبلية، والمتعلقة بالوضع المستقبلي لكل من العالم الإسلامي والغرب، والتي تتراوح بين احتمالي "نهاية التاريخ" و"سقوط الغرب" وما يرتبط بهما، وذلك على ضوء تحليل أهم الدراسات والطروحات المستقبلية المتعلقة بمستقبل العلاقات الدولية في هذا السياق، وعلى رأسها مقولة "نهاية التاريخ" القائلة بسيادة الليبرالية الغربية لفرانسيس فوكوياما، ومقولة "سقوط الغرب" التي تعتبر عنوانا يشمل الكثير من الدراسات التي تنبأت بسقوط وانهيار الغرب ومن ثم استخلافه بقوى دولية أخرى، وهنا تُطرح مسألة مدى إمكانية اعتبار العالم الإسلامي واحدا من هذه الأخيرة، وهي ما يمكن مناقشتها في إطار احتمال "صعود العالم الإسلامي".

# الفصل الأول:

حول مفهومي العالم الإسلامي والغرب

المبحث الأول: العالم الإسلامي.. مؤشرات القوة والضعف

المبحث الثاني: حول مفهوم الغرب

## الفصل الأول: حول مفهومي العالم الإسلامي والغرب

تعتبر العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب قضية حضارية كبرى يتجدد الحديث حولها على نطاق عالمي واسع وبصورة ملحوظة ومميزة، حيث لم يسبق للعالم أن انشغل بها فكريا وسياسيا وتاريخيا وحضاريا بهذا الاتساع كما هي عليه منذ نهاية الحرب الباردة، وهذا ما يؤكد على حيوية هذه القضية وحساسيتها، خصوصا مع ما يشهده العالم من تغيرات وتحولات شديدة الأهمية والخطورة بعد نهاية الحرب الباردة<sup>(1)</sup>، وبصورة أكثر تركيزا بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001.

ومن هذا المنطلق تقتضي الضرورة المنهجية البدء بتحديد مدلولات المفاهيم الأساسية لهذا البحث قبل الدخول في تحليل موضوع، والمفاهيم الأساسية للبحث تتمثل في العالم الإسلامي والغرب وما يرتبط بالبيئة الدولية محل الدراسة من مفاهيم كالنظام الدولي الجديد والعولمة.

### المبحث الأول: العالم الإسلامي.. مؤشرات القوة والضعف

قبل الخوض في مؤشرات القوة والضعف المتعلقة بالعالم الإسلامي لا بد من شرح مدلول مصطلح العالم الإسلامي أولاً.

### المطلب الأول: حول مدلول العالم الإسلامي

للإحاطة بمدلول العالم الإسلامي لا بد من تناول تعريفه وتحديد موقعه الفلكي والجغرافي ثم تبيان الدول التي تدخل تحت هذا المسمى.

### الفرع الأول: تعريف العالم الإسلامي

حتى يكون التعريف أكثر دقة وإماما بالمصطلح يجب تناول تعريفه من الناحية اللغوية والفقهية والإصطلاحية.

(1) زكي الميلاد وتركي علي الربيعو، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص19.

العالم الإسلامي لغةً، يتكون من كلمتين العالم والإسلامي، أما "العالم" فمفردة عالم وجمعه عوالم وعالمون، ويعني كل ما هو موجود، والخلق كله، والأرض وسكانها<sup>(1)</sup>. أما "إسلامي" فيعني خاص بالإسلام مثل ثقافة إسلامية ودراسات إسلامية<sup>(2)</sup>.

العالم الإسلامي فقهاً، يعرف بأنه دار الإسلام، ذلك أن فقهاء المسلمين كانوا قد قسموا العالم إلى قسمين: دار الإسلام ودار الحرب، وبينهما دار العهد، فدار الإسلام هي الأرض التي تسودها شريعة الإسلام وإن كان جل أهلها من غير المسلمين، أما دار الحرب فهي الأرض التي تسود فيها شرائع غير الشريعة الإسلامية وإن كان جل أهلها من المسلمين، أما دار العهد فهي البلاد التي لا تخضع خضوعاً تاماً للمسلمين وليس للمسلمين فيها حكم، ولكن لها عهد مُحترَم مع دار الإسلام<sup>(3)</sup>.

أما إصطلاحاً فيُفهم من مصطلح العالم الإسلامي أنه عالم مكون من مجموعة من الدول التي تشترك في كونها إسلامية، وهو ما يطرح مسألة المعايير المحددة لاعتبار دولة ما إسلامية أم لا، وهناك خمسة معايير مختلفة لتحديد الدول الإسلامية وتمييزها عن الدول غير الإسلامية هي:

- **المعيار الرسمي أو الدستوري:** ينطبق على الدول التي تنص في دساتيرها على أن الدين الإسلامي هو المصدر الرئيس للتشريع أو الدين الرسمي للدولة، وبتطبيق هذا المعيار فإن هناك دول كثيرة تخرج من منظومة الدول الإسلامية حتى ولو بلغ عدد المسلمين فيها 90% من جملة السكان، مثل تركيا التي تشير في دستورها بأنها دولة علمانية بالإضافة إلى العديد من دول العالم الإسلامي.

- **المعيار العددي أو الكمي:** وطبقاً لهذا المعيار تكون الدولة إسلامية إذا كان يزيد فيها نسبة المسلمين عن 50% من جملة سكانها، إلا أن هذا المعيار قد يؤدي إلى

(1) أنطوان نعمه وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص1012.

(2) نفس المرجع، ص 695.

(3) محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، 1995، ص ص 56-

بعض الأخطاء في اعتبار بعض الدول إسلامية دون أخرى، لأن هذا المعيار خاضع للمتغيرات العديدة ناهيك عن احتمال تدخل السياسيين أو جهات ما في التلاعب بالإحصاءات وهو ما يؤدي إلى عدم مصداقيته.

- **المعيار الشخصي:** وهو معيار استثنائي قليل الأهمية، طُبِّق من طرف منظمة المؤتمر الإسلامي في حالات نادرة، حيث قبلت انضمام دول فيها أقل من 50% من السكان مسلمين لأن رئيسها مسلم أو اعتنق الإسلام، مثل قبول عضوية أوغندا تحت حكم عيدي أمين وقبول الغابون بعد إعلان الرئيس عمر بونجو إسلامه<sup>(1)</sup>.

- **المعيار التطبيقي:** يعني الدول التي تطبق الشريعة الإسلامية، إلا أن هذا المعيار بعيد التطبيق في العصر الحديث نظرا لكون أغلب الدول التي يمكن اعتبارها إسلامية تطبق القوانين الوضعية.

- **المعيار التنظيمي:** ويعني أن مصطلح العالم الإسلامي يطلق على الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي<sup>(\*)</sup> وعددها سبعا وخمسين دولة، حيث يزيد تعداد المسلمين في العالم عن مليار وثلاثمائة مليون نسمة، أكثر من ثلثه يكونان البلاد الإسلامية، والثلث الباقي المتمثل في الأقليات يقيم في دول غير إسلامية، أو دول يمكن اعتبارها إسلامية ولكنها لم تنظم بعد إلى منظمة التعاون الإسلامي، مثل البوسنة والهرسك، أو دول لا تعتبر نفسها إسلامية رغم أن المسلمين يشكلون فيها أغلبية، مثل إريتريا وأثيوبيا<sup>(2)</sup>، وللإشارة فإن هذا المعيار هو المعتمد في البحث.

(1) بن عامر تونسي، قانون المجتمع الدولي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1994، ص227.  
 (\*) منظمة التعاون الإسلامي هي منظمة دولية تجمع سبعا وخمسين دولة، تأسست في الرباط في 25 سبتمبر 1969 إذ عقد أول اجتماع بين زعماء العالم الإسلامي بعد حريق المسجد الأقصى في 21 أوت 1969، تصف المنظمة نفسها بأنها "الصوت الجماعي للعالم الإسلامي" وقد كانت تُعرَف قبل سنة 2011 باسم منظمة المؤتمر الإسلامي.  
 (2) عصام محمد إبراهيم، جغرافيا العالم الإسلامي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص 9 - 10.

## الفرع الثاني: موقع العالم الإسلامي

يمتد العالم الإسلامي من خط 16.40 غرباً وذلك مع امتداد الساحل الغربي لقارة إفريقيا عند دولة موريتانيا والسينيغال إلى 100 شرقاً الذي يمتد مع الحدود الشرقية لتركستان، ومن دائرة عرض 11.50 جنوب خط الاستواء وهذا مع أقصى امتداد له نحو الجنوب مع الحدود الجنوبية لنتزانيا إلى 51.45 شمالاً مع الحدود الشمالية لكازاخستان، تبلغ مساحته حوالي 32 مليون كلم مربع أي ما يقارب ربع مساحة اليابسة البالغة حوالي 149 مليون كلم<sup>2</sup>(1)، وهو ما يعادل مساحتي كل من قارة أمريكا الشمالية وأوروبا مجتمعتين، كما يمتد على مسافة عشرين ألف كيلومتر من الشرق إلى الغرب، وسبعة آلاف كيلومتر من الشمال إلى الجنوب(2).

أكبر دول العالم الإسلامي مساحة هي كزخستان 2.717.300 كلم<sup>2</sup>، وتقع في المرتبة الحادية عشر في ترتيب دول العالم من حيث المساحة، تليها الجزائر(\*) بمساحة 2.381.741 كلم<sup>2</sup>، أما أصغرها مساحة فهي المالديف 300 كلم<sup>2</sup>(3).

## الفرع الثالث: دول العالم الإسلامي

تتوزع دول العالم الإسلامي السبع والخمسون(\*\*) على أربع قارات، إلا أنها تتركز أساساً في قارتي إفريقيا وآسيا:

(1) عبد علي الخفاف، جغرافية العالم الإسلامي: أسس عامة في المحيطين الطبيعي والبشري، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص 10.

(2) صبري فارس الهيتي، العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية من وجهة نظر جيوبوليتيكية، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 23.

(\*) كانت السودان هي المحتلة للمرتبة الثانية من حيث المساحة البالغة 2.505.810 كلم<sup>2</sup> قبل تقسيمها وفقدانها ربع مساحتها.

(3) عصام محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 10.

(\*\*) للتفصيل أنظر الجدول الخاص بمؤشرات أساسية حول العالم الإسلامي في الملحق رقم 1.



تشمل قارة إفريقيا سبعا وعشرين دولة هي: أوغندا، بينين، بوركينافاسو، تشاد، تونس، الجزائر، جزر القمر، جيبوتي، السنغال، السودان، سيراليون، ساحل العاج، الصومال، الطوغو، الغابون، غامبيا، غينيا، غينيا بيساو، الكاميرون، ليبيا، مالي، مصر، المغرب، موريتانيا، موزمبيق، النيجر ونيجيريا.

تضم قارة آسيا أيضا سبعا وعشرين دولة هي: أذربيجان، الأردن، أوزباكستان، أفغانستان، الإمارات العربية المتحدة، السعودية، اندونيسيا، إيران، باكستان، البحرين، بروناي، بنغلاديش، تركيا، تركمانستان، سوريا، طاجكستان، العراق، عمان، فلسطين، قرغيزستان، قطر، كازاخستان، الكويت، لبنان، المالديف، ماليزيا واليمن.

إضافة إلى وجود دولتين في أمريكا الجنوبية هما: سورينام، وغويانا، وواحدة فقط في أوروبا هي ألبانيا<sup>(1)</sup>.

كما تتدرج تحت مفهوم العالم الإسلامي أيضا الأقليات المسلمة التي تعيش في دول غير إسلامية<sup>(2)</sup>، ويمكن ذكر أهمها كالآتي:

في قارة آسيا، تبلغ نسبة الأقلية المسلمة في الصين 10% من سكانها، والهند 10%، والفلبين 11%، وبورما 07%، وسيريلانكا 9% وتايلاند 4%..<sup>(3)</sup>

أما في قارة إفريقيا، فتشكل الأقلية المسلمة في إثيوبيا نسبة 45% من سكانها، وفي الكونغو الشعبية 40%، وليبيريا 30%، وغانا 30%، وكينيا 25%، وملاوي 23%، وزيمبابوي 20%، ورواندا 20%، وبورندي 20%، والزائير 20%..<sup>(4)</sup>

أما في أوروبا فتوجد أكبر نسبة للمسلمين في ألبانيا بنسبة 70% من سكانها، وبذلك تعتبر ألبانيا دولة مسلمة أي ذات أغلبية، في حين تتوزع الأقليات في باقي البلدان الأوروبية

(1) أسماء ملكاوي، "حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات"، تاريخ التصفح: يوم 2008/06/07، من موقع الإنترنت: <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/c73b7204-f2e5-4083-9476-9908b7e5bf64>

(2) تاج السر أحمد حران، حاضر العالم الإسلامي، اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001، ص9.

(3) عصام محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 265.

(4) صبري فارس الهيتي، المرجع السابق، ص107.

مثل البوسنة والهرسك 43%، مقدونيا 30%، مونتينيغرو 20%، بلغاريا 9%، فرنسا 5%، ألمانيا 3%، صربيا 2.5%، بلجيكا 2.3%، سويسرا 2.2%، بريطانيا 1.7%، اليونان 1.4%، كرواتيا 1.2%، والنمسا 1%<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: العالم الإسلامي.. مؤشرات القوة

تتمثل أهم المؤشرات الدالة على قوة العالم الإسلامي في إستراتيجية الموقع الذي يحتله، والبعد الحضاري الذي يمثله، إضافة إلى الثروات الطبيعية والإمكانات النووية التي يحتويها.

### الفرع الأول: إستراتيجية الموقع

إن أهم ميزة للعالم الإسلامي هي كون أراضيه متصلة<sup>(2)</sup>، وتموقعه في قلب العالم القديم (آسيا وإفريقيا وأوروبا) حيث يكون جسرا بين القارات الثلاث، فهو يتحكم في محيطات العالم وبحاره وخطوط ملاحته، زاخرا بأهم الأنهار وأخصب الأراضي وأعظم الثروات<sup>(3)</sup>.

كما تبرز الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي من خلال إطلالته على كل من المحيط الأطلسي، والمحيط الهندي، وعلى أهم البحار (البحر الأبيض المتوسط، البحر الأحمر، البحر الأسود، بحر قزوين)، والخليج العربي، حيث تقدر حدوده البحرية بحوالي 102.347 كلم<sup>(4)</sup>، إضافة إلى المضائق التي تعتبر ممرات دولية حيوية أهمها:

- مضيق ملقا بين ملايو وسومطرة الذي يصل بين بحر الصين والمحيط الهندي.
- مضيق باب المندب في اليمن بين البحر الأحمر والمحيط الهندي.

(1) جودت سعيد، وعبد الواحد العلواني، الإسلام والغرب والديمقراطية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص214.

(2) يوسف جاسم الحج، "المستقبل الاقتصادي للعالم الإسلامي في ظل العولمة"، في مستقبل الأمة الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، ط1، 2003، ص 409.

(3) علي جريشة، حاضر العالم الإسلامي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، الرياض، ط4، 1989، ص 30.

(4) عبد علي الخفاف، المرجع السابق، ص 14.

- مضيق هرمز الذي يصل بين الخليج العربي وبحر العرب.
- قناة السويس في مصر وتربط بين المحيطين الهندي والأطلسي عن طريق بحر العرب والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط.
- مضيق جبل طارق في المغرب يربط بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط<sup>(1)</sup>.
- تقع في العالم الإسلامي أكبر بحيرات العالم مثل بحيرة قزوين، بحيرة فيكتوريا، بحيرة آرال، بحيرة تشاد، والبحر الميت، كما يضم بعض أكبر جزر العالم مثل جزيرة بورنيو بماليزيا 743.000 كلم<sup>2</sup> وجزيرة سومطرة بإندونيسيا 475.000 كلم<sup>2</sup><sup>(2)</sup>.
- تغطي المياه جزءاً معتبراً من أراضي العالم الإسلامي، يزيد قليلاً من مليون كيلومتر مربع، ويجري فيه أهم الأنهار وأطولها مثل النيل، وهو أطول أنهار العالم 6695 كلم، إضافة إلى أنهار النيجر، والسند، وزمبيري، ودجلة، والفرات، والسنغال<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثاني: عوامل الوحدة

هناك عدة عوامل لا تزال، إلى حد كبير، تؤلف بين المسلمين في العالم الإسلامي، وتعتبر بمثابة عوامل وحدة وقوة له، أهمها:

**أولاً - البعد الحضاري:** إن علماء التاريخ القديم والآثار يعتبرون العالم العربي، وهو قلب العالم الإسلامي، مهد الحضارات، فقد شهد لأول مرة الكثير من عناصر وأساليب الحضارة الإنسانية، حيث عرف الكتابة وبدايات التاريخ المدون وكذلك المستوطنات الأولى التي امتهنت الزراعة وتربية الحيوانات واخترعت العجلة، كما كانت هذه المنطقة موطناً للأديان السماوية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، وقد كان ينظر

(1) عصام محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 17.

(2) أسماء ملكاوي، المرجع السابق.

(3) عبد علي الخفاف، المرجع السابق، ص 14.

المختصون في الحضارة إلى العالم الإسلامي في الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر للميلاد على أنه عنوان الحضارة البشرية في العالم آنذاك (1).

**ثانيا - وحدة العقيدة:** يرتبط المسلمون مع بعضهم البعض برباط العقيدة، وهو أقوى الروابط مقارنة بالروابط الأيديولوجية والاقتصادية والسياسية التي تتغير بتغير المصلحة (2)، فقد جعل الإسلام من المسلمين أمة واحدة تجتمع على ثوابت العقيدة الإسلامية، التي كانت أساس المجتمع الإسلامي الذي ضم شعوبا مختلفة انصهرت في بوتقته الإسلامية (3)، فجميع المسلمين يشعرون بكونهم أمة واحدة على مر التاريخ، يؤمنون بدين واحد وإله واحد ونبي واحد وكتاب مقدس واحد، وتعتبر الشعائر الدينية من أهم مظاهر الوحدة كالصلاة والصيام والحج، هذا الأخير الذي يمثل أكبر تجمع للمسلمين من جميع دول العالم في مكان واحد وزمن واحد لأداء فريضة دينية (4). كما يمتلك الإسلام ديناميكية مؤثرة في السلوك والقيم وبعدها تكوينيا نفسانيا في المجتمعات الإسلامية، وكانت الخصوصية الدينية العامل الأساسي لتحفيز وانطلاق معظم حركات التحرر الوطني للشعوب الإسلامية (5).

إن وحدة العقيدة تنبثق منها روابط أخرى تشد بين أواصر الشعوب الإسلامية، منها اللغة العربية والتاريخ المشترك والعادات الاجتماعية.

**ثالثا- اللغة العربية:** إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وبالتالي فهي اللغة المشتركة بين المسلمين، فتعلمها واجب من أجل معرفة قواعد الإسلام وأداء عباداته (6)، فالصلاة تكون باللغة العربية وتلاوة القرآن كذلك والأحاديث النبوية أيضا، والملاحظ أنه

(1) نفس المرجع، ص16.

(2) محمود شاكر، العالم الإسلامي اليوم، دار الصحوة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 14.

(3) تاج السر أحمد حران، المرجع السابق، ص16.

(4) محمود شاكر، المرجع السابق، ص 14.

(5) عصام محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 204.

(6) تاج السر أحمد حران، المرجع السابق، ص27.

عندما يكون لشعب من الشعوب الإسلامية لغة خاصة به نمت وتطورت في زمن ضعف المسلمين تكون اللغة العربية في الدرجة الثانية، مثل تركيا وإيران وأفغانستان، أما الشعوب المسلمة المتبنية للغة إحدى الدول الاستعمارية مثل غربي إفريقيا ووسطها التي اعتمدت اللغة الفرنسية فإنها تحرص على معرفة اللغة العربية وتعلمها.

لقد كانت اللغة العربية أيام الخلافة هي اللغة السائدة بين جميع الشعوب المكونة لها، بل وبين الشعوب المسلمة التي تعيش خارج حدود الخلافة، فلما ضعفت الدولة وانقسمت إلى دويلات، حاول حكام هذه الأخيرة إحياء لغتها الأصلية إلا أنهم استعملوا في ذلك الأحرف العربية كأثار للغة الإسلام، وفي نفس الوقت ظل العلماء والفلاسفة آنذاك يكتبون باللغة العربية.

مازالت الأحرف العربية مستعملة في الكثير من لغات الدول الإسلامية كالفارسية والأفغانية والأوردو، ولغة فطاني في مالايو، فمنها من تخلت عن الحرف العربي واستبدلته بالحرف اللاتيني تحت تأثير الاستعمار مثل إندونيسيا وماليزيا. وهناك دول إسلامية تخلت عن الحرف العربي محاولةً وضناً منها أنه السبيل للحاق بركب الحضارة الغربية، والتجربة التركية في عهد مصطفى كمال أتاتورك أبرز مثال على ذلك (1).

**رابعا - التاريخ المشترك:** إن تاريخ الشعوب الإسلامية هو تاريخ الأمة الإسلامية، فالتاريخ الإسلامي إلى جانب وحدة التطلع عاملين يدعمان العلاقة والوحدة بين شعوب الأمة الإسلامية (2).

**خامسا- تشابه العادات والتقاليد:** نظرا لتأثير العقيدة على العادات والتقاليد الاجتماعية، يلاحظ تشابه هذه الأخيرة في كافة الدول الإسلامية، كمراسيم الزواج والختان والعقيقة، والاحتفالات بعيدي الفطر الأضحى، والنظرة إلى المرأة والأخلاق وغيرها (3).

(1) محمود شاكر، المرجع السابق، ص 15.

(2) تاج السر أحمد حران، المرجع السابق، ص 27.

(3) محمود شاكر، المرجع السابق، ص 22.

## الفرع الثالث: الثروات الطبيعية

يتمتع العالم الإسلامي بأهمية اقتصادية كبرى لما يزخر به من ثروات طبيعية متنوعة زراعية، مائية، طاقوية ومعدنية:

**الثروة الزراعية:** إن تربع العالم الإسلامي على مساحة شاسعة أهله للاستفادة من جميع المناطق المناخية والمستويات الحرارية، إضافة إلى احتوائه على أراضي زراعية واسعة ومسطحات مائية وأنهار هامة، مما يحقق تنوعا كبيرا في أصناف النباتات والمحاصيل الزراعية الممكنة على أراضيه<sup>(1)</sup>.

من أهم المحاصيل الزراعية التي ينتجها العالم الإسلامي ما يلي:

- القمح: يوجد في إيران وأفغانستان وباكستان وتركيا وسوريا والعراق ومصر والمملكة العربية السعودية وبلدان المغرب العربي.

- الأرز: يتوافر في ماليزيا وبنغلاديش وباكستان ومصر وإندونيسيا، بنسبة 1% من الإنتاج العالمي.

- قصب السكر: موجود في باكستان وبنغلاديش واندونيسيا ونيجيريا ومصر والسودان، بنسبة 1.7% من الإنتاج العالمي.

- القطن: يُنتج خاصة في السودان ومصر وسوريا وتركيا وإيران وباكستان وأفغانستان وتركمنستان وأذربيجان، ويصل إنتاج العالم الإسلامي منه نسبة 65% من الإنتاج العالمي<sup>(2)</sup>.

- المطاط، تنتج نيجيريا وحدها ما يعادل 72% من الإنتاج العالمي، إضافة إلى اندونيسيا والملايو.

(1) يوسف جاسم الحجي، المرجع السابق، ص 410.

(2) عصام محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 141.

- الخضر والفواكه: تتوافر في كل دول العالم الإسلامي بنسب وبأنواع متفاوتة تبعا للمناخ والتضاريس، مثل الموز في الصومال وإفريقيا الغربية، والحمضيات في تركيا وشمال إفريقيا، وكذا التمر في المناطق الصحراوية..(1).

**الثروة المائية:** إن إطلالة العالم الإسلامي على البحار والمحيطات والمنافذ المائية واحتوائه على أنهار كبيرة وبحيرات وبحار داخلية، كما سبق الذكر، هيأ الأسباب لتوفر ثروات مائية كبيرة مثل الأسماك في الدول الساحلية، إضافة إلى اللؤلؤ ذو الشهرة الواسعة في مياه الخليج العربي والبحر الأحمر، والمرجان في الكثير من الدول ومنها الجزائر (2).

**المحروقات:** يتمثل أهمها في البترول والغاز الطبيعي، حيث تحتل دول العالم الإسلامي مركزا متقدما في مجال إنتاجه واحتياطه الذي يقدر بأكثر من 75% من احتياطي العالم من البترول، وأكثر من 35% من احتياطي الغاز الطبيعي، وينتج العالم الإسلامي نحو ثلث الإنتاج العالمي من النفط، ويساهم بأكثر من نصف النفط المعروض في الأسواق العالمية، وتتمركز أهم مناطق إنتاجه في:

- منطقة الخليج العربي: تضم المملكة العربية السعودية، الكويت، العراق، إيران، قطر، عمان والإمارات العربية المتحدة.

- منطقة جنوب شرق آسيا: تشمل ماليزيا وإندونيسيا وسلطنة بروناي.

- منطقة شمال إفريقيا: تحوي الجزائر وليبيا .

- غرب إفريقيا: فيها نيجيريا والكاميرون والطوغو .

- منطقة القوقاز، بين بحر قزوين والبحر الأسود.

- إضافة إلى نسبة أقل في مصر والسودان واليمن.

تجدر الإشارة إلى أن الدول العشر الأوائل في العالم في احتياطي البترول حسب ترتيبها هي: السعودية، الكويت، روسيا، المكسيك، إيران، العراق، أبو ظبي، الولايات

(1) تاج السر أحمد حران، المرجع السابق، ص 21.

(2) نفس المرجع، ص 22.

المتحدة الأمريكية، فنزويلا وليبيا. ويُلاحَظ أن من بين هذه الدول العشر هناك ست دول إسلامية<sup>(1)</sup>، كما تقدر نسبة احتياط الدول العربية المنتجة للبتترول 62.1 % من احتياط العالم منه، وهذه دلالة على ما يتمتع به العالم الإسلامي من أهمية اقتصادية، إضافة إلى الآثار المترتبة على امتلاكه للمحروقات على الصعيد السياسي حيث أصبح للعالم الإسلامي وزن معتبر في حسابات الغرب كما حدث في سنة 1973<sup>(2)</sup>.

**الثروة المعدنية:** تضم عدة معادن أهمها:

الفوسفات: توجد في المملكة العربية السعودية وتونس والأردن والسينيغال والجزائر ومصر وسوريا، يصل إنتاج العالم الإسلامي منه حوالي 25% من الإنتاج العالمي<sup>(3)</sup>.

الحديد: في ماليزيا وتركيا وإيران والجزائر والمغرب وباكستان ومصر وغينيا وموريتانيا وتونس، بنسبة 4% من الإنتاج العالمي<sup>(4)</sup>.

القصدير: في ماليزيا واندونيسيا وإيران وتركيا ونيجيريا والمغرب العربي، ويبلغ إنتاج العالم الإسلامي منه أكثر من 60% من الإنتاج العالمي<sup>(5)</sup>.

اليورانيوم: في كل من أوزباكستان، كازخستان، النيجر<sup>(6)</sup>، المملكة العربية السعودية، اليمن، سوريا، الأردن، مصر، السودان، ليبيا، الجزائر، والمغرب<sup>(7)</sup>.

(1) نفس المرجع، ص 23.

(2) محمد جمال عرفة، "نقط المسلمون: آليات جديدة لسلح قديم"، سلسلة رؤى معاصرة، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، مصر، السنة الثانية، ع 5، جوان 2008، ص 9.

(3) صيري فارس الهيتي، المرجع السابق، ص ص 131 - 132.

(4) نفس المرجع، ص 134.

(5) نفس المرجع، ص 137.

(6) وسام الدين العكلة، التحدي النووي الإيراني: حقيقة أم وهم؟، دار سوريا الجديدة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2013، ص 113.

(7) عبد العاطي بدر سلمان، العصر النووي: استكشاف اليورانيوم وتقييم خاماته ومكانه المحتملة في بعض الدول العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ب ط، 2005، ص ص 217 - 254.



إضافة إلى ما سبق ينتج العالم الإسلامي معادن أخرى بنسب متفاوتة من الإنتاج العالمي منها، أهمها: المنغنيز 10.5%، النحاس 2%، الرصاص 4.4%، الكروم 8.4%، والفحم 1%.. (1).

#### الفرع الرابع: الإمكانيات النووية الإسلامية

كان أول من استعمل تعبير "القنبلة النووية الإسلامية" هو ذو الفقار علي بوتو رئيس وزراء باكستان الأسبق عام 1972، حين أشرف على لجنة الطاقة الذرية في بداية البرنامج النووي العسكري، وقد استعمل هذا التعبير لأغراض سياسية واقتصادية. يمكن في هذا الصدد عرض أهم قوتين إسلاميتين في هذا المجال وهما باكستان وإيران، إضافة إلى بعض الدول العربية التي تتمتع بقدر أقل من هذه الإمكانيات: **الإمكانيات النووية الباكستانية:** بدأت باكستان نشاطها النووي عام 1965 بتعيين ذو الفقار علي بوتو رئيساً للجنة الطاقة النووية، وقد تعاونت في ذلك مع كندا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا والصين، حيث تم إقامة أول مركز بحثي أمريكي عام 1965 يشمل مفاعلين نوويين بقدرة (16,5 ميغاوات)، ثم مفاعل كندي عام 1970 بقدرة (125 ميغاوات)، ثم محطة توليد كهرباء نووية بتكنولوجيا فرنسية، ثم مفاعل فرنسي قادر على إنتاج اليورانيوم عام 1975، ثم مفاعل نووي "كاهوتا" (120 ميغاوات) عام 1976، والذي يكفي لإنتاج قنبلة نووية عيارية (20 كليوطن كل عام)، ثم مفاعل أبحاث صيني قدرته (50 ميغاوات)، كما تمتلك باكستان كمية ضخمة من الوقود النووي، وقد شاركت كل من ليبيا والسعودية في تمويل المشروع الباكستاني (2).

من المعلوم أن نظرية الردع المتبادل بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية خلال سنوات الحرب الباردة قد أسهمت بشكل فعال في عدم اندلاع حرب

(1) نفس المرجع، ص ص 136-139.

(2) محمد نبيل فؤاد طه، "الأسلحة النووية وأولويات الأمن القومي في ضوء إمكانيات بناء قوة نووية عربية"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع 271، سبتمبر 2001، ص 112.

جديدة، وكان الردع النووي المعلن بين الجانبين هو مرتكز هذه النظرية، وإذا كانت الهند قد أجرت تفجيراً نووياً عام 1974 فهذا يعني ضمناً أنها أصبحت دول نووية، لذا كان لزاماً على باكستان أن تتبنى إستراتيجية الردع النووي مع خصمها المجاور تقادياً لأي مغامرة، وإن كانت باكستان قد مارست لونا آخر من ألوان الردع يعرف بالردع بالشك أو غير المعلن، وذلك بإعلانها المتكرر أنها تمتلك القدرة على إنتاج أسلحة نووية، ولكن بعد أن أصبحت التهديدات الهندية أكثر خطورة اضطرت باكستان إلى تبني إستراتيجية الردع المعلن كخيار أمثل لوضع الهند أمام الأمر الواقع<sup>(1)</sup>، حيث صرح عبد القدير خان المشرف على جهود إخصاب اليورانيوم في باكستان في هذا الصدد قائلاً: "كان أماننا هدف أنه لا بد من النجاح بسرعة ودقة، ذلك أن أماننا عدو يتربص بنا ويهدد بلادنا كل يوم..، لقد كانت المعركة قاسية للغاية وليست سهلة"<sup>(2)</sup>.

كرد فعل على تفجيرات الهند النووية بدأت باكستان ببناء مفاعل "كوهوتا" عام 1976، وفي عام 1984 بدأ إنتاج اليورانيوم عالي التخصيب، وفي عام 1987 قامت بإجراء تفجير نووي بارد وقامت في الوقت نفسه بتصعيد مبادراتها السلمية، واستمرت في تطوير قدراتها النووية العسكرية في صمت، حيث قدرت مصادر غربية عام 1991 رصيدها من المواد النووية بما يعادل إنتاج 10 قنابل ذرية، وبقيام الهند في 11 و30 ماي 1998 بإجراء تفجيراتها النووية ردّت باكستان على ذلك بإجراء ستة تفجيرات ذرية في 28 و30 ماي 1998، وبذلك أصبحت باكستان قوة نووية يُقدّر ما تملكه في جويلية 1998 بما بين 15 و20 قنبلة نووية ذات أعيرة مختلفة (5 - 40 كليوطن)<sup>(3)</sup>.

(1) رأفت يحيى، "القنبلة النووية الباكستانية ولعبة الصراع في جنوب آسيا"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع 1115، سبتمبر 1994، ص ص 38 - 39.

(2) محمد عوض الهزايمة، قضايا دولية: تركة قرن مضى وحمولة قرن أتى، دار الحامد، عمان الأردن، ط1، 2007، ص333.

(3) محمد نبيل فؤاد طه، المرجع السابق، ص 112.

الإمكانات النووية الإيرانية: مرت التجربة النووية الإيرانية بأربعة مراحل:

- مرحلة النشأة وإقامة البنية التحتية (1968-1979)، وكان ذلك في عهد الشاه محمد رضا بهلوي، إذ قام في بداية السبعينيات من القرن العشرين بإنشاء منظمة الطاقة النووية، وذلك بتشجيع ومساعدة من الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا الغربية.

- مرحلة تجميد النشاط في هذا المجال (1979-1985)، تزامن ذلك مع الثورة الإسلامية الإيرانية، حيث اتخذ قادة الثورة آنذاك وفي مقدمتهم آية الله الخميني موقفا سلبيا تجاه الطاقة النووية، إضافة إلى رفض الدول الغربية التعاون مع إيران بل وفرض حظر شامل في ميدان التسليح، كما تعرضت المنشآت النووية إلى القصف من طرف العراق في حرب الخليج الأولى<sup>(1)</sup>.

- مرحلة استئناف الاهتمام بالأسلحة النووية (1985-1991) بمساعدة الصين وكوريا الشمالية، حيث حصلت منهما على صواريخ "سكود"، وتزامن ذلك مع حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق.

- مرحلة تكثيف الاهتمام بالأسلحة النووية منذ تسعينيات القرن العشرين، من خلال تنويع وتوسيع مصادر التكنولوجيا النووية بإبرام صفقات مع دول أخرى مثل باكستان والهند وجنوب أفريقيا وروسيا .. وغيرها، وبذلك تمكنت من تصنيع عدة صواريخ باليستية أهمها: صاروخ "شاهين1" و"شاهين2" تتراوح مداها (60-150) كلم، و"شهاب3" (1300) كلم و"شهاب4" (2000) كلم و"شهاب5" (5000) كلم<sup>(2)</sup>.

- إضافة لما سبق يشمل البرنامج النووي الإيراني العديد من المنشآت والمفاعلات النووية بطاقات متدرجة (5 27 ميغاوات) أهمها: مجمع أصفهان التكنولوجي النووي،

(1) عمرو رضا بيومي، القدرات النووية الإيرانية: بين الإرهاب الأمريكي- الإسرائيلي وازدواج المعايير الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، د ط، 2011، ص56.

(2) سعد حقي توفيق، الإستراتيجية النووية بعد انتهاء الحرب الباردة، دار زهران للنشر، عمان، الأردن، د ط، 2008، ص ص 128-129.

مجمع بوشهر النووي، مركز طهران للبحوث النووية، منشأة جابر بن حيان، محطة نطنز، منشأة آراك، منجم غشين، منجم صفند، منشأة فوردو النووية، موقع كازفان، منشأة أب علي، منشأة لشقر آباد، موقع دارخوين النووي، مركز بوناب لبحوث الطاقة النووية، مركز ابن الهيثم، موقع إستي جلال..<sup>(1)</sup>، وهو ما يعكس مكانة إيران الإقليمية والدولية في المجال النووي.

أما عن أسباب سعي إيران لامتلاك القدرة النووية فيمكن إجمالها فيما يلي: (2)

- تأكيد الاعتماد الذاتي الدفاعي لإيران، ونجاح الثورة فيما لم يصل إليه الشاه.
- السعي لتحقيق التوازن النووي مع بعض دول المنطقة وخاصة منها إسرائيل.
- تدعيم المكانة الإقليمية والدولية لإيران.
- استمرار احتفاظ الولايات المتحدة بقوات وقواعد عسكرية بالقرب من إيران، مع إحساس هذه الأخيرة بمحاولات عزلها لكونها محاطة بقوى نووية من ثلاث جهات: من الشمال روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء وكازخستان، ومن الغرب إسرائيل وكانت العراق، ومن الشرق الهند وباكستان.
- الاستفادة من القيمة الإستراتيجية والسياسية للأسلحة النووية، حيث توفر هذه الأسلحة الردع والدفاع عن الدولة الإيرانية من جهة والتأثير السياسي لها من جهة ثانية.
- يمكن الحديث أيضا عن دول إسلامية عربية تحوز على نوع من الإمكانيات النووية لكنها أقل من حيث القدرة مقارنة بسابقتها، حيث تمتلك غالبية الدول العربية قدرات ونشاطات نووية ضعيفة ممثلة في مفاعلات بحثية وعلمية، أهم هذه الدول:
- دول مجلس التعاون الخليجي:** لقد تركزت جهود دول مجلس التعاون الخليجي في التعاون لتطوير البرامج النووية السلمية أكثر من أي وقت مضى، حيث تم الاتفاق في القمة

(1) وسام الدين العكلة، المرجع السابق، ص ص 83 - 110.

(2) أحمد عبد الحليم، "خريطة القوى النووية في الشرق الأوسط في أوائل القرن الواحد والعشرين: حقائق واحتمالات تطوره"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع 271، سبتمبر 2001، ص ص 134 - 135.

الخليجية في ديسمبر 2006 على إيجاد برامج في مجال الطاقة النووية للأغراض السلمية، وذلك بالتنسيق مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، كما تمت زيارات بين ممثلي المجلس والوكالة بين سنتي 2007 و2009<sup>(1)</sup>.

تصدر الإمارات العربية المتحدة دول المجلس الساعية للطاقة النووية، حيث وقّعت اتفاقات تعاون في هذا المجال مع كل من فرنسا والولايات المتحدة وكوريا الجنوبية وبريطانيا واليابان وروسيا، أما المملكة العربية السعودية فقد أسست مدينة الملك عبد العزيز للطاقة النووية والمتجددة سنة 2009<sup>(2)</sup>، كما وقعت البحرين اتفاقية للتعاون في مجال الطاقة النووية للأغراض السلمية، في حين استعانت قطر بالخبرة الفرنسية من خلال ابرام اتفاق للتباحث في مجال إنتاج الطاقة النووية. أما الكويت فقد أبرمت اتفاقا للتعاون التقني مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية في سبتمبر 2013 خاص بالمجال الطبي والصناعي وحماية البيئة<sup>(3)</sup>.

**مصر:** كان اهتمام مصر بدخول مجال الطاقة النووية من أهم إنجازات الثورة المصرية لسنة 1952، وقد كان ذلك لمواكبة التقدم العلمي في مجال الاستخدامات السلمية للطاقة النووية، ومن ثم تم تشكيل لجنة الطاقة النووية في فيفري 1955، وقد تمكنت هذه الأخيرة بمساعدة الاتحاد السوفييتي آنذاك من تكوين الكثير من الإطارات والعلماء والفنيين في مجال الأبحاث النووية، وكذا إنشاء العديد من المراكز المتعلقة بالتكنولوجيا النووية<sup>(4)</sup>.

(1) أشرف محمد كشك، "المشاريع النووية السلمية الخليجية ومتطلبات الأمن النووي"، الملتقى العلمي حول الاستخدام السلمي للطاقة النووية وأثره على الأمن البيئي، كلية العلوم الإستراتيجية، المنامة، البحرين، 20 مارس 2014، صص 12-13.

(2) أيمن عبد السلام إبراهيم، استخدام المصدر النووي في توليد الطاقة، المكتبة العصرية، المنصورة، مصر، ط1، 2015، صص 114.

(3) أشرف محمد كشك، المرجع السابق، صص 15.

(4) أيمن عبد السلام إبراهيم، المقومات والمحددات الأساسية لقيام وإنجاز برامج سلمية للطاقة النووية، المكتبة العصرية، المنصورة، مصر، ط1، 2015، صص 108-109.

تمتلك مصر مفاعلين نوويين بحثيين، المفاعل النووي البحثي (ET-RR1) الذي تم إنشاؤه عام 1991 وتبلغ طاقته (2ميغاوات)، والمفاعل النووي البحثي (MPR) الذي تم افتتاحه في 1998/01/04 بمساعدة فنية من الأرجنتين وقدرته (22 ميغاوات) (1).

أما فيما يخص العراقيل التي تواجه مصر في هذا المجال فقد صرّح عزّت عبد العزيز (2) بأنه: "لابد من التفرقة بين إمكانيات نووية وبين قدرات قادرة على تصنيع سلاح نووي، وفي النقطة الثانية لابد أن نتذكر أننا وقعنا على معاهدة حظر استخدام الأسلحة الذرية، وهذا التوقيع يضع قيودا شديدة على الدخول في مجال البحوث الإستراتيجية العسكرية" (3)، كما قال سعد الدين الشاذلي (4): "إن مصر تعاني ضغوطا أمريكية وصهيونية وغربية مما أدى إلى عدم دخولها الميدان النووي بالرغم من توفر الإمكانيات لذلك".

الجزائر: حاولت الجزائر دخول المجال النووي من خلال التعاون مع عدد من الدول منها الصين والأرجنتين وألمانيا وكوريا الشمالية وباكستان، وقد قامت فعلا بإنشاء مفاعلين نوويين المفاعل الأول "نور" Nur الواقع بدرارية بطاقة (1ميغاوات) بالتنسيق مع الأرجنتين حيث دخل الخدمة سنة 1989، والمفاعل الثاني "السلام" Essalam بعين وسارة بطاقة (15ميغاوات) بالتنسيق مع الصين وقد دخل الخدمة سنة 1993 (5)، وتستخدم الطاقة النووية في مجالات سلمية أساسا كالتطب والصناعة والمحافظة على المنتجات الفلاحية والزراعية وتطويرها (6).

(1) محمد نبيل فؤاد طه، المرجع السابق، ص ص 107 - 108.

(2) رئيس هيئة الطاقة الذرية المصرية الأسبق.

(3) رأفت الشراوي، "إستراتيجية إسرائيل النووية"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع1136، جانفي، 1995، ص ص 32 - 33.

(4) رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري في حرب 1973.

(5) حسين فوزاري، الإطار القانوني لتعاون الجزائر الدولي في المجال النووي، رسالة دكتوراه تخصص القانون العام، كلية الحقوق، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، السنة الجامعية 2007 - 2008، ص 53.

(6) نفس المرجع ص 50.

تجدر الإشارة إلى أن الجزائر قد أبرمت عدة اتفاقات تعاون في هذا المجال كان أحدثها:

-اتفاق تعاون مع جمهورية الصين الشعبية لتطوير الاستخدامات السلمية للطاقة النووية في 24 مارس 2008<sup>(1)</sup>.

-اتفاق تعاون مع فرنسا من أجل تطوير الطاقة النووية واستخداماتها السلمية في 21 جوان 2008<sup>(2)</sup>.

-اتفاق تعاون مع الأرجنتين لتطوير الاستخدامات السلمية للطاقة النووية في 17 نوفمبر 2008<sup>(3)</sup>.

**العراق:** يرجع تاريخ البرنامج النووي العراقي إلى أوائل الستينات من القرن العشرين، حيث بدأ عام 1968 تشغيل مفاعل أبحاث سوفييتي بقدرة (5 ميغاوات)، وبنهاية عام 1981 بدأ تشغيل مفاعل الأبحاث "أوزيرك/تموز" بقدرة (40 ميغاوات) وهو فرنسي الصنع، وقد قدر العلماء آنذاك أنه بإمكان هذا المفاعل إنتاج كمية من البلوتونيوم كافية نظريا لتصنيع من قنبلة نووية إلى اثنتين في العام، أما عن العنصر البشري فكان العراق يملك قاعدة متطورة من العلماء والفنيين، ويعد النشاط النووي العراقي أحد الأسباب الرئيسية لحرب الخليج الثانية، التي تم من خلالها تدمير البنية التحتية النووية للعراق تماما وفرض لجان تفتيش دائمة عليه<sup>(4)</sup>، وهو نفسه السبب، المُعلن على الأقل، في اندلاع حرب الخليج الثالثة في مارس 2003، ومن ثم دخل العراق نفق مظلم فيما يتعلق بشرعية النظام وبأزمة الهوية وصراع الطوائف ناهيك عن الأزمة السياسية والاقتصادية والأمنية، الأمر

(1) المادة الأولى، المرسوم الرئاسي رقم 09- 215 المؤرخ في 15 يونيو سنة 2009، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 36، الصادر بتاريخ 21 يونيو 2009م.

(2) المادة الأولى، المرسوم الرئاسي رقم 09- 216 المؤرخ في 15 يونيو سنة 2009، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 36، الصادر بتاريخ 21 يونيو 2009م.

(3) المادة الأولى، المرسوم الرئاسي رقم 11- 430 المؤرخ في 11 ديسمبر سنة 2011، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 69، الصادر بتاريخ 18 ديسمبر 2011م.

(4) محمد نبيل فؤاد طه، المرجع السابق، ص ص 109 - 110.

الذي يؤدي إلى استبعاد المسألة النووية عن اهتمامات الشأن العراقي إلى حين الانتهاء من بناء دولة قوية والقضاء على الأزمات السابق ذكرها.

سوريا: تعتبر سوريا من الدول غير المتقدمة نووياً، ولديها عدد قليل من العلماء والفنيين لا يكفي لبدء برنامج نووي متطور، ويوجد لديها مفاعلان نوويان صغيران، أحدهما بقدرة (30 ميغاوات) من الصين والثاني بقدرة (3 ميغاوات) من الأرجنتين لأغراض سلمية - تم تأجيل تسليمه إلى ما بعد عقد اتفاقية سلام مع إسرائيل بناءً على ضغوط أمريكية وإسرائيلية - كما يوجد لديها بعض الخامات التي تحتوي على نسبة من اليورانيوم كالفوسفات، حيث تملك سوريا احتياطياً كبيراً منه<sup>(1)</sup>، إلا أن تأزم الوضع الأمني والسياسي والاقتصادي وحتى الإنساني بعد ما سمي بالثورة السورية لسنة 2011 جعل سوريا أشبه بدولة فاشلة لا يمكن الحديث عن المسألة النووية بشأنها.

ليبيا: اهتمت ليبيا بمجال الطاقة النووية منذ أواخر ستينيات القرن العشرين حيث أجرت مباحثات وأبرمت اتفاقيات تعاون مع فرنسا وألمانيا والهند والأرجنتين والسويد والبرازيل، غير أن الضغوط الخارجية التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية أعاققت تنفيذها، واتجهت ليبيا إلى الاتحاد السوفييتي السابق حيث تم الاتفاق عام 1986 على إقامة مفاعلين نوويين أحدهما بحثي والثاني لإنتاج الكهرباء، كما كانت تزخر بعدد معتبر من العلماء والفنيين الليبيين والأجانب<sup>(2)</sup>، إلا أن ما قيل عن سوريا يقال عن ليبيا بعد الثورة وإسقاط نظام القذافي حيث دخلت ليبيا أزمة سياسية وأمنية بل وأزمة هوية صعبت عليها إعادة بناء دولة، مما يعني استبعاد الحديث عن أية إمكانية أو قدرة نووية ليبية.

انطلاقاً من هذه النماذج الإسلامية المتعلقة بالإمكانات النووية يمكن تسجيل

الملاحظات التالية:

(1) نفس المرجع، ص 111.

(2) نفس المرجع، ص 110.



- إن الإمكانيات النووية العربية وإن وجدت إلا أنها متواضعة وتستخدم أساسا في المجالات السلمية، خلافا للإمكانيات النووية الإسلامية غير العربية (الباكستانية والإيرانية) التي، نظرا لاعتبارات تاريخية وسياسية وتقنية، تعتبر قوة على المستويين الإقليمي والعالمي.

- إن الدافع الأساسي لدول الخليج العربي في تطوير الطاقة النووية يتمثل في امتلاك إيران لأسلحة نووية، مما يعني اكتمال حلقات الامتداد النووي الإقليمي، حيث تمتلك كل من الهند وباكستان وإسرائيل تلك الأسلحة، وهو ما سوف يكون إيذانا بسباق نووي محموم في الشرق الأوسط والخليج<sup>(1)</sup>.

- في ظل تزايد الحاجة للكهرباء وشح المياه في المنطقة العربية والنقص المحتمل في احتياطات النفط والغاز، أصبح اللجوء إلى خيار الطاقة النووية، كمصدر لتوليد الكهرباء وتحلية المياه، خيارا استراتيجيا لتتويع مصادر الطاقة يجب الإعداد له على المدى المتوسط والبعيد<sup>(2)</sup>.

- إن التزايد السكاني بدرجة عالية مقارنة بالدول الغربية، وتزايد الحاجة للطاقة بسبب التغيير في أسلوب الحياة والاستثمارات السياحية والخدمات والصناعية، أدى إلى زيادة كبيرة في الطلب على الطاقة.

- إن أهم عامل يعرقل ويضغط على الدول العربية للحيلولة دون بناء منشآت نووية متطورة هو العامل السياسي الخارجي الذي فرض ما يشبه الحظر على المنطقة<sup>(3)</sup>.

- إن الدول المعنية بما سمي بالثورات العربية خاصة منها سوريا ومصر وليبيا ستشهد تراجعا في هذا المجال، حيث يفترض بها الاهتمام بالاستقرار المحلي أكثر من المسألة

(1) أشرف محمد كشك، المرجع السابق، ص11.

(2) عبد المجيد المحجوب وضو مصباح، "مستقبل الطاقة النووية في الدول العربية"، مؤتمر الطاقة العربي العاشر، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ديسمبر 2014، ص 02.

(3) ضو سعد مصباح ومحمود نصر الدين، مستقبل توليد الكهرباء بالطاقة النووية، الهيئة العربية للطاقة الذرية، جامعة الدول العربية، تونس، ط1، 2006، ص52.

النووية<sup>(1)</sup>، ويمكن إدراج العراق مع هذه الدول نظرا للوضع الأمني الذي بلغه منذ سقوط نظام صدام حسين.

مما سبق يمكن الاستنتاج أن العالم الإسلامي ككيان جغرافي وسياسي وحضاري هو الوحيد، من بين العوالم الحضارية الأخرى، الذي يمتلك ميزة تؤهله لأن يكون قوة إستراتيجية مستقبلية تقف في وجه الأقطاب الفاعلة على المستوى العالمي.

فعلى الصعيد الجغرافي يمتد العالم الإسلامي على ثلاث قارات، وهو كيان قاري يتجاوز في أهميته الجيو- سياسية الكيانات الدولية للقوى العظمى التي تمتد على مدى قاري أحادي البعد.

أما على الصعيد السكاني فإن عدد المسلمين في العالم الذي يبلغ حوالي مليار وثلاثمائة مليون نسمة، حيث يتجاوز وجودهم السكاني الرقعة الجغرافية للبلدان الإسلامية، ويمتد إلى قارات أخرى كأقليات دينية مهمة يبلغ تعدادها عشرات الملايين، وهي قادرة على خلق كيان ثقافي وسياسي مستقل داخل أوروبا وأمريكا.

وعلى الصعيد الاقتصادي يمتلك العالم الإسلامي ثروات معدنية وطبيعية مختلفة، إضافة إلى أضخم ثروة بترولية مقارنة بالكيانات الدولية الأخرى، مما يمكنه من استغلالها في التأثير في المجريات الدولية مثلما حدث في سبعينيات القرن العشرين.

أما على الصعيد الحضاري فيضم العالم الإسلامي عدة شعوب وأعراق لها امتداد تاريخي وحضاري عظيم يحدد خصوصية متميزة من جهة، إضافة إلى وحدة عقيدة تمثل محور قوته من جهة ثانية.

إلا أنه لم يتم استغلال هذه الميزات على أكمل وجه، مما حال دون إحداث نقلة نوعية في صورة ووضع العالم الإسلامي، من مجرد كيان جغرافي إلى كيان جيو- سياسي دولي ثم إلى كيان جيو- إستراتيجي عالمي مؤثر، الأمر الذي يستدعي التطرق

(1) تقرير حول "المسألة النووية في الشرق الأوسط"، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، جامعة جورج تاون، قطر، 2012، ص22.

لمختلف العراقيل والصعوبات أو ما يمكن اعتبارها مؤشرات ضعف والتي حالت دون ترجمة الإمكانيات السابقة الذكر إلى واقع إيجابي ملموس.

### المطلب الثالث: العالم الإسلامي.. مؤشرات الضعف

يمكن في هذا الصدد استعراض أهم المؤشرات الدالة على ضعف العالم الإسلامي في المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية والأمنية كما يلي:

#### الفرع الأول: المعضلة الثقافية

لقد عرّف مالك بن نبي الثقافة، بعد أن ربّطها بالحضارة، بأنها نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة<sup>(1)</sup>، كما حدد مشكلة الثقافة في العالم الإسلامي واعتبرها مشكلة ذات شقين: (2)

- فقدان المجتمع الإسلامي لشبكة الاتصالات الثقافية.
- ضعف الطبقة المثقفة في المجتمع الإسلامي.

انطلاقاً من ملاحظة واقع وأوضاع العالم الإسلامي يمكن تلخيص أهم أسباب المعضلة الثقافية التي يعاني منها فيما يلي:

أولاً- تعدد الأجناس البشرية والثقافات: لاحظ مالك بن نبي أن العالم الإسلامي وبالرغم من وحدته الروحية المتمثلة في اعتناق شعوبه لدين الإسلام، إلا أنه يظهر متعدد الجوانب كأنه ليس عالماً واحداً بل عوالم متعددة، وقد حدّدها في خمسة عوالم بحسب الأجناس، وهي العالم الإسلامي الزنجي أو الإفريقي، العالم الإسلامي العربي، العالم الإسلامي الإيراني (فرس، أفغان، باكستان)، العالم الإسلامي الملايو (اندونيسيا، ملايو) والعالم الإسلامي الأصفر<sup>(3)</sup>.

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 1986، ص82.

(2) مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 2002، ص146.

(3) مالك بن نبي، فكرة كومونولث إسلامي، ترجمة: الطيب الشريف، دار الفكر، الجزائر، د ط، 2000، ص14.

يضم العالم الإسلامي مجموعة من الأجناس البشرية من قوقازيين في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا ومنطقة القوقاز، ومغول في شرق وجنوب شرق آسيا، وزنوج في المنطقة الاستوائية والمدارية من إفريقيا، كما يشمل عدة أعراق بشرية فيعيش الآريون في بلاد إيران وأفغانستان والهند والقوقاز، ويوجد الساميون في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، وينتشر الحاميون في شرقي إفريقيا وجهات أخرى من شمالها.

أما من حيث ألوان السكان فتنتشر في العالم الإسلامي عدة ألوان، بين أبيض وأصفر وأسود، وتنتسب إليه عدة أقوام وشعوب من عرب، ترك، مغول، فرس، هنود، ماليزيين، هاوسا، وفولاني، وأحباش، بانتو، ماندينغ، وغيرها كثير، وقد اختلطت هذه المجموعات بعضها ببعض<sup>(1)</sup>.

**ثانيا- تعدد اللغات:** حيث يتكلم سكان العالم الإسلامي لغات مختلفة، إذ لكل شعب لغته الخاصة به، إضافة إلى اللهجات المحلية، ومن أشهر اللغات المتداولة: اللغة العربية، الإندونيسية، البنغالية، الأوردو (الباكستانية)، الفارسية، البشتو (الأفغانية)، التركية، السواحلية، الهاوسا، والأمازيغية..<sup>(2)</sup>.

**ثالثا- تعدد العقائد:** يؤلف المسلمون نسبة 88% من سكان العالم الإسلامي، يتوزع ثلثا المسلمين تقريبا في قارة آسيا، ويقطن الثلث قارة إفريقيا، والباقي في أوروبا وخاصة في ألبانيا والجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفييتي السابق، لكن رغم كثرة المسلمين في آسيا فإن نسبتهم لا تزيد عن 27% من سكانها، وذلك لكون عدد سكان آسيا يقارب نصف سكان العالم.

يُشكّل المسلمون في إفريقيا 59% من سكانها، أما في أوروبا فنسبة المسلمين بها ضئيلة ولا تتجاوز 2.3% منها، أما النصارى فيشكلون 6.5% من سكان العالم الإسلامي حيث يتواجدون في آسيا وإفريقيا بشكل متساو تقريبا، في حين لا تزيد نسبة اليهود على

(1) محمود شاكر، سكان العالم الإسلامي، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1989، ص 16.

(2) نفس المرجع، ص 22.

0.4%، ثلثا العدد في آسيا والباقي في إفريقيا وأوروبا وهم متركزون خاصة في فلسطين. إضافة إلى الوثنيين بنسبة 1.5% من سكان العالم الإسلامي ثلثاهم في إفريقيا والثلث الباقي في آسيا، ثم يأتي البراهميون 1.8%، والبوذيون 0.4%، والكونفوشيوسيون 1.0%، والشنتويون 0.4% وديانات أخرى، وكلهم يتجمعون في آسيا<sup>(1)</sup>.

**رابعا- تعدد المذاهب والفرق الإسلامية:** وهي منتشرة عبر العالم الإسلامي أهمها السنة بنسبة 93.8% والشيعة بنسبة 6.2%، وهذه الأخيرة انقسمت على نفسها إلى عدة فرق منها: الشيعة التبرئية، الشيعة التفضيلية، الشيعة السريغية، الشيعة اليزعية، الشيعة الكاملة، الشيعة المنصورية، الشيعة الغمامية، الشيعة المعمرية، الشيعة الغرابية، الشيعة المقنعية، والراوندية، والرخمية، والخذاشية، والبابكية، والبهائية، والقديانية والإسماعيلية<sup>(2)</sup>.

**خامسا- تعدد الطوائف:** حيث أصبحت الطائفية والعرقية والمذهبية والإقليمية والعشائرية معاني مترابطة بشكل كبير مع بعضها البعض، فقد ينتمي الفرد لعرق معين مثل: (عربي، كردي، تركي، فارسي، أمازيغي)، وفي نفس الوقت له مذهب فقهي معين مثل: (السنة العرب، الشيعة العرب)، وينتمي في ذات الوقت لإقليم ما، وفي ظروف ما قد يكون هناك تلاحم أو صراع طائفي بين أفراد لا ينتمون لنفس العرق أو الإقليم<sup>(3)</sup>.

إن هذا الواقع التاريخي والموضوعي لشعوب العالم الإسلامي هو من بين أهم العوامل التي ساهمت، ولا تزال، في تكريس المكانة المتأخرة لأحد أهم وأضخم الكتل

(1) نفس المرجع، ص 22.

(2) أحمد محمد عوف، المؤامرات الخفية ضد الإسلام والمسيحية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1992، ص ص 149-176.

(3) تامر بكر، "الصراع المذهبي والعرق في العالم الإسلامي.. الجذور والمستقبل"، في التحولات الكبرى: مستقبل العالم الإسلامي بعد مائة عام من الحرب العالمية الأولى، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ع 11، 2014، ص ص 221-222.

البشرية على وجه الأرض تاريخاً وحضارةً، ويمكن إجمال أهم ملامح المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي فيما يلي:

1 - تفشي ظاهرة الأمية: حيث أفادت إحصائيات التقرير السنوي للبنك الدولي لعام 1994 أن 80% من مجمل سكان العالم الإسلامي لا يحسنون القراءة ولا الكتابة، كما أشارت هذه الإحصائيات إلى أن (150) مليون طفل في سن الدراسة في العالم الإسلامي محرومون من التعليم لأسباب مادية<sup>(1)</sup>، فيما أشار تقرير للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" (isesco) لسنة 2008 أن معدل الأمية في العالم الإسلامي يتراوح بين 60% و70% من مجموع سكانه، بل ويصل إلى 80% في أوساط النساء، لاسيما في الأرياف والمناطق النائية، وهذا الوضع يشكل عقبة تعيق التنمية المستدامة في هذه البلدان في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية<sup>(2)</sup>.

في حين أظهرت بعض التقارير العربية نوعاً من التفاؤل بخصوص وضع الأمية في العالم العربي، حيث أشار المرصد العربي للتربية - التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تقريره لسنة 2012 - إلى أن إجمالي عدد سكان البلاد العربية حسب إحصائيات 2008 قد بلغ حوالي 335 مليون نسمة، وأن نسبة الأمية فيها قد بلغت 29%، أي ما يعادل 97 مليون أمي وأممية<sup>(3)</sup>، فيما تراجع النسبة سنة 2010 إلى 27.1%، حيث بلغت أقصاها في المغرب 43.9% وموريتانيا 42.5%، وأدناها في قطر 5.3% وفلسطين 5.4%، فيما بلغت في تونس 22.4% والجزائر 27.4% ومصر 33.6%.

(1) جمال طاهر، "واقع العالم الإسلامي"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع 1144، أبريل 1995، ص 43.

(2) تقرير حول "إنجازات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في مجال محو الأمية في الدول الأعضاء"، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، نيروبي، كينيا، 5-7 نوفمبر 2008، ص 1.

(3) تقرير حول "التعليم في الوطن العربي"، المرصد العربي للتربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، 2012، ص ص 93-94.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه وبمقارنة الإحصائيات الصادرة عن التقريرين أعلاه والمتعلقة بكل من العالم الإسلامي والعالم العربي، يُلاحظ أن الفروق بين النسب المعطاة شاسعة حيث تتجاوز الضعف، أي (60% و 70%) بالنسبة للعالم الإسلامي و(29%) بالنسبة للعالم العربي، وهو ما يعبر عن مشكلة مدى مصداقية الإحصائيات الصادرة سواء عن مختلف الدول الإسلامية والعربية أو عن تقارير بعض الهيئات الدولية.

في نفس السياق اعتقد شكيب أرسلان في كتابه "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم"، في النصف الأول من القرن العشرين، أن من أهم أسباب تأخر المسلمين: "الجهل والعلم الناقص، وفساد الأخلاق لاسيما أخلاق الأمراء والعلماء، والجبن واليأس ونسيان ماضيهم المجيد"<sup>(1)</sup>.

وبهذا فإن واقع العالم الإسلامي لا يعكس صورة الإسلام الحقيقية، فالدين الإسلامي حثّ على العلم واعتبر طلبه فريضة دينية وواجبا أخلاقيا على كل مسلم ومسلمة، وذلك مصداقا لقول الله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}<sup>(2)</sup>.

2- ضالة البحث العلمي<sup>(\*)</sup>: حيث تعتبر ضالة أو غياب البحث العلمي أمر طبيعي لدى الشعوب الأمية، لأن البحث العلمي يحتاج إلى جانب حرية الرأي وتمتع المواطنين بحقوقهم إلى مناخ علمي، وإلى أسس تربوية تحفز على الإبداع وتشجع على الابتكار، فالبحث العلمي لا يحظى بالاهتمام في أغلب بلدان العالم الإسلامي، ولا يُستثمر فيه نظرا لانعدام مناخه والتشجيع عليه مثله مثل بقية العالم المتخلف، وينتج عن ذلك نزيف مستمر

(1) شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، د ت، ص ص 75 - 77.

(2) سورة العلق - الآية 1 - 5.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر الجدول الخاص بمؤشرات البحث العلمي في العالم الإسلامي في الملحق رقم 2.

للعقول المبدعة التي تجذبها الامتيازات والإمكانات المتوفرة بالخارج، ويرهقها تفسخ المجتمع وسيادة الرأي المستبد فيه والمانع لكل جو علمي<sup>(1)</sup>.

3 - هجرة العلماء: أو ما يعرف بهجرة الأدمغة إلى دول الشمال، وهي مسألة معقدة وتعود إلى جملة من الأسباب بعضها خارجي يتعلق بالإغراءات والفرص المتاحة ونوعية الحياة الغربية، وبعضها داخلي يتصل بالظروف الشاقة السائدة في دول العالم الإسلامي وخاصة الظروف السياسية وضيق الفرص، وبعضها ذاتي خاصة بالباحث نفسه ومدى ارتباطه بأمتة أو استعداداه للانفصال عنها.

وفي هذا الصدد تشير الدراسات إلى أن 70% من المبعوثين العرب لا يعودون إلى بلدانهم بعد الانتهاء من الدراسة، وقد وصلت حدة هذه الظاهرة إلى درجة أن بعض الدول الإسلامية صارت توقع اتفاقات مع الدول الكبرى بهدف الحد من تلك الظاهرة، كأن لا تسمح لطلبتها وباحثيها بالبقاء بتلك الدول بعد حصولهم على الدرجة العلمية، وذلك نظرا إلى التكلفة الباهظة التي تقع على عاتقها نتيجة لهذه الظاهرة، إذ تكلف هجرة العلماء والباحثين خسارة مالية وعلمية ضخمة<sup>(2)</sup>.

4 - الانقسامات الفكرية الحادة: حيث برز تياران متطرفان في الساحة الفكرية والثقافية هما:

- تيار علماني يدعو إلى بناء الحياة على أسس علمانية متحررة من قيود الدين والعادات والتقاليد الاجتماعية، لأنها في رأي هذا التيار من أكبر عوائق التقدم واللاحق بركب الحضارة.

(1) المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، مكتبة الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص 183.

(2) عبد المنعم المشاط، "التخلف والتجزئة في العالم الإسلامي"، في قضايا دولية معاصرة، مركز الدراسات الأسيوية، جامعة القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص ص 276-277.



- تيار ديني يعارض كل ما يتصل بالتقدم الحضاري، فهو يرى أن مظاهر الحضارة في المجتمع ليست إلا فسادا في الأخلاق وتفككا في الأسرة وانحلالا من الدين<sup>(1)</sup>.

5 - التناحر والتناحر الثقافي بين مختلف الجماعات والمذاهب: حيث أن تعدد وتنوع الثقافات داخل العالم الإسلامي كان له أثر كبير في ازدهار الحضارة الإسلامية في فجر تاريخها ثم في المراحل التاريخية اللاحقة، وذلك على أيدي نخبة هائلة من العلماء والساسة والمفكرين، إلا أن ذلك لم يمنع في فترات متقاربة ومتباعدة من ظهور بؤر توتر واختلاف كان من الممكن تداركها في بعض الأحيان، ولكن سارت في أكثر الأحوال مسارا تعمقت فيه الفجوة، حيث تراكمت الخلافات والأحقاد التاريخية، فبدأ الأمر في أوله اختلافا ثم تناحرا ثم تراكم عبر القرون مما أدى إلى تشتت أجزاء العالم الإسلامي، وهو ما يمكن أن يُصطلح عليه بتفكك روابط الثقافة الإسلامية في الفروع التي ضخمت على حساب الأصول، ومردّد هذا التفكك والتناحر هو الجهل والفقر وهما أثريين من آثار الاستعمار. هذا الأخير الذي رغم كونه عاملا خارجيا فإنه عمل من داخل العالم الإسلامي على تغذية الفوارق وتأصيلها بعد أن كانت في أغلبها فرعية، وجعل منها أساسا بُنيت عليه دول وثقافات متباينة، كل ذلك بسبب ما أسماه مالك بن نبي "بالقابلية للاستعمار" التي أوجدها غياب المنهج وكرسها موروث قرون التخلف والانحطاط<sup>(2)</sup>.  
فرغم نيل جل الدول الإسلامية لاستقلالها السياسي، إلا أن أغلبها لا يزال لم يستقل فكريا وثقافيا وقيميا ومفاهيميا، وذلك لإصابتها بمركب النقص تجاه المستعمر<sup>(3)</sup>.

(1) محمد شامة، الإسلام في الفكر الأوروبي، دار التراث العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1980، ص ص 239-240.

(2) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 2002، ص ص 89-96.

(3) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، واقع العالم الإسلامي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 1997، ص54.

لقد صدق مالك بن نبي إذ قال: ".حتى أن الاستعمار يجد خير حليف في أوضاعنا العقلية ذاتها"<sup>(1)</sup>.

6 - إحساس المسلمين بالمؤامرة التاريخية: بداية من يهود المدينة مرورا بالحروب الصليبية والاستعمار وانتهاءً بالنظام العالمي الجديد، وتداخل هذا الإحساس المضمخ عن حجمه الطبيعي مع الجمود والخمول وعطالة الاجتهاد التي يعاني منها العالم الإسلامي.

7 - التبعية الثقافية للخارج: حيث أنه في الوقت الذي انحسر فيه الاستعمار التقليدي ظهر نوع آخر من الاستعمار يمكن حصره في التبعية الثقافية للغرب، وتكمن مخاطر هذه الأخيرة في أنها تسيطر على العقل وتحدد نمط وطرق التفكير، كما أنها تدمر الثقافة الوطنية وما يرتبط بها من قيم وحضارة، وتخلق ثقافة فرعية تكون مصدر التنشئة السياسية للصفوة المحتملة ولمعظم أولئك الذين يدخلون الاختيار السياسي، وتثير عدد من الأزمات وعلى رأسها أزمة الهوية والانتماء<sup>(2)</sup>.

إن تغريب الهوية الإسلامية ناتج عن استنابات الغرب أثناء وبعد الاستعمار لنخبة فكرية موالية له عبر مؤسسات تعليمية غربية التوجه، والتي تحاول أن تقود التحول الحضاري وتبرره. إلا أن هذه النخبة بدأت في فقدان شرعيتها لدى الجماهير المسلمة مع حلول الألفية الثالثة، نظرا لفشلها سواء في إيجاد ثقافة قومية مستقلة عن الخلفية الإسلامية أو في تحقيق هدف التنمية الاقتصادية<sup>(3)</sup>.

8 - انفصال النخبة عن واقع المجتمعات الإسلامية: وذلك لأسباب سياسية استبدادية وأخرى ثقافية تغريبية، هذا الواقع الذي يدفع الإنسان المسلم إلى سلك أحد

(1) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 1985، ص 81.

(2) وجيه كوثراني، "الإسلام والمسلمون في عالم متغير"، مجلة الحوار، بيروت، لبنان، ع 31، جانفي 1994، ص 166.

(3) أحمد داود أوغلو، العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية، ترجمة: إبراهيم البيومي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 1، 2006، ص ص 151 - 154.

طريقين: إما الذوبان في مرجعية ثقافية في صيغة "الحدائثة"، التي هي أصلاً قيد النقد في بلاد المنشأ وحيث يعاني العالم بأسره من أزمة قيم، وإما التقوقع على النفس كهروب دفاعي إلى الماضي للاحتماء به (1).

نقد أحسن "مارشال هودجسون" Marchall Hodgson وصف وتشريح المعضلة الثقافية في العالم الإسلامي في كتابه "مغامرة الإسلام: الوعي والتاريخ في حضارة عالمية"، حيث قال: "يعاني المسلمون، ورثة تلك الحضارة العالمية الكبرى، من أزمة ثقافية طاحنة نتيجة ما يعانونه من مفارقة بين الإمكانيات الهائلة في التاريخ والمعنى والموقع من جهة، وما يشهدونه من تضائل للدور أمام أنفسهم وأمام العالم من جهة ثانية.."(2).

### الفرع الثاني: المعضلة الاقتصادية

يمكن تناول أهم المؤشرات الدالة على الأزمة أو المعضلة الاقتصادية التي يعاني منها العالم الإسلامي، وذلك في مجالات: الزراعة، الصناعة، التجارة الخارجية، مسألة الديون الخارجية، الدخل الفردي، معدلات التضخم وكذا توزيع القوى العاملة؛ وهي كالآتي:

#### أولاً : في الزراعة والصناعة والتجارة الخارجية

##### قطاع الزراعة:

رغم أن سكان العالم الإسلامي يعتمدون بصورة أساسية في معاشهم على الزراعة، إلا أن البلدان الإسلامية التي توصف عادة بأنها زراعية لم تعد كذلك، حيث أن إنتاجها من الغذاء قد تراجع، أو لم يعد يتناسب مع الأعداد المتزايدة من السكان، وسادت فيها المجاعات وحالات سوء التغذية، وعلى الرغم من امتلاك بعض الدول الإسلامية لأراضي

(1) وجيه كوثراني، المرجع السابق، ص 166.

(2) رضوان السيد، "المسألة الحضارية.. الصراع والحوار والتواصل"، مجلة شؤون عربية، ع109، ربيع 2002، ص97.

واسعة وعلى درجة عالية من الجودة كما هو الشأن بالنسبة للسودان الذي كانت تُصنّف إمكاناته الزراعية بين الدول الخمس الأولى في العالم، إلا أنه ظل يستورد القمح من الدول الأخرى بصورة تصاعدية، ولا يختلف عن ذلك كثيرا العراق وسوريا والمغرب ومصر والجزائر وبلدان إسلامية أخرى عديدة، مع أن هذه الدول بالإضافة إلى باكستان وماليزيا وإندونيسيا تمتلك إمكانات كبيرة لتكون أفضل مما هي عليه (1).

تُقدّر بعض الدراسات المساحة القابلة للزراعة في العالم الإسلامي بنحو خمسة ملايين هكتار مربع، وهي تشكّل حوالي نصف مساحة العالم القابلة للزراعة، ويُزرع من هذه المساحة نسبة 11.4% من المساحة القابلة للزراعة في العالم الإسلامي (2)، ورغم أن نسبة المسلمين إلى سكان العالم تقترب من نحو 20%، فإن ما يزرعونه من أرض أقل مما ينبغي. لكن المشكلة لا تكمن في الكم بمقدار كونها في الكيف، فالإنتاجية في الدول الإسلامية ضعيفة في مجال الزراعة مقارنة بها في الدول المتقدمة، حيث تتراوح نسبة القوى العاملة في الزراعة في هذه الأخيرة بين 4% و 10% من مجموع القوى العاملة، في حين تتراوح في الدول النامية عامة - والإسلامية خاصة - بين 70% و 85%، ومع هذا فإن الدول المتقدمة تصدّر الغذاء للبلدان النامية والإسلامية منها، وتضغط عليها من خلاله (3).

أما عن الاكتفاء الذاتي، فإنه يمكن التأكيد على أن بلدان العالم الإسلامي غير قادرة على تحقيق اكتفائها الذاتي من الغذاء، مما عمّق ارتباطها بدول الشمال وبالسوق العالمية وزاد من عجز ميزانياتها (4)، ويعود ذلك إلى الأسباب التالية:

- (1) عدم كفاية المساحات المزروعة.
- (2) الزحف الصحراوي على الأراضي الزراعية، أو ما يسمى بظاهرة التصحر.

(1) عبد الكريم بكار، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 103.

(2) عصام محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 243.

(3) عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص ص 104 - 105.

(4) جمال طاهر، المرجع السابق، ص 43.

- (3) بدائية وتقليدية أسلوب الزراعة في الكثير من الدول الإسلامية.
- (4) موسمية الزراعة في معظم البلاد الإسلامية واعتمادها على الأمطار<sup>(1)</sup>.
- (5) ظاهرة النزوح الريفي نحو المدن، وأثرها السلبي على خدمة الأرض.
- (6) ذهنية المزارعين الصلبة التي تحول دون تطوير وتحديث القطاع.
- (7) انتشار ظاهرة البطالة الموسمية لدى أغلبية المزارعين، نتيجة لموسمية الزراعة<sup>(2)</sup>.
- (8) الضعف العلمي والتقني في المجال الزراعي.
- (9) ضعف نسبة استخدام الأسمدة في الأراضي الزراعية، فرغم توفر العالم الإسلامي على 80% من احتياطي الفوسفات في العالم، إلا أن فلاحته غير مستفيدة من هذا الاحتياطي بالقدر المطلوب، وكمفارقة نجد أنه في السنة الواحدة يستخدم (15) كلغ فقط من الفوسفات لكل هكتار في العالم الإسلامي مقابل (530) كلغ في كندا، و(783) كلغ في بريطانيا، و(2768) كلغ في اليابان، مما يؤدي إلى ضعف المردود الزراعي الذي يُقدَّر بحوالي (1500) كلغ لكل هكتار في العالم الإسلامي مقابل (8000) كلغ في هولندا<sup>(3)</sup>.
- (10) الافتقار إلى الكم الكافي من التجهيزات الحديثة الخاصة بحفظ المنتجات سريعة التلف، كما هو الشأن في الخضر والفواكه، هذا الوضع جعل كثيراً من المنتجات الزراعية بالغة الرخص في مواسمها مما يجعل فائدة المزارعين من عوائدها محدود جداً من جهة، وأرهق كاهل المستهلك الذي لا يجد المنتجات المحلية في غير مواسمها، فيشتريها مستوردة بأسعار عالية جداً.
- (11) عجز المسلمون في ظل عصر التكتلات الاقتصادية الدولية الكبرى، لأسباب شتى، عن التواصل التجاري فيما بينهم بالشكل الكافي على الرغم من القرب الجغرافي بين كثير

(1) عصام محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 147 - 148.

(2) عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص ص 105 - 107.

(3) جمال طاهر، المرجع السابق، ص 43.

من بلدانهم، وهذا ما جعل المنتجات الزراعية في الأقطار الإسلامية تفتقر إلى سوق استهلاكي كبير يحفز على تعظيم النشاط الزراعي وتصنيعه وتسويقه بشكل مناسب<sup>(1)</sup>.

(12) ندرة رأس المال الذي يعتبر القاعدة الأساسية للتنمية عموماً والزراعة خاصة.

(13) التأثير السلبي لتردي الوضع السياسي والأمني في الكثير من دول العالم الإسلامي على التنمية الاقتصادية.

(14) ارتباط بعض دول العالم الإسلامي باتفاقيات مع دول أجنبية وتبعيتها لها سياسياً واقتصادياً، مما يضعف وتيرتها التنموية ودرجة تكاملها فيما بينها<sup>(2)</sup>.

لقد كانت النتيجة العامة لكل هذه الأسباب ضعف إنتاجية المزارع المسلم، ومن ثم فالجوع وسوء التغذية والفقر والاستئذان لسد الحاجيات الغذائية هي المصير المحتوم في ظل هذه الظروف.

### قطاع الصناعة:

يمكن التأكيد على أهمية القطاع الصناعي بالقول بأن التخلف الاقتصادي مرتبط بالتخلف الصناعي، وتتميز درجة النمو الاقتصادي قبل كل شيء بمستوى تطور الصناعة، وأن مصطلح (البلدان المتقدمة) يستخدم عادة كمرادف في دلالاته لمصطلح البلدان الصناعية، ومن ثم فليس هناك دولة متخلفة صناعياً مصنفة مع الدول المتقدمة، ولا دولة متقدمة صناعياً مصنفة مع الدول المتخلفة، والسبب في هذا أن التقدم الصناعي يعد نتيجة لعدد من المؤشرات الحضارية، مثل وجود الاستقلال الاقتصادي والإرادة التنموية التي تتمتع بقسط من الرشد والحرية، ووجود تراكم خبرات تقنية جيدة ومستوى مناسب من البحث العلمي<sup>(3)</sup>.

(1) عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص 107.

(2) صبري فارس الهيتي، المرجع السابق، ص 156-157.

(3) عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص 99.

من بين أهم المقاييس المستخدمة في تحديد درجة التصنيع التي بلغها بلد ما: أن تكون نسبة 25% على الأقل من المنتجات المحلية مصدرها صناعي، يستثنى منها إنتاج المعادن الأولية والإنتاج اليدوي، وألا تقل نسبة اليد العاملة في القطاع الصناعي عن 10%.

إذا ما تم إسقاط هذه المقاييس على العالم الإسلامي فالنتيجة هي أنه بعيد عنها، فقطاع الزراعة والرعي مازالا الميدان الأساسي لأكثر المسلمين، ولا يخلو بلد إسلامي من بعض الصناعات الخفيفة التي تسد بعض الحاجات المحلية، كالمواد الغذائية ومواد البناء والصناعات النسيجية والجلدية والمصنوعات اليدوية، لكن هذه المصنوعات لا تسد إلا جزءاً من الحاجات المحلية، ويعتمد في تأمين الباقي عن طريق الاستيراد<sup>(1)</sup>.

كما أن هناك مجالات حيوية ومهمة جداً لم تستطع معظم البلدان الإسلامية دخولها مثل قطاع الصناعات الثقيلة المدنية والعسكرية، وقطاع الإلكترونيات عالية التقنية<sup>(\*)</sup>. يعود تخلف الصناعة في العالم الإسلامي إلى أسباب عديدة، أهمها:

- 1) قلة خبرة الدول الإسلامية في مجال الصناعة.
- 2) ضعف التعاون بين الدول الإسلامية مما حدا بالكثير منها للجوء إلى دول غربية لتأمين حاجاتها.
- 3) معظم الصناعات في الدول الإسلامية استهلاكية أي خاصة بتلبية الحاجة المحلية دون النظر إلى أهمية التصدير، كما أن أغلبها من الصناعات الخفيفة دون الثقيلة<sup>(2)</sup>.
- 4) نقص رؤوس الأموال، حيث أن تنمية الصناعة، لاسيما الثقيلة والدقيقة منها، تحتاج إلى استثمارات مالية كبيرة.

(1) نفس المرجع، ص 100.

(\*) بدأت بعض الدول الإسلامية الدخول في هذين المجالين، كما في ماليزيا وتركيا وإندونيسيا، وهذا رغم أن السيطرة الاقتصادية وتركز رؤوس الأموال في إندونيسيا وماليزيا ليست في يد المسلمين وإنما في يد الصينيين.

(2) عصام محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 200.

- (5) ظاهرة تفشي الأمية والمستوى المتدني من التدريب المهني ومن الإنفاق على البحث العلمي، كل ذلك أثر سلباً على قطاع الصناعة.
- (6) قلة أعداد الفنيين والتقنيين والعمال المهرة الذين يُعتبرون العمود الفقري للصناعة، فالمهندسون وخريجو الدراسات النظرية في العالم الإسلامي أكثر من التقنيين.
- (7) ما يجتاح العالم الإسلامي من تجزئة وتفتت حال دون قيام سوق إسلامية مشتركة، يكون بإمكانها استيعاب الطاقات الاستهلاكية لخمس سكان الأرض، مما جعل المصنوعات الإسلامية لا تجد سوقاً لها لا على أرضها ولا على أرض غيرها.
- (8) لم تستطع جل الدول الإسلامية - على المستويين النظري و العملي - بلورة ثقافة تدفع إلى استهلاك المنتج الوطني وتقديمه على غيره، ولو انخفضت درجة جودته، بل صارت كلمة مُنتج وطني رمزاً للرداءة<sup>(1)</sup>.

### قطاع التجارة الخارجية:

إن استعراض هياكل النشاط التجاري يدل على أن معظم الدول الإسلامية لم تتمكن بعد من معالجة مشكلة الاعتماد الكبير أو المتطرف على إنتاج وتصدير السلع الأولية<sup>(2)</sup>.

تشمل الواردات في أغلبها المصنوعات والأغذية، ورغم أن نسبة الإنفاق على الغذاء من إجمالي الواردات تقل عن نسبة الإنفاق على المصنوعات، إلا أنها مازالت كبيرة وتعكس ظاهرة خطيرة في دول إسلامية عديدة، كذلك إن عدداً كبيراً من البلدان الإسلامية منخفضة الدخل تحصل على معونات غذائية من الدول المتقدمة، تضاف إلى وارداتها منها، لمعالجة الفجوة الغذائية التي يعاني منها ليس العالم الإسلامي فحسب بل جل البلدان المتخلفة.

(1) عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص 100 - 101.

(2) عبد الرحمان يسري أحمد، دراسات في علم الاقتصاد الإسلامي، الدار الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2001، ص289.



أما بخصوص الميزان التجاري، فقد أوضحت البيانات أن نمط التجارة الخارجية في الدول الإسلامية يتمثل في الاعتماد المفرط على تصدير السلع الأولية واستيراد السلع المصنوعة والسلع الغذائية من الخارج، والواقع يؤكد أن هذا النمط ارتبط بعجز مستمر في الموازين التجارية، باستثناء حالة بعض الدول النفطية (1).

يظهر التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية الدول الإسلامية لسنة 2007\* أن معظمها يتجه نحو الدول الغربية وبلدان أخرى غير إسلامية، بينما يتجه الجزء الأصغر إلى دول إسلامية أخرى، معنى هذا أن التجارة البينية أقل أهمية بكثير من التجارة بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية، حيث بلغت الصادرات البينية نسبة 14.5% من إجمالي الصادرات، وبلغت الواردات البينية نسبة 17.9% من إجمالي الواردات سنة 2007(2)، فيما بلغت نسبة 16.4% و 19.6% على التوالي سنة 2013(3)، إذ تحصل معظم الدول الإسلامية على معظم أو كل وارداتها من المصنوعات والأغذية من العالم الغربي ودول غير إسلامية، كما تظهر الاستثمارات الإسلامية متجهة بعيدا عن دولها، وهذه الظاهرة في حد ذاتها تعتبر من أهم مظاهر التفكك الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي.

### ثانياً: معدلات التضخم وتوزيع اليد العاملة

بلغ معدل التضخم في العالم الإسلامي 8.7% سنة 2012 و 8.5% سنة 2013، وهو أعلى بكثير من معدل التضخم العالمي البالغ 4.0% و 3.7% على التوالي(4).

(1) نفس المرجع، ص ص 290 - 292.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر الجدول الخاص بالتجارة البينية لدول منظمة المؤتمر الإسلامي في الملحق رقم 3.

(2) أكمل الدين إحسان أوغلي، العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 294.

(3) تقرير حول "التوقعات الاقتصادية في منظمة التعاون الإسلامي: تعزيز الإنتاجية والقدرة التنافسية"، تحرير: صافاش ألباي، منظمة التعاون الإسلامي، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية، أنقرة، تركيا، 2014، ص 39.

(4) تقرير حول "التوقعات الاقتصادية في منظمة التعاون الإسلامي: تعزيز الإنتاجية والقدرة التنافسية"، المرجع السابق، ص 3.

أما عن توزيع اليد العاملة، فرغم اعتبار الدول الإسلامية زراعية بالدرجة الأولى، وارتفاع نسبة العاملين في قطاع الزراعة، إلا أن مساهمة هذا القطاع في الدخل القومي لهذه الدول لا تزال ضعيفة<sup>(1)</sup>، كما تجدر الإشارة إلى أن نسبة البطالة في العالم الإسلامي قد بلغت 15.6 % سنة 2012، فيما بلغت في الدول المتقدمة 17.2 %، وفي الدول النامية 10,9 % خلال نفس الفترة<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: الديون الخارجية والدخل الفردي

بلغت الديون الخارجية لدول العالم الإسلامي مجتمعة (689,2) مليار دولار سنة 1997 أي ما يعادل 52% من إجمالي الناتج القومي<sup>(3)</sup>، لتبلغ حوالي الضعف أي (1224) مليار دولار سنة 2011، وارتفعت بحوالي مائة مليار دولار سنة 2013<sup>(4)</sup>.

أما فيما يتعلق بالدخل الفردي، وحسب إحصائيات تشمل دول العالم الإسلامي لسنة 2007<sup>(\*)</sup>، فإن معدل حصة الفرد الواحد من الناتج المحلي الإجمالي في العالم الإسلامي تُقدَّر بـ (3556) دولار، أعلاها في قطر (76391) دولار، وأدناها في غينيا بيساو (211) دولار والصومال (291) دولار، ووفقاً لنفس الإحصائيات فإنه يُلاحظ أن:

- تسع عشرة دولة تقع في شريحة الدخل المنخفض (أقل من 785) دولار في السنة مثل أفغانستان (341) دولار وغينيا (451) دولار.

- ست عشرة دولة تقع في شريحة الدخل المتوسط المنخفض (من 785 إلى 3125) دولار كمصر (1770) دولار وإندونيسيا (1918) دولار.

(1) عبد المنعم المشاط، المرجع السابق، ص ص 265 - 266.

(2) تقرير حول "التوقعات الاقتصادية في منظمة التعاون الإسلامي: تعزيز الإنتاجية والقدرة التنافسية"، المرجع السابق، ص 2.

(3) مصطفى دسوقي كسبة، "المستقبل الاقتصادي للعالم الإسلامي في ظل العولمة"، في مستقبل الأمة الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، ط 1، 2003، ص 382.

(4) تقرير حول "التوقعات الاقتصادية في منظمة التعاون الإسلامي: تعزيز الإنتاجية والقدرة التنافسية"، المرجع السابق، ص 47.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر الجدول الخاص بالمؤشرات الأساسية حول العالم الإسلامي في الملحق رقم 1.

- ثلاث عشرة دولة تدخل في شريحة الدخل المتوسط المرتفع (من 3125 إلى 9655) دولار مثل الجزائر (3913) دولار وماليزيا (7033) دولار.

- ثماني دول تقع في شريحة الدخل المرتفع (أكثر من 9655) دولار كبروناي (31825) دولار والإمارات العربية المتحدة (43866) دولار.

يلاحظ أن معدل الدخل الفردي لدول العالم الإسلامي (2556) دولار أقل من معدل الدخل الفردي للدول المتخلفة (2734) دولار، وأقل من معدل الدخل الفردي العالمي (8314) دولار، في حين يبلغ معدل الدخل الفردي للدول المتقدمة (39561) دولار<sup>(1)</sup>.

كما تجدر الإشارة إلى أن الأمم المتحدة تصنف سنويا دول العالم إلى ثلاثة مستويات تنموية وفقا لمجموعة كبيرة من المؤشرات، وتتراوح قيمة التصنيف بين (0 و1)، حيث تقع إحدى وثلاثين دولة إسلامية في مجموعة مستوى التنمية المتوسط (0,5 - 0,8)، فيما تقع عشرين دولة في مجموعة مستوى التنمية المنخفض (أقل من 0,5)، وتتمتع خمس دول فقط بمستوى تنمية مرتفع وهي: بروناي (0,889)، البحرين (0,872)، الإمارات العربية المتحدة (0,855)، الكويت (0,848) وقطر (0,840). وللمقارنة فإن أولى أربع دول تتمتع بأعلى مستوى تنمية في العالم هي: كندا (0,932)، النرويج والولايات المتحدة الأمريكية (0,927)، واليابان (0,924)<sup>(2)</sup>.

وتفيد بعض الدراسات بأن العالم الإسلامي إذا ما اعتبرناه بلدا واحدا سيكون ترتيبه (168) ضمن دول العالم من حيث قيمة الدخل السنوي الخام، أي بعد الفلبين مثلا<sup>(3)</sup>.

(1) أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص ص 291 - 292.

(2) أسماء ملكاوي، المرجع السابق.

(3) جمال طاهر، المرجع السابق، ص 43.

## الفرع الثالث: المعضلة السياسية

من أهم المؤشرات السياسية الدالة على ضعف العالم الإسلامي: انقسام العقل المسلم حول مرجعية المشروع الحضاري، أزمة النموذج وغياب البديل الإسلاميين، مشكلة التخلف السياسي، وكذا أزمة التعايش بين الإسلاميين والسلطة.

## أولاً: انقسام العقل المسلم حول مرجعية المشروع الحضاري

لا يختلف الإسلاميون، وهم المطالبون بالالتزام بالإسلام فكرياً وحركةً، حول اعتبار الإسلام المرجع الضمني والمعلن في المشروع الحضاري الذي يعملون على صياغة معالمه كي يكون دليل العمل للنهضة الإسلامية المنشودة، لكن هذا الذي لا يختلف عليه "الإسلاميون" هو موضع خلاف مع قطاعات مؤثرة من "المسلمين" الذين وإن تدينوا بالإسلام، عقيدة وشعائر، إلا أنهم لا يلتزمون به مرجعاً للدولة، فمرجعية الإسلام للمشروع الحضاري موضع خلاف ونزاع بين الإسلاميين وبعض المسلمين<sup>(1)</sup>.

إن نشأة هذا الانقسام في العقل المسلم إلى إسلاميين وعلمانيين هو أمر طارئ على المسيرة التطورية للفكر الإسلامي، لأنه نتيجة من نتائج هيمنة الفكر الغربي العلماني على القطاعات النشطة والمؤثرة في الحركة الفكرية والمؤسسات العلمية والتعليمية والإعلامية الإسلامية، فقد فرض الغرب على قطاعات عريضة من النخب المتقفة في البلدان الإسلامية نمط حضارته في علاقة الدين بالدولة، فبرز في واقع المسلمين قطاع فكري متغرب يرى أن المرجعية في المشروع النهضوي هي للخيار الحضاري الغربي وليس للإسلام، فكان هذا الانقسام الذي يمثل واحدة من قضايا أزمة الفكر الإسلامي في الحياة المعاصرة.

يتمحور الخلاف بين الإسلاميين وأغلب العلمانيين حول المشروع الحضاري، أي حول "الدولة الإسلامية" وليس حول "العقيدة الإسلامية"، ومن ثم فإنه خلاف في الفروع وليس في الأصول، ولذلك فإن معايير الحديث فيه والحكم على فرقائه ومقولاتهم إنما

(1) محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص 66.

يكون بمصطلحات: "الصواب" و"الخطأ" و"النفع" و"الضرر"، وليس بمعايير "الإيمان" و"الكفر" و"الهداية" و"الضلال"<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: في أزمة النموذج وغياب البديل الإسلاميين

تنفرع أزمة النموذج الإسلامي إلى أزمة من حيث النصوص، وأزمة من حيث المفاهيم، وأزمة من حيث الفعل.

أما عن أزمة النموذج الإسلامي من جهة النصوص، فيفسرها بعض المحللين للشأن الإسلامي أنه منذ الكتابات المؤسّسة لأبي الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب لم يعد هناك في خطابات الأمة الإسلامية غير الوعظ الديني، والشروحات السطحية، والاستشهاد بكبار الكُتاب الدينيين<sup>(2)</sup>. إضافة إلى أن الخطاب الإسلامي أصبح يعاني من الكثير من نقاط الضعف التي تؤثر في نجاعته، أهمها: <sup>(3)</sup>

- عدم شمولية الخطاب الإسلامي.

- جمود الآليات والوسائل نتيجة قلة الاطلاع وضعف الثقافة العامة.

- ضعف المنهج المتبع وعدم التوازن فيه.

- الطابع التبريري للخطاب.

- ضعف الأخذ بالمرجعية الشرعية.

- النظرة الضيقة والتعصب الشديد للرأي والتحزب.

- الخلط في الولاء بين الولاء الشرعي والولاء للسلطة.

أما عن الأزمة من جهة المفاهيم التي تؤدي إلى انسداد الأفق، فيعبر عنها واقع الحركات الإسلامية التي لم تستطع تشكيل جبهة واحدة متناسقة سواء في وجه السلطة أو في وجه الآخر الحضاري المتمثل في الغرب، وذلك ناتج عن فجوة وغموض في

(1) نفس المرجع، ص 67 .

(2) عفيف عثمان، "إخفاق الإسلام السياسي"، مجلة منبر الحوار، السنة التاسعة، ع 31، 1994، ص132.

(3) محمد موسى الشريف، الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص ص 09-22.

المفاهيم، الشيء الذي أدى إلى اختلافات فيما بينها وأحيانا خلافات بل وتصل في أقصاها إلى صراعات يتهم فيها كل طرف الطرف الآخر بالخيانة تارة وبالكفر والردة تارة أخرى.

في حين تعتبر الأزمة من ناحية الفعل كنتاج للأزميتين السابقتين، فلا إيران الغارقة في صراع الأجنحة ولا أفغانستان الممزقة بنزاعات القبائل والأعراق قادرة على تقديم نموذج لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامي (1).

من هنا يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها غياب البديل الإسلامي، فالحركة الإسلامية المعاصرة التي ظهرت بعد الربع الأول من القرن العشرين بتقديمها الإسلام كنظام شامل للحياة كلها، وعرضه كإيديولوجية اجتماعية واقتصادية وسياسية إلى جانب كونه عقيدة وعبادة وأخلاق<sup>(2)</sup>، هي قبل كل شيء حركة ثقافية اجتماعية تجسد الاحتجاج والحرمان الذي تعانيه الفئات التي لم تستطع الاندماج اجتماعيا وسياسيا في المجتمع .

لا تحمل الحركات الإسلامية المعاصرة نمودجا جديدا للمجتمع وهي بعيدة عن أن تمثل عودة للإسلام ظافرا وواقفا بنفسه، هذه الحركات تعبر عن فشل نموذج الدولة المستوردة على النمط الغربي والمحكومة بالحزب الواحد وشبكات توزيع المغانم، إنها تجمع المهملين نتيجة التحديث المعاق وتحشدهم وتعبئهم حول "أسطورة" العودة إلى أصالة إسلامية. بهذا المعنى فإن الحركة الإسلامية هي عامل إدماج للفئات الاجتماعية التي خلفتها ونبذتها في الوقت ذاته الحدائة المتسارعة للمجتمعات الإسلامية، ولكن هذا الإدماج في اللعبة السياسية لا يعد ولا يبشر بنموذج جديد للمجتمع، وهؤلاء الذين يضعون أملهم

(1) عفيف عثمان، المرجع السابق، ص132.

(2) محمد فتحي عثمان، التجربة السياسية للحركة الإسلامية المعاصرة، منشورات مركز المستقبل الإسلامي، لندن، ط1، 1991، ص 20.

فيها يخاطرون بأن يجدوا أنفسهم يوماً ما متأهبين للاحتجاج من جديد، فلا يوجد نموذج سياسي متجسد خاص بالحركة الإسلامية والأمر نفسه بالنسبة للاقتصاد (1).

كما ذهب بعض المتخصصين في شأن الحركات الإسلامية إلى أن الإسلام الذي تطرحه هذه الحركات لا يمثل عودة للحضارة الإسلامية التي سبق وأن عرفت عصرها الذهبي قبل الهجمة الاستعمارية، ذلك لأنها ترفض هذا المفهوم نفسه للحضارة الإسلامية حيث توجد الموسيقى والفلسفة والشعر. إن ما تطالب به إذن ليس العودة إلى العصر الكلاسيكي، بل إنشاء مشهد حيث يجسد المؤمن في كل حركة يقوم بها النموذج الأخلاقي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والشكل الوحيد للانخراط المجتمعي عند الحركة الإسلامية هي التقوى الفردية في إطار المسجد (2).

### ثالثاً: في مشكلة التخلف السياسي

ليس من السهل تقديم تعريف دقيق للتخلف السياسي في العالم الإسلامي، وإن كان من الممكن تحديد بعض المظاهر التي تعكس مضمونه، نقطة البدء في تحليل كافة المفكرين تكمن في التمييز بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة سياسياً، وفي هذا الإطار بنى "تالكوت بارسونز" Talcott Parsons منظومة مكونة من خمس خصائص للدول المتقدمة وما يقابلها في الدول المتخلفة(\*)، وهي كالاتي:

- خاصية العمومية، أي أن معايير التجنيد السياسي وإصدار القانون هي معايير عامة لا تصدر لجماعة بعينها، ولا يختص فيه أفراد دون آخرين كما هو الحال في دول العالم المتخلف عامة، والعالم الإسلامي خاصة.

- خاصية الإنجاز، تعني أنها مجتمعات تعتمد على الأداء والكفاءة في التقييم، ولا تولي القرابة دوراً هاماً في عمليات الاختيار السياسي كما هو الحال في العالم الإسلامي.

(1) عفيف عثمان، المرجع السابق، ص 139.

(2) نفس المرجع، ص 140.

(\*) للتفصيل أنظر الجدول الخاص بخصائص التخلف السياسي لدى بارسونز في الملحق رقم 4.

- التخصص والدقة، حيث أن الدول المتقدمة سياسيا تتميز بكونها متقدمة علميا لأنها تحترم التخصص والدقة، ولا تقوم على أسس سطحية مثلما هو موجود في العالم الإسلامي.
- التوجيه الجماعي وإعلاء المصلحة العامة مع عدم إغفال المصالح الخاصة وهي ميزة الدول المتقدمة، عكس الدول المتخلفة التي تعتمد على التوجيه الذاتي والمصالح الخاصة بفئة معينة.
- الاستناد إلى العقل والرشاد، حيث أن الدول المتقدمة لا تعطي العاطفة دورا حاسما في حياتها أو أفعالها السياسية، عكس دول العالم المتخلف والعالم الإسلامي التي تركز على العاطفية المفرطة (1).
- يمكن حصر أسباب وخلفيات التخلف السياسي المُعَبَّر عنه بأزمة الديمقراطية في العالم الإسلامي فيما يلي:
- إن ظهور الديمقراطية في العالم الإسلامي كان نتيجة تاريخية لعدوان خارجي، وليس كنتيجة لتطور تلقائي تراكمي منسوج بصراعات اقتصادية واجتماعية وسياسية وأيديولوجية كما حدث في الغرب.
- دور النخب العسكرية في تسييرها لأجهزة الدولة وفق إرادتها، وبالتالي فإن السلطة تبقى رمزا للسيطرة والقهر والاحتكار.
- تفشي الأمية بنوعها الاجتماعية والسياسية، وعجز البرامج التربوية والتكوينية في غالبية الدول الإسلامية على تنمية التنشئة السياسية والروح النقدية ومفهوم المواطنة والمشاركة في ممارسة السلطة (2).

(1) عبد المنعم المشاط، المرجع السابق، ص 279.

(2) سامي الخزندار، "أسباب ومحركات الصراعات الداخلية في الدول العربية"، تاريخ التصفح: يوم 2009/05/22، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/0f3a3346-a14e-48bd-9d9a-7063e2408465>



- غياب الإرادة السياسية لدى الحكام في اعتماد الديمقراطية كنمط لنظام الحكم وذلك راجع لدكتاتوريتهم السلطوية.

- الدعوة إلى تأجيل الديمقراطيات من خلال السياسات التي سادت الدول الإسلامية والعربية قبل وبعد انهيار النموذج الاشتراكي للدولة، هذا التأجيل الذي جاء بغية تحقيق التنمية الشاملة وبحجة عدم النضج السياسي للنخب والشعب، مما أدى إلى بروز البيروقراطية داخل تلك الأنظمة السياسية (1).

- الدور الخارجي للدول الغربية من خلال سعيها لإبقاء الأنظمة الحاكمة على ما هي عليه، ودعمها في ضرب المعارضة وجميع أشكال المطالبة بالديمقراطية، لأن الدول الغربية ترى في ممارسة الديمقراطية في بعض الدول الإسلامية، خاصة النفطية منها، مساساً خطيراً بمصالحها في المنطقة.

- كذلك تميّز العقل المسلم والعربي بخصائص أهمها:

- الفردية والشخصية وثقافة الاستبداد.

- العاطفية وغياب العقلانية.

- الجمود والدائرية.

- انعدام المرونة وغياب التسامح.

- غياب الرؤى الإستراتيجية الشاملة لحساب الأنية والجزئية .

- القدرة المحدودة على التكيف الإيجابي، وغلبة الدفاع السلبي على المبادرة الإيجابية.

- النظرة الأحادية للقضايا، وفقدان أدب الاختلاف. (2)

مما سبق يمكن إيجاز أهم مظاهر التخلف السياسي في دول العالم الإسلامي فيما يلي:

(1) Gaudat Bahgat, « **democracy in the arab world: analyst approach** », international affairs review, N2, august 1994, P 38.

(2) جودت سعيد وعبد الواحد العلواني، المرجع السابق، ص 128.

- التجزئة والانقسام الداخلي، ففي كثير من الأحيان يسبق الولاء للأسرة أو القبيلة أو الإقليم الولاء للدولة، وتقدم نيجيريا نموذجا هاما في هذا الشأن إذ تتم التجزئة والتقسيم وفق الانتماء الديني الذي ينسجم إلى حد كبير مع الانتماء الإقليمي، أو ما حدث في ليبيا بعد سقوط نظام معمر القذافي أين أصبحت كل قبيلة تنادي بسلطة مستقلة على إقليمها.
- تتصف النخبة السياسية بدرجة عالية من الانغلاق والجمود والتوالد الذاتي، على الرغم مما قد يتميز به المجتمع من قابلية عالية للحراك الاجتماعي في المستويات الدنيا والوسطى، بمعنى أن دائرة الاختيار والتجنيد السياسي ضيقة للغاية بل ومغلقة في كثير من الأحيان.
- ضعف مستوى المشاركة الشعبية وعدم فعاليتها، واعتماد معظم الدول الإسلامية إما على التعيين كأسلوب لتقليد المناصب أو على الاستفتاءات التي لا تعدو أن تكون إجراء شكليا لتحديد اختيارات المواطنين.
- تزايد الدور الذي تلعبه أدوات القمع السياسي، كالمؤسسة العسكرية وأجهزة الضبط الشرطية والاستخبارات، على حساب المؤسسات المدنية.
- تعدد الانقلابات العسكرية في الأقطار الإسلامية كوسيلة إما للسيطرة على السلطة أو كوسيلة لحسم الصراعات السياسية<sup>(1)</sup>.
- غياب الممارسة الديمقراطية الذي أصبح ضمن المشكلات الكبرى التي تواجه العالم الإسلامي عامة والعالم العربي خاصة، كما أن هذه المشكلة لم تعد قضية ترف فكري لفئة من المفكرين والمتقنين في العالم الإسلامي، بل أصبحت قضية حياتية للمواطن في الدول الإسلامية، وبالتالي أصبحت الديمقراطية مطلبا شعبيا أكثر إلحاحا من أي مطلب آخر<sup>(2)</sup>. حيث يُلاحظ أن أنظمة الحكم في جل دول العالم الإسلامي بمختلف أشكالها تعاني

(1) عبد المنعم المشاط، المرجع السابق، ص 280.

(2) خير الدين حسيب، "أزمة الديمقراطية في الوطن العربي"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1987، ص 29.

من أزمة الشرعية، وهي مشكلة معقدة بالنظر إلى ارتباطها بمعطيات داخلية وإقليمية ودولية، وبمشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وعرقية. ذلك أن الشرعية في غالبية دول العالم الإسلامي ليست مستمدة من تركية الشعب لكونها إما أنظمة حكم ملكية شرعيتها مستمدة من المصدر التقليدي الذي ينطوي على البعد الديني أو القبلي، أو أنظمة حكم جمهورية تستمد شرعيتها من الشرعية الثورية أو من القيادة الكاريزماتية<sup>(1)</sup>.

في ذات السياق قال المفكر "بريان بيدهام" Brian Beedham في مقاله "الإسلام والغرب": "إن سبعا فقط من الدول التسعة والثلاثين - من بين الدول الإسلامية التي يتحدث عنها مقاله - يمكن أن يُطلقَ عليها بدرجات متفاوتة ديمقراطيات: تركيا وماليزيا وهناك أمل بأن تحذوا باكستان وبنغلاديش حذو تركيا، ويمكن أن تمر بأصابعك على لبنان والأردن، كما تليق تحية احترام استغرابية بثوار إيران الإسلاميين لإجرائهم انتخابات تميل إلى كونها أثمرت برلمانا يمكنه أن يتجادل مع الحكومة"، أما بالنسبة للدول الاثنتين والثلاثين الأخرى فإنه "يرى ضلالا متنوعا للفاشية" على حد تعبيره<sup>(2)</sup>.

#### رابعا: أزمة التعايش بين الإسلاميين والسلطة

من أهم ملامح الأزمة السياسية المميزة لدول العالم الإسلامي، خاصة بعد نهاية الحرب الباردة، ظهور ما يسمى بأزمة التعايش بين الإسلاميين والسلطة وذلك بعد تنامي المد الإسلامي فيها، وبتناول الدول العربية كنموذج أو كمثال عن باقي دول العالم الإسلامي، يمكن ملاحظة أن من أهم أسباب وعوامل هذه الأزمة ما يلي:

1 - عدم شرعية السلطة في أغلب الدول الإسلامية، ومن ثم فإنها ترى في أبسط مظاهر اجتماعية محاولة لقلبها، فكان أن سيّست كل شيء، وبالتالي أقصى الجميع من الشأن السياسي العام الذي تحتكره النخب الحاكمة، وبدأ الدور الأمني للدولة يتقوى بينما يتراجع

(1) محمد عابد الجابري، "الديمقراطية وحقوق الإنسان"، مجلة كتاب في جريدة، منظمة اليونسكو، ع95، 5 جويلية 2006، ص 5.

(2) صلاح سالم، تجليات العقل السياسي ومستقبل النظام العربي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 189.

دورها الاجتماعي والاقتصادي بفعل سياسات الانفتاح الليبرالي التي زادت من عدد الفقراء. هذا الوضع سمح للإسلاميين بالظهور أو التظاهر بأنهم حماة الضعفاء من الشعب في وجه الطغاة من الحكام، وهو ما سهل عمل الحركات الإسلامية الاحتجاجية والجهادية التي تنمو بسرعة فائقة في هذا الوسط الخصب، مما مكنها من التمتع بنوع من الدعم لدى شرائح واسعة في المجتمعات الإسلامية، وهذا النموذج ينطبق على كل الدول ما عدا "دول الرفاه النفطية" في الخليج التي سمحت لها عائدات النفط بإشباع حاجات الشعب مما جعله يعض النظر عن ممارساتها التسلطية<sup>(1)</sup>.

2 - رفض الحركات الإسلامية للواقع السياسي والأنظمة الحاكمة برمتها، فنسبة كبيرة منها تُعتبر حركات إقصائية ترفض الآخر السياسي، وترفض نظام الحكم مستبعدةً إمكانية التعايش معه. أما الحركات الأكثر تطرفاً فقد كَفَّرت النخب الحاكمة والمجتمع وانتهجت الأسلوب الجهادي، كما تسميه، لإزاحة السلطة وإقامة دولتها الإسلامية المنشودة، فردت عليها السلطة بزيادة حدة عنفها، وهكذا دخلت بعض البلدان الإسلامية حلقة العنف والعنف الرسمي المضاد الذي طال حتى المعتدلين من الإسلاميين<sup>(2)</sup>.

3 - وجود الحامل الاجتماعي للأفكار الإسلامية بسبب انتشار الفساد الحكومي، وتعمق الفوارق الاجتماعية وإقصاء أغلبية المجتمع من دورة توزيع الثروات الوطنية، وهو ما أوجد نوعاً من "التلاحم العضوي" بين الإسلاميين وشرائح واسعة من المجتمع، خاصة مع قدرة هذه الحركات على تعبئة الجماهير المحرومة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، عبر ما يُسمى بالإسلام الاحتجاجي<sup>(\*)</sup> الذي يُعبّر عن حرب امتيازات بين النخبتين الحاكمة

(1) عبد النور بن عنتر، "الإسلاميين والسلطة"، تاريخ التصفح: يوم 2009/09/15، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/1beb1bfe-88c7-416b-96de-9c79f5d8d4af>

(2) نفس المرجع .

(\*) يقال للإسلام الاحتجاجي أو الاحتجاج الإسلامي للتعبير عن استخدام الخطاب الإسلامي كأسلوب للاحتجاج على الأوضاع القائمة.

والمحرومة، ومن هذا المنطلق يصعب في بعض الأحيان التفريق بين مسيرات شعبية منددة بتدني الوضع الاجتماعي وبين مظاهرات إسلامية.

4 - الضغط المزدوج على الإسلاميين المعتدلين من طرف السلطة والجماعات المسلحة، حيث تطور الصراع ليأخذ شكلا مثلثا (السلطة - الحركات المعتدلة - الحركات المتطرفة)، فالصراع على السلطة أدى إلى بروز الجماعات المسلحة التي تبنت العنف لمجابهة قمع واضطهاد السلطة، مما أدى إلى ضغط مزدوج على المعتدلين، فالسلطة تعتبرهم المدرسة التي يتخرج منها الإرهابيون، والجماعات المسلحة تتهمهم بالتواطؤ والمهادنة والتعامل مع الطغاة(\*) على حد تعبيرها.

5- الصراع بين "الإسلام السياسي" الذي تعبّر عنه الحركات الإسلامية و"الإسلام الرسمي" الذي تعبّر عنه المؤسسات الدينية الرسمية على نفس مصدر الشرعية وهو الدين، حيث دخل الإسلاميون والسلطة في حرب "شرعية" جعلت المنطقة تعيش حرب فتاوى لجعل شرعية كل طرف مسوغة ومشروعة. وهنا بدأت المزايدة السياسية بين الطرفين حول الإسلام (1).

6 - الموقف المريب للحركات الإسلامية من الديمقراطية الذي يعتبر من أبرز العوامل المؤدية إلى إدامة الصراع، إذ من الصعب فهم موقف الإسلاميين المساند للديمقراطية إن كان نابعا عن قناعات سياسية حقيقية أو أملت اعتبارات تكتيكية آنية- غرضها طمأنة الخصوم وتجنب القهر الرسمي وانتقادات المعارضة- من أجل استلام الحكم ديمقراطيا ثم الانقلاب على كل شيء حتى على الديمقراطية التي أوصلتهم إلى السلطة.

7 - الانسداد السياسي، وهو يشكّل عاملا للصراع بين السلطة والحركات الإسلامية، فالأولى ترفض الديمقراطية لما تتيقن بأنها ستأتي بالإسلاميين إلى الحكم، في حين تحاول

(\*) الطغاة هي صفة من بين الصفات التي تستخدمها بعض الحركات الإسلامية في وصف السلطات القمعية في بلدانها.

(1) عبد النور بن عنتر، المرجع السابق.

الثانية استخدام الديمقراطية للوصول إلى الحكم ثم الانقلاب عليها، وبالتالي أصبحت الديمقراطية ضحية حسابات سياسية آنية مغذية للصراع السياسي<sup>(1)</sup>.

من هنا يمكن القول أن العنف والعنف المضاد قد أسهما إلى حد كبير في تأجيل الديمقراطية عربيا وإسلاميا، مع اعتبار أن المسألة نسبية وتختلف من بلد لآخر، فالعديد من الدول الإسلامية لم تعرف عنفا أو إرهابا، لكنها لم تتحول بعد إلى ديمقراطيات.

#### الفرع الرابع: المعضلة الأمنية

يمكن تقسيم مظاهر المعضلة الأمنية إلى قسمين أساسيين يتمثلان في الصراعات الداخلية الخاصة بكل دولة من الدول الإسلامية، وكذا مشكلة النزاعات البيئية أي فيما بين دول العالم الإسلامي.

#### أولا: الصراعات الداخلية

تعتبر الصراعات الداخلية أو الأهلية معقدة ومركبة، فهي ذات طبيعة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية، بأبعاد داخلية وخارجية، وكذلك ذات امتدادات تاريخية، ومن هنا فإن أسباب ومحركات الصراعات الداخلية تتداخل انطلاقا من هذه الطبيعة المركبة بكل جوانبها وأبعادها المشار إليها، كما أنها ليست ظاهرة عربية أو إسلامية السلوك بل هي ظاهرة دولية ترتبط بالإنسان ذاته وفي مختلف دول العالم، ولكنها تظهر أكثر في العالم الإسلامي، فرغم اعتبار التعددية أو التنوع ظاهرة طبيعية تتصف بها كافة الأمم والشعوب، إلا أن المشكلة في العالم الإسلامي تكمن في نزوع هذه الظاهرة نحو العنف والنزاع<sup>(2)</sup>.

لقيت الصراعات الداخلية في العالم الإسلامي اهتماما خاصا مع نهاية القرن العشرين من القوى الإقليمية والدولية، وذلك نظرا للأهمية الإستراتيجية للمنطقة بالإضافة إلى تزايد خطورة وتأثير هذه الصراعات على الأمن والاستقرار الإقليمي والدولي، كما

(1) نفس المرجع .

(2) سامي الخزندار، المرجع السابق.

أن خطورة الصراعات الداخلية العربية والإسلامية وتأثيرها على المصالح الغربية من جهة وعلى المصالح الحيوية الدولية من جهة أخرى، دفعت الباحثين في العالمين الإسلامي والغربي للبحث في أهم العوامل المحركة لهذه الصراعات وطبيعة أسبابها (1).

لقد أصبح العالم الإسلامي يعاني من تزايد بؤر التوتر خاصة بعد أحداث ما سمي إعلامياً بالربيع العربي أو الثورات العربية، فسوريا أصبحت مدمرة نتيجة تناحر بدأ بين السلطة والثوار لينتهي إلى صراع ما بين الطوائف، أهم نتائجه نزوح ولجوء مئات الآلاف من السوريين نحو الخارج، ونشوء تحالفات إقليمية ودولية بشأن الوضع السوري، وكذا التدخل العسكري الروسي المباشر. ووضع العراق المهتد بالانقسام نتيجة للصراعات الطائفية والمذهبية، وما زاد الوضع تأزماً هو ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" ومطالب إقليم كردستان بالاستقلال عن العراق. وليبيا التي تأزم وضعها الداخلي من تفتت سياسي وتنظيمي وعسكري على أسس مناطقية وقبلية حيث أصبحت نموذجاً للدولة الفاشلة بل وللا دولة. واليمن التي تعاني من أزمة بناء دولة وصراع على السلطة والثروة بين أطراف تأخذ طابعاً مذهبياً وطائفيًا ومناطقياً (2).

يمكن إجمال جذور الصراعات الداخلية في دول العالم الإسلامي، والدول العربية

على وجه الخصوص، في عدة أسباب أهمها:

1 - أسباب تاريخية: تتلخص في الوضعية الموروثة عن الاستعمار الذي قام قبل انسحابه من الدول التي احتلها برسم الحدود بين تلك الدول دون مراعاة للتركيب المذهبية أو العرقية (3)، وهو ما يعني أن أغلب الدول الإسلامية دول مصطنعة، فهي لا تعبر عن هوية ثقافية متميزة أو كتلة بشرية محددة الملامح، بقدر ما تُصوّر عبث المستعمرين الذين

(1) نفس المرجع.

(2) إبراهيم نصر الدين، وأحمد حلواني، وآخرون، حال الأمة العربية 2014-2015 الإحصاء: من تغيير النظم إلى تفكيك الدول، تحرير: علي الدين هلال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص ص 515-616.

(3) تامر بكر، المرجع السابق، ص 223.

رسموا حدودها ومنحوها شهادة الميلاد واستهتروا بمصيرها، فالولاء للدولة الذي يُعتبر الضامن للانسجام الاجتماعي لا يزال، وسيظل، ناقصا في الدول العربية والإسلامية، ولا يزال الولاء للأمة الأوسع من الدولة أو للكيانات الطائفية والعرقية والجهوية الأضيق منها هو السائد، لأن الدول العربية والإسلامية المعاصرة لم يكن ميلادها طبيعيا في أغلب الأحوال، ولا كان حصيلة تطور تاريخي ذاتي<sup>(1)</sup>.

2- أسباب سياسية: تتمثل في إخفاق بعض الدول الإسلامية في دمج مواطنيها على أساس الانتماء للوطن، إذ لم تنجح سياسات الدمج القسري للأعراق والمذاهب في صهر الاختلافات لاسيما في الدول التي تحتوي على أقليات كبيرة نسبيا، إضافة إلى فساد بعض الأنظمة السياسية الحاكمة التي تجد في النعرات الطائفية والعرقية والفتنة المذهبية ونهج سياسة تمييزية بين مواطنيها حاجة ملحة لبقائها واستمرار سلطتها المستبدة<sup>(2)</sup>، ومثال ذلك الوضع في العراق وليبيا وسوريا.

3 - أسباب أخلاقية: أهمها انعدام أي ضابط أخلاقي في الممارسة السياسية، فرغم نزعة التبجح السائدة في الثقافة العربية والإسلامية، والتي تصف دول الغرب بالانحلال الخلقي والإباحية والمادية، فإن الممارسة السياسية في دول الغرب تخضع لمعايير أخلاقية أساسها احترام كرامة الفرد وخيار الشعب والاعتراف بحق الاختلاف، وهو ما ينقص الدول العربية والإسلامية في واقعها الراهن. وربما لا توجد دول، في عالم ما بعد الحرب الباردة، يسترخض فيها الناس إراقة الدماء ويستسهلون انتهاك الحقوق والحرمان في صراعهم السياسي مثلما هو الحال في الدول الإسلامية والعربية.

4 - أسباب طائفية: لعل أبرز مثال على النزاعات الطائفية، أو تلك التي يغلب عليها العامل الطائفي، ما يجري في الشرق الأوسط خاصة في سوريا والعراق ولبنان،

(1) محمد بن المختار الشنقيطي، "الدولة والصراع"، تاريخ التصفح: يوم 2010/03/02، من موقع الإنترنت: <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/a3bebb90-a618-4e1d-8215-30a0a8cd7443>

(2) تامر بكر، المرجع السابق، ص 224.



بالإضافة إلى اليمن والبحرين، حيث تعتبر الطائفية العامل الرئيس في الصراعات الداخلية في هذه البلدان، إلى درجة أن بعض المحللين السياسيين والأمنيين أطلقوا على هذه النزاعات اسم الحرب الباردة الجديدة ذات الطابع الطائفي، تلعب فيها إيران والسعودية أدواراً رئيسية، حيث لا يتواجهان عسكرياً بل يتسابقان على النفوذ في الأنظمة السياسية للدول الضعيفة في المنطقة، ليصبح النزاع غالباً بين طائفتي السنة والشيعة (1).

5 - أسباب اقتصادية: أهمها فشل مشاريع التنمية الاقتصادية، فالحكومات التي تنجح في مشاريعها الاقتصادية وتقود بلدانها إلى الإقلاع الاقتصادي تكتسب عادةً نوعاً من الرضا يعوّض على نقص الشرعية السياسية، لكن أغلب حكومات الدول الإسلامية تعاني من الخللين معاً، مما جعل الأزمة مركبة وصعبة الحل، فلا التضحية بالشرعية تم تعويضها بنهضة اقتصادية، ولا منحت الناس حرياتهم فحفظت لهم كرامتهم الفردية وخياراتهم الجماعية. وهكذا لم تجد الجماهير الإسلامية متنفساً في بناء السلطة ولا في أدائها، فالبناء غير شرعي والأداء غير فعّال.

6 - أسباب اجتماعية: أهمها نقص العدل الاجتماعي الذي ينتج الرضا بالسلطة أو التغاضي عنها على الأقل، ويعين على الانسجام الاجتماعي والتآلف السياسي، ففي أغلب الدول الإسلامية يسود الظلم الاجتماعي والأثره وتقل الشفافية والمراقبة والمحاسبة، بشكل لم يعد له وجود في أغلب دول العالم، وتحرّم الدولة قوى اجتماعية عريضة من حقها الشرعي في السلطة والثروة، وإن كانت لهذه القوى الاجتماعية خصوصيات ثقافية أو عرقية فقد تم كبتها بسطوة وشدة بدلاً من الاعتراف بها كمكوّن من مكونات المجتمع. لم يكن هذا الظلم الاجتماعي ليمر بدون أثر سلبي على بنية الدولة والمجتمع، لأن "الظلم مؤذن بخراب العمران" حسب تعبير ابن خلدون، والصراعات الداخلية مظهر من مظاهر هذا الخراب، ولعل في تزايد ظاهرة نزوح أغلب سكان الريف إلى المدينة سبباً اجتماعياً

(1) Gregory Gause, **Beyond Sectarianism: The New Middle East Cold War**, Brookings Doha Center Analysis Paper, Brookings Doha Center, Doha, Qatar, N° 11, July 2014, pp 1-5.

آخر، فأهل الريف أكثر زهدا في خدمات الدولة وأخف عبئا عليها من أهل الحضر الذين تنمو لديهم روح المطالبة وعدم الرضا بالتفاوت الاجتماعي (1).

7 - أسباب ثقافية: منها تفكك الهوية الثقافية بسبب الاستعمار وميراثه، وخصوصا في الدول التي استعمرتها فرنسا، وكذلك تخلف الثقافة السياسية وتحكم بعض الكواجح النفسية والاجتماعية في الذهنية العربية جراء تجربة تاريخية غير موفقة في مجال علاقة الراعي بالرعية. لقد أثمرت التجربة التاريخية البائسة في مجال الشرعية السياسية تشاؤما عميقا في الذهنية العربية تجاه أية محاولة للإصلاح السياسي السلمي والتعددية السياسية، وقد تعمق هذا التشاؤم نتيجة لمبالغة بعض الموالين للأنظمة في وصف كل محاولة للإصلاح أو التعبير عن التعددية بصفة "الفتنة"، وتفننهم في تبرير الظلم السياسي خوفا من "الفتنة"، حتى أن بعض علماء الأزهر أفتى بعدم جواز مقاومة "نابليون" إبان غزوه لمصر متعللين بأن ذلك فتنة، وهذه العقلية الجبرية التبريرية تسد الباب أمام الأمل في الإصلاح والنضال السلمي، وتفتح المجال أمام احتمالات الانفجارات والتمزقات الداخلية الخطيرة (2).

8 - أسباب خارجية: لقد عملت الدول الاستعمارية على إبقاء مناطق عديدة قابلة للانفصال عن دولها الأصلية، تحت مبررات قومية أو لغوية أو عرقية أو دينية أو أيديولوجية أو سياسية، مما أصبح يهدد الدول الإسلامية بمزيد من التمزيق والتفتيت، وهو ما أدى إلى حالة من عدم الاستقرار والضعف، وينذر بإشعال فتائل الحروب الأهلية. وأصبح التدخل الخارجي ممكنا في أية لحظة لمساندة حركات الانفصال تحت بند "حق الشعوب في تقرير مصيرها" دون الالتفات إلى بند "حق الدول في السيادة على أراضيها" و"منع تدخل أية دولة في سيادة دولة أخرى" (3)، والغالب ألا ينتج عن التدخل الخارجي أي

(1) محمد بن المختار الشنقيطي، "الدولة والصراع"، المرجع السابق.

(2) نفس المرجع.

(3) عصام محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 210.

حل حاسم للصراع بقدر ما يؤدي إلى الإبقاء عليه في حدود معينة يمكن التحكم بها وتوجيهها.

إن ما يشد الانتباه بالنسبة للتدخل الخارجي هو التعامل المزدوج مع حقوق الأقليات، فعندما يتعلق الأمر بالأقليات المسلمة فهي وإن كانت تعاني من العنصرية والاضطهاد والإبادة فإن المجتمع الدولي يلتزم بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد المضطهد للأقلية المسلمة، كما هو الحال بالنسبة للموقف الدولي والغربي من اضطهاد وإيذاء الأقلية المسلمة في بورما، في حين تم التدخل وبسرعة لمنح الاستقلال للقوميات الأوروبية التي كانت تحت حكم الاتحاد السوفييتي سابقا (1).

تجدر الإشارة إلى أن هذه التقسيمات والتفصيلات بشأن أسباب الصراعات الداخلية هي من دواعي المنهجية والتحليل النظري، أما في الواقع فكثيرا ما تكون أسباب الصراعات الداخلية في الدول الإسلامية والعربية مزيجا من هذه الأسباب مجتمعة.

### ثانيا: النزاعات البيئية

لم يكن التقسيم الاستعماري الغربي للأقطار الإسلامية سليما ولا عادلا ولا نهائيا، بل حافظ المستعمر على قوته عندما أبهم كثيرا من الحدود بين هذه الدول المستحدثة ولم يحددها بدقة، فأصبحت هذه الحدود المبهمة بمثابة نار تحت الهشيم أو قنبلة قد تنفجر في أية لحظة بين الدول الإسلامية (2).

يُلاحظ على خريطة العالم الإسلامي انتشار النزاعات بين دوله، إذ لا تخلو منطقة من مناطقه من نزاع ساخن أو آخر كامن، حيث أنه باستقراء الأرقام إلى غاية سنة 2000 يتبين ما يلي: (3)

(1) نفس المرجع، ص 210.

(2) نفس المرجع، ص 209.

(3) إسماعيل محمد، "النزاعات في العالم الإسلامي: ضحاياه 600 ألف قتيل"، تاريخ التصفح: يوم 2009/06/12، من موقع الإنترنت:

- من بين 27 دولة إسلامية في آسيا توجد نزاعات بين 21 منها.
  - ومن بين 26 دولة إسلامية في إفريقيا(\*) هناك 16 دولة منهكة في نزاعات بينية منذ عدة عقود.
  - هناك 22 دولة عربية من منظومة دول العالم الإسلامي تتنازع 18 منها.
  - في أمريكا الجنوبية دولتان إسلاميتان بينهما نزاع إقليمي.
  - شهدت ولازالت تشهد دول شمال إفريقيا نزاعات حدودية وسياسية.
  - تعتبر منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية منطقة نزاعات بينية كثيرة.
  - من بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي تتنازع سبعة وثلاثين منها بينياً.
- أما عن التوزيع الزمني للنزاعات فإنه يمكن القول أن دول العالم الإسلامي لم تخل من الصراع البيني منذ أربعينيات القرن العشرين، وهي الفترة التي بدأت تظهر فيه دول إسلامية معاصرة مثل باكستان المنفصل عن الهند سنة 1947، وبالنظر للحقب الزمنية المتعاقبة يُلاحظ ميلاد نزاع جديد مع ميلاد كل دولة إسلامية جديدة تقريباً. ففي السنوات من 1940 إلى غاية 1949 كانت هناك أربع دول إسلامية متنازعة هي: أفغانستان وباكستان والسعودية وإمارة أبو ظبي، وبمتابعة العقود المتتالية يُلاحظ الآتي:(1)
- من 1950 إلى 1959 تنازعت تسع دول إسلامية فيما بينها.
  - من 1960 إلى 1969 ارتفع عدد الدول المتنازعة إلى 21 دولة.
  - من 1970 إلى 1979 وصل العدد إلى 22 دولة.
  - من 1980 إلى 1989 نقص العدد دولة واحدة ليعود إلى 21 دولة.
  - ومن 1990 إلى 1999 بقي العدد كما هو 21 دولة، لكن بخروج عدة دول مثل بوركينافاسو وموريتانيا ومالي من دائرة النزاعات، والتحاق أخرى جديدة بقائمة الدول

(\*) للإشارة فإن هذا الإحصاء قد تم قبل انضمام الدولة الإفريقية السابعة والعشرين لمنظمة المؤتمر الإسلامي سنة 2001، وهي دولة ساحل العاج.

(1) نفس المرجع.

المتنازعة وهي الدول المستقلة عن الاتحاد السوفييتي السابق مثل طاجاكستان وقرغيزستان.

وبإعادة النظر في سنوات النزاع تبرز الملاحظات التالية: (1)

- 1- امتداد بعض النزاعات لستة عقود ( 1940 - 2000).
  - 2- تعتبر السنوات الواقعة ما بين 1960 - 2000 أكثر السنوات نزاعا.
  - 3- تضمّن عقد السبعينات أعلى معدلات النزاع إذ وصل عدد النزاعات إلى 22 نزاعا.
  - 4- بالنظر إلى عدد النزاعات في العالم الإسلامي، نجد أن 127 نزاعا وقعت في فترة زمنية تزيد عن ستة عقود (1940 - 2000) شاركت فيه 37 دولة إسلامية.
- تختلف دول العالم الإسلامي فيما بينها من حيث عدد النزاعات التي خاضتها(\*)، إلى جانب اختلافها من حيث عدد الأطراف التي خاضت معها تلك النزاعات، فالعراق مثلا يُصنّف على أنه أكثر دولة إسلامية دخلت في نزاعات مع دول إسلامية أخرى، إذ بلغ عدد النزاعات التي خاضها أربعة عشر نزاعا مع ست دول، كان للكويت النصيب الأكبر منها إذ بلغت نزاعاتها مع العراق سبع نزاعات. وتعتبر السعودية وباكستان وأفغانستان والعراق من أقدم الدول الإسلامية دخولا في نزاعات مع دول إسلامية أخرى، كما أن طاجاكستان وقرغيزستان أحدث الدول الإسلامية دخولا في حلبة النزاعات إلى غاية سنة 2000.

أما عن خسائر النزاعات فإنه بالنظر إلى ما تقدمه الأرقام التقريبية للخسائر البشرية الناتجة عن النزاعات بين دول العالم الإسلامي خلال نفس الفترة يُلاحظ ما يلي: (2)

- بلغت الخسائر البشرية في تلك النزاعات ما يقرب من 600 ألف قتيل.

(1) نفس المرجع.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر الجدول الخاص بأكثر الدول الإسلامية نزاعا، في الملحق رقم 5.

(2) إسماعيل محمد، المرجع السابق.

- عقد الثمانينات والتسعينيات هما أكثر الفترات الزمنية خسائر، إذ بلغ عدد الضحايا فيهما حوالي 550 ألف قتيل.

- منطقة الخليج العربي في حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق، وشبه الجزيرة العربية في حرب الخليج الثانية هما أكثر المناطق خسائر.

- تحملت الدول الإسلامية في آسيا العبء الأكبر من الخسائر إذ سقط فيها أكثر من 95% من ضحايا النزاعات.

- الدول الإسلامية الغنية، خاصة بالنفط، مثل العراق وإيران والكويت وليبيا تتحمل العبء الأكبر من الخسائر.

وباستقراء أسباب النزاع بين دول العالم الإسلامي يمكن الاستنتاج بأن ترسيم الحدود والخلاف حول مناطق معينة هما أكثر الأسباب إثارة للنزاعات<sup>(\*)</sup>.

فحرب الخليج الأولى بين العراق وإيران كانت نتيجةً للخلاف حول شط العرب والمناطق الحدودية بينهما إلى جانب الصراع على النفوذ في المنطقة، إضافة إلى ذلك النزاع العراقي الكويتي حول الحدود، والليبي التشادي حول شريط أوزو الحدودي، والكاميروني النيجيري حول ترسيم الحدود على بحيرة تشاد، والإندونيسي الماليزي حول مجموعة من الجزر، والأفغاني الباكستاني حول إقليم سرحد الحدودي، إلى غير ذلك من النزاعات، أما نسبة النزاعات التي كان سببها غير الخلافات الحدودية أو المناطق المتنازع عليها فلا تتعدى 2%<sup>(1)</sup>.

مما سبق يتبين أن مصطلح العالم الإسلامي هو مفهوم مركب لواقع موضوعي معقد، فرغم كونه يحمل في ثناياه عوامل قوة ووحدة من موقع إستراتيجي ودين ولغة وتاريخ ومصير مشترك لا يضاويه فيها تنظيم أو تكتل معاصر آخر، إلا أنه يظهر على المستوى العملي في صورة منافية للوضع الأول حيث تتجاذبه عوامل عدة داخلية

(\*) للتفصيل أكثر أنظر الجدول الخاص بأهم النزاعات التي تسبب فيها الخلاف السياسي، في الملحق رقم 6.

(1) إسماعيل محمد، المرجع السابق.

وخارجية ونفسية وفكرية وتاريخية أدت إلى ضعفه على جميع الأصعدة الثقافية والاقتصادية والسياسية والأمنية.

### المبحث الثاني: حول مفهوم الغرب

لقد ظهرت في ظل النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة مفاهيم جديدة تم تداولها بصورة مكثفة وبوتيرة متسارعة على جميع الأصعدة الأكاديمية والإعلامية والرسمية، أهم هذه المفاهيم: مفهوم النظام الدولي الجديد، مفهوم العولمة، وكذا مفهوم الغرب كقطب مركزي في ظل هذا النظام الدولي، وفيما يلي سيتم شرح كلٍ منها على التوالي.

### المطلب الأول: مفهوم النظام الدولي الجديد

إن النظام الدولي الذي أخذ يتبلور بعد نهاية الحرب الباردة ليس النظام الدولي الوحيد في التاريخ الحديث، فالنظم الدولية تتشكل عادة بعد حدوث هزة كبيرة في العالم يحدث بعدها تغيير هيكلي في توزيع القوة والثروة، وبناءً على هذا الأخير يأخذ النظام الدولي شكله من حيث عدد الدول الأكثر قوة وثروة فيه<sup>(1)</sup>، والواقع أن نشأة النظام الدولي تعود إلى حوالي أربعة قرون مضت، يُورَّخ لها تحديداً عام 1648 حين وقّعت الممالك الأوروبية معاهدة الصلح المسماة وستفاليا التي أنهت الحروب الدينية في أوروبا، ووضعت لأول مرة عدة مبادئ ذات طبيعة سياسية أهمها: احترام الحدود السياسية للدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية وإقرار مبدأ المساواة، كما أرست نظام دبلوماسية المؤتمرات<sup>(2)</sup>. هذا ويمكن القول أن النظام الدولي قد شهد ثلاثة أشكال من حيث عدد الأطراف الفاعلة والمسيطرة فيه، وهي:

- نظام متعدد الأقطاب: يتميز بوجود قوى تمتلك من مصادر القوة والنفوذ ما يجعلها تتبوأ مركزاً هاماً على قمة الهرم الدولي، وقد ساد في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية.

(1) عبد الله الشيخ، "النظام العالمي الجديد بين الاستمرار والسقوط"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع1107، جويلية 1994، ص 20.

(2) محمد عوض الهزايمة، المرجع السابق، ص 20.

- نظام الثنائية القطبية: يتحدد بوجود قوتين عظميين تمتلكان من مصادر القوة والنفوذ ما لم تتح لأية وحدة دولية أخرى، وتسود العلاقات الدولية فيه عملية الاستقطاب لباقي الدول في إطار تنافسي وصراعي، وقد هيمن هذا النظام على العلاقات الدولية لما بعد الحرب العالمية الثانية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي<sup>(1)</sup>.

- نظام الأحادية القطبية: أبرز معالمه انفراد دولة واحدة بالتربع على قمة الهرم الدولي، تمتلك من القوة والنفوذ ما لم تمتلكه غيرها من وحدات النظام الدولي، وقد تجسّد هذا النظام بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية للعالم منذ انهيار الاتحاد السوفييتي<sup>(2)</sup>، حيث أنه ومنذ منتصف ثمانينيات القرن العشرين بدأ النظام الدولي يشهد بطرق متسارعة تغييرات جذرية في معادلة توازن العلاقات الدولية التي تأسست منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتعود مكونات هذه التغييرات إلى منطلقات عدة، وفي مقدمتها تفاقم مشكلات الاتحاد السوفييتي التي آلت إلى انهياره، وذلك بعد انفلات زمام الأمر من أيدي قادته الذين حاولوا القيام بإصلاحات اقتصادية وسياسية من خلال "الغلاسنوست" التي تعني الشفافية، و"البروسترويكا" التي تعني إعادة البناء، فترجع عن مكانته كأحد قطبي المعادلة الدولية التي كانت قائمة، وكانت أوروبا من ناحية ثانية تستكمل خطواتها وتستعد لإعلان وحدتها التكاملية، أما اليابان من ناحية ثالثة فقد أصبح يشكل قوة منافسة هائلة في وجه الولايات المتحدة الأمريكية. لقد أفسحت هذه التغييرات المجال أمام ظهور بوادر نظام عالمي جديد، وقد اختلف المحللون في البداية حول نوعه، فقد أطلق فريق على هذه المرحلة تسمية "الوفاق الدولي الجديد" تماشياً مع السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي الذي سعى للاندماج في المجتمع الدولي، في حين سمّاها فريق آخر مرحلة النظام الدولي أحادي القطبية، بينما

(1) عدنان سليمان الأحمد وعدنان المجالي، قضايا معاصرة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص 76.

(2) محمد عوض الهزايمة، المرجع السابق، ص22.



ذهب فريق ثالث إلى أن النظام الدولي الجديد سوف يكون متعدد الأقطاب<sup>(1)</sup>، ومن ثم ما تعريف النظام الدولي الجديد، ما هي خصائصه، وما هي أهدافه؟:

### الفرع الأول: تعريف النظام الدولي الجديد

إذا كانت الكتابات التي ظهرت حول الدور الأمريكي في قيادة العالم تعود إلى أواخر ثمانينيات القرن العشرين، وذلك على أثر ما اصطلح على تسميته "بالتراجع السوفييتي"، فإن الكتابات الصادرة حول تشكّل النظام الدولي الجديد وطبيعته وفحواه تعود إلى بداية التسعينيات من نفس القرن، كما أن ما ظهر من تهافت الأكاديميين والإعلاميين ورجال السياسة لإبراز مفهوم هذا النظام وتقييمه، كلٌّ من وجهة نظره وانطلاقاً من مصالحه، يدل على مدى أهمية هذا المصطلح، وفي الواقع أن الإعلان عن هذا الأخير يعود إلى النصف الثاني من شهر جانفي 1991، أي مباشرة بعد اندلاع حرب الخليج الثانية في السابع عشر من نفس الشهر، عندما بدأ هجوم دول حلف الشمال الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على العراق، في تلك الآونة وجّه الرئيس الأمريكي جورج بوش George H. W. Bush خطاباً للشعب الأمريكي جاء فيه: "إن ساعة تحرير الكويت قد بدأت، وإن نظاماً دولياً جديداً سيظهر بعد ذلك"<sup>(2)</sup>.

إن مصطلح "النظام الدولي الجديد" غامض وقابل للتفسير على أكثر من معنى، وما يؤكد ذلك هو ما بُدّل من محاولات علمية محترمة في الغرب نفسه لإيجاد تعريف دقيق للمصطلح، لكنها فشلت جميعاً في الإجماع حول تعريف جامع مانع بشأنه.

في سياق متصل قال نائب وزير الخارجية الأمريكية السابق "لورانس إينجلبرغر" Lawrence Eagleburger: "لا أستطيع أن أصف لكم ما سيكون عليه شكل النظام الدولي الجديد"، في حين صرّح نائب مستشار الرئاسة لشؤون الأمن

(1) أحمد بيضون، الاقتصاد السياسي وقضايا العالم الثالث في ظل النظام العالمي الجديد، دار بيسان للطبع، بيروت، لبنان، ط2، 1997، ص ص 188 - 189.

(2) مبروك غضبان، "النظام الدولي الجديد بين الطموح الأمريكي لقيادة العالم وتحديات الاستعمار الحديث"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، ع1، 1994، ص 102.

القومي "روبرت غيتس" Robert Gates قائلاً: "لا نزال غير متأكدين تماماً من الشكل الذي ستظهر عليه رقعة الشطرنج في النهاية"، أما المستشار السابق لشؤون الأمن القومي "زبجنيو بريجنسكي" Zbigniew Brzezinski فقال: "لست أدري حقا ما يعنيه هذا المصطلح".

أما خارج الولايات المتحدة الأمريكية فالمفكرون أقل حذراً وأكثر وضوحاً في تحديد المقصود بالنظام الدولي الجديد، فالنائب البريطاني "دينيس هيلي" Denis Hilly حدّد النظام المقصود حين كتب: "إن الرئيس بوش حين أعلن أن العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق يمكن أن ترسي أسس "نظام عالمي جديد"، علّق الملايين الآمال على ذلك، غير أن حرب الخليج بيّنت أن النظام الجديد يُولد في رحم الأكاذيب، لأن النوايا الأمريكية كانت منذ بداية الأزمة تميل إلى استخدام القوة"، أما المؤرخ الاقتصادي البريطاني "جون كينيث غالبرت" John Kinith Galbert فقال: "من موقعي علمتُ أن هذا مجرد كلام لا جوهر"<sup>(1)</sup>.

إذن فالجميع يؤكد أن المقصود من النظام الدولي الجديد في الخطاب الأمريكي ليس هو النظام المنشود الذي تبحث عنه الغالبية الساحقة من الشعوب والدول والأفراد في عالم ما بعد الحرب الباردة، بل إنه ليس جديداً إلا بمعنى واحد فقط هو إعادة هيكلة النظام الإمبريالي السابق، بعد التغيرات التي حدثت في المعسكر الشيوعي، بغرض احتواء دول شرق أوروبا لتعزيز وحدة دول الغرب والشمال في مواجهة دول وشعوب العالم الأخرى في الجنوب، وبعبارة أخرى يعني هذا النظام إعادة توزيع مراكز النفوذ والغنائم والحصص على المستوى العالمي بما يضمن لأمريكا استمرار سيطرتها العسكرية بشكل

(1) محمد خليفة، النظام الدولي بين المقصود والمنشود، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1992، ص ص 13 - 14.

مطلق على العالم، ويضمن لها مركزا اقتصاديا وتجاريا مرموقا بين القوى الاقتصادية المنافسة لها خاصة منها أوروبا واليابان (1).

بغض النظر عن الطرح الذي يرى أن "النظام الدولي الجديد" هو وضع وليس نظاما، فإنه من الواضح أن مصطلح "نظام دولي جديد" مُتَعَمِّدٌ في النظرية الأمريكية، لأنها خَطَّطت له منذ مدة طويلة بواسطة أجهزتها المختصة، وما زالت تسعى لتكريس هذا النظام في الواقع الدولي بشكل منتظم ودائم، سيما أن ممارسات الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة الدولية ليست ارتجالية، وإنما تعتمد على التحضير المُسَبِّق لها عن طريق ما يسمى بالدراسات المستقبلية في المعاهد المتخصصة إقليميا، مثل مركز دراسات الشرق الأوسط ومركز دراسات جنوب شرق آسيا...، قبل الإعلان عنها والدعاية لها محليا ودوليا (2).

### الفرع الثاني: خصائص النظام الدولي الجديد

- إن التاريخ في كل مرة يعيد نفسه، فما من نظام دولي يقوم مقام نظام آخر إلا وتتكرر فيه مجموعة من العناصر أهمها:
- أن كل نظام دولي تسبقه حرب أو حروب.
  - أن كل نظام دولي يفرز مجموعة من الدول التي تعتبر الأطراف الأكثر فاعلية فيه.
  - أن كل نظام دولي يرغب في إقامة توازن للقوى، وإعادة الأمور إلى الوضع الذي يعتبره طبيعيا.
  - أن كل نظام دولي يُنتج آليات جديدة تساهم في العمل على إرساء قواعد السلم والأمن العالميين (3).

(1) نفس المرجع، ص ص 15 - 16.

(2) عمر صدوق، خلفيات وآفاق الوضع العالمي الجديد، مجموعة أعمال الملتقى الدولي حول النظام الدولي الجديد ومصالح العالم الثالث، معهد الحقوق والعلوم الإدارية، جامعة البليدة، 1993، ص 17.

(3) مبروك غضبان، المجتمع الدولي: الأصول والتطور والأشخاص، القسم الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1994، ص 286.

ومن أهم ما يُميّز النظام الدولي الجديد عن نظام الثنائية القطبية السابق ما يلي:

(1) انتقال العالم من الثنائية القطبية إلى الأحادية القطبية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (\*).

(2) انقسام العالم على أساس القوة الاقتصادية إلى عالمين:

- عالم الدول المتقدمة يمثل حوالي 25% من سكان العالم ويحتكر 80% من الثروة الاقتصادية.

- عالم الدول المتخلفة، يمثل حوالي 75% من سكان العالم وليس لها من نصيبها إلا 20% من مجموع الثروات الاقتصادية العالمية.

(3) غياب الصراعات الأيديولوجية الدولية، وذلك بعد بروز قوة واحدة رائدة ومؤثرة في أحداث المجتمع الدولي وفي السياسة الدولية ألا وهي الولايات المتحدة الأمريكية.

(4) التحرير الاقتصادي وطغيان الخصخصة على القطاع العام.

(5) تنامي الديمقراطية في دول الجنوب، وإحلال نظام التعددية الحزبية محل نظام الأحادية الحزبية في العديد من الدول الاشتراكية سابقا.

(6) التخفيف من حدة السباق نحو التسلح.<sup>(1)</sup>

(7) تزايد أعضاء المجتمع الدولي بعد تفكك الاتحاد السوفييتي.

(8) تداخل وتشابك القضايا الإقليمية بالقضايا الدولية.

(9) اختراق المفهوم التقليدي لسيادة الدولة، وذلك نتيجةً لثورة الاتصالات وكذا تدخل المؤسسات المالية الدولية في سياسات الدول الداخلية.<sup>(2)</sup>

(10) زوال الاستعمار السياسي من العالم، وحصول كل الدول والشعوب على استقلالها السياسي في كل من آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية باستثناء فلسطين والصحراء الغربية.

(\* للتفصيل أكثر أنظر الجدول المتعلق بالفروق الرئيسية بين النظام الدولي القديم والنظام الدولي الجديد في الملحق رقم 7.

(1) عمر صدوق، المرجع السابق، ص ص 19-20.

(2) ناصف يوسف حتي، "أي هيكل للنظام الدولي الجديد"، مجلة عالم الفكر، العددان 3 و4، مارس/ أبريل 1995، ص 34.

- (11) ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر قوة اقتصادية في العالم.<sup>(1)</sup>
- (12) تحول الأمم المتحدة إلى مؤسسة تابعة للسياسة الأمريكية، حيث أصبح من السهل على الولايات المتحدة أن تستصدر ما تشاء من القرارات من مجلس الأمن والجمعية العامة، كما حدث في قرارات حرب الخليج الثانية، وبذلك أصبحت الأمم المتحدة واجهة دولية للمصالح والسياسات الأمريكية، بعد أن كانت في عهد النظام الدولي السابق تمثل على الأقل منبرا للدول الصغرى والمتخلفة ومتنفسا لها.
- (13) تدهور المركز الاقتصادي النسبي لدول الجنوب بوتيرة أكبر مما كانت عليه في عهد الثنائية القطبية، حيث أن معدلات النمو انخفضت منذ نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، والجديد في النظام الدولي الجديد هو أن عملية التخلف والتهميش وفرض آليات التبعية تحولت إلى عملية سياسية مُعلنة قوامها إجبار دول الجنوب على اعتماد آليات النظام الرأسمالي العالمي، حتى ولو كان ذلك على حساب مصالحها، فيتم إجبار تلك الدول على فتح أسواقها ذات القدرات التنافسية المحدودة أمام المنتجات الصناعية للدول الرأسمالية، وإجبارها على بيع ممتلكاتها العامة للوفاء بالديون وأقساط خدمتها<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثالث: أهداف النظام الدولي الجديد

لقد كان من الطبيعي بعد انتهاء الحرب الباردة وما حملته من مخاطر أن تنشأ توقعات بظهور نظام دولي جديد، مبني على مبادئ القانون الدولي والشرعية الدولية ويتحقق فيه السلم والأمن الدوليين، غير أن أحداث التسعينيات من القرن العشرين جاءت إلى حدٍ بعيدٍ مخيبة لهذه التوقعات، فما لبث أن ظهر هذا النظام الدولي الجديد كنظام تهيمن عليه قوة دولية واحدة أعلنت حقها في قيادة العالم بحكم انتصارها في الحرب

(1) أسامة عكان، إحصار الخليج، شركة الشهاب، الجزائر، ط1، 1992، ص ص 74 - 75.

(2) محمد السيد سليم، "التحولات الدولية وآثارها على العالم الإسلامي"، في قضايا إسلامية معاصرة، مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص 358.

الباردة، وبحكم ما تمتلكه من تجمّع فريدٍ من مقومات القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية والتقنية لا تمتلكها مجتمعةً قوة دولية أخرى (1).

يمكن تقسيم أهداف النظام الدولي الجديد إلى أهداف مُعلّنة وأخرى خفية، باعتبار أنه قد تم الإعلان عن هذا النظام من طرف الرئيس الأمريكي "جورج بوش الأب" George H. W. Bush مبرزًا أهدافه، هذه الأخيرة التي يمكن اعتبارها أهدافًا مُعلّنة، في حين إن هناك أهدافًا إستراتيجية خفية رغم أنه لم يتم الإعلان عنها إلا أنه يمكن استنتاجها من خلال مسيرة العالم في ظل هذا النظام، ومن ثم يمكن تلخيص أهم الأهداف المعلّنة والخفية للنظام الدولي الجديد فيما يلي:

**الأهداف المُعلّنة:** في خطاب له أمام الكونغرس الأمريكي في الحادي عشر من سبتمبر سنة 1990 بشّر الرئيس الأمريكي "جورج بوش الأب" العالم بالنظام الدولي الجديد، وبأنه سيكون: "عهدًا متحررًا من الإرهاب، فعّالًا في البحث عن العدل، وأكثر أمنًا في طلب السّلام، عصر تستطيع فيه كل أمم العالم غربًا وشرقًا وشمالًا وجنوبًا أن تتعم بالرخاء وتعيش في تناغم" (2)، من هنا يمكن إيجاز أهم الأهداف المُعلّنة للنظام الدولي الجديد فيما يلي:

- المحافظة على الاستقرار العالمي من خلال تطبيق قواعد الشرعية الدولية واحترام دور هيئة الأمم المتحدة.

- سيادة النظام الديمقراطي الحر الذي يحترم إرادة الشعوب ويعمل وفق قراراتها السيّدة.

- احترام سيادة كل دولة وعدم المساس بوحدتها الوطنية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

- تكريس الحقوق والحريات الأساسية والفكرية والسياسية والإعلامية وحقوق الإنسان.

(1) السيد أمين شلبي، التسعينات: أسئلة ما بعد الحرب الباردة، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص10.

(2) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص 338.

- نزع السلاح النووي ووضع حد للحروب الأهلية والدولية وإرساء دعائم السلم العالمي.
- دعم الدول الفقيرة في تنظيم اقتصادياتها ومساعدتها ماليا وتقنيا وعلميا لتحقيق النمو.
- إيجاد تسوية عادلة وشاملة لمشكل الشرق الأوسط وإنهاء حالة الصراع العربي الإسرائيلي.

**الأهداف الخفية:** إن السؤال المطروح في هذا الصدد هو: إلى أي مدى يمكن اعتبار شعارات الحرية والعدل والأمن والسلام والرخاء الواردة في خطاب الرئيس الأمريكي كأهداف حقيقية لنظام دولي جديد؟، أم أنها مجرد محاولة لإضفاء الشرعية الأيديولوجية على ممارسة القوة<sup>(1)</sup> في عالم ما بعد الحرب الباردة أحادي القطبية.

إن المتتبع للواقع الدولي وللسياسة الخارجية الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة سيتبين له أن هذه الوعود مجرد شعارات غير جادة، فهي مخالفة تماما للسياسة الأمريكية الإمبريالية المنتهجة فعليا، والتي تعكس أهدافا خفية وحقيقية ظهرت جليا فيما بعد على الساحة الدولية، أهمها:

- سعي النظام الدولي الجديد إلى فرض منظومة القيم الرأسمالية والليبرالية على باقي دول العالم، وهو ليس غاية في حد ذاته وإنما كأداة لفتح الأسواق وتحرير التجارة، كما أنه يتم بشكل يحقق مصالح القوى الكبرى بشكل أساسي، فالسعي لفرض القيم الديمقراطية يتوقف إذا كان في ذلك مساس بمصالح تلك القوى، ومن ثم فإنها مستعدة للتعاون مع الأنظمة التسلطية، بل والدفاع عنها، إذا كان ذلك يحقق مصالح تلك القوى، مما يعني أن نشر القيم الديمقراطية يتم بشكل انتقائي بالأساس<sup>(2)</sup>.

(1) هانس كوكلر، تشنح العلاقة بين الغرب والمسلمين.. الأسباب والحلول، تعريب: حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص22.

(2) محمد السيد سليم، المرجع السابق، ص 354.

- تكوين جبهة واسعة من الدول الأوروبية وروسيا واليابان وكندا لمواجهة أي تحديات ممكنة من خارج هذه الجبهة، وتعتبر منطقة العالم العربي والإسلامي الضحية الأولى لهذا النظام.

- السيطرة على ثروات الدول النامية وعلى منابع النفط في الخليج، وربط المنطقة عسكريا واقتصاديا بالغرب.

- التدخل عن طريق الأمم المتحدة لإدارة الأزمات وذلك لخدمة مصالح الدول الكبرى.

- احتكار العلوم والتكنولوجيا وعدم تمكين دول عالم الجنوب من الحصول عليها إلا بما تسمح به الدول المتقدمة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

- زيادة تدخل أمريكا وحلفائها في شؤون الدول النامية سواء بصورة مباشرة أو عن طريق مختلف المؤسسات الدولية المالية والاقتصادية، أو عن طريق تقديم الدعم للحركات المناوئة لأنظمة الحكم في الدول المتخلفة خدمةً لمصالح الغرب.

- ضرب الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي ووضع حد لنموها، واتهامها بكونها تمثل إرهابا دوليا، والترويج لذلك بمختلف وسائل الإعلام والدعاية.

- كسر عزلة إسرائيل الدولية وفتح قنوات التعامل معها.

- تشجيع الاحتكار النووي الإسرائيلي، حتى تصبح إسرائيل متفوقة في المشرق العربي في مجال أسلحة الدمار الشامل.

- فرض الهيمنة والزعامة الأمريكية على مسرح السياسة الدولية، والحيولة دون تمكن قوى أخرى من منافستها بما في ذلك حلفائها التقليديين<sup>(1)</sup>.

يُستنتج مما سبق أن الليبرالية الأمريكية الجديدة تحاول من خلال التبشير "بالنظام الدولي الجديد" الإيحاء بأن ثمة نظاما اقتصاديا واجتماعيا جديدا قضى على المعسكر الاشتراكي، وأعاد النظام "الطبيعي" القائم على قانون السوق اقتصاديا والديمقراطية وحقوق الإنسان سياسيا ومبادئ الشرعية الدولية على مستوى العلاقات الدولية، إلا أن هذا

(1) عدنان سليمان الأحمد وعدنان المجالي، المرجع السابق، ص 98.



النظام في الواقع ليس جديداً من حيث الممارسات رغم التغير في موازين القوى الدولية بعد الحرب الباردة ومحاولة الاستفراد الأمريكي بالهيمنة على العالم في إطار ما يسمى بالعولمة<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: العولمة كأهم سمات النظام الدولي الجديد

إن قضية العولمة هي القضية التي كثر الحديث عنها فجأة بعد نهاية الحرب الباردة، حيث يوجد كم هائل من الأدبيات التي تحدثت عنها، فلم يعد الأمر يقتصر على مساهمات الاقتصاديين وعلماء السياسة أو المهتمين بالشؤون العالمية، بل تعدى ليشمل مساهمات الاجتماعيين والإعلاميين والفنانين وعلماء البيئة والطبيعة... الخ، ولا غرو في ذلك لأن قضية العولمة لها من الجوانب والزوايا الكثيرة ما استدعى اهتمام كل هؤلاء، وهو ما يثير اللبس والغموض حولها، خاصة وأن كل كاتب ركز تحليله على جانب معين من جوانب العولمة<sup>(2)</sup>. ومحاولة للإلمام بهذه الظاهرة قدر الإمكان يمكن تناول ولو باختصار تعريف العولمة، طبيعتها من حيث كونها تلقائية أم موجهة، مسبباتها، أبعادها، أهدافها، وأخيراً تأثيراتها.

### الفرع الأول: تعريف العولمة

من الناحية اللغوية يعتبر لفظ "العولمة" اسم ثلاثي مزيد على وزن "قَوَعَلَة" الذي يدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى، مثل "قَوْلَبَة" من "قَوْلَب" أي وضع الشيء في صيغة قالب ما، وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة هي التي فرضت استعمالها، والعولمة على هذا الاعتبار هي وضع الشيء على مستوى العالم<sup>(3)</sup>.

(1) أحمد الجباعي، "ملاحح الوضع الدولي الجديد: تناقضات وآفاق"، مجلة الهدف، ع 1130، ديسمبر 1992، ص 89.

(2) هانس بيترمارتين وهارلد شومان، فح العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة: عدنان عباس علي، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998، ص ص 7-8.

(3) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص136.

كما عرّف معجم Websters العولمة Globalization بأنها "إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاقه أو تطبيقه عالمياً" (1).

أما من الناحية الاصطلاحية فقد ذاع مصطلح العولمة في العقد الأخير من القرن العشرين بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وقد ترافق هذا المفهوم مع مفاهيم أخرى مثل "نهاية التاريخ" و"الديمقراطية الليبرالية" و"صدام الحضارات" (2).

يمكن القول أن للعولمة تعريفات بقدر عدد المؤلفين الذين كتبوا عنها، أو ربما بعدد زوايا الرؤية التي ينظر الباحثون من خلالها إليها، ومن ثم وانطلاقاً من أن طرفي المعادلة في الموضوع محل البحث هما العالم الإسلامي والغرب كان من الأفضل تناول تعريف العولمة من زاويتين بحسب انتماء أصحاب التعاريف، بمعنى تناول عينة من تعاريف العولمة في الأدبيات الإسلامية أو على الأقل العربية منها، وعينة أخرى منها في الأدبيات الغربية.

### أولاً - تعريف العولمة في بعض الأدبيات الإسلامية:

إن العولمة حسب رأي الدكتور عبد العزيز التويجري ما هي إلا طبعة جديدة من نظرية "ملء الفراغ" التي فُرضت على الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، ثم أعيدت صياغتها بما يتلاءم ومقتضيات الوضع العالمي الجديد (3).

ومن جهته قدّم الدكتور محمد الأطرش توصيفاً لمدخل اقتصادي ينحو المنحى الإمبريقي في معالجة مسألة العولمة، حيث عرّفها بأنها: "درجة اندماج أسواق العالم في

(1) Websters New collegiate Dictionary, 1991, P 521 .

(2) أحمد سعيّفان، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص246.

(3) نياض عبد الكريم، "العولمة ومستقبل العالم الإسلامي: تعريفات وملاحم"، مجلة الفرقان، ع99، السنة العاشرة، جويلية 1998، ص26.

حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والتقنية، ضمن إطار رأسمالية حرية الأسواق، وتالياً خضوع العالم لقوى السوق العالمية<sup>(1)</sup>.

أما الدكتور طه جابر العلواني فميّز بين مفهومي "المركزة" و"العولمة"، حيث اعتبر أن "المركزة" هي محاولة وضع الذات سواء كانت مجتمعا أو دولة أو اقتصادا أو ثقافة مركزا للعالم، وهي سعي مستمر كما تُرى مع الإسكندر الكبير ونابليون وصولا إلى الموجة الأمريكية لعالم ما بعد الحرب الباردة، وضمن هذا الجهد يصبح نشر مفاهيم الديمقراطية واقتصاد السوق عبارة عن إعادة تشكيل الأطراف على صورة المركز. أما العولمة - حسب رأيه - فهي شيء آخر في المساواة بين الأمم والشعوب والثقافات انطلاقا من رؤية إلى العالم تتجاوز المركزية الغربية أي الشكل المعاصر للعولمة، وتتبع من قيم وتوجهات كونية تنبثق من تواصل الأفكار ومن المشترك في المعايير والقيم<sup>(2)</sup>.

في حين دعا الدكتور محمد عابد الجابري إلى ضرورة التمييز بين العولمة والعالمية، فالعولمة Globalization هي إرادة الهيمنة وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصية، أما العالمية Universalism فهي تمثل الطموح في الارتقاء بالخصوصية إلى مستوى عالمي، ومن ثم فالعولمة احتواء للعالم والعالمية تفتح على ما هو عالمي<sup>(3)</sup>. وقد أكد على أن العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي فحسب، بل هي أيضا وبالدرجة الأولى أيديولوجية تعكس الهيمنة على الآخر<sup>(4)</sup>.

(1) محمد الأطرش، العولمة والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص ص 446-447.

(2) فادي إسماعيل، "العولمة: رؤية مختلفة من مثقفي أمريكا المسلمين"، جريدة القدس، القدس، فلسطين، ع 10445، 2 ماي 2000، ص 20.

(3) محمد عابد الجابري، العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة، الكتاب الثاني، سلسلة فكر ونقد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 31.

(4) عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010، ص 55.

كما عرفها "برهان غليون" بأنها: "ديناميكية جديدة تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعلمية للحضارة [...] يتزايد فيها دور العامل الخارجي في تحديد مصير الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة المندمجة وبالتالي لهوامشها أيضا"<sup>(1)</sup>، فالمقصود بالعولمة من وجهة نظر غليون هو الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية معاً في طور من التطور الحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحدًا أو نازعًا للتوحد، ولكنه استدرك معتبراً أن "الوحدة" هنا لا تعني التجانس والتساوي بين جميع أجزاء العالم، ولكنها تعني درجة عالية من التفاعل بين مناطق ومجتمعات بشرية مختلفة وبالتالي ازدياد درجة التأثير والتأثر المتبادلين<sup>(2)</sup>.

### ثانياً - تعريف العولمة في بعض الأدبيات الغربية:

لقد وصف روجي غارودي Roger Garaudy العولمة بأنها الوجه الآخر للهيمنة، أو هي التسمية البديلة للهيمنة الشاملة على العالم، وأنها تعني الاستعمار، كما أعطى البريطاني "ريتشارد هيقوت" Richard A. Higgott في كتابه "العولمة والأقلمة" تعريفاً للعولمة يصب في نفس الاتجاه مفاده: "هي ما اعتدنا عليه في العالم الثالث، ولعدة قرون أن نطلق عليه الاستعمار"<sup>(3)</sup>.

(1) عامر مصباح، الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2006، ص35.

(2) نايف علي عبيد، "العولمة.. والعرب"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع221، جويلية 1997، ص28.

(3) فرغلي هارون، الإرهاب العولمي.. وانهيار الإمبراطورية الأمريكية، دار الوافي للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص71.

في حين عرّفها "ماجرو" McGrew بأنها: "عملية يصبح بموجبها للأحداث والقرارات والنشاطات في مكان ما من العالم نتائج مهمة لأفراد ومجتمعات في أمكنة أخرى بعيدة"<sup>(1)</sup>.

أما "فليب غوميت" Philip Gummett فقد ذهب إلى القول بأنه على الرغم من أن عملية العولمة قد ضربت بجذورها في أعماق بعض الميادين وتخطت السيادة القومية للدول في بعض القطاعات كالجمال والإعلام والثقافة، إلا أن الدولة القومية مازالت لها الكلمة الفصل في مسائل أخرى كالدفاع وحتى التجارة الخارجية، كما قدّم مصطلحاً بديلاً عن "العولمة" هو "التدويل" "Internationalization"<sup>(2)</sup>.

مما سبق يتبين أن العولمة تعني أكثر من مجرد علاقة بين دولة ودول أخرى، وهي أكثر من مجرد "دولية"، فضلا عن كونها خارج تحكم الدول. كذلك العولمة ليست حالة ثابتة وإنما هي عملية تحوّل، كما أن هناك أكثر من عملية عولمة واحدة فهناك عولمة تختص بتنافس الدول الكبرى وثانية تختص بالإبداع والانتشار التقني مع آثاره وجوانبه العسكرية والمدنية، وثالثة تختص بالإنتاج والتجارة، ورابعة تتعلق بالتحديث والمجتمعات.

إضافة إلى أن تعدد تعريفات العولمة يعكس صعوبة الإحاطة بهذه الظاهرة من الناحيتين النظرية والعملية، فثمة اتفاق على عدم وضوح مفهوم العولمة، ووضع تعريف محدد ودقيق وشامل لها يبدو مسألة صعبة نظرا لتأثرها باتجاهات الباحثين الأيديولوجية ونظرا لحركية وتطور هذه الظاهرة من جهة أخرى<sup>(3)</sup>، كما أن هذه التعريفات في غالبها تربط بين العولمة والنظام الدولي الجديد، من خلال اعتبارها ظاهرة لنظام دولي جديد ينزع إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل بين جميع دول العالم في جميع المجالات،

(1) أحمد عبد الرحمن أحمد، "العولمة: المفهوم المظاهر والمسببات"، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 26، ع1، ربيع 1998، ص52.

(2) نايف علي عبيد، المرجع السابق، ص28.

(3) أحمد سعيان، المرجع السابق، ص246.

بحيث تختفي في هذا النظام صفة سيادة الدولة، لذا يمكن وصف العولمة بأنها "التبعية العالمية"<sup>(1)</sup>، أو "الاستعمار الجديد"، أو "الهيمنة الغربية"، أو "الأمركة".

### الفرع الثاني: طبيعة العولمة

أما عن طبيعة العولمة من حيث كونها موجهة أم تلقائية، فرغم أن بعض منظري العولمة حاولوا الإيحاء بأن الأمر يتعلق بحدث شبيه بالأحداث الطبيعية التي لا قدرة لنا على ردّها أو الوقوف في وجهها، وأنها نتيجة حتمية للتطور التكنولوجي والاقتصادي وهو أمر لا نملك إلا الإذعان له<sup>(2)</sup>، إلا أن البعض الآخر رأى، على العكس من ذلك، بأن هذه العولمة قد أوجدتها سياسات معينة بوعي وإرادة الحكومات والبرلمانات التي وقّعت على القوانين التي طبقت السياسات الليبرالية الجديدة، وألغت الحدود والحواجز أمام حركات تنقل رؤوس الأموال، وسحبت المكاسب التي حققها العمال والطبقة الوسطى، وانتهاءً بالتوقيع على اتفاقية منظمة التجارة العالمية التي سنتولى توقيع العقوبات على من لا يذعن لسياسة حرية التجارة، ومن ثم فإن العولمة لم تكن حتمية لا يمكن تجنبها، بل تعبير عن إرادات سياسية واعية<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثالث: أسباب العولمة

من الصعب إرجاع العولمة إلى عامل واحد أو اثنين، فهناك أكثر من عامل له دور فيها، ليس ذلك فحسب بل إن الأسباب والنتائج تختلط، بمعنى أن النتيجة تصير سببا لمزيد من العولمة، والسبب يصير مظهرا آخر من مظاهرها، وخلاصة الأمر أن أسباب العولمة

(1) كمال الدين عبد الغني المرسي، الخروج من فخ العولمة، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2005، ص13.

(2) محمد الرميحي، "العولمة وفخاها: حتى لا تتحول الرأسمالية إلى حيوان شره"، مجلة العربي، ع484، مارس 1999، ص 22.

(3) هانس بيترمارتين وهارلد شومان، المرجع السابق، ص 10.

ليست عديدة فحسب بل متداخلة تُقوّي من أثر بعضها البعض، إلى درجة تجعل من الصعب تحديد الأهمية النسبية لكلٍ منها، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي: (1)

1. تحرير التجارة الخارجية بين الدول.
2. تزايد حركة التكامل الاقتصادي بين الدول.
3. تنامي وانتشار الشركات متعددة الجنسيات.
4. تحرير الاقتصاديات ورفع القيود عن النشاط الاقتصادي.
5. التطورات التقنية الهائلة في مجالات الصناعة والاتصال والإعلام.
6. تزايد حركة الخوصصة مقابل تقلص القطاع العام.
7. التحولات الأيديولوجية نحو الرأسمالية والديمقراطية الغربية.

#### الفرع الرابع: أبعاد العولمة

صنّف "جيمس روزنو" James Rosenau "أبعاد العولمة في خمسة أصناف: (2)

- البعد التكنولوجي: يتمثل في الثورة التقنية الهائلة في جميع وسائل الاتصال والإعلام.
- البعد السياسي: يشمل عولمة النزاعات، وهو ما يعكس تزايد وتيرتها خاصة في دول الجنوب.
- البعد الاقتصادي: يضم تدويل رأس المال والعمالة والهجرة، والشركات متعددة الجنسيات وإعادة هيكلة الاقتصاد العالمي، وسيطرة المؤسسات المالية الدولية على النشاط الاقتصادي.
- البعد التعاوني: يشمل دور المنظمات الدولية في الحد من النزاعات، ومحاولاتها إقامة تعاون يشمل ميادين عديدة بين الدول في مختلف القارات.

(1) أحمد عبد الرحمان أحمد، المرجع السابق، ص 60.

(2) محمد بوعشة، التكامل والتنازع في العلاقات الدولية الراهنة: دراسة في المفاهيم والنظريات، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص ص 38-39.

- البعد النفسي: رغم أنه لا يمكن إدراكه بسهولة إلا أنه يمثل أهم عامل في العولمة، لأنه يتوقف عليه فهم الظاهرة من خلال تأثير الأحداث والتغيرات في الرأي العام الداخلي والعالمي.

### الفرع الخامس: أهداف العولمة

إن الانطلاق من الطرح القائل بأن العولمة ليست قدراً حتمياً لا يمكن إيقافه، وإنما هي نتاج قرارات سياسية واقتصادية متخذة مسبقاً<sup>(1)</sup> من طرف القوى المهيمنة في الغرب، يؤدي إلى الحديث عن إمكانية وجود أهداف مرجوة من وراء العولمة، أهمها:<sup>(2)</sup>

- الهيمنة الغربية على العالم على جميع الأصعدة.  
- القضاء على الهوية الثقافية والقومية وإلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للدول المتخلفة.

- تسهيل الحصول على المعلومات من خلال نشر التقنية الحديثة والثورة المعلوماتية.

- زيادة حجم التجارة العالمية من خلال فتح أبواب التنافس الحر.

### الفرع السادس: تأثيرات العولمة

لقد أفرزت العولمة الكثير من الآثار، في مجالات الاقتصاد والعلوم والإعلام والثقافة والسياسة وحقوق الإنسان والسيادة الوطنية...، والتي مسّت جميع دول العالم شمالية وجنوبية، شرقية وغربية<sup>(3)</sup>، الأمر الذي يستدعي تصنيف هذه التأثيرات إلى إيجابية وأخرى سلبية:

أما التأثيرات الإيجابية فتتلخص في أن هناك مشاكل إنسانية مشتركة لا يمكن حلها من منظور السيادة الوطنية المطلقة للدولة، أهمها: ظاهرة الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار

(1) عبد الجليل كاظم الوالي، المرجع السابق، ص 165.

(2) أبو زعور محمد سعيد بن سهو، العولمة: ماهيتها، نشأتها، أهدافها، الخيار البديل، دار البيارق، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص 36.

(3) فضل الله محمد إسماعيل، العولمة السياسية: انعكاساتها وكيفية التعامل معها، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، د ط، 2008، ص ص 20 - 30.



الشامل والتهديدات النووية والبيئية وخطر الأوبئة والأمراض المعدية وانتشار الجريمة والمخدرات وغيرها..، حيث أن من شأن التداخل والتفاعل بين أطراف المجتمع الدولي في ظل العولمة إيجاد حلول مشتركة وأكثر نجاعةً لحل هذه المشكلات وغيرها.

أما التأثيرات السلبية فتتمثل في مضاعفة فرص القوى التي كانت تسيطر في الأصل على عناصر القوة الاقتصادية والعلمية والتقنية والثقافية وغيرها..، مما يؤدي إلى تعميق التناقض بين المجموعات البشرية، حيث تزداد الدول الغنية غنى في حين تزداد الدول الفقيرة فقراً<sup>(1)</sup>، ومما يعكس ازدياد تركيز الثروة واتساع الفروق بين الدول اتساعاً لا مثيل له أن 358 مليارديرا في العالم يملكون ثروة تضاهي ما يملكه 2.5 مليار من سكان العالم، وأن هناك 20% من دول العالم تستحوذ على 85% من الناتج العالمي الإجمالي وعلى 84% من التجارة العالمية، ويمتلك سكانها 85% من مجموع المدخرات العالمية<sup>(2)</sup>.

كذلك فإن بعض المصطلحات المهمة التي شغلت ساحات الفكر والعمل لزمّن طويل مثل "العالم الثالث" و"التحرر" و"حوار الشمال والجنوب" لم يبق لها في ظل العولمة أي معنى، خاصة وأن "العالم المتقدم" أصبح يتجاهل على نحو خطير مشاكل الدول النامية والمتخلفة<sup>(3)</sup>.

في هذا السياق قدّم الدكتور وليد عبد الحي تحليلاً كُلياً لتأثير النظام الدولي الجديد ومنه ظاهرة العولمة على سيادة الدول، حيث حدد ثلاثة قطاعات للتداخل والتدخل تعكس ثلاثة مستويات لدرجة اختراق ظاهرة العولمة للسيادة، وهي:<sup>(4)</sup>

(1) نايف علي عبيد، المرجع السابق، ص 31.

(2) محمد الرميجي، المرجع السابق، ص 22.

(3) هانس بيترمارتين وهارلد شومان، المرجع السابق، ص 12.

(4) وليد عبد الحي، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية، دار الشروق للنشر، الجزائر، ط1، 1994، ص 61.

1 - قطاعات تتضاءل فيها درجة تحكُّم الدولة، مثل: العلاقات الخارجية والسياسة المالية والتنظيم الجمركي ثم التنافس الإقتصادي.

2 - قطاعات لم يصل فيها تأثير البيئة الدولية إلى الحد الأقصى مما جعل تحكُّم الدولة فيها أكثر قوة، كما في الشؤون الثقافية والتعليم والبحث العلمي وسياسات موازين المدفوعات.

3 - قطاعات التأثير الضعيف، وهي قطاعات ما تزال درجة تحكُّم الدولة فيها أكبر من أي قطاع آخر مثل: العلاقات العسكرية مع الدول الأخرى، وحفظ النظام الداخلي، ونمط نظام الحكم، ثم سياسات الضمان الاجتماعي.

من هنا يتضح أن أخطر التأثيرات السلبية للعولمة هو الخشية من ذوبان الدولة القومية، حيث تفقد فيها سيادتها المطلقة وخصوصا الدول الضعيفة، وهو ما جعل البعض يعرف العولمة بأنها: "نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي، وأنها إرادة الهيمنة وطموح لسلب الآخر خصوصيته"<sup>(1)</sup>، ورغم أن العولمة قد أدت إلى اختراق سيادة الدولة بنسب متفاوتة وفي مجالات معينة، ستبقى الدولة لاعبا رئيسا بين لاعبين عديدين ولكن لن تكون ذات سيطرة مطلقة.

فيما قدّم بعض المفكرين صورة حول دور العولمة، أقل ما يقال عنها أنها متفائلة، مفادها أن العولمة تتضمن محاولات للتوفيق بين:<sup>(2)</sup>

- الفردية والجماعية على الصعيد الأيديولوجي والإقتصادي والسياسي.
- العلمانية والدين.
- القطاع العام والخاص.
- المصلحة القطرية والمصلحة الإقليمية.

(1) علي العطار، العولمة والنظام العالمي الجديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص17.

(2) السيد يسين، العولمة والطريق الثالث، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط2، 2001، ص 110.

- الأنا والآخر على المستوى الحضاري.

لعل هذا ما جعل محمد محاضير<sup>(\*)</sup> يرى أن العولمة لها حسناتها وسيئاتها وأنها ليست علاجاً لكل العلل الاقتصادية، فبينما يمكن أن تغني الفقراء فمن الممكن كذلك أن تفقر الأغنياء، بل وأن تدمر دولاً، ومن ثم اعتبر العولمة بأنها مفهوم لا يتصف بالكمال فقد تأتي بالخير الكثير، إلا أنه في الوقت نفسه يمكن أن يُساء استغلالها وبالتالي تؤدي إلى نتائج مأساوية<sup>(1)</sup>.

مما سبق يتضح أنه رغم صعوبة صياغة تعريف دقيق للعولمة، نظراً لتعدد تعريفاتها التي تتأثر بانحيازات الباحثين وفقاً لأيديولوجياتهم ومواقفهم تجاهها رفضاً أو قبولاً، إلا أنه يمكن التأكيد على أن العولمة باعتبارها جعل الشيء على مستوى عالمي تطرح ضمناً مستقبل الدولة القومية وحدود سيادتها ودورها سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي<sup>(2)</sup>، وبالتالي كلما اكتسبت العولمة نفوذاً أدى ذلك إلى تلاشي فكرة السيادة أكثر، وهو ما يُظهر العولمة من جهة والدول المتخلفة وبصورة أدق الدول الإسلامية من جهة أخرى على طرفي نقيض، مما يستدعي التطرق إلى موقف العالم الإسلامي من العولمة، إلا أن ذلك سيتم بالتفصيل في الفصل الثاني من البحث وذلك لمقتضيات الضرورة المنهجية.

### المطلب الثالث: الغرب كمحور للنظام الدولي الجديد

يمكن الإنطلاق من تعريف الدكتور محمد عمارة للنظام الدولي الجديد بأنه: "نظام غربي يمثل الطور المعاصر للنظام الاستعماري الحديث، ويمارس الهيمنة والاستغلال

(\*) رئيس وزراء ماليزيا الأسبق.

(1) أحمد يوسف القرعي، العولمة وصدام الحضارات.. قراءة في فكر محاضير محمد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص13.

(2) رشدي شحاتة أبو زيد، مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2011، ص90.

ضد أمم وحضارات الجنوب وفي مقدمتها الأمة الإسلامية<sup>(1)</sup>، للتأكيد على ضرورة تناول مفهوم الغرب كقطب فاعل ورئيس في النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة.

### الفرع الأول: تطور مفهوم الغرب

رغم أن لمصطلح "الغرب" مفهوم لغوي ذو بعد جغرافي بسيط هو مغرب الشمس وهو مقابل الشرق، ويعني أيضا أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية<sup>(2)</sup>، إلا أنه من الناحية الإصطلاحية والجيوسياسية لم يكن معروفاً بأي معنى قبل القرن الثاني عشر الميلادي، فقد بدأت الكلمة تعني الجزء الغربي من الأرض، وفي العصور الوسطى كان اسم الغرب يطلق على الإمبراطورية الرومانية القديمة التي عاصمتها روما في مقابل الإمبراطورية الرومانية الشرقية التي عاصمتها القسطنطينية، ثم أصبح يعني الغرب الكاثوليكي في مقابل الشرق الأورثوذكسي<sup>(3)</sup>، إلا أن هناك من يعتبر أن ميلاد البعد الجيوستراتيجي للغرب كان سنة 1492، وهي سنة إكتشاف القارة الأمريكية<sup>(4)</sup>، مما أدى إلى التوسع في العالم ونزوح الملايين من الأوروبيين إلى أميركا وما نتج عنه من فقدان أوروبا لمركزيتها لصالح مفهوم الغرب الذي أخذ مع بداية القرن العشرين بعداً جيوسياسياً<sup>(5)</sup>.

كما تحول مفهوم الغرب إلى كتلة استراتيجية حاملة لمشروع سياسي واقتصادي وعسكري، وذلك بعد الإعلان عن قيام حلف شمال الأطلسي عام 1949 في وجه الشرق المتمثل في الكتلة الشيوعية<sup>(6)</sup>.

(1) محمد عمارة، "النظام الدولي الجديد... رؤية إسلامية"، مجلة العربي، ع443، أكتوبر 1995، ص 35 .

(2) *Dictionnaire Hachette*, Hachette livre, Paris, France, édition 2011, p1169

(3) قيس جواد العزاوي، العرب والغرب على مشارف القرن الحادي العشرين: مؤشرات إستراتيجية، مركز الدراسات العربي الأوربي، باريس، فرنسا، ط1، 1997، ص25.

(4) صوفي ببيسيس، الغرب والآخرون قصة هيمنة، ترجمة: نبيل سعد، دار العالم الثالث، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص15.

(5) معتز الخطيب، "الغرب.. ميلاد المفهوم ونهايته"، تاريخ التصفح: يوم 2015/03/28، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CE531F2D-79E1-4EDE-BC01-185899EAC100.htm>

(6) قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص25.

أما بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي وانهيار حلف وارسو وتوحد الألمانيتين الشرقية والغربية، عاد مفهوم الغرب ليشمل كل أوروبا وأمريكا، حيث أصبح يعني مجموعة متنوعة من الدول الأوروبية الحرة والمستقلة، التي رغم كونها مازالت تحتفظ ببرلماناتها الخاصة وهوياتها القومية إلا أنها موحدة من الناحية الاقتصادية، وفي طريقها للوحدة السياسية، وهي في سلام مع بعضها البعض وفي تحالف واسع مع الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(1)</sup>.

إلا أنه على الصعيد الاقتصادي فقد أخذ مفهوم "الغرب" صفة إرادة الهيمنة بتشكيل مجموعة السبعة الكبار الذين يتحكمون في اقتصاد العالم ومصيره: الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا وكندا واليابان، رغم أن هذه الأخيرة تقع في أقصى الشرق، ما يعني أن البعد الجغرافي هنا قد تلاشى وفقد دوره الجيوسياسي مع استخدام الاقتصاديين والمختصين في التنمية لمصطلح "الشمال" بدل "الغرب" لولوج اليابان عالم التكنولوجيا المتقدمة، وأصبحت المعادلة الجديدة حسبهم تدور حول محور "شمال-جنوب" الاقتصادي بدل "شرق-غرب" الجيوسياسي والأيديولوجي. ومن هنا أدى العامل الاقتصادي حسب بعض المحللين إلى تغيير مفهومي، بحيث شكّل الثراء ومستوى التقدم الصناعي والتقني المعيار الأساس في المفهوم، ما ساهم في تغييب مفهوم "الغرب" لصالح مفهوم الشمال متعدد الثقافات بعيداً عن المركزية الغربية واعتقادها بالتفوق الطبيعي للغرب<sup>(2)</sup>.

أما بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001 فقد أصبح مفهوم الغرب يثير إلتباسات أكثر حين تثار ثنائية الغرب والشرق، والمسيحية والإسلام، لتحل المسيحية كمرادف

(1) ريتشارد كوك وكريس سميث، انتحار الغرب، ترجمة: محمد محمود التوبة، العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009، ص 44.

(2) معتز الخطيب، المرجع السابق.

للغرب في السجلات الجارية خاصة حين يصبح النقاش دينياً، وكأن الشرق لا توجد فيه مسيحية، أو أن هناك مشكلة مفترضة مع المسيحية "الغربية" فقط<sup>(1)</sup>.

لقد أصبح مفهوم الغرب يجسّد القوة المنقطعة النظير من خلال مرادفته لمفاهيم إيجابية عديدة، أهمها: الحضارة والتقدم والعلم والعقلانية والحداثة والفرسانية والديمقراطية ودولة القانون وحقوق الإنسان والكونية وغزو الفضاء وتحرير المرأة وحقوق الطفل والحرية والإزدهار والمساواة في الفرص...، وما من لفظ أمكن له إكتساب هذا الكم من الدلالات الرمزية والإنفعالية مثلما للغرب، وهذا بوحى من التضاد والتناقض مع المدلولات الشرقية، فلكي يقوى الغرب لا بد له من عدوٍ لدود، سواء كان واقعي أو وهمي يختلقه ليحافظ على موقعه الريادي<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: الغرب ليس واحداً

إن الغرب لا يمثل قطبا واحداً لا من زاوية المفاهيم السياسية ولا من زاوية العلاقات الدولية<sup>(3)</sup>، حيث أن المتأمل لعالم ما بعد الحرب الباردة يجد أن الغرب يتكون من ثلاثة أقطاب جاذبة، يعمل كل منها كقطب جاذب في نطاقه الإقليمي، فالولايات المتحدة كقطب جاذب لأمريكا اللاتينية والكاريبية، وأوروبا الغربية قطب جاذب لأوروبا الوسطى والشرقية وشمال أفريقيا، واليابان كقطب جاذب بالنسبة لآسيا، ومن ثم فالتفاعلات المحتملة بين هذه الأقطاب الجاذبة من شأنها أن تطرح التساؤل حول إمكانية استمرار الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في العالم<sup>(4)</sup>.

(1) نفس المرجع.

(2) جورج قرم، تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب، ترجمة: رلى نبيان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص ص 54-55.

(3) السيد يسين، الحرب الكونية الثالثة: عاصفة سبتمبر والسلام العالمي، هيئة الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 167.

(4) محمد سعد أبو عامود، "النظام العالمي الجديد بين الفكر الغربي والفكر السياسي العربي"، مجلة منبر الحوار، دار الكوثر، بيروت، السنة التاسعة، ع31، شتاء 1994، ص 24.

مع كل ما ذُكر حول تعدّده، يصبح "الغرب" فكرةً ذات معنى فقط إذا كانت هناك مواقف ومعتقدات مهمة يتم التمسك بها تمسكا عميقا لدرجة يتميز فيها "الغرب" عن "البقية"، وكانت تلك المواقف والمعتقدات مشتركة على نحو واسع ضمن الأجزاء المكونة للغرب. فالغربيون سواء كانوا أمريكيين أو فرنسيين أو بريطانيين أو من أي بلد غربي آخر يفكرون ويتصرفون بطرق متشابهة تشابها واسعا، وهي تختلف عن الطرق التي يفكر بها ويتصرف بها الصينيون أو الأفارقة أو المسلمون أو الهنود<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: المركزية الحضارية الغربية

شكّلت مقولة المركزية الحضارية الغربية مفارقةً في تاريخ العلاقات بين الشعوب والأمم والحضارات، ذلك أنه ولأول مرة في التاريخ البشري يتوصل جزء من العالم إلى فرض ذاته على جميع الأجزاء الأخرى، قارات وحضارات وجماعات بشرية، بوصفه "المركز" الذي تدور في فلكه جميع الأطراف. فإذا كان صحيحا أن كل جماعة بشرية عرفت نوعا من الأزدهار الحضاري والقوة السياسية قد اعتبرت نفسها المركز الوحيد للحضارة والقوة، فإن ما هو صحيح أكثر هو واقع الإستحالة الذي يؤكد التاريخ أكثر من مرة في أن تكون جماعة ما مركزا للعالم كله، أو أنها استطاعت أن تفرض هيمنتها على الكرة الأرضية كلها.

لقد قدّم التاريخ البشري أمثلة متعددة حول مركزيات حضارية جزئية، حيث عرف إمبراطوريات وحضارات وأشكالا مختلفة من الهيمنة، غير أنه ما من واحدة منها تمكنت من فرض مركزيتها على أكثر من قارة أو قارتين أو حتى ثلاث قارات، وكل واحدة منها كانت ترى العالم بوصفه المجال الجيوسياسي لسيطرتها هي، أكثر مما هو العالم في حقيقته وشموليته. كما كانت كل مركزية تعبر عن رغبة جماعة ما في الهيمنة، أو رغبة إمبراطورية ما في أن تكون مترامية الأطراف. لكن هذه الرغبة وإن تحققت جزئيا لم تصبح عالمية، إما لأن أصحابها لم يكتشفوا العالم كله، وإما لأنهم لم يتوصلوا إلى امتلاك

(1) ريتشارد كوك و كريس سميث، المرجع السابق، ص 45.

الوسائل التي تمكنهم من فرض مركزيتهم على العالم كله. وقد سدَّ الغرب هذا النقص باكتشافاته الكبرى وبامتلاكه لوسائل السيطرة (1).

إذا كانت كل مركزية تحمل في ذاتها نزعة هيمنة ثقافية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية تسعى لتحقيق ذلك بشتى الوسائل المتاحة، وتختصر في تجربتها أشكالاً من الصراعات والعلاقات بين الجماعات البشرية بمختلف عقائدها وحضاراتها وأجناسها وأممها ومصالحها، إلا أنها كانت تصل دائماً إلى حدود جغرافية لم تستطع تجاوزها، وتجد هذه المركزيات الجزئية مصداقيتها في تجارب أمم وحضارات الشرق الأدنى، وفي تاريخ إمبراطوريات مصر الفرعونية، وفارس في عهد كسرى، وروما قبل المسيحية وبعدها، وكذلك الأمر فيما يتعلق باليابان والهند وصين الأباطرة التي عزلت نفسها باستمرار عن بقية العالم، وعبر المحيط الأطلسي في تجربة "المايا" في أمريكا الوسطى والجنوبية، و"الآزتيك" في المكسيك وأمريكا الوسطى، و"الإنكا" في أمريكا الجنوبية، كما تجد هذه المركزية دلالتها المميزة في التجربة الإسلامية وامتداداتها في آسيا وأفريقيا وجنوب غرب أوروبا، حيث كانت مركزية الدولة محصورة في مجالها الجيوسياسي، بينما ظلت الحضارة مفتوحة الآفاق، حيث يبقى الإسلام كديانة توحيدية ودعوة عالمية غير خاضعة لتحديدات الزمان والمكان، وبالمقابل تظهر مركزية الغرب في سياق تصور خاص، ذلك أن عالمية روما النسبية وكذا عالمية المسيحية كعقيدة لا تشكلان أكثر من دعامة تاريخية وسند أيديولوجي، بينما تأصيل فكرة أن الغرب هو مركز العالم يعود إلى جملة المصالح التي بدأت بالتراكم منذ النهضة الأوروبية وإعادة تشكيل العالم منذ الإكتشافات الجغرافية الكبرى (2).

(1) علي الشامي، الحضارة والنظام العالمي: أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، دار الإنسانية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص322.

(2) نفس المرجع، ص 323.



ساهم التقدم العلمي والثورة الصناعية والتكنولوجية في بلورة التفوق الحضاري للغرب الحديث، كما ساهمت الاكتشافات الكبرى في تأمين الثروات الضرورية لنمو وازدهار وتكريس هذا التفوق الحضاري. غير أن فكرة المركزية لم تكن مجرد نتيجة منطقية لهذه المساهمات وهذا التفوق، بقدر ما كانت تتويجا لأيديولوجيا ترى في العلم والثروة مبررات للغلبة والسيطرة، وهكذا تعود قدرة الغرب على فرض مركزيته الحضارية إلى عوامل مادية وفكرية قبل أن تكون عائدة إلى خصائص الغرب الجغرافية أو العرقية، وهذه العوامل وحدها وطرق توظيفها هي التي سمحت للغرب أن يفرض أنموذجه الحضاري وهيمنته على العالم، بينما لم تشكل الخصائص المذكورة سوى جانب من منظومة أيديولوجية كانت ولا تزال تبرر توظيف الغرب للتقدم العلمي والتكنولوجي في سياق هيمنة شاملة لم يكن مقدراً لها النجاح بمعزل عن العنف والنهب، وبالتالي تظهر الغلبة كواقع يشكل أساس هذه المركزية، أما المركزية الحضارية أو بالأحرى النموذج الثقافي الذي يمثل الغرب مركزه فهي دعامة أيديولوجية للمركزية الحقيقية المتمثلة في مركزية القرار السياسي والاقتصادي. وبالتالي فإن تحليل المنطق الداخلي للمركزية الحضارية يطال مباشرة أيديولوجية السيطرة أكثر مما يطال الحضارة الغربية نفسها، كحضارة تحمل في ذاتها القدرة على التأثير والانتشار وتعميم نتائج الإزدهار المادي والتقدم العلمي<sup>(1)</sup>.

لقد شهدت المركزية الغربية تحولا في مركزها، فبعد أن كانت أوروبا الغربية تمثل المركز الأصلي للحضارة الغربية الحديثة لقرون، حيث شهد القرن التاسع عشر أوج ازدهار لهذا المركز، بدأ دور أوروبا المركزي يتحول من أوروبا نحو الولايات المتحدة الأمريكية نهاية القرن التاسع عشر، وقد تصاعدت عملية التحول هذه بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى<sup>(2)</sup>، وبلغت أوجها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

(1) نفس المرجع، ص 324.

(2) أحمد داود أوغلو، المرجع السابق، ص 73.

الواقع أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت تسود العالم سيادةً لم تبلغها أية إمبراطورية في التاريخ، حيث أنها تمارس تفوقاً ساحقاً في الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية والتقنية والثقافية، وهو ما جعل أحد المحللين السياسيين الأمريكيين يعلّق على الوضع قائلاً "إن الولايات المتحدة هي الدولة العالمية الأولى على الإطلاق، ذلك أن لها القدرة على الإمساك بزمام الصيغة العصرية للإمبراطورية الكونية، حيث يخضع أعضاؤها لسلطانها خضوعاً إرادياً"<sup>(1)</sup>. وهذا ما تؤكده الملاحظة العامة للوضع الدولي لما بعد الحرب الباردة، حيث يبدو أن مفهوم العولمة قد مال باتجاه "الأمركة" Americanization أي أمركة العالم، وذلك لعدة مبررات منها:

- قوة الاقتصاد الأمريكي وحجمه.
- ضعف الوزن النسبي للأطراف الأخرى.
- هزيمة الأسس الفلسفية والسياسية والاجتماعية التي قامت عليها النماذج الأخرى.
- نجاح الولايات المتحدة الأمريكية في إقامة نظم ومؤسسات دولية تكفل لها الهيمنة وتجعل لها الكلمة العليا.
- حلول مصطلح الدولة- القارة الذي يرى القائلين به أنه ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية، ويمثل مرحلة متقدمة على مرحلة الدولة القومية<sup>(2)</sup>.

من خلال ما سبق يُلاحظ أن الأحادية القطبية قد نحت إلى حد كبير باتجاه "أمركة" الغرب، عن طريق ما يسمى بـ "المنوال الأمريكي في الحياة" American style of life، مما جعل أمريكا تعتبر نفسها مُحوّلة باسم القوى الكبرى مرة، وباسم الغرب مرة أخرى، وباسم دول الشمال كلها مرة ثالثة، لتحديد الآليات الاقتصادية والسياسية للعالم كله، ووضع معايير لا تقبل النقد لقضايا مثل: الأمن الدولي والإقليمي وأسس النظام الاقتصادي

(1) إنياسيو رامونيه، حروب القرن الواحد والعشرين: مخاوف ومخاطر جديدة، ترجمة: أنطوان أبو زيد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 2007، ص 9.

(2) إبراهيم نافع، انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 90.

ومعنى الحريات الفردية والاجتماعية والثقافية وحقوق الإنسان، بطريقة تتنافى تماما وحقوق شعوب الدول المتخلفة ومنها شعوب العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>، وهو ما يبرر التركيز على الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحديث عن الغرب في بقية فصول هذا البحث.

### خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق وبعد استعراض أهم المفاهيم المحورية التي يدور حولها موضوع البحث، يمكن قول ما يلي:

- إن العالم الإسلامي كمفهوم وكواقع موضوعي تتجاذبه عوامل قوة وعوامل ضعف، فهو من جهة يتمتع بموقع جغرافي إستراتيجي وبعيد حضاري، وتتشرك شعوبه في عوامل موحدة، كما يزخر بثروات طبيعية ومعدنية وطاقوية معتبرة، وهو ما جعل منه محل أطماع الغرب على مر التاريخ. إلا أنه في مقابل ذلك، ونظراً لتراكم مجموعة عوامل ثقافية واقتصادية وسياسية وأمنية ذات أبعاد نفسية وتاريخية وداخلية وخارجية، أصبح وضع العالم الإسلامي متردباً على جميع الأصعدة، وهو ما يمثل مفارقةً بالمقارنة بما يُفترض أن يكون عليه حاله.

- إن الغرب كمفهوم جيواستراتيجي كان نتاج تطور عبر عدة مراحل، وكان في كل مرحلة يأخذ شكلاً مختلفاً من حيث القوة والطابع والأطراف والموقع، وذلك بحسب التغيرات الإستراتيجية الطارئة على كل مرحلة، إلى أن بلغ وضعه السائد منذ نهاية الحرب الباردة، حيث جمع من عوامل القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية في ظل النظام الدولي الجديد ما أهله لسيادة العالم من خلال مركزية حضارية غربية عالمية النطاق هي الأولى من نوعها في التاريخ البشري.

(1) محمد العربي ولد خليفة، "النظام العالمي الجديد من النظرية إلى آليات التطبيق"، جريدة العالم السياسي، ع678، 26 أكتوبر 1998، ص 8.

# الفصل الثاني:

العالم الإسلامي والغرب.. موقف الأنا من الآخر

المبحث الأول: موقف العالم الإسلامي من الغرب

المبحث الثاني: موقف الغرب من العالم الإسلامي

## الفصل الثاني: العالم الإسلامي والغرب.. موقف الأنا من الآخر

إن الحديث عن موقف الأنا من الآخر هو بمثابة حلقة وصل بين الحديث عن مفهومي العالم الإسلامي والغرب في الفصل الأول، واستعراض أنماط العلاقة المستقبلية المحتملة بينهما في الفصل الثالث، ذلك أن معرفة مضمون الصورة النمطية المتبادلة بين الأنا الحضارية المتمثلة في المسلمين والآخر الحضاري المتمثل في الغرب تعتبر كمدخل لفهم وتحديد موقف كل طرف من الآخر، ومنه لمعرفة أهم السيناريوهات أو الاحتمالات المستقبلية التي يمكن أن تكون عليها العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب. ومن ثم لا بد من التطرق أولاً إلى موقف العالم الإسلامي من الغرب، ثم إلى موقف الغرب من العالم الإسلامي وإستراتيجيته في التعامل معه.

### المبحث الأول: موقف العالم الإسلامي من الغرب

يعتبر تحليل موقف العالم الإسلامي من الغرب الشطر الأول من دراسة العلاقة الجدلية القائمة بين الأنا الحضارية والآخر الحضاري، وحتى تكون الدراسة أشمل وأدق لهذا الموقف لا بد من تناول تصورات العالم الإسلامي التاريخية للغرب، ثم الاتجاهات العامة لموقف المسلمين من الغرب، وأخيراً موقف الحركات الإسلامية من هذا الأخير.

### المطلب الأول: تصورات العالم الإسلامي التاريخية للغرب

تتكون الانطباعات النفسية عن الآخر من خلال تراكم التجارب المباشرة وغير المباشرة، كما ترتبط بعواطف الأفراد واتجاهاتهم بغض النظر عن صحة المعلومة التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب، لتتحول هذه الانطباعات إلى صور ذهنية تحت تأثير وسائل الإعلام وغيرها، ثم تصبح في النهاية على شكل صور نمطية عندما تتكرر على نحو ثابت وجامد، وهي تتسم بالتبسيط المفرط والحكم التعميمي العاطفي<sup>(1)</sup>.

(1) يامين بودهان، "تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي"، مجلة الوسيط للدراسات الإعلامية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ع 12، 2006، ص4.

كما تكتسب الصور الذهنية النمطية أهمية بالغة في مجال العلاقات بين الأمم والشعوب، إذ أن هذه الصور التي تتكون لدى الشعوب عن بعضها البعض، والتي تنطبع في عقول صانعي القرارات، تقوم بدور هام في التأثير على طبيعة واتجاه تلك العلاقات<sup>(1)</sup>.

ثمة قضيتان أساسيتان شديدتا التمايز تحددان خصائص تصور المسلم لعلاقته بالغرب هما: فقدان التفوق طويل المدى للحضارة الإسلامية، وغلبة شعور واسع النطاق بين المسلمين بأنهم تحت الحصار المفروض من الغرب وأنهم يعملون من موقع الضعف، هذان المفهومان ربما يثيران دهشة كثيرين في الغرب ممن يرون الإسلام واثقا بنفسه على نحو متشدد ويتخذ موقفا هجوميا، ولكن عدم إدراك هذه الحالة النفسية السائدة في العالم الإسلامي يعني إغفال عامل حاسم له أثره بين المنطقتين.

من هنا فإن من أهم التصورات التاريخية المرتبطة بصورة الغرب في ذهنية ونفسية المسلم، والتي كان لها أثر كبير في تشكيل موقفه من الغرب، ما يلي:

### الفرع الأول: الحروب الصليبية

ظل الشرق والغرب قرونا طويلة لا يعرف أحدهما الآخر إلا معرفة ضئيلة وسطحية، تعتمد على مواضع الضعف والنقص، أكثر مما تعتمد على مواضع القوة والجمال، ويعامل كل واحد منهما الآخر بشك وحذر، وباحتقار وكرهية، وأول تعارف بين الشرق والغرب عن قرب كان في الحروب الصليبية<sup>(2)</sup>، هذه الأخيرة التي اشتق اسمها من "الصليب" كانت عبارة عن ثماني حملات عسكرية أوروبية امتدت من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر ميلادي<sup>(3)</sup>.

(1) عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1993، ص19.

(2) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، حديث مع الغرب، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ط1، 1967، ص ص 15-16.

(3) هشام العوضي، موقف الغرب من الإسلاميين، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 14.

لقد أكد أستاذ الدراسات الإسلامية "برنارد لويس" Bernard Lewis أن الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية قد استمر لمدة أربعة عشر قرناً، حيث بدأ مع الأيام الأولى للإسلام في القرن السابع ولا يزال مستمراً، وقد اشتمل على سلسلة طويلة من الهجمات والهجمات المضادة، أعمال الجهاد والحملات الصليبية، وطوال السنين الألف الأولى كان الإسلام متقدماً وكانت النصرانية في حالة تراجع مما عرضها للخطر، وانتزع الدين الجديد أراضي المسيحية في الشرق وشمال إفريقيا واجتاح أوروبا حاكماً لفترات في صقلية وإسبانيا والبرتغال وحتى أجزاء من فرنسا ووصلوا شرقاً إلى فيينا (1).

اختلف الباحثون حول دوافع الحروب الصليبية، وهل كانت بواعثها اقتصادية وسياسية اختفت وراء الدين لكسب الرأي العام الأوروبي آنذاك أم هي في جوهرها حرباً دينية خالصة. ويرجح فريق من الباحثين الرأي الثاني بحجة أنه لولا معرفة قادة الغرب بمكانة الدين في نفوس الأوروبيين ما أعلنوها حرباً مقدسة، فالحروب الصليبية كما يؤكد المدافعون عنها هي حروب مقدسة موجهة من الله لحماية الدين المسيحي ودرء خطر الزحف الإسلامي عنه، حيث وصل التوسع الإسلامي إلى جنوب فرنسا وحوصرت الدول الأوروبية المسيحية وأصبح البحر المتوسط بحيرة إسلامية، لقد استمرت الحروب الصليبية، بعد انقطاعها عسكرياً، في أشكال جديدة يختلط فيها الغزو الفكري والنفسي والـخُقي، وتتجمع في إطار التبشير والاستشراق (2).

أما البروفيسور الأمريكي "جون أسبوزيتو" John Aspozitto فقد قدّم رؤية أخرى للأسباب التي أدت إلى الحروب الصليبية، وهي رؤية مغايرة تماماً للرؤية الغربية الشائعة، حيث يعتقد أن الصليبيين كانوا مدفوعين بالدرجة الأولى لتحقيق مكاسب عسكرية واقتصادية عن طريق تأسيس إمبراطورية لاتينية في قلب العالم الإسلامي، ولأنها كانت

(1) محمد إبراهيم مبروك، الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار: نظرية في دوافع الصدام واحتمالات المستقبل، مركز الحضارة العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 14.

(2) مصطفى حلمي، حضارة العصر.. الوجه الآخر، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2001، ص 64.

خارجة لتوها من حقبة القرون الوسطى المظلمة، كانت أوروبا بحاجة إلى مصدر من الثروات لإنعاش مدنها وأسواقها، ولم يكن لهذا الطموح أن يتحقق إلا من خلال استعمار الأراضي الإسلامية المزدهرة اقتصادياً آنذاك مهما كانت المبررات<sup>(1)</sup>.

في ذات السياق ذهب فريق آخر إلى اعتبار الحروب الصليبية كنتيجة لمجموعة عوامل أهمها:<sup>(2)</sup>

- الشعور والوعي في الغرب بالخطر الإسلامي وتهديده، وهي النفسية التي أوجدتها الكنيسة الأوروبية وسخرت لها جميع وسائل الإعلام والتعليم.
- التقدم العلمي الصناعي لأوروبا.
- أطماع الاستعمار الاقتصادية.
- الشعور بتفوق الجنس الأبيض، وهي العقلية التي ورثتها أوروبا من التاريخ اليوناني.
- استغلال العلم للأغراض السياسية، حيث ساهم الاستشراق فيه كوكالة للكنيسة والاستعمار الأوروبي، وقام بنشر فلسفة تفوق الغرب وبث روح الانهزامية في مختلف المستعمرات، ومنها الأقطار الإسلامية.

لم يختلف اثنان من مؤرخي الغرب حول آثار الحروب الصليبية على ما يسمى بالنهضة الأوروبية، وبالرغم من اختلافهم في شدة هذا الأثر أو ذلك، وفي الدوافع التي دفعت أوروبا لشن هذه الحروب وفي الأهداف التي حققتها، فإنهم لا يختلفون في تأثير احتكاك الصليبيين بالإسلام وجها لوجه على التيارات الفكرية التي بدأت تظهر في أوروبا حين عاد الصليبيون تباعاً إلى بلدانهم، سواء كانت هذه التيارات الفكرية عداءً جارفاً للإسلام أو إعجاباً خافتاً بالمناخ الفكري السائد لدى المسلمين آنذاك<sup>(3)</sup>.

(1) هشام العوضي، المرجع السابق، ص 14 - 15.

(2) أبو الحسن علي الحسن الندي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1987، ص 5 - 6.

(3) قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض السعودية، ط1، 1983، ص 30.



ومن ثم فقد كانت الحروب الصليبية تشكل الذروة في مسعى الغرب للحد من عالمية الإسلام وانتشاره، ومثلت تجربة تاريخية مريرة صاغت معها العلاقة بين الغرب والإسلام صياغة سلبية، كما أن الضمير الجمعي لدى المسلمين يربط بين صورة الغرب والحروب الصليبية، التي وإن لم تعيشها الأجيال المعاصرة إلا أنها ربطتها بمختلف أشكال التدخل والحروب التي خاضها الغرب ضد أجزاء من العالم الإسلامي.

### الفرع الثاني: إعادة فتح إسبانيا

إن الفتح المسيحي لإسبانيا على مدى عملية امتدت قرونا، من القرن الحادي عشر ميلادي إلى القرن الرابع عشر ميلادي، إنما يبرز في عقول المسلمين شاهداً على أكثر الخسائر إثارة وإيلاما للنفس، إذ لا تزال كلمة "الأندلس" تستثير في عقول المسلمين عظمة وأمجاد الماضي، وكان حكم المسلمين لإسبانيا على مدى ثمانية قرون واحداً من أعظم مراحل الحضارة إشراقاً في كل أنحاء أوروبا، حيث كان البحر الأبيض المتوسط آنذاك بحراً إسلامياً دون منازع إلى حد كبير<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: تفكيك الإمبراطورية العثمانية

إن الإمبراطورية العثمانية، التي يعتبرها البعض خلافة إسلامية، امتد عمرها من القرن الثاني عشر إلى مطلع القرن العشرين، وتوسعت عملياً على عدة مراحل متباينة من جبل طارق إلى بلاد البلقان، حيث وصلت شمالاً حتى أبواب فيينا وجنوباً إلى اليمن، ووصلت كذلك إلى الساحل الشمالي لأفريقيا علاوة على بعض أجزاء من الخليج العربي، وكونت بذلك آخر وأعظم الإمبراطوريات الإسلامية<sup>(2)</sup>، ويكفي الإشادة بإحدى مآثر الخلافة العثمانية - كما يصفها البعض - أو أكبرها إذا ما قارناها بوضع العالم الإسلامي بعد زوالها، فقد ثبت تاريخياً أن المسلمين قد استفادوا من انضوائهم تحت لواء العثمانيين،

(1) جراهام أي فولر، وإيان أو ليسر، الغرب والإسلام: بين التعامل والمواجهة، ترجمة: شوقي جلال، مؤسسة الأهرام، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص43.

(2) نفس المرجع، ص 46

حيث حالت قوة العثمانيين وسيطرتهم على ممرات الشرق الأوسط والشمال الإفريقي دون وصول الإمبراطوريات الغربية الاستعمارية إلى هذه المناطق في وقت مبكر كما حدث في جنوب شرق آسيا<sup>(1)</sup>. إلا أن هذه الإمبراطورية أصابها الوهن تدريجياً وأخذت في الانحسار، وجاء هذا في غالب الأحيان على أيدي الدول الأوروبية، وحصلت بلدان البلقان على استقلالها من اسطنبول الواحدة بعد الأخرى، وجميعها أصبحت بلدان مسيحية ماعداً ألبانيا وبعض أجزاء من البوسنة وجيوب إسلامية متناثرة<sup>(2)</sup>، ومن ثمة فمن الطبيعي ألا يكون سهلاً على المسلمين، وهم أبناء أعظم حضارة في التاريخ، أن يقبلوا ببساطة زوال مجدهم وهيبته بل وتقليص حدودهم<sup>(3)</sup>.

لقد تكالبت دول الغرب مجتمعةً على الإمبراطورية العثمانية، ليسهل اقتسام الدول الإسلامية ورفع رايات العصبية القومية والوطنية وغرس مذاهب فلسفية وسياسية، فانقسمت الأمة الإسلامية إلى دول ودويلات وإمارات، كما غرست إسرائيل في قلب المنطقة<sup>(4)</sup>.

فإذا كانت الخطوة الأولى لتفكيك الإمبراطورية العثمانية عزل كل من تركيا وإيران وأفغانستان كلا على حدة، وكذلك تكريس فصل الأجزاء الإسلامية في مناطق أوزباكستان وطاجاكستان وأذربيجان وتركمنستان وكازاخستان وغيرها، فإن النصيب الأوفر من التجزئة كان من حصة البلاد العربية حيث بُعِثَت إلى عشرات الأجزاء، وقد يتصور البعض أن ذلك حدث بسبب الصراع بين فرنسا وبريطانيا حول اقتسام تركية الدولة العثمانية، ولكن لو كان الأمر كذلك لُقِّسِمَت الأخيرة إلى قسمين أو ثلاثة، بينما الذي حدث أن المناطق التي وقعت تحت الاستعمار الواحد قد قُسِمَت إلى أجزاء عديدة، فلبنان فُصِّل عن سوريا وكلاهما تحت الانتداب الفرنسي، والأردن فُصِّل عن فلسطين، وفُصِّل العراق

(1) مصطفى حلمي، المرجع السابق، ص 27.

(2) جراهام أي فولر، وإيان أو ليسر، المرجع السابق، ص 46.

(3) محمد إبراهيم مبروك، المرجع السابق، ص 17.

(4) مصطفى حلمي، المرجع السابق، ص 23.

على حدة، وكذلك دول الخليج ومصر والسودان وكلها تحت نفوذ الاستعمار البريطاني، والأمر نفسه بالنسبة لأقاليم المغرب العربي الكبير الذي تم تقسيمه وأغلبه تحت السيطرة الفرنسية<sup>(1)</sup>.

الغريب في الأمر أن بريطانيا عملت في الهند على توحيدها وقد دخلتها مُجزّأة، أما في البلاد العربية فالقرار كان تمزيقها وقد دخلتها موحّدة، ومن ثم فإن تفسير ذلك هو السمة الإسلامية التي قرر الغرب أن يقضي عليها بكل الوسائل، وعلى رأسها تجزئة وتقسيم الأمة الإسلامية إلى العشرات من الأجزاء المتباعدة والمتناحرة<sup>(2)</sup>، وما نتج عنها من مشاكل حدودية بين الدول الإسلامية لا يزال الكثير منها قائماً<sup>(\*)</sup>.

### الفرع الرابع: الحركة الاستعمارية

لقد جاءت طليعة جيوش الغرب إلى العالم الإسلامي كبعثة ثقافية، ثم نزلوا تجارا ومبشرين، ثم استخدموا السلاح أخيراً، فاستطاعوا أن يشدّوا البلاد الإسلامية بوثقاق الاستعمار<sup>(3)</sup>. فمع بداية المد الاستعماري الغربي بدأت الدول الإسلامية تقع تدريجياً تحت الهيمنة الإمبريالية لأوروبا أي المقلوب النهائي لمعادلة سلطة العصور الوسطى، حيث بدأ الاستعمار الغربي - الأوروبي - للعالم الإسلامي في القرن السادس عشر حينما احتلت هولندا الجزر الإندونيسية في سنة 1552<sup>(4)</sup>، ثم مع مرور الزمن تحوّل كل جزء تقريباً

(1) منير شفيق، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص ص 76-77.

(2) نفس المرجع، ص77.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر "النزاعات البينية في العالم الإسلامي" في الفرع الرابع من المطلب الثالث من المبحث الأول في الفصل الأول.

(3) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، وخورشيد أحمد وآخرون، المسلمون ودورهم، مكتبة الأمل، السالمية، الكويت، ط، دت، ص21.

(4) عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي والغرب: التحديات والمستقبل، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ط1، 2007، ص12.

من العالم الإسلامي إلى ملكية استعمارية لإحدى القوى الأوروبية المتمثلة آنذاك في إنجلترا وفرنسا وهولندا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا وروسيا (1).

انطلق الغرب في حركته الاستعمارية بناءً على مجموعة مسوغات أو مبررات أهمها:

1 - العنصرية: حيث انتشر الاعتقاد السائد بأن الجنس الأبيض جنس متفوق على باقي الأجناس، وأنه من حقه بل ومن واجبه أن يحكم تلك الشعوب ويقودها إلى طريق الحضارة.

2 - التبشير: حيث يعتقد المستعمرون أن المسيحية أفضل ديانة، وأن الأديان الأخرى باطلة تعود لشعوب متخلفة، ومن ثم لا بد من نشر المسيحية في مستعمراتها (2).

3 - التنافس بين القوى الاستعمارية: وذلك للحصول على أكبر غنيمة، وهو ما جرى عندما تقاسمت الدول الاستعمارية الأقاليم العربية والإسلامية التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية.

4 - الأطماع المادية: وهو السبب الرئيس للاستعمار، حيث أن الثورة الصناعية أدت إلى سرعة وزيادة في الإنتاج، وهو ما أدى إلى ضرورة البحث عن مواد أولية لمصانعها، وأسواق خارجية لمنتجاتها (3).

اتبعت الدول الاستعمارية إستراتيجية ضرب الأسس الثقافية والدينية للعالم الإسلامي، وإحاقه بعد ذلك سياسياً واقتصادياً بالدول المستعمرة، دون إغفال عمليات القتل والإبادة والإرهاب والتدمير التي ارتكبتها الاستعمار في حق المسلمين، والتي لا زالت

(1) جراهام أي فولر، وإيان أو ليسر، المرجع السابق، ص 47.

(2) جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، مركز البحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2012، ص 65.

(3) نفس المرجع، ص ص 66-67.

مائلة أمام أعين الشعوب الإسلامية<sup>(1)</sup>، كما عمدت الدول الاستعمارية إلى زرع نخبة ما بعد الاستقلال من أبناء الشعوب المستعمرة، وهي نخبة فاسدة متربحة تعمل لصالح الغرب، وتسد الطريق أمام الأجيال التالية، لذلك بات شبه حتمي أن يصبح الصراع ضدها مواجهة مع الغرب أيضا<sup>(2)</sup>.

تجدد الإشارة إلى أنه رغم نيل جل الأقطار الإسلامية استقلالها إلا أنها ثقافيا واقتصاديا بل وحتى القرار السياسي أحيانا رهين بالدولة المستعمرة سابقا، وهو ما يعني تبعية لاشعورية للغرب.

### الفرع الخامس: قيام إسرائيل

قال "باول شميتر" Paul Schmitz في هذا الصدد: "اتفق المستعمرون على ضرب الإسلام، فتعاونوا فيما بينهم على خلق إسرائيل للحيلولة دون سيادة المسلمين في هذه المنطقة الحساسة من العالم..<sup>(3)</sup>، وكان ذلك بدءًا بوعد بلفور ومرورًا بإقامة الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين وانتهاءً بالحماية والدعم الذي يضمه الغرب لإسرائيل، ومن ثم فليس هناك مجال للدهشة عندما يحمل العالم الإسلامي الغرب مسؤولية هذا الوضع<sup>(4)</sup>.

على الرغم من أن قيام إسرائيل لم تقبله بعد جميع الدول الإسلامية باعتباره أمرا واقعا، فإن القضية لا ينظر إليها العالم الإسلامي على أنها مجرد صراع بين طرفين على نفس الحلبة، بل ينظر إلى إسرائيل على أنها جرى فرضها فرضا في نفس الساحة، فالمسلمون لا ينظرون إلى إسرائيل نظرتهم إلى الاستعمار الغربي الذي ينقضي أمره مع

(1) محمد محفوظ، الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1، 1998، ص 15.

(2) ديببتر سنغاس، الصدام داخل الحضارات: التقاهم بشأن الصراعات الثقافية، ترجمة: شوقي جلال، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص163.

(3) أحمد منصور الحلو، حوار الحضارات، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د ط، 2007، ص 326.

(4) هانس كوكلر، المرجع السابق، ص ص 151 - 159.

الزمن ليعود المستعمرون إلى أوطانهم، وإنما باعتبارها المخفر الغربي الدائم في قلب العالم الإسلامي، وأنها مدينة بوجودها للغرب<sup>(1)</sup>، وأنها - أي إسرائيل - أُقيمت على أرض فلسطين، الأرض العربية الإسلامية التي تمثل مكانة خاصة في العقيدة الإسلامية، وفي موقعها الإستراتيجي على مستوى جغرافية البلاد العربية والإسلامية، وكذا على مستوى القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا. فإسرائيل ومنذ قيامها وهي تتلقى الدعم المباشر من جانب الغرب إلى حدٍّ أصبح فيه وجودها أمراً واقعاً لا مفر منه<sup>(2)</sup>.

لا يخفى على أحد أن إسرائيل إنما سيطرت بقوة وأسلحة وأموال الغرب وهي بحق "جيب غربي استعماري عنصري" في المنطقة<sup>(3)</sup>، وهكذا بفضل سيطرة اليهود وتغلغلهم في الأجهزة الحاكمة في الدول الغربية، قامت هذه الأخيرة بفرض إسرائيل على شعوب المنطقة، فكانت ثمرة من ثمار الغرب وصورة طبق الأصل من حضارته<sup>(4)</sup>.

لقد بدأ يتكشف للعالم الإسلامي، نتيجة لتبني الغرب الدائم لإسرائيل، أن دور الغرب في هذا الصراع هو دور مباشر، وأن العلاقة التي تربطه بهذا الكيان ليست مجرد علاقة انحياز أو مساندة أو دعم كما هو رائج، ولا حتى علاقة تحالف، وإنما هي علاقة عضوية ينوب فيها هذا الكيان عن الغرب في تحقيق مصالحه في المنطقة<sup>(5)</sup>.

من هنا لا بد من التأكيد على أن القضية الفلسطينية هي من بين أهم أسباب أو محددات موقف العالم الإسلامي والمسلمين من الغرب، حيث ساهمت في توليد جو من سوء الثقة والكراهية بل والعداء ضد الغرب المتجاهل لحجم التأثير الديني للقدس وفلسطين في نفوس المسلمين وذلك بسبب تبنيه ودعمه المتواصل لإسرائيل، حيث قال الرئيس

(1) جراهام أي فولر، وإيان أو ليسر، المرجع السابق، ص 52.

(2) منير شفيق، "فلسطين والأمة واحتمالات المستقبل"، قضايا المستقبل الإسلامي، مركز دراسات المستقبل الإسلامي، دار المستقبل، الجزائر، ج 1، ع 4، 1992، ص 191.

(3) مصطفى حلمي، المرجع السابق، ص 29.

(4) نفس المرجع، ص 30.

(5) محمد إبراهيم مبروك، المرجع السابق، ص 9.

الأمريكي الأسبق "رينتشارد نيكسون" Richard Nixon في هذا الصدد في كتابه "الفرصة السانحة": "يتسبب الصراع العربي - الإسرائيلي في تسميم علاقاتنا بالعالم الإسلامي، ويقلل من قدراتنا على التعاون مع الدول المعتدلة المتعاطفة مع الغرب"<sup>(1)</sup>، كما أكد "برنارد لويس" Bernard Lewis أن السبب الذي يُقدّم باستمرار كمبررٍ للمشاعر المعادية لأمريكا بين المسلمين هو الدعم الأمريكي لإسرائيل<sup>(2)</sup>.

### الفرع السادس: التدخل الغربي

بدايةً يمكن الإشارة إلى الموقف العام للإسلاميين إزاء مسألة التدخل الخارجي الذي يتلخص في النقاط التالية:

أ - لا يعارض الإسلاميون من حيث المبدأ والتأصيل الشرعي وجود "سلطة عالمية عليا"، تتدخل في أي قطر من الأقطار لوقف انتهاكات حقوق الإنسان ولرفع الظلم وإقامة العدل، بل يرون ذلك واجبا في كثير من الحالات.

ب - يرفض الإسلاميون مبدأ التدخل الخارجي بالآليات والمؤسسات الدولية وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة، لأنهم يرون أن هذه "السلطة العالمية العليا" لا تتمتع بالمصادقية التي تؤهلها للاضطلاع بتلك المهمة، فهي متهمة من قبل الإسلاميين بانحيازها إلى الدول الكبرى، وبأنها أداة لتحقيق مصالح تلك الدول، وهي بذلك تتعامل بازدواجية المعايير<sup>(3)</sup>.

ج - يتفق الإسلاميون بشكل عام على أن التدخل الخارجي يصاحبه ضرر أكبر من ضرر عدم التدخل، وعليه ليس ممكنا أن يُزال المنكر (انتهاكات الحكومات) بمنكر أشد منه

(1) سليمان إبراهيم العسكري، "أيلول الأسود الأمريكي"، مجلة العربي، الكويت، ع 516، نوفمبر 2001، ص ص 13 - 14.

(2) محمد إبراهيم مبروك، المرجع السابق، ص 23.

(3) خالد الحروب، "الإسلاميون ومسألة التدخل الخارجي: وجهات نظر"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع 194، 1995، ص 90.

(تدخل الدول الكبرى)، وبتطبيق مقولة "أهون الشرين" فإن رفض التدخل الخارجي هو الموقف النهائي<sup>(1)</sup>.

أما على مستوى الواقع الدولي فالملاحظ أن عملية التدخل السياسي والعسكري المستمرة في العالم الإسلامي، وخاصة في الشرق الأوسط، تساهم في تثبيت مشاعر الاضطهاد في فكر المسلمين، ويمكن الإشارة إلى أهم صور التدخل الغربي منذ النصف الثاني من القرن العشرين، والتي تركت آثارا سلبية على نفسية المسلمين وعلى موقفهم من الغرب، كما يلي:

- في عام 1956 قامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بغزو مصر نتيجة تأميمها لقناة السويس.

- في عام 1958 أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية سفنا حربية إلى لبنان لحماية الحكومة الموالية للغرب من تهديدات كل من سوريا ومصر.

- في عام 1967 وخلال حرب الستة أيام بين الدول العربية وإسرائيل، قدّمت الولايات المتحدة الأمريكية دعما استخباراتيا مباشرا لإسرائيل، علاوة على الإمدادات العسكرية خلال فترة الصراع.

- في عام 1973 قدّمت الولايات المتحدة الأمريكية دعما مماثلا واسع النطاق لإسرائيل خلال حرب أكتوبر.

- في عام 1979 قامت الولايات المتحدة الأمريكية بدور نشيط لتوفير غطاء من الدعم للأكراد العراقيين ضد نظام صدام حسين، وذلك كرد فعل على العلاقات الوثيقة التي تربط النظام العراقي مع الاتحاد السوفييتي السابق من جهة، وعلى عدائه الشديد لنظام الشاه في إيران من جهة أخرى.

(1) نفس المرجع، ص 91.



- في عام 1982 وجّهت الولايات المتحدة الأمريكية بعض قطع أسطولها الحربي إلى لبنان لمواجهة القوات السورية، وذلك بعد غزو إسرائيل لبيروت الذي استهدف إبادة منظمة التحرير الفلسطينية.
- في عام 1985 شنّت الولايات المتحدة الأمريكية عمليات قصف جوي واسع النطاق ضد أهداف ليبية في طرابلس<sup>(1)</sup>.
- في عام 1986 اضطلعت الولايات المتحدة الأمريكية بعملية رفع أعلامها على سفن النفط أثناء الحرب الإيرانية العراقية وتدخلت إلى جانب العراق.
- في بداية عام 1991 قامت الولايات المتحدة الأمريكية بشن حرب ضد العراق بحجة تحرير الكويت.
- بين عامي 1992 و1993 تدخلت قوات الولايات المتحدة الأمريكية في الصومال تحت غطاء قيادة عامة لقوات الأمم المتحدة، والتي بدأت أول الأمر في صورة مهمة إنسانية لكنها تحولت بعد ذلك إلى مهمة عسكرية واسعة النطاق في ظل حرب أهلية.
- كأول رد فعل على تفجيرات الحادي عشر سبتمبر 2001، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل العسكري في أفغانستان بحجة تصفية الإرهاب (الإسلامي) المسؤول عن هذه الأحداث.
- في مارس 2003، التدخل العسكري الأمريكي البريطاني ضد العراق الذي كانت أهدافه المعلنة هي الإطاحة بنظام صدام حسين وإنقاذ الشعب العراقي من ديكتاتورية هذا النظام، في حين أنه في الواقع كان من أجل السيطرة على منابع النفط في المنطقة، وحماية أمن إسرائيل، وإيجاد نظام حكم موالي للمصالح الغربية في المنطقة<sup>(2)</sup>.
- في مارس 2011، التدخل الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية بعد اتساع نطاق الاحتجاجات الشعبية ضد النظام في ليبيا فيما يسمى إعلامياً بثورات الربيع العربي،

(1) جراهام أي فولر وإيان أوليسر، المرجع السابق، ص 54.

(2) نفس المرجع، ص 54.

واستغلالها في الدعوة إلى سحب الشرعية الدولية عن نظام القذافي، ثم مواجهته عسكرياً وإسقاطه في النهاية (1).

- في سبتمبر 2015، التدخل العسكري الروسي في سوريا وذلك بعد سنوات من اندلاع ما يسمى بالثورة السورية في مارس 2011 في خضم الحراك الشعبي العربي، حيث يعتقد عزمي بشارة أن هدف السياسة الروسية القريب هو حماية نظام الأسد حليف موسكو من الانهيار والسقوط، ولكن إنقاذ النظام ليس هدفاً بحد ذاته، بل هو وسيلة لإثبات الذات والتقدم خطوة أخرى للقيام بدور دولة عظمى عالمياً، وهذه المرة في الشرق الأوسط (2)، وما يُلاحظ مع تطور الأحداث أن سوريا قد أصبحت ميداناً لحرب باردة جديدة بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

علاوة على التدخل العسكري فإن الغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، آثر أن يدعم بعض أنظمة الحكم ضد البعض الآخر حمايةً لمصالحه في المنطقة، فقد دعمت الولايات المتحدة الأمريكية لبنان والأردن ضد مصر في عهد جمال عبد الناصر، وإيران في عهد الشاه ضد العراق، والكويت ضد العراق، والمملكة العربية السعودية ضد مصر في عهد جمال عبد الناصر، وضد العراق في عهد صدام حسين، واليمن الشمالي ضد الجنوبي الشيوعي قبل وحدتهما، ومصر ضد ليبيا، والمملكة المغربية ضد الجزائر، وطبيعي أن تدعم إسرائيل ضد الجميع.

مما سبق فإن كل ما ذكر وما لم يذكر عن التدخلات الغربية في، وضد، الدول الإسلامية يعزز ويؤكد إيمان أغلب الشعوب الإسلامية بما يسمى بـ "عقلية المؤامرة" وذلك لأنها عاشت طويلاً في ظل "مؤامرات الغرب" (3)، هذا رغم أن بعض الباحثين يرى أن

(1) يوسف محمد الصواني، "الولايات المتحدة وليبيا: تناقضات التدخل ومستقبل الكيان الليبي"، مجلة المستقبل العربي، ع 431، جانفي 2015، ص 12.

(2) عزمي بشارة، "روسيا: الجيوستراتيجية فوق الأيديولوجيا وفوق كل شيء"، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع 17، نوفمبر 2015، ص 8.

(3) جراهام أي فولر وإيان أوليسر، المرجع السابق، ص 55.

هناك مبالغة في التذرع بنظرية المؤامرة كتبرير للضعف الذي تعاني منه بلدان العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: الاتجاهات العامة لموقف المسلمين من الغرب

بعد الحديث في المطلب السابق عن تصورات العالم الإسلامي التاريخية للغرب والتي تعتبر بمثابة خلفيات أو محددات لموقف المسلمين من الغرب، يأتي دور هذا المطلب في تسليط الضوء على الاتجاهات العامة لموقف المسلمين من الغرب<sup>(\*)</sup> في إطار موقف الأنا الحضارية من الآخر الحضاري، حيث يمكن رصد ثلاثة تيارات أساسية في هذا الشأن، وهي: تيار التقليد للوافد الغربي وموقف القبول المطلق للغرب، وتيار التقليد للموروث وموقف الرفض المطلق للغرب، وتيار التوفيق بين الثقافة الإسلامية ومعطيات الحضارة الحديثة.

### الفرع الأول: تيار التقليد للوافد الغربي وموقف القبول المطلق للغرب

إن من أبرز ما ميّز حياة المسلمين منذ ما اصطلح على تسميته بعصر النهضة هو فشل معظم التجارب التنموية سواءً كان ذلك في الجانب الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي، ولعل من أهم أسباب ذلك الفشل هو طريقة تعامل العقل المسلم مع مشاريع التنمية، حيث اكتفى بمجرد النقل الآلي لما اكتشفه عند الآخر الحضاري المتمثل في الغرب الذي مثل بقوّته وغلبته قمة الإدهاش والإبهار للعقل المسلم، فما كان منه في غمرة الانبهار إلا أن يُقبل على ما عند الآخر دون تمييز، فانصب جهد النخب على نقل الأفكار والمذاهب والنظريات الغربية ومحاولة إعادة تطبيقها في واقع العالم الإسلامي، متناسين في أغلب الأحيان الخصوصيات الفاصلة بين واقع الحلول وواقع المشكلات فكانت النتيجة هي الفشل<sup>(2)</sup>.

(1) محمد سليم العوا، الإسلام والعصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص ص 35-36.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر المخطط البياني المتعلق بالتيارات الثلاثة في موقف المسلمين من الغرب في الملحق رقم 8.

(2) محسن بلخير، "الديمقراطية عند مالك بن نبي"، جريدة الشروق اليومي، ع377، 30 جانفي 2002، ص7.

تبنى هذا التيار موقف التقليد والاستسلام والخضوع الكامل للغرب وقبول حضارته المادية بحذافيرها، بعقائدها ومناهجها وفلسفتها المادية ونظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية<sup>(1)</sup>، وهو الذي أشار إليه العلامة ابن خلدون في مقدمته حين قال: "إن المغلوب مولع بتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"، وعلّل ذلك بقوله: "والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه"، وليست كلمة "المغلوب" مقصورة على المغلوب السياسي أو المستعمر فقط، فقد يكون شعب حاكم في بلاده ويملك قوة عسكرية وثروات هائلة، مغلوباً على أمره مستعبداً في عقلية وشخصيته، يعتقد العبقرية والعصمة في حضارة أجنبية<sup>(2)</sup>.

لقد بدأت بذور هذا التيار بمصر إبان الحملة الفرنسية عليها عام 1798، فكانت بدايات فكرة الاستقلال عن الموروث وقطع حبال التواصل الحضاري، والاستقلال عن المحيط العربي والإسلامي، واستبدال النموذج الغربي بدلا من المشاريع الحضارية الإسلامية، والوطنية القطرية بدلا من الجامعة الإسلامية<sup>(3)</sup>.

انطلق هذا التيار من قاعدة ثابتة لدى المنادين به مفادها أنه إذا أراد العالم الإسلامي أن يتقدم ويلحق بالركب الحضاري فلا بد أن يقبل بكل شيء يَفِدُ إليه من الغرب، ويرفض كل موروثه الثقافي الاجتماعي والحضاري، وبهذه الطريقة يتمكن المشرق من اللحاق بالحضارة الغربية، ويرى دعاة هذا التيار أن الحل الواحد الواضح لإنهائه التخلف والتأخر هو أن نندمج في الغرب اندماجا في تفكيرنا وآدابنا وفنوننا وعاداتنا ووجهة نظرنا إلى الدنيا، ومن أجل ذلك فإن العمل والطاقت ينبغي أن تَصَبَّ في اتجاهين: محاولة فك الارتباط الحضاري للمجتمعات الإسلامية عن تاريخها وماضيها الإسلامي من جهة،

(1) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، دار القلم، الكويت، الكويت، ط4، 1983، ص37.

(2) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، المرجع السابق، ص15.

(3) محمد عماره، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص87.

والعمل على إدخال النظم والقيم والعادات والتقاليد الغربية في البنيان الاجتماعي والمعرفي والحضاري للعالم الإسلامي من جهة ثانية (1).

ومن ثم فقد عمل تيار التغريب والاستلاب الحضاري على التبشير بثقافة الغرب كأداة لإزاحة تميّز الحضارة العربية الإسلامية، والدعوة إلى تبني النموذج الحضاري الغربي بخيره وشره، زاعما أن العقل الشرقي لا يزال عقلا يونانيا حتى بعد أن تديّن أهله بدين الإسلام (2).

وفي هذا الصدد أرجع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عوامل تفاقم انجذاب المسلمين نحو الغرب إلى النقطتين التاليتين: (3)

1 - نمو الحضارة الغربية في مجال العلم والتصنيع، حيث أن التمزق الذي مُنيّ به العالم الإسلامي في أعقاب انهيار الدولة العثمانية قد أفقده السعي في طريق التقدم العلمي، وشغله بمشكلاته فازداد بذلك تراجعاً وتخلفاً، ومن ثم كانت الأمة الإسلامية مهياًة من جراء تلك الظروف تهيئاً نفسياً لاتخاذ الغرب قدوة لها في كل شيء.

2- المخططات الكثيرة التي وضعها الغرب قصد المزيد من تذيب الشخصية الإسلامية في بوتقة الحضارة الغربية، ومن أهم هذه المخططات:

- المخطط الإعلامي: ويتمثل في السبل التي انتهجها رسل الاستعمار في العالم الإسلامي من أجل وضع وسائل الإعلام في أيد أمينة على مصالح الحضارة الغربية، وهي حريصة على ترسيخ جذورها لتكون محورا وحيدا للحياة الفكرية والاجتماعية والعلمية في البلاد العربية خاصة والإسلامية عامة.

- المخطط التاريخي: ويهدف إلى تجريد الأمة الإسلامية من نظرتها التاريخية التي من شأنها أن تحدّد ذاتها وتحافظ على منطلقاتها، وتكسبها القدرة على الجمع بين الأصالة

(1) محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 18.

(2) محمد عماره، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص 95 - 96.

(3) محمد سعيد رمضان البوطي، حوار حول مشكلات حضارية، مكتبة رحاب، الجزائر، ط3، 1990، ص 39-44.

والتجديد المتناسقين، وقد اقتضى هذا المخطط الهام أن يتفرغ كل المبشرين والمستشرقين لدراسة التاريخ الإسلامي والتمرس على التلاعب بوقائعه وأحكامه.

- المخطط التربوي: وقد أتبع محترفو الغزو الفكري في ذلك أسلوبين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر، أما الأسلوب المباشر فيتمثل في المعاهد والمؤسسات التبشيرية التي انتشرت في مختلف البلاد العربية والإسلامية، أما الأسلوب غير المباشر فيتمثل في تلك الصبغة الغربية التي اصطبغت بها المناهج التربوية والتعليمية في مختلف المدارس والمعاهد وعلى شتى المستويات.

### الفرع الثاني: تيار التقليد للموروث وموقف الرفض المطلق للغرب

تبنى هذا التيار موقف الرفض المطلق للحضارة الغربية ولكل ما جاءت به، فلا يقتبس من علومها، ولا ينتفع بتجاربها، ولا يستورد منها شيئاً<sup>(1)</sup>.

إن منطلقات هذا التيار ومنابعه هي فكر الأسلاف المسلمين من المفكرين والعلماء، الذي تبلور في عصور تراجع الحضارة الإسلامية على وجه الخصوص، فأهله ومؤسساته لا يعرفون كثيراً عن حقيقة المنابع الجوهرية والنقية لفكر الحضارة الإسلامية، ولا يهتمون كثيراً بإبداع عصر الازدهار لهذه الحضارة، وأغلب زادهم الفكري هو من قرون التراجع والجمود.

لقد ضم هذا التيار مجموعة فصائل أهمها:

- 1 - مؤسسات العلم والتعليم الموروثة، مثل الأزهر وما شابهه من المدارس والجامعات.
- 2 - الطرق الصوفية وتنظيماتها ومشيخاتها المتعددة.
- 3 - النصوصيون الذين وقفوا عند ظواهر النصوص ودلالاتها، عازلين إياها عن ملابساتها وعن مقاصد الشريعة والتشريع المبتغاة من هذه النصوص.

(1) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكهنو، الهند، ط1، 1963، ص11.

قال الدكتور محمد عمارة في هذا التيار: "إننا نعترف له بفضل الحفاظ على تراثنا، وفضل الدفاع عنه أمام الوافد الغربي الذي أراد اقتلاعه والحلول في مواقعه، الأمر الذي حفظ للأمة ولثقافتها التواصل مع ماضيها الحضاري، وذلك فضلٌ لا يُنكر لفصائل هذا التيار"<sup>(1)</sup>.

إن موقف هذا التيار الرافض للغرب نابع من كون هذا الأخير يمثل في نظره:

- المستعمر السابق لجل الأقطار الإسلامية كما سبق الذكر.  
- العدو الحضاري للأمة الإسلامية والداء المسبب لكل مشاكل وأزمات العالم الإسلامي، فالغرب حسب هذا التيار يمثل منظومة قيم تناهض القيم الإسلامية، ويظهر ذلك من خلال:

- التعارض بين إباحية الغرب والتزام الإسلام، أين تظهر المرأة كقضية خلافية.

- التعارض بين مادية الغرب وروحانية الإسلام.

- التعارض بين الديمقراطية والشورى<sup>(2)</sup>.

- الحليف للنظم القائمة، فالنخب الحاكمة في البلاد الإسلامية - حسب هذا التيار- هي إما عميلة للغرب أو متأثرة بفكره العلماني، وفي أحسن الأحوال صديقة له.

من هنا فإن عدا هذا التيار للغرب ليس فقط لكونه القوة المعادية للإسلام عالمياً، وإنما لكونه أيضاً حليفاً للأنظمة المستبدة الحاكمة في البلدان الإسلامية، ذلك أن الغرب يعمل على بقاء الاستبداد فيها وبالتالي ضرب القوى الإسلامية على الصعيد الداخلي<sup>(3)</sup>، ومن ثم فإن الأنظمة المستبدة هي صمام الأمان لمصالح الغرب في هذه البلدان.

لذلك فبداية الحل الصحيح عند هذا التيار هو غلق الباب في وجه هذه الحضارة ورفضها بكاملها، وذلك بحجة أن النظريات الغربية التي تُصدَّر إلى المسلمين لا تختزل

(1) محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص ص 81-82.

(2) نيفين عبد المنعم مسعد، وعبد العاطي محمد أحمد، السياسات الخارجية للحركات الإسلامية، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ط1، 2000، ص152.

(3) نفس المرجع، ص172.

نفسها على المستوى الاقتصادي أو السياسي فقط، وإنما تطرح نفسها كمنظرة اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية وحضارية بشكل عام، وعليه فاللحاق بالغرب اقتصاديا يعني الذوبان في المنظومة الغربية ثقافيا وسياسيا وحضاريا. كما أن النخبة الفكرية والاقتصادية المتغربة صُنِعَتْ وهَيئَتْ لكي تكون نخبة عقيمة لا تستطيع الاستغناء عن الغرب، فهي مُصَمَّمة بحيث تتبَع الغرب في كل شيء، إلا في قيم الإبداع والاستقلال وفي القيم الإنسانية الجوهرية التي اعتمد عليها الغرب في نهضته الصناعية والمدنية، كما أن جميع الأيديولوجيات التي سادت العالم الإسلامي قد كرسّت فيه التخلف الحضاري، فقد كانت هذه النخب تتصور واقعا غير الواقع الإسلامي، فكان عمل دعائها ونشاطهم في الفراغ لأنهم نقلوا صورة المشاكل الموجودة في الغرب إلى العالم الإسلامي، وعالجوها بالحلول المُطبَّقة في الغرب، وهذه عملية فوضوية وغير علمية وفوقية، ومن ثم فإن عملية استيراد المعايير والنماذج من الغرب ومحاولة تطبيقها على عالم يختلف جذريا في تطوره الاقتصادي والاجتماعي والثقافي عن الغرب، ما هي إلا محاولة فاشلة تعكس عقم الاستيراد الفوضوي للمثل والتطور والتقنية الحديثة، بل هي ضرب من ضروب التخلف والانحطاط في صورته الحديثة<sup>(1)</sup>.

بل وأكثر من ذلك فقد تحجج هذا التيار في رفضه للغرب بقصور المناهج الوضعية على جميع الأصعدة:

- فعلى الصعيد الاجتماعي فشلت النظم المتبنية للمناهج الغربية في تأمين السعادة والطمأنينة والاستقرار للإنسان، بل على العكس قد تسببت في شقائه، وهدّمت الأواصر العائلية والاجتماعية، وتفسّخت فيها الأخلاق وانعدمت القيم.

- أما على الصعيد الاقتصادي فلم تتمكن لا الأنظمة الرأسمالية ولا الاشتراكية من إيجاد السعادة للإنسان، ولا مجتمع الكفاية والعدل الذي تدعو إليه، ففي ظل النظامين نشأت

(1) محمد محفوظ، المرجع السابق، ص ص 18 - 19.



مشاكل الصراع الطبقي والظلم الاجتماعي والاحتكار والفقر والبطالة مما يدل على عدم صلاحيتها.

- وعلى الصعيد السياسي تتحمل الأنظمة الحاكمة سواء كانت ديمقراطية أو عسكرية أو جمهورية أو ملكية مسؤولية التخلف السياسي الذي تعاني منه الدول الإسلامية.

- أما على الصعيد العسكري فتتحمل هذه الأنظمة مسؤولية التفريط في القضايا المصيرية للعالم الإسلامي وعلى رأسها القضية الفلسطينية<sup>(1)</sup>.

لكن هذا التيار الذي رفض الوافد الغربي فانكفاً على الذات ظل عاجزاً على صياغة الخيار الحضاري والنموذج التجديدي القادر على منافسة النموذج الغربي، ذلك أن أفكاره تعود إلى عصر تراجع المسلمين الحضاري، أي أنها كانت عرضاً من أعراض التخلف الحضاري الذي أصاب العالم الإسلامي، فكيف لها أن تكون سبيلاً ومادة للنهضة والإحياء؟، حيث قال الدكتور محمد عمارة في نقده هذا التيار: "لقد تأملت، وأنا الذي درست في الأزهر، وتساءلت: لماذا كانت أغلب الكتب التي ندرسها مؤلفة في عصر التراجع وليس في عصر الإبداع الحضاري لأمتنا؟، وفي ضوء هذا التأمل وهذا التساؤل فهمت معنى عبارة الأستاذ محمد عبده (1849-1905) التي قال فيها عن الأزهر وأبنائه في عصره: "إنهم لا يتعلمون في الأزهر إلا بعض المسائل الفقهية وطرقاً من العقائد، على نهج يبعد عن حقيقتها أكثر مما يقرب منها، وجل معلوماتهم تلك الزوائد التي عرّضت على الدين، ويخشى ضررها، ولا يُرجى نفعها [...] فهم أقرب للتأثر بالأوهام والانقياد إلى الوسوس من العامة [...] فبقاؤهم فيما هم عليه مما يؤخر الرعية .."<sup>(2)</sup>، وفي موضع آخر وصف الدكتور عمارة أبناء هذا التيار قائلاً: "إنهم وإن أنكروا كثيراً من البدع، ونحووا عن الدين كثيراً مما ليس منه، فإنهم يرون وجوب الأخذ بما يُفهم من لفظ

(1) فتحي يكن، ماذا يعني انتمائي للإسلام، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، د ط، 1989، ص ص 75 - 76.

(2) محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص ص 83 - 84.

الوارد والتقيد به، بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين [...] فلم يكونوا للعلم أولياء ولا للمدنية أعباء<sup>(1)</sup>.

عندما سلكت هذه المؤسسات التعليمية العريقة والموروثة طريق التطور قد أخذت بشكل التجديد لا بجوهره، فاقتربت في أحيان كثيرة من التغريب أكثر من اقترابها من منابع الجوهرية والنقية للفكر الذي أبدع وميَّز حضارة الإسلام. أما المؤسسات الصوفية فإنها، باستثناء القلة القليلة، قد استبدلت الشعوذة والخرافة بحقيقة التصوف كسبل لتهديب النفس. وإذا كان التيار النصوصي الحديث قد نفّض عن عقائد الدين كثيرا من البدع وعن تصورات العامة كثيرا من الخرافات، فإن جموده عند حرفية ظواهر النصوص قد أورثه العجز عن إبداع المشروع الحضاري الذي يصوغ الإنسان المقاوم للزحف الغربي<sup>(2)</sup>.

رغم أن هذا التيار النصوصي قد أضاف حصنا منيعا جديدا إلى حصون رافضي التغريب، إلا أن عجزه عن إبداع البديل الحديث القادر على منافسة النموذج الغربي والانتصار عليه قد هيأ ذلك الفراغ الذي تقدّم تيار التغريب لملائه واحتلاله، سواء في عقول النخبة التي تغرّبت، أو في واقع العالم الإسلامي الذي أصبح محكوما بقوانين وفلسفات الغرب<sup>(3)</sup>.

إن موقف هذا التيار السلبي والمتطرف تجاه الحضارة الغربية ينتج التخلف الشديد للعالم الإسلامي عن ركب الحياة ويقطع علاقته بباقي العالم، وهو يعبر عن سوء فهم للدين الإسلامي الذي حثّ على استعمال العقل والتزام الوسطية<sup>(4)</sup>.

(1) محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط2، 2007، ص11.

(2) محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص 84.

(3) نفس المرجع، ص 85.

(4) أبو الحسن علي الحسني الندوي، موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية، المرجع السابق، ص12.

## الفرع الثالث: تيار التوفيق بين الثقافة الإسلامية ومعطيات الحضارة الحديثة

تبنى هذا التيار موقف المتأمل الدارس الذي لا ينكر الغرب برمته ولا يقبله على علته، ولا يخلط بين ما اخترعه من وسائل لتسهيل مصاعب الحياة وما أنتجه من مذاهب وأفكار تمس بالدين والأخلاق<sup>(1)</sup>، وانطلق هذا التيار في موقفه التوفيقى من حقائق أهمها:

- إن هناك مجموعة من الأمور والقضايا ذات الطابع العالمي، أو ليست لها طابعاً ثقافياً حاداً، وقد اشتركت البشرية جمعاء عبر الأجيال في صياغتها وإيجادها عبر التراكم الحضاري، هذه القضايا يجب أن يؤخذ بها ويستفاد منها في حركة الحياة، فالمقصود بالتوفيق هنا ليس التوفيق بين المبادئ الإسلامية والغربية لأنها مسألة صعبة بل ومستحيلة، لتناقض منطلقات الحضارتين، حيث أن للأخذ الثقافي امتدادات اجتماعية نفسية خطيرة على الأمة الإسلامية، ومن ثم فعلى المسلمين الاستفادة من الغرب من خلال القيم الحية كالفاعلية والإبداع والعمل والسعي والعلوم، وأخذ ما يحقق الذات الحضارية ولا يلغي الخصائص المجتمعية والثقافية والنفسية، وبالطبع فإن العلوم الطبيعية والتقنية الغربية ليست حيادية تماماً وإنما هي في إحدى أوجهها انعكاس بشكل أو بآخر للفلسفة المادية التي قامت عليها الحضارة الحديثة، فهي ليست لغة رياضية حيادية ونزيهة، وإنما هي لغة قابلة للتطبيق والتجسيد، لغة تهدم وتبني، لذلك يدعو هذا التيار إلى الاستفادة من التقنية الحديثة والتطورات العلمية والمعرفية الهائلة في إطار الحفاظ على الخصوصية الحضارية للعالم الإسلامي<sup>(2)</sup>.

- إن المجتمعات الإسلامية بدأت تاريخياً الانفتاح على الغرب وهي تعيش حالة من الانفصام بين المعرفة والمنهج السلوكي الذي تتبعه وتمارسه، لذلك لم تمتلك هذه المجتمعات القدرة للوقوف على أرض صلبة من أجل التقييم الدقيق للثقافات الوافدة، مما جعل هذا الانفتاح العشوائي يخلق فوضى شاملة في حياة الأمة الإسلامية، من أهم آثارها:

(1) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، حديث مع الغرب، المرجع السابق، ص9.

(2) محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 19.

أزمة الهوية، وهجرة الأدمغة، وفوضى في المصطلحات والبنية النظرية، والتغير المفاجئ في البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.. .

لذلك فإن حجر الزاوية في عملية التوفيق أو الانفتاح الواعي هو الحفاظ على الذات الحضارية والانتماء المتميز، بما تتضمن هذه الذات والانتماء من تاريخ وقيم، وانطلاقاً من هذه الذاتية يتم تعامل الذات الحضارية مع الآخر الحضاري، أما تجاوز الفارق الحضاري بين العالم الإسلامي والغرب فلا يمكن بلوغه بإلغاء الذات الحضارية للعالم الإسلامي، وإنما سيتحقق بالحفاظ على الهوية الحضارية. وللمسلمين في التجربة اليابانية خير مثال على ذلك إذ لم تتخل في نهضتها الحضارية عن ثقافتها وعاداتها وخصائصها الذاتية، وإنما قامت في البدء بتركيز هذه الخصائص من أجل استيعاب التطورات التكنولوجية الحديثة (1).

- إن منجزات الحضارة الغربية ليست إقليمية أو محلية، إنما هي نتاج تراكم معرفي لمختلف الحضارات، فهي حق مشاع وثروة إنسانية عامة، يمكن للمسلمين أن يقتبسوا منها العلوم والمعارف وكل ما من شأنه أن يزيدهم قوة، شرط ألا يتعارض ذلك مع قيمهم الإسلامية (2).

- إن قضية الاستقلال عن الغرب أو التبعية له تبدأ بالفكر والثقافة قبل الاقتصاد والسياسة، لأن الفكر المستقل ينتج اقتصاداً مستقلاً يعتمد على واقع الموضوعي وخصوصياته الذاتية، كما أن الفكر التابع أو الثقافة المهزومة مهما أوتيت من إمكانات مادية هائلة فلن تخرج عن إطار التبعية الاقتصادية، لذلك فتشكيل سياسة اقتصادية سليمة تبدأ بالفكر والثقافة قبل السياسة والاقتصاد.

- إن الأصالة مطلب حضاري باعتبارها الإطار المرجعي والروحي والأخلاقي والمعرفي للعالم الإسلامي، إذ أنها لا تعني تقليد الماضي بل هي تعبير عن الحاجة إلى

(1) نفس المرجع، ص 21.

(2) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، المرجع السابق، ص 13.

التعريف بالذات وتحديد العلاقة مع الآخر الحضاري، إنها مقاومة ذاتية للهيمنة والتحلل والسلبية، وهي عامل توازن يمنع المجتمع من الانحلال. فالأصالة نمط ثابت للتفاعل المستمر مع الواقع والعصر، لأن التقدم والرقي لا يأتي من فراغ وإنما يعتمد على قيم وتاريخ، وينطلق بهذه القيم والنماذج من أجل التقدم والتطور، فالأصالة ليست رصيذا تاريخيا فحسب، وإنما هي الإرادة والقدرة الذاتية على الإبداع<sup>(1)</sup>.

- لا يمكن التعامل مع المستجدات السياسية والفكرية لعالم ما بعد الحرب الباردة إلا بعقلية جديدة قائمة على أسس معرفية جديدة ومفردات فكرية وأدبية وفنية متجددة بتجدد الواقع والمعطيات العالمية، ولا يمكن التعامل مع حقائق التسعينيات بشعارات الستينيات ولا يمكن فهم نهايات القرن بلغة بداياته، كما لا يمكن فهم القرن الحادي والعشرين بلغة القرن العشرين، كما لا يمكن الإعداد للمستقبل بالعودة إلى الماضي، ولا أن يكون المسلمون فاعلين ومؤثرين في النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة من خلال التمسك بثوابت النظام القديم، وأيضا لا يمكن مجارة العالمية بالتعصب للذاتية الحضارية، ولا تحديّ العولمة بالقوقعة والانكماش في عصر الانفتاح<sup>(2)</sup>.

انطلاقا من التيارات الثلاثة السابقة يمكن تحديد المنطلقات أو البدائل المقترحة للخروج من الأزمة متعددة الجوانب التي يعاني منها العالم الإسلامي، وهي:<sup>(3)</sup>

1/ منطلق التقليد الأجنبي أو ما يسمى "بالحل الأجنبي"، وهو يمثل مجموعة الحلول المستوردة جوهريا من التجربة الغربية بكل أشكالها، وهذا المنطلق يتضمن تيار القبول المطلق للغرب أو "الاستسلام".

(1) محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 22.

(2) عبد الخالق عبد الله، "العولمة ومحاولة دمج العالم"، مجلة العربي، الكويت، ع465، أوت 1997، ص 38.

(3) عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 1992، ص 21.

2/ منطلق التقليد التاريخي أو "الحل التقليدي التاريخي الإسلامي"، وهو يمثل مجموعة الحلول المنقولة جوهريا من خبرات التاريخ الإسلامي مع إلغاء الأبعاد الزمنية والمكانية وآثارها. وهذا المنطلق يتضمن تيار الرفض المطلق للغرب أو "الاستعلاء".

3/ منطلق الأصالة الإسلامية أو ما يسمى "بالحل الإسلامي المعاصر"، وهو يمثل الحل لمواجهة تحديات العصر من منطلق إسلامي، وهذا المنطلق يتضمن التيار التوفيقى بين الثقافة الإسلامية ومعطيات ومكاسب الحضارة الغربية أي "الاستلهام".

إن الحديث عن موقف المسلمين من الغرب سيؤدي بالضرورة إلى تناول موقف المسلمين من العولمة، وذلك باعتبار أن الأخيرة هي نتاج الغرب ومرتبطة به لدرجة أن بعض المفكرين يفضل تسمية العولمة بالغرْبنة Westernization.

لقد أصبحت العولمة، التي تُعتبر صنّاعة الغرب، بكل فرصها وتحدياتها إحدى الحقائق المعاصرة التي طرحت من جديد نفس التساؤلات التي طرحت قبل أكثر من مائتي عام، والتي مازالت مستمرة، والمتعلقة بكيفية التعامل مع الحداثة والحضارة الغربية، وبرغم اختلاف الظروف والمعطيات الحياتية فإن الموقف منها لا يخلو من الراغبين من الاستفادة من فرص العولمة الواضحة، وبالتالي الدعوة إلى الانغماس فيها، وموقف الراغبين في تجنب مخاطرها الواضحة أيضا، وبالتالي الدعوة إلى الانكماش، وهناك دائما الموقف الوسط والمستقل بين الانكماش والانغماس، وهو في جوهره موقف توفيقى<sup>(1)</sup>.

من جهته ذهب الدكتور العجمي دمنهوري<sup>(\*)</sup> إلى أن العولمة ما دامت تسعى لمحو خصوصيات الدول العربية والإسلامية، لتفرض عليهم قيم وثقافات وأخلاق تتعارض والدين الإسلامي، فإننا كمسلمين نرفض هذه العولمة ولا نقبلها أبدا لأننا نستمد نظريتنا للقيم والواقع من خلال ديننا وموروثنا الثقافي.

(1) عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص 39.

(\*) رئيس قسم الحديث في كلية أصول الدين ورئيس جبهة علماء الأزهر.

في حين أكد الدكتور محمد إبراهيم الفيومي (\*) على أنه لا يليق بالمسلمين أن يقدموا الرفض في تعاملهم مع القضية المصيرية التي تفرض نفسها على الساحة العالمية، ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، وهي قضية العولمة، وأضاف أن الرفض أو الهروب من المواجهة أو المشاركة هو نوع من الانتحار، لأننا لسنا منعزلين عن العالم وما يحكم هذا الأخير بحكمنا، شئنا أم أبينا، والمشاركة في هذه القضية المطروحة على الساحة ضرورة حضارية، والرفض يضيع علينا فرصة الإعلان عن هويتنا والتصدي للشبهات المثارة ضدنا، ويضيف أن الإسلام يريد إنساناً قادراً على المواجهة والتعايش ومكافئاً ونداً للآخر من دون أن يُفْتَنَ أو يتأثر بالفساد مما لدى الآخر (1).

أما الدكتور عبد الصبور شاهين (\*\*\*) فقال في هذا الشأن: "إننا بشيء من الصدق نجد أن الإسلام يعاني في ديار المسلمين، ويُحارب في العالم الإسلامي نفسه، ثم نبحت له عن دور في ظل العولمة وغيرها؟، إنني أرى أننا مستسلمون ونحن لا نملك شيئاً في تحديد مصيرنا السياسي والاقتصادي وليس أمامنا سوى الاستسلام، حيث لازالت أوضاع شعوب العالم الإسلامي صعبة، فالأولى له أن يبحث عن حقوقه الضائعة قبل كل شيء، ثم السعي لتحقيق وحدة إسلامية بين دوله حتى يصبح كيانه له وجود وله رأي وله موقف يمكن رصده ووضعها في الحسبان" (2).

فيما رأى البعض أن الخوف المرصّي من نتائج العولمة قضية فيها كثير من المبالغة، فمهما بلغت العولمة من شمولية ثقافية فإنها لن تلغ الخصوصيات الثقافية الغاء كلياً، فالثقافة العالمية لا تلغي الخصوصيات المحلية، أما اللجوء إلى آليات الدفاع

(\*) أمين عام المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية السابق وأستاذ الدراسات الاستشرافية بكلية الدراسات الإسلامية في الأزهر.

(1) عبد الصبور شاهين، وآخرون، "العولمة ومستقبل العالم الإسلامي"، مجلة الفرقان، ع 99، جويلية 1998، ص 30.

(\*\*) داعية إسلامي وخطيب مسجد عمرو بن العاص في القاهرة.

(2) نفس المرجع، ص 31.

الانعزالية أو التقوق الثقافي المفرط بحجة حماية الثقافة الإسلامية، فلن يؤدي إلا إلى تراجعها وانعدام خصوصيتها<sup>(1)</sup>.

ومن ثم فإن الموقف من الثقافة العالمية المفروضة من قبل النظام الدولي الجديد على جميع الأمم وثقافاتها المتعددة، بما في ذلك الأمة الإسلامية، ينبغي أن يتبلور من خلال مفهوم الثقافة والتي تعني "كيان الأمة وشخصيتها ووجدانها الذاتي والحضاري"، وهذا يعني أن قبولها بسيادة ثقافة عالمية واحدة رائدها صاحب النظام العالمي هو تخليها عن شخصيتها الذاتية والمعنوية وهدم لكيانها، وانسلاخ من هويتها ووجدانها الحضاري<sup>(2)</sup>، فالمسار العام للحضارة الإنسانية تميّز منذ القدم بقوانين الجدل والتأثير والتأثر وهو ما منح البشرية قدرا هائلا من التنوع الثقافي<sup>(3)</sup>.

إن ما ينطبق على العولمة الثقافية ينطبق على العولمة الاقتصادية، حيث على المسلمين، تحت تأثير هذه الأخيرة، أن يدركوا أنهم لا يستطيعون الانكفاء على الذات والابتعاد عن الآخرين وأنهم يعيشون في سوق اقتصادية واحدة، لكن في الوقت ذاته عليهم أن يعوا أن تحديثهم وتطورهم واستقلالهم الاقتصادي ينبغي أن ينطلق من تنمية قدراتهم المادية والبشرية وإلا فقدوا استقلالهم ووجودهم السياسي، وتحوّلوا إلى مجرد مجتمعات مستهلكة لمنتجات الآخرين أكثر مما هو عليه واقعهم<sup>(4)</sup>.

وأخيرا فإن من يرفض العولمة على أساس أنها لن تجلب للعالم الإسلامي إلا الخراب والدمار هو أشبه بن يعلن رفضه لنظرية الجاذبية الأرضية، ورغم تنبه العديد من المفكرين الإسلاميين إلى الانعكاسات السلبية المتوقعة للعولمة وآثارها على المجتمعات الإسلامية، إلا أن المشكلة ليست في مقاومة تيار العولمة الجارف، بل القضية

(1) تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 22.

(2) حسين بن سالم الذهبي، "العولمة الثقافية والبعد الإسلامي"، جريدة القدس، فلسطين، ع 10445، 02 ماي 1999، ص 20.

(3) كمال الدين عبد الغني المرسي، المرجع السابق، ص 24.

(4) ناجي صادق شراب، "نحن والعولمة والسياسة"، جريدة القدس، فلسطين، ع 10445، 02 ماي 1999، ص 21.



الأساسية هي محاولة الخروج بأقل أضرار ممكنة حتى لا يكون العالم الإسلامي والمسلمين ضحايا للعولمة، هذه الأخيرة التي هي أساساً صنيعاً الغرب<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثالث: موقف الحركات الإسلامية من الغرب

يمكن تقديم صورة الغرب لدى الأنا الإسلامية ممثلةً في أفكار ورؤى وتصورات ومواقف الحركات الإسلامية المعاصرة، التي تعني الحركات النشطة والمنادية بتطبيق الإسلام وشرائعه في الحياة العامة والخاصة، وهي تسمية أطلقته الحركات الإسلامية على نفسها انطلاقاً من الاقتناع بأنها تعبّر أصدق تعبير عن الاستقلالية والخصوصية الحضارية للأمة الإسلامية، وخاصة على محور علاقة المسلمين بالغرب وحضارته الحديثة، حيث أن هذه الحركات تتميز بحدائتها، فقد نشأت في كنف الحداثة واستجابة لتحدياتها، وهي أيضاً إسلامية بمعنى أنها اختارت المرجعية الإسلامية استجابةً لتحديات الحداثة<sup>(2)</sup>، وحتى يكون البحث أكثر تركيزاً وأشمل لنواحي الموضوع لا بد من التعرض لمواقف الحركات الإسلامية المعاصرة، بمختلف أنواعها السلفية والسياسية والمسلحة، من الغرب.

### الفرع الأول: الحركة الإسلامية السلفية

تعتبر السلفية حركة إصلاحية تهدف إلى الرجوع بالمجتمع إلى الإسلام الصحيح من خلال العمل الدعوي<sup>(3)</sup>، وهي تتميز بكونها محدودة التأثير، ومنزوية في الأوساط الاجتماعية المغلقة، وذات منحى تعليمي إرشادي، وضيقة الفعالية السياسية، وقد بقيت مواقفها ثابتة تجاه القضايا الإسلامية، وظلت متمسكة بشكليات الأحكام الإسلامية وبالمواقف الجامدة في عملية تصنيف القوى السياسية، ولهذا تميّز التيار السلفي بالتقليد وضعف

(1) شريف الشوباني، نهاية التفكير، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 160.

(2) عبد الوهاب الأندلي، "الحركات الإسلامية: النشأة والمدلول وملابسات الواقع"، في الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002، ص22.

(3) أحمد فهمي، "التيارات السلفية وخيارات المستقبل"، في الواقع الدولي ومستقبل الأمة، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ع 5، 2008، ص 369.

الاستجابة للتغيرات التي يشهدها العالم الإسلامي على المستوى المحلى وعلى مستوى العلاقات الدولية، ويستمد فهمه للإسلام والحكم الإسلامي من الفكر الأزهري والسني المحافظ<sup>(1)</sup>.

أما بخصوص رؤية الحركة الإسلامية السلفية للغرب، فإن الرأي الشائع لدى أغلب الباحثين أنها رؤية ساذجة وظاهرية وعدائية، تدور في فراغ الرفض المطلق لكل إنجازاته العلمية والتكنولوجية، وهذا الرأي يميل إلى الاختزال والتجزئة والتشويه، وهو في جملته يعكس أحكاما مسبقة وانطباعات ذاتية أكثر من كونه حصيلة البحث العلمي المحكوم بالاعتبارات الموضوعية والصرامة المنهجية، وهذا ما كشفت عنه دراسة موسّعة قام بها الباحث "إبراهيم البيومي غانم"<sup>(\*)</sup> حول الخطاب السياسي والفكري لعدد من الحركات الإسلامية المعاصرة ذات الاتجاه السلفي، اعتمادا على إصداراتها الخاصة من النشرات والبيانات والكتب والمقالات والوثائق المنشورة وغير المنشورة، وكانت النتيجة الأساسية التي توصل إليها الباحث هي أن الحركة الإسلامية السلفية تمتلك رؤية مركبة وشاملة عن الغرب، ولكنها غير مصاغة صياغة نظرية كاملة ومحكمة، وأن هذه الرؤية تكاد تكون الوحيدة في ساحة الفكر في العالم الإسلامي التي تعبّر عن موقف نقدي أصيل للغرب ومعطياته الحضارية المختلفة، وإن كانت هي ذاتها ليست فوق مستوى النقد والمناقشة. كما توصل أيضا إلى أن الحركة الإسلامية قد أسهمت بطريقة أو بأخرى في شيوع التصور المُختزل والمُشوّه عن رؤيتها للغرب، وذلك بتقصيرها في تأصيل رؤيتها للعالم المحيط بها في هذا العصر وخاصة منه الغرب، ولكن النصيب الأكبر من هذا الاختزال

(1) شرف الدين فهمية، الثقافة الإيديولوجية في العالم العربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص ص194-195.

(\*) باحث في العلوم السياسية بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة.

والتشويه قام به المفكرون والكتّاب الذين هم على خلاف مع الحركة الإسلامية ويناصبونها العداء غير مكثرئين بأخلاقيات البحث العلمي وأمانته المطلوبة<sup>(1)</sup>.

لا تهتم الحركة الإسلامية السلفية بتحديد الغرب جغرافيا، وإنما تصفه بمجموعة من الصفات والنعوت التي ينصب بعضها على سياسات الدول الغربية، وينصب بعضها الآخر على جوانب من الحضارة الحديثة بمعناها الواسع، فغالبا ما تصف سياسات الدول الغربية بأنها استعمارية وحاقدة وعنصرية وصليبية، وأحيانا ينصرف الوصف إلى الغرب ككل فهو الغرب البغيض والملحد والعدو الحضاري، ولا تتفك إسرائيل عن مفهوم الغرب لدى الحركة الإسلامية في هذا السياق، كما لا يغيب عنها أن أوروبا هي الوطن الأصلي لهذا "الغرب" وأن أمريكا هي امتداد له، والسبب في عدم اهتمام الحركة الإسلامية بالتحديد الجغرافي للغرب هو ضالة مدلوله الذي يقسم العالم إلى شرق وغرب أو شمال وجنوب، ومثل هذه التقسيمات قليلة الأهمية من المنظور الإسلامي لأنها إضافة إلى كونها طارئة أو مؤقتة ومتحولة باستمرار، فهي أيضا تقسيمات ظالمة ومتحيزة نبعت من غرور الأوروبيين بحضارتهم الحديثة وتعاليمهم على بقية شعوب وأمم العالم، ونظرتهم إلى أنفسهم على أنهم جنس أرقى من غيرهم، وأن عليهم يقع عبء تحديث العالم أو "عبء الرجل الأبيض" حسب مفاهيم الحقبة الاستعمارية.

ليس المهم إذن إدراك الغرب جغرافيا وإنما إدراكه حضاريا بكل ما يمثله من دلالات سياسية وثقافية وعلمية واجتماعية، وتكشف وثائق وكتابات الحركة الإسلامية عن تغلغل "الغرب" في وعيها بمعناه الحضاري الشامل، أي باعتباره مجموعة مركبة ومعقدة من الخصائص والمقومات والأبعاد التي يتشكل منها الوضع الحضاري العام للمدنية

(1) إبراهيم البيومي غانم، "صورة الغرب عند الحركة الإسلامية المعاصرة"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع 1115، سبتمبر 1994، ص 40.

الغربية الحديثة، والتي تساهم في الوقت نفسه في رسم وتثبيت ملامح محددة لصورة الغرب لدى الحركة الإسلامية، أهم هذه الملامح ما يلي (1) :

**أولا - الغرب كاستعمار:** رغم تحرر أغلب البلدان الإسلامية من الاحتلال الأجنبي، لا تزال صورة الغرب كمستعمر سابق ماثلة في أذهان الحركات الإسلامية المعاصرة، ودائما ما تربط هذه الحركات كثيرا من مشكلاتها الراهنة والمخاطر التي تتعرض لها الأمة الإسلامية بالغرب كمستعمر يبحث عن صورة جديدة للسيطرة (2).

إن الغرب كمستعمر هو أول ملامح صورة الغرب ظهورا ووضوحا لدى الحركة الإسلامية، سواء في صورته القديمة أو الجديدة، وفي الوقت نفسه أكثر ملامحه سلبية، إذ لا يغيب عن بال الحركة الإسلامية التاريخ الطويل للاستعمار القديم ودوره في نهب ثروات بلاد المسلمين، وفي تمزيق وحدتها والتآمر عليها باستمرار، وإسقاط الدولة العثمانية التي كانت رمزا للأمة الإسلامية على مسرح السياسة الدولية حتى الحرب العالمية الأولى، كما لا تغيب عنها ألعيب الاستعمار الجديد وأهمها تلك التي تتم عن طريق التبعية السياسية والثقافية والإعلامية والاقتصادية، وخاصة عن طريق الشركات متعددة الجنسية التي تشد وثاق المجتمعات الإسلامية بالغرب ومركزاته الصناعية والرأسمالية.

من أكثر جرائم الاستعمار ذكرا وتنديدا في كتابات الحركة ووثائقها، غرس الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي، وتسخير مؤسسات الشرعية الدولية لخدمة أغراض هذا الكيان والدفاع عنه، وفي هذا السياق تتال الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها إسرائيل النصيب الأكبر من سخط وكراهية الحركة الإسلامية باعتبارها وريثة الاستعمار القديم وزعيمة الاستعمار الجديد، وإذا كان للاستعمار جوانب وأبعاد مختلفة من حيث درجة خطورة كل منها، فإن الحركة الإسلامية ترى وتؤكد على أن الاستعمار الثقافي

(1) نفس المرجع، ص ص 40 - 41.

(2) نيفين عبد المنعم مسعد، وعبد العاطي محمد أحمد، المرجع السابق، ص 148.

والغزو الفكري هما أخطر جوانبه، مع عدم إغفال البعد المحلي الكامن في المجتمعات الإسلامية المتمثل في "القابلية للاستعمار" حسب تعبير مالك بن نبي<sup>(1)</sup>.  
 لعلَّ السبب الرئيس وراء بروز الوجه الاستعماري الظالم لدى الحركة الإسلامية هو أن الاستعمار ذاته قد شكَّل التحدي الأكبر الذي عَجَّل بظهور الحركة الإسلامية، كرد فعل عليه وكحركة تحررية عبَّرت عن حيوية الأمة الإسلامية وعدم استسلامها للسيطرة الغربية، ومن ثم فقد حملت الحركة حساسيات النشأة في مواجهة الغرب المستعمر، وتعمَّقت هذه الحساسيات لديها بعد الاستقلال من جراء السياسات الغربية تجاه العالم الإسلامي.

**ثانياً- الغرب كتقدم علمي:** هو الملمح الثاني في صورة الغرب لدى الحركة الإسلامية ويكاد يكون على النقيض من الملمح الأول - الاستعمار - من حيث قبوله لدى الحركة، ورغم أنها لا تبدي انبهاراً بالتقدم العلمي والتقني الغربي إلا أنها تُسلم بأن هذا الجانب هو أبرز حسنات الحضارة الغربية المعاصرة، وترى أن على المسلمين أن يأخذوا بأسباب هذا التقدم حتى تتوفر لديهم عناصر القوة اللازمة لاستعادة مجدهم السابق.  
 رغم ما سبق ذكره فإن هذه الحركة تدعو المسلمين إلى الحذر والحيطه في التعامل مع منجزات هذا التقدم الغربي، وترى أن بعض هذه المنجزات غير جدير بالنقل أو الاقتباس بل يجب رفضه والعمل على أن يتخلى الغرب ذاته عنه، ومثال ذلك التقدم في مجال التسليح النووي وتطوير أسلحة الدمار الشامل، وبحوث الهندسة الوراثية التي تهدد بنشويته خلق الله وإحداث خلل كبير في التوازن البيئي.

يمكن القول أن ما قدَّمه الغرب من علوم متطورة وتكنولوجيا يمثِّل بالنسبة للحركة الإسلامية معضلة كبيرة تتجمع بداخلها عناصر القبول والرفض، أو الأخذ والرد في آن واحد، إذ يصعب رفض منجزات التقدم العلمي، وفي الوقت ذاته يصعب قبول القيم اللصيقة به والكامنة بداخله والتي تتعارض مع بعض القيم والمبادئ الإسلامية، إنها

(1) إبراهيم البيومي غانم، المرجع السابق، ص 40.

باختصار "معضلة الحداثة" التي تتعارض الرغبة في تحقيقها ومن ثم خطر الاندماج في الغرب من ناحية، مع الحرص على التميُّز والاستقلال الحضاري من ناحية أخرى<sup>(1)</sup>. إن معضلة الحداثة على هذا النحو هي التي تفسر ظاهرة ازدواج المدح والذم في خطاب الحركة الإسلامية الخاص بالتقدم العلمي والتكنولوجي الغربي، وتختلف درجات القبول عن الرفض باختلاف مجالات هذا التقدم، وفي هذا الصدد توجه الحركة السلفية نقدها من زاويتين: الأولى هي أن التقدم الغربي مفنق إلى الإيمان بالله وحسن معرفته وانتظار الجزاء منه، والثانية هي سوء استخدام الغرب لمنجزات تقدمه حيث يستخدمها في استعباد الشعوب وقهر المجتمعات الأخرى ونهب ثرواتها، وهي أمور لا يزال يمارسها الغرب وتؤكد سياسات دوله ومواقف حكوماته تجاه قضايا العرب والمسلمين.

**ثالثاً- الغرب كنمط حياة اجتماعي:** يأتي نمط حياة المجتمعات الغربية ليرسم الملمح الثالث في صورة الغرب لدى الحركة السلفية، وعادة ما تثار هنا الموضوعات الخاصة بالمرأة والانحلال الأخلاقي والإباحية الجنسية وكافة أنواع الجرائم. إن هذا الجانب الاجتماعي للغرب يجسّد في نظر الحركة الإسلامية أمراض الحضارة الحديثة، ويكشف عن جوانبها السلبية، وهو من أكبر الأدلة على خوائها من داخلها، ومن أكثر العوامل التي تجعل الغرب في حاجة إلى روحانية الشرق وأخلاقيات الإسلام التي تسمو بالإنسان إلى أعلى الدرجات.

لعل أكثر الأمور إثارة لانزعاج الحركة الإسلامية، وهي تنتقد نمط الحياة الاجتماعية الغربية، هو أن مخاطر وسلبيات هذا النمط لا تقتصر على مجتمعات الغرب فقط بل أنها صارت تجتاح المجتمعات كلها وفي مقدمتها المجتمعات الإسلامية، ويساعد على ذلك التقدم الهائل في وسائل الاتصال، كما تدرك الحركة أن تقليد طريقة معيشة الغرب له تأثير قوي ومدمر على الهوية الذاتية للمجتمعات الإسلامية، وخاصة في ظل

(1) نفس المرجع، ص 41.

سيطرة العناصر المتغربة على مؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافة والتعليم والترفيه، بحيث أصبح الوضع وكأن المجتمع الإسلامي يعيش في داخل حيز مغلق من الغربيين والمستغربين، مما أدى بالحركة الإسلامية إلى نقد وإدانة ورفض نمط الحياة الاجتماعية المستورد من الغرب<sup>(1)</sup>.

تلك هي أهم ملامح صورة الغرب كما تدركها الحركة الإسلامية السلفية المعاصرة وتعبّر عنها في كتاباتها ووثائقها المختلفة، ومن المعلوم أن هذه الصورة وخاصة صورة العدو الحضاري لا تكون في حالات كثيرة مطابقة للواقع أو حتى مرتبطة به، بل إنها قد تحمل الكثير من الأوهام والإحباط إلى جانب ما تحمله من الحقائق والوقائع، والأمر يتوقف في النهاية على دقة الإدراك الموضوعي للحقائق والوقائع، كما يتوقف على سلامة الأساس النظري الذي يحكم نظرة الحركة الإسلامية للعالم عموماً وللغرب كجزء منه بصفة خاصة.

### الفرع الثاني: الحركات الإسلامية السياسية

على عكس السلفية التي تعتبر دعوة دينية اجتماعية هدفها نبذ التقاليد والأعراف البالية والتنجيم والشعوذة والشرك، فإن الحركات الإسلامية السياسية التي أُصطلح على تسميتها بالأصولية تُعدّ دعوة دينية سياسية هدفها الأقصى هو إقامة الدولة أو الخلافة الإسلامية، ولهذا السبب اصطدمت هذه الحركات مع كثير من الحكومات خاصة في الدول العربية<sup>(2)</sup>، وهي تميل إلى العمل من داخل النظام السياسي والاجتماعي السائد حيث تسعى إلى دفعه إلى التغيير بروح إصلاحية لا ثورية، ويمكن القول إن هذه الحركات اتخذت قراراً إستراتيجياً منذ سبعينيات القرن العشرين بتفادي الصدام المباشر مع خصومها،

(1) نفس المرجع، ص 41.

(2) شاكر النابلسي، تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 30.

واعتماد منهج التدرج والنضال المدني بالتعاون مع القوى القومية والوطنية المعارضة<sup>(1)</sup>، كما أنها تهدف منذ نشأتها ومن خلال خطابها ومشروعها السياسي إلى إيجاد البديل الإسلامي.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن معظم الباحثين في الشؤون الإسلامية يؤكدون على أن لفظ الأصولية كصفة لصيقة بالحركات الإسلامية، والذي شاع في الأوساط الإعلامية والثقافية والسياسية المعاصرة، هو مصطلح غربي النشأة والمضمون أطلقه الكتاب الغربيون على حركة الصحو الإسلامية، وذلك في محاولة منهم لتشويه صورتها من خلال تشبيهها بالأصولية المسيحية المتعصبة التي ظهرت في الغرب، مع كل سلبياتها التي رسخت في أذهان الغربيين<sup>(2)</sup>، حيث كان مصطلح "الأصولية" يستخدم للإشارة إلى بعض الكنائس والاتجاهات البروتستانتية وخاصة تلك التي تعتقد بالأصل السماوي لألفاظ الكتاب المقدس وعدم تعرضها للتحريف<sup>(3)</sup>. غير أن مرادفة صفة "الأصولية" لمصطلحات التطرف والإرهاب لا يوافق عليها أغلب المفكرين الإسلاميين، على اعتبار أن الأصولية في نظرهم هي العودة إلى مصادر الدين الصحيحة وذلك للاستلزام المباشر من قيم الدين الأصلية<sup>(4)</sup>.

تتميز الحركة الإسلامية الأصولية بالحركية والإصرار على بلوغ الهدف، مما جعلها تخوض في التفاعل مع مفاهيم ومنظومات فكرية وبرامج سياسية لقوى أخرى، وبهذا بدأت دعوات أصولية بارزة مستخدمة مفاهيم معاصرة مثل الحكومة الإسلامية، كما

(1) محمد بن المختار الشنقيطي، "الحركات الإسلامية وهجمات 11 سبتمبر.. خلفيات وخلفيات"، تاريخ التصفح: يوم 2009/04/27، من موقع الإنترنت: <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/10/3/>

(2) هشام عبد الرزاق صالح الطائي، "الأصولية الإسلامية في الفكر الغربي المعاصر: دراسة تاريخية"، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العراق، ع 57، 2010، ص 561.

(3) عطاء الله مهاجراني، الإسلام والغرب، ترجمة: عادل عبد المنعم سويلم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 1، 2006، ص 146.

(4) السيد يسين، الحرب الكونية الثالثة: عاصفة سبتمبر والسلام العالمي، المرجع السابق، ص 190.



أن مفاهيمها اكتسبت مضامين تعبر عن تأثر فعلي بواقع اجتماعي تخوضه الفئات الدينية من المجتمع.

لا تقبل الحركات الإسلامية الأصولية أي مساومة مع الأفكار الغربية المنادية بالحدثة والعصرنة خارج الإطار الديني، لأن الهدف الأساسي للحركات الأصولية هو إقامة دولة إسلامية تطبق قوانين الشريعة الإسلامية، وهذا ما أفرز معارضة شديدة من قبل أغلب الأنظمة السياسية في الدول العربية والإسلامية<sup>(1)</sup>.

أما عن موقف الحركات الإسلامية الأصولية من الغرب فيمكن تصوره من خلال تحليل مفهوم العلاقات الدولية من وجهة نظرها، حيث أن العلاقات الدولية عند الإسلاميين الأصوليين المعاصرين تتضوي تحت أربعة مفاهيم أساسية، ولا يمكن بدونها فهم العلاقة الجدلية بين الأصوليين الإسلاميين وغيرهم، وهي: عالمية الإسلام، وجاهلية الغرب، والجهاد، والسلام:<sup>(2)</sup>

- إن مفهوم "عالمية الإسلام" يشكّل الحقيقة المطلقة النظرية التي يجب الوصول إليها.
- أما مفهوم "جاهلية الغرب" فهو الحقيقة الجزئية الفعلية التي يجب التخلص منها.
- في حين يمثل مفهوم "الجهاد" السبيل لإنهاء الحقيقة الجزئية الفعلية وهي "جاهلية الغرب".
- أما مفهوم "السلام" فهو السبيل للتوصل إلى تحقيق الحقيقة المطلقة النظرية وهي "عالمية الإسلام"، وكنتيجة لها.
- فعالمية الإسلام وجاهلية الغرب لا يمكن لهما التعايش معاً، فكل واحدة منهما تنفي الأخرى، أما الجهاد والسلام فهما وسيلتان وليستا هدفين بحد ذاتهما.

(1) شرف الدين فهمية، المرجع السابق، ص ص 166 - 167.

(2) أحمد موصللي، "النظام العالمي والأصولية الإسلامية"، مجلة منبر الحوار، السنة الخامسة، ع 18، صيف 1990، ص ص 55 - 66.

يمكن نقد مفهوم العلاقات الدولية، ومنه مفهوم الغرب، عند الأصوليين الإسلاميين من خلال كون هذا المفهوم لا ينطلق من تصورات قانونية أو تطورات واقعية أو مصالح قومية، ولا تحظى المناهج المعاصرة في تحليل العلاقات الدولية عنده بأي اهتمام، ومن هنا يمكن القول أن العلاقات الدولية التي يجب أن تُبنى على الواقع المادي والسياسي والحضاري وعلى الفهم العميق لموازن القوى العالمية والإقليمية قد حلت محلها التصورات المثالية، مما أدى إلى قصور في وضع الحلول العملية لتخطي هذا النظام الدولي أو استبداله أو تعديله أو حتى مواجهة الغرب كطرف محوري فيه.

أما البديل المطروح المتمثل في رؤية الإسلام كإطار وحيد لتحديد السلوك السياسي الداخلي والدولي، وكإيديولوجية دولية غير مؤسسة على مفاهيم جغرافية أو قومية أو عنصرية، وإنما مرتكزة على ألوهية الله للجميع، فهو تخطُّ للإطار الزمني والمكاني للسلوك السياسي عند الأمة، وعليه فهذه الرؤية تحجب المفاهيم العملية والتعاطي الواقعي مع النظام العالمي، وتحول دون القدرة على التأثير فيه وتغييره أو تطويعه لخدمة مصالح العالم الإسلامي. فالرفض القاطع الذي يتبناه الأصوليون تجاه النظام العالمي - وخاصة الغرب كطرف فاعل فيه - ما هو إلا نتيجة لعدم قدرتهم على التعاطي مع هذا النظام من حيث هو انعكاس واقعي للمعطيات المادية والتوازنات الدولية<sup>(1)</sup>.

وبالنسبة لمفهوم "جاهلية الغرب" أليس مشابها "لتجهيل" الغرب لمجتمعات وحضارة العالم الإسلامي ورفضه التعايش مع المسلمين إلا على الأسس التي يطرحها هو ومن منطلقاته هو، فرفض الأصوليين للنظام العالمي والغرب كقطب مركزي فيه بسبب ارتباطه بالسيطرة والاستغلال هو صحيح، إلا أنه يجب أن لا يؤدي إلى نظام عالمي جديد قائم على سيطرة مجموعة حضارية معينة على باقي الشعوب والمجتمعات، وإلا فإن العدل المنشود لن يكون إلا سرايا.

(1) نفس المرجع، ص66.

أما أساس السلام عند الأصوليين الذي يتمثل في خضوع الجميع للسيادة العالمية للنظام العالمي الإسلامي بدون ابتزاز أو إكراه، فما هو في الحقيقة إلا وصفة لا يمكن تطبيقها إلا بقهر العالم وإخضاعه للمفاهيم السياسية عند المسلمين، ولهذا يقول الأصوليون أن الإسلام لا يهدف إلى إدخال جميع الناس في الإسلام بل إلى إخضاع الجميع لنظامه.

وعليه فالحرية الدينية محفوظة للجميع ولا ينكرها الأصوليون من حيث المبدأ، لكن على الجميع الخضوع للشرعية إما بإقامة شعائر الدين وأركانه عند المسلمين أو الجزية والمحاربة لغير المسلمين، فالإسلام السياسي الذي يمثل نظام الحكم الإسلامي يجب أن يسيطر على الحياة العامة. وبالرغم من أن دخول الإسلام هو عمل فردي وطوعي لا إكراه فيه، إلا أن الخضوع للشرعية الإسلامية هو عمل فردي وجماعي يتأتى طوعاً وكرهاً. ولكن هل إخضاع العالم للشرعية الإسلامية دون إيمان العالم به مؤدٍ إلى السلام العالمي الأكبر، كما يدّعي الأصوليون، أم أنها في الحقيقة شكل آخر من أشكال السيطرة والهيمنة باسم الدين والأخلاق بحيث لا يمكن للسلام في الإسلام أن يتحقق إلا عند امتداده إلى العالم كله<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: الحركات الإسلامية المسلحة

تعتبر الحركات الإسلامية المسلحة<sup>(\*)</sup>، أو كما تصف نفسها بالجهادية، سلفية الفكر في الغالب الأعم، لكنها تختلف عن السلفيين التقليديين في موقفهم من الحكام وميلهم إلى الخضوع للأمر الواقع وعزوفهم عن السياسة، كما تعتبر أن الحركات السياسية الإخوانية تغالي في الحيطة والحذر مما حولها إلى جزء من الواقع لا بديلاً عنه كما هو مفترض،

(1) نفس المرجع، ص ص 67 - 69.

(\*) تصف الحركات الإسلامية المسلحة نفسها بالجهادية، فيما يصفها الغرب بالإرهابية وهذه نقطة خلاف عميقة.

ويفسر أغلب المحللين ظهور الحركات الإسلامية المسلحة بأنها رد فعل على الاضطهاد الذي تعرّضت له الحركات الإسلامية من قِبَل السلطة في بعض الدول الإسلامية<sup>(1)</sup>. كما تتبنى الحركات المسلحة طريق "ذات الشوكة" في تعاملها مع الحكام ومع القوى الأجنبية الموجودة في المنطقة، وهي في العادة قليلة العدد لا تجد تعاطفا كبيرا بين جماهير الشعب العريضة، نظرا لأن خروجها على الدولة تحوّل في بعض البلدان إلى خروج على المجتمع فأضّرّ برسالتها وجاذبيتها، كما أن نشاطها المسلح لا تصاحبه في الغالب مظلة سياسية مناسبة تتبناه وتسدده وتجنّي ثماره<sup>(2)</sup>، ويدخل تحت هذا المسمى حركات مثل حزب الله والقاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام أو ما يسمى "داعش" وغيرها.

لقد أدى تزايد الجماعات الإسلامية المتطرفة أو المسلحة<sup>(\*)</sup> إلى خلط في المفاهيم في أذهان مؤيدي الحركة وأعدائها على السواء وإلى تشويه الصورة الحقيقية للإسلام، خاصة وأن هذه الجماعات أصبحت هي الصوت الأعلى والرمز الأوضح من بين مختلف التيارات الإسلامية في الساحة العربية والإسلامية بل والدولية، مما يحتم على قادة الحركة الإسلامية أن يركزوا جهدهم بدايةً في توحيد وترشيد فكر هذه الجماعات، وخاصة تلك التي اختارت التطرف والعنف وسيلة لبلوغ أهدافها، وكفّرت شعوبا وحكومات، دون أن تعي أنها تسيء إلى المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، وأنها تثير حوله العديد من المخاوف، وتكسب له يوما بعد يوم أعداء في الداخل والخارج، وهو ما يغذي أطروحات الصراع الحضاري<sup>(3)</sup>.

(1) سعد الدين السيد صالح، إحدروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 1998، ص254.

(2) محمد بن المختار الشنقيطي، "الحركات الإسلامية وهجمات 11 سبتمبر.. خلاقات وخلفيات"، المرجع السابق.

(\*) إن بعض الحركات المسلحة تصف نفسها بالإسلامية رغم أن مبادئها ونشاطاتها لا تمت بأية صلة بالإسلام، مثلما هو الحال بالنسبة لتنظيم "داعش"، وهو ما يعكس مشكلة في التوصيفات.

(3) حامد سليمان، غربة الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص105.

من هنا يمكن الجزم بأن موقف المسلمين والعالم الإسلامي من الغرب هو نتاج تراكم مجموعة من التجارب التاريخية المريرة بينهما دامت قرونا من الزمن، وهو في عمومه موقف رافض للغرب وسياساته تجاههم، وإن كانت هناك بعض الفروق بين التيارات الإسلامية إلا أن ذلك لا يؤثر على الاتجاه العام السلبي في موقف المسلمين من الغرب.

### المبحث الثاني: موقف الغرب من العالم الإسلامي

يعتبر تحليل موقف الغرب من العالم الإسلامي، وكل ما يرتبط به من الإسلام والمسلمين والظاهرة الإسلامية، الشق الثاني من دراسة العلاقة الجدلية القائمة بين الأنا الحضارية المتمثلة في العالم الإسلامي والآخر الحضاري المتمثل في الغرب، وك محاولة للإلمام بنواحي الموضوع لا بد من التطرق إلى تصورات الغرب التاريخية للعالم الإسلامي، ثم الاتجاهات العامة لموقف الغرب من العالم الإسلامي، وأخيرا إستراتيجية الغرب تجاه العالم الإسلامي.

### المطلب الأول: تصورات الغرب التاريخية للعالم الإسلامي

مثما يحمل المسلمون في العالم الإسلامي تصورات تاريخية للغرب، فإن الغرب أيضا يحمل تصورات تاريخية بشأن العالم الإسلامي، هذه التصورات التي تمثل إلى حد كبير الخلفية الكامنة وراء مختلف المواقف والسياسات والاستراتيجيات الغربية المتخذة تجاه العالم الإسلامي، من أهم هذه التصورات ما يلي:

### الفرع الأول: أجنبية الإسلام

ارتبطت نظرة الغرب إلى الإسلام دائما وأبدا ارتباطا وثيقا بتعريف مصطلح "الأجنبي"، حيث أن الإسلام هو أول ثقافة أجنبية يلتقي بها الأوروبي حين ينتقل من أوروبا في اتجاه الجنوب أو الشرق، وقد كان تفاعل أوروبا مع الأطراف المتاخمة

لحدودها الآسيوية والمتوسطية عاملا مهما في تطور إحساس القارة بوصفها الجيوبوليتيكي ودورها العالمي<sup>(1)</sup>.

منذ الفتوحات الإسلامية الأولى والعلاقة بين الإسلام والغرب يشوبها الالتباس والغموض والفهم الخاطئ، حيث ظل الإسلام في نظر الغرب هو ذلك الآخر البربري الغازي والحاقد المحارب..، لذلك نجد عدة دراسات استشراقية استهدفت منذ عدة عصور وتعمّدت تشويه صورة الإسلام في الغرب وفي العالم ككل، إلى الحد الذي جعل البعض يعتبر المسلمين في حالة حرب دائمة وبالتالي انعدام إمكانية الحوار معهم<sup>(2)</sup>.

لقد تكونت في وعي الأوروبيين في القرون الوسطى ملامح الصورة التالية عن الإسلام: "إنه عقيدة ابتدعتها محمد، وهي تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، إنها دين الجبر، والانحلال الأخلاقي، والتساهل مع المذات والشهوات الحسية، إنها ديانة العنف والقسوة.."<sup>(3)</sup>، ومن ثم فإن الغرب لا يعترف بالإسلام ولا يأخذ في الاعتبار أية ديانة بعد المسيحية، بل إنه يعتبر الإسلام خطأ مطلقا لا بد من رفضه، ولأنه يمثل خطرا بالنسبة للكنيسة لا بد من محاربتة، كما تم غلق باب النبوة أمام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتأليه سيدنا عيسى عليه السلام وجعله هو الله أو مساويا له<sup>(4)</sup>.

أما في العصر الحديث فقد ارتبط سوء فهم الإسلام بعدم التفارقة بين ما هو من صلب الدين وما هو من صنع التاريخ والظروف، حيث يربط الغرب المعاصر الإسلام

(1) جراهام أي فوللر، وإيان أوليسر، المرجع السابق، ص 26.

(2) إدريس لكريني، التدايعيات الدولية الكبرى لأحداث 11 سبتمبر: من غزو أفغانستان إلى احتلال العراق، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المملكة المغربية، ط1، 2005، ص ص 141-142.

(3) باسم خفاجي، لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، مكتبة الملك فهد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2006، ص 27.

(4) زينب عبد العزيز، موقف الغرب من الإسلام: محاصرة وإيادة، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص 255.

بالعديد من الصفات والمفاهيم السلبية أهمها: الإرهاب، وعدم الاعتراف بالآخر، والتكفير، والقسوة، والتعصب، ورفض الحوار، والاتكالية، والرجعية<sup>(1)</sup>.

يعتقد العديد من الباحثين أن الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب لم تكن بسبب جهل هذا الأخير به، ولكنها في الواقع نتيجة معرفة حقيقية بالإسلام غلّفت بالحقد والخوف من تنامي تأثيره على أوروبا نفسها وعلى العالم أجمع، وقد استمر بناء هذه الصورة السلبية عن الإسلام طوال الألف عام الماضية بشكل دوّوب ومستمر، لم تنقطع إلا في فترات محدودة للغاية، ولم تخالفه أو تعترض عليه إلا دوائر ثقافية وفكرية صغيرة وغير مؤثرة في الموقف الفكري الغربي<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: الإسلام وفقدان أوروبا للوحدة المتوسطية

إن العقل الأوروبي لا زال يحمل آثار ذكريات الغزو الإسلامي لأوروبا في القرون الوسطى، وإن كان التبرير الظاهري للعداء الغربي تجاه العالم الإسلامي أنه رد فعل على التهديد بالانتقام والقتال والجهاد التي تطال الغرب من جانب بعض التيارات الإسلامية<sup>(3)</sup>. لقد كان ثمة تراث قوي أكد وجود إرث تاريخي مشترك وحضارة مشتركة حول البحر المتوسط يربطان جنوب أوروبا وشمال إفريقيا والمشرق، إنه تراث الإمبراطورية الرومانية ونسقتها الموحد- إلى حد ما- للعلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب عبر البحر المتوسط، إنه نسق امتد طويلا بعد سقوط الإدارة الرومانية التي تحطمت بعد ذلك نتيجة توسع سلطة الإسلام التي شاعت في جنوب أوروبا عبر سلسلة من الفتوحات الإسلامية المتتابعة، وما ترتب عليها من فقدان الاتصالات الحرة ليس فقط بين الشمال والجنوب بل وأولا وأساسا بين الشرق والغرب. ومن ثم فإن الغرب ينظر إلى الإسلام باعتباره الحضارة المتوسطية الكبرى التي لها قوة

(1) حسن حنفي، "الإسلام والغرب.. ورقة عمل"، مجلة شؤون عربية، ع 109، ربيع 2002، ص ص 113-116.

(2) باسم خفاجي، المرجع السابق، ص ص 23 - 26.

(3) رجب البناء، المنصفون للإسلام في الغرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص45.

توحيدية، وأن التقاء الحركات السياسية الإسلامية عبر الشمال الإفريقي والمشرق والنمو المتصاعد للعامل الإسلامي في منطقة البلقان يوحي بأن إمكانية تصاعد الإسلام كقوة توحيدية في منطقة البحر المتوسط أبعد من أن تكون قد أُستنفذت<sup>(1)</sup>.

كما تميّز الاستشراق لفترة طويلة بموقف عدائي تجاه الإسلام والثقافة الإسلامية والعربية، لأنه يعتبر أن الإسلام قد هدّد أوروبا المسيحية ونجح في إزاحة سلطان روما نفسها، وهو أمر لا يمكن لأي أوروبي أن ينساه أو يتناساه، وهذا الموقف يثيره الاستشراق دائما في كتاباته فيحرك في الأعماق كثيرا من الآلام في نفوس الأوروبيين، ومن ثم تنمية الشعور بالحدق والكراهية تجاه الإسلام والمسلمين<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثالث: تراث الحقبة الاستعمارية

إن التفاعلات بين الدول الاستعمارية الأوروبية وبين المستعمرات منذ القرن السادس عشر وحتى ما بعد الحرب العالمية الثانية كانت في الأساس تفاعلات بين الغرب والإسلام، ونتيجة لذلك ظل اهتمام أوروبا بالعالم الإسلامي ومعرفتها به، حتى منتصف ستينيات القرن العشرين، متأثرين بشدة بمتطلبات السياسة الاستعمارية وتوترات عملية إنهاء الاستعمار، وعلى الرغم من أن التجربة الاستعمارية والثورات المناهضة للاستعمار هما عاملان مهمان في تحديد تصورات المسلمين المعاصرين عن الغرب، فإنه ليس بالإمكان إغفال أثر هاتين العمليتين في التصور الأوروبي للعالم الإسلامي، وإن كان أثرهما أقل وضوحا<sup>(3)</sup>.

### الفرع الرابع: الثورة الإسلامية في إيران

من بين جميع التطورات الإقليمية في سبعينيات القرن العشرين تُشكّل الثورة الإيرانية وأزمة الرهائن أكثر العوامل تأثيرا في تشكيل الموقف الغربي من الإسلام والعالم

(1) جراهام أي فوللر، وإيان أوليسر، المرجع السابق، ص 28.

(2) محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1993، ص 187.

(3) جراهام أي فوللر، وإيان أوليسر، المرجع السابق، ص 33.



الإسلامي، وخاصة لدى السياسة الخارجية الأمريكية والرأي العام الأمريكي، فالأمريكيون الذين ينظرون إلى بلادهم على أنها رمز "الحضارة والتمدن" صُدِّموا لدى سماعهم آية الله الخميني يطلق على الولايات المتحدة الأمريكية لقب "الشيطان الأكبر"، وقد أشار أحد المسؤولين الأمريكيين إلى أنه: "لا غرابة في أن التجربة الإيرانية قد كَيِّفَت إلى حدِّ بعيد الرأي العام الأمريكي حول طبيعة الإسلام الأصولي التي تتميز بالعنف والعداء لأمريكا".

لقد مثَّل الإسلام السياسي في نظر الولايات المتحدة الأمريكية تهديداً أمنياً لمصالحها، وكان شبح الصدام بين العالم الإسلامي والغرب أحد أهم الأسباب الرئيسية وراء اعتراض وزير الخارجية الأمريكية الأسبق "سايروس فانس" Cyrus Vance على استعمال القوة العسكرية لإنقاذ الرهائن الأمريكيين في إيران، فقد كان يرى أن الخميني وأتباعه بانجذابهم الروحي القوي كشيعة إلى فكرة الاستشهاد قد يرحبون بأي عمل عسكري أمريكي ويجعلون منه وسيلة أو ذريعة لتوحيد العالم الإسلامي ضد الغرب<sup>(1)</sup>.

كما امتد تأثير الثورة الإيرانية إلى كل من السعودية وباكستان وأفغانستان ولبنان والكويت والبحرين، حيث بدأ التمرد ضد الأنظمة السياسية الحاكمة، وقد كان اغتيال الرئيس المصري أنور السادات على يد جماعة إسلامية التوجه، بالإضافة إلى الهجمات الدامية ضد الأفراد والمواقع والتجهيزات الأمريكية في لبنان والكويت وغيرهما سبباً في تعميق قلق الغرب إزاء تصدير الثورة الإسلامية إلى الخارج، وهو ما يؤدي إلى تهديد مصالحه في المنطقة.

وفي نفس السياق هناك من يفسِّر الموقف العدائي الغربي تجاه العالم الإسلامي على أنه استجابة أو رد فعل على تصريحات بعض القادة والمفكرين المسلمين مثل تصريحات الخميني بأن الغرب كله فساد، أو نظرية سيد قطب عن شرور الجاهلية الغربية<sup>(2)</sup>.

(1) فواز جرجس، "الأمريكيون والإسلام السياسي"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، لبنان، ع 217، مارس 1997، ص ص 09 - 10.

(2) رجب البناء، المنصفون للإسلام في الغرب، المرجع السابق، ص 46.

وهكذا لوّنت الثورة الإسلامية في إيران آراء ومواقف الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي والمسلمين بل والإسلام، حيث يوضح أحد الاستطلاعات أن أحد العوامل التي تمنع الأمريكيين من تقدير الإسلام تقديراً إيجابياً هو ارتباطه في أذهانهم بإيران، أي أن هذا الارتباط الوثيق بين إيران والإسلام قد أضرَّ بصورة هذا الأخير في عيون الغرب عامة والأمريكيين خاصة<sup>(1)</sup>.

### الفرع الخامس: أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001

إنه وبغض النظر عن الفاعل الحقيقي المتسبب في هذه الأحداث، سواء كان حركات محسوبة على الإسلام أو مخابرات أمريكية تسعى لإيجاد ذريعة للإصاق تهمته الإرهاب بالإسلام والمسلمين، فإن هذه الأحداث تمثل أول وأهم عامل من عوامل تشكيل الموقف الغربي تجاه العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين، وهو يوازي في حجم تأثيره السلبي على هذا الموقف، أو يفوق، حجم تأثير الثورة الإيرانية وقضية الرهائن في القرن العشرين، حيث أنه وبتأثير من الإعلام الغربي والسياسة الغربية، بل وحتى من أغلب الأكاديميين الغربيين، تم تعبئة الرأي العام الغربي أكثر من أي وقت مضى في اتجاه اعتبار المسلمين والعالم الإسلامي والحركات الإسلامية كجهة مسؤولة بالدرجة الأولى عن هذه الأحداث.

كما أنه لا يوجد مجال للشك في أن هذه الأحداث وما تلاها قد امتحنّت العلاقات بين الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية من جهة والعالم الإسلامي من جهة ثانية، وأظهرت النتائج انعداماً واضحاً للثقة بل وأكثر من ذلك عداءً صارخاً بين الطرفين<sup>(2)</sup>.

(1) فواز جرجس، "الأمريكيون والإسلام السياسي"، المرجع السابق، ص 11 - 12.

(2) مأمون فندي، ضحايا الحداثة: أمريكا والغرب بعد أحداث 11 سبتمبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 206.

## الفرع السادس: الإرهاب والجهاد

لا شيء يجعل صورة الإسلام سلبية أكثر من العنف الذي يمارس ضد الأبرياء باسم الإسلام، فقد رُبط الإرهاب بالإسلام واشتدت الصورة تركيزاً بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر، إذ أصبح الكثيرون عبر العالم وخاصة الغرب يخافون بصورة هستيرية من كل ما هو إسلامي<sup>(1)</sup>. صحيح أن هناك أعمالاً إرهابية يرتكبها يهود وبروتستانت وماويون وحتى أمريكيون مثل ما حدث في غوانتانامو، ولكن تطبيق المعايير المزدوجة هو الذي يركّز حصراً على العنف الذي يرتكبه المسلمون دون غيرهم<sup>(2)</sup>.

لقد استخدم خطاب "مكافحة الإرهاب" كذريعة للتدخلات الأمريكية حول العالم منذ عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريغان Ronald Reagan، حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية متحالفة مع المجاهدين الأفغان وداعمة لهم كجزء من إستراتيجية احتواء واستنزاف الاتحاد السوفييتي، وكانت تتادي المحاربين آنذاك بـ"المجاهدين" ومنهم أسامة بن لادن، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي أصبحت تتادي نفس الأشخاص والجماعات بـ"الإرهابيين"، أما بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر فقد أعيد بعث نفس الخطاب بصورة أكثر شمولية ودموية<sup>(3)</sup>.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن الغرب يصف كل الحركات الإسلامية المسلحة، سواء كانت جهادية أو إرهابية، بصفة الإرهاب بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية نهجها المسلح، وبهذا فالغرب يساوي بين حركة حماس أو جهاد في فلسطين، التي تعتبر شرعية ومناضلة من أجل تحرير أرضها، وبين تنظيم القاعدة أو تنظيم الدولة الإسلامية في

(1) مراد ويفريد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص136.

(2) نفس المرجع، ص 137.

(3) هدى فرج، الإرهاب.. الحصان الخاسر لأمريكا وإسرائيل، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، د ط، 2009، ص9.

العراق والشام المسمى "داعش" والذين لا يتمتعان بأي شرعية أو مشروعية في نشاطهما المسلح.

### المطلب الثاني: الاتجاهات العامة لموقف الغرب من العالم الإسلامي

إن الغرب ليس فقط "الدولة" أو "الشعب" أو "الإعلام" أو "البيت الأبيض" أو "الإمبريالية" أو "الاستشراق" أو "اللوبي الصهيوني" الخ، ولكنه أيضا ثقافة ذات مرجعيات معتبرة وحضارة لها تاريخ، وبالتالي فمن أجل مراعاة هذا التنوع تمّ التركيز على الغرب الإعلامي والغرب الأكاديمي والغرب السياسي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الغرب مكوّن أيضا من عدد غير محدود من الأفراد والحركات وجماعات الضغط التي لا تقع ضمن أي من هذه الدوائر، إلا أن التركيز على هذه المؤسسات، الإعلامية والأكاديمية والرسمية، ليس من أجل تجنب الإطالة فقط، ولكن بالدرجة الأولى لأن دراسة الموقف الغربي من العالم الإسلامي والظاهرة الإسلامية من السهل نسبياً رصدها من خلال هذه المؤسسات الثلاث.

### الفرع الأول: موقف الغرب الإعلامي

تعدّ وسائل الإعلام، بمختلف أنواعها، من أهم القنوات التي تساهم في تكوين الصورة النمطية في أذهان الناس، وقد اكتسبت هذه الأهمية منذ النصف الثاني من القرن العشرين، بسبب انتشارها الواسع وقدرتها على الاستقطاب والإبهار ومناقستها الشديدة للمؤسسات الاجتماعية الأخرى في مجال التأثير الجماهيري<sup>(1)</sup>.

إن النسبة العظمى من الصور المترامية التي تتكون في أذهان الأفراد عن العالم من حولهم إنما مصدرها بالدرجة الأولى هو وسائل الإعلام المختلفة، بل إنه ليس من المبالغة القول أن وسائل الإعلام هي التي تصنع تلك الصورة وتصوغها وتؤطرها

(1) عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، المرجع السابق، ص28.

بطريقتها الخاصة، ومن ثم فإن وسائل الإعلام هي التي تنشئ نوعاً من البيئة النمطية بين الإنسان والعالم الموضوعي الحقيقي<sup>(1)</sup>.

يتمحور موقف الإعلام الغربي من العالم الإسلامي حول فكرة مفادها أن العدو أثناء الحرب الباردة كان مُمثلاً في الشيوعية أما بعد نهايتها فهو الإسلام والعالم الإسلامي، ورأى "نعوم تشومسكي" Noam Chomsky أن هذا الموقف هو عملية تخويفية مهمة من أجل إشغال الناس وتجميعهم لا حول أنفسهم ولكن حول الدولة للحصول على الثقة و"صناعة الموافقة"، ولكي تتمكن الدولة من إخراس صوت المعارضة عن طريق توحيد الصفوف الشعبية ضد "عدو أسطوري" وتعليق كل المشاكل الداخلية من ارتفاع نسبة الجرائم والبطالة ... الخ<sup>(2)</sup>.

وبخصوص كيفية تناول الإعلام الغربي للظاهرة الإسلامية يمكن الإشارة إلى ثلاث مدارس: (3)

- 1 - مدرسة الإثارة: وتعتمد على الإثارة والتهويل لنقل الخبر إلى الجمهور، متخذةً من عدة وقائع - مثل حجز الرهائن الأمريكيين وأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 وغيرها - مدخلاً لإيصال تعريفاتها المغرضة ضد الإسلام كاعتباره مرادفاً للإرهاب.
- 2 - مدرسة الإنكار: وهذه المدرسة تحاول تجاهل الظاهرة الإسلامية والتقليل من شأنها، والإدعاء أنها أصبحت من الماضي وقد تجاوزها الزمن.
- 3 - مدرسة المغالطة والتزييف: اندفعت إلى تصوير الحركات الإسلامية على أنها مجموعات متطرفة ومتحجرة ورجعية ومعادية للتحديث والمدنية والحضارة الغربية<sup>(4)</sup>.

(1) نفس المرجع، ص 29.

(2) هشام العوضي، المرجع السابق، ص 38.

(3) مازن المطبقاني، الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د ط، 1990، ص ص 36-37.

(4) نفس المرجع، ص 37.

ومن ثم لاحظ "جون أسبوزيتو" John Esposito ، أستاذ التراث الإسلامي، أن الإعلام الغربي وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية قد ساوى بين الإسلام والتطرف دون تحليل انتقادي لهذا الأخير، وهو حكم غير عقلاني<sup>(1)</sup>.

لقد لجأت وسائل الإعلام الغربي إلى تقديم صورة نمطية مشوهة وجامدة ومتحيزة عن العديد من الشعوب والأمم والدول الأخرى، وخصوصاً تلك التي تقع في إطار ما سمي بالعالم المتخلف، لكن الباحث المتفحص في اتجاهات صياغة وتكوين الصورة النمطية في الإعلام الغربي يلاحظ، دون عناء، أنه لم يلق دين من الأديان أو حضارة من الحضارات أو أمة من الأمم من التشويه المنتظم والتحريف المستمر ما لقيّه الدين الإسلامي وحضارته وأمته<sup>(2)</sup>.

كما أن تنامي ظاهرة التطرف الإسلامي قد أدى بالغرب إلى تفسير كل ما يفعله المسلم تفسيراً متحيزاً مستنداً إلى دينه فقط، فإذا ما أصبح يهودي أو مسيحي أو بوذي أو شيوعي مجرمًا فإنه يجري البحث عن أسباب اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية لجنوحه الإجرامي، إلا في حالة المسلم فإن سلوكه كله يُعزى إلى دينه<sup>(3)</sup>. وإذا ما هاجم مسلح غير مسلم هدفاً ما وصفته التقارير الإعلامية الغربية بأنه مقاتل من منظمة IRA أو ETA أو غيرها، ولا تستخدم أبداً مصطلح "متعصب كاثوليكي" أو ما شابه ذلك، أما إذا قام أي شخص مسلم بعمل مماثل فينسبه الإعلام الغربي مباشرة لمسلم متعصب بغض النظر عن حيثيات الحدث<sup>(4)</sup>.

(1) أحمد يوسف، الحركة الإسلامية والغرب، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع 1050، ص 35.

(2) عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، المرجع السابق، ص 67.

(3) مراد ويفريد هوفمان، وعبد المجيد الشرفي، المرجع السابق، ص 140.

(4) مراد ويفريد هوفمان، الإسلام عام 2000، ترجمة: عادل المعلم، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003، ص ص 55-56.

من جانب آخر فإن الإعلام الغربي قام بتغطية حرب الخليج الثانية لأسباب منها أن الدور الإعلامي يزداد أهمية في حالة الأزمات والحروب، لما في ذلك من إثارة وجاذبية، ولكن الأهم من ذلك لأن هذه الحرب وقعت في الحس الغربي ضمن تقسيماته النمطية "للآخر" أي الشرق الذي وقع في ورطة ويحتاج إلى الغرب وتكنولوجيته من أجل إنقاذه، فكانت حرب الخليج الثانية الأرضية التي من خلالها استطاع الغرب تعزيز نمطيته عن "الآخر" وبالتالي التعميق من الشعور "بذاته" بفخر<sup>(1)</sup>، وقد أعاد هذا الإعلام نفس التجربة في حرب الخليج الثالثة بصورة أكثر تركيزاً .

لا يمكن فهم عملية صنع السياسة الخارجية الأمريكية- كأهم وأبرز نموذج للغرب- تجاه العالم الإسلامي عامة والظاهرة الإسلامية خاصة، دون تحليل دور الاتجاه الرئيس في وسائل الإعلام وأثره إما في تشكيل الموقف الأمريكي أو في إكسابه الشرعية. لقد أكد المراقبون للسياسة الأمريكية على أن الاتجاه الأساسي في التغطية الإعلامية الأمريكية لأخبار الإسلام والمسلمين، والتي هي في غاية السلبية، هو الذي يحدد الموقف العام من الإسلام والمسلمين، كما يفسرون هذه العلاقة المعقدة والخفية القائمة بين الاتجاه السائد في وسائل الإعلام من جهة والسياسة الأمريكية من جهة أخرى بأن رموز التيار المسيطر في وسائل الإعلام هم أنفسهم أعضاء في المؤسسات السياسية الرسمية<sup>(2)</sup>.

كما رسم عدد آخر من المحللين صورة مشابهة، وإن كانت أكثر عناية، للعلاقة بين الإعلام والمؤسسة السياسية، فعلى الرغم من أن دور وسائل الإعلام في المجتمعات الديمقراطية هو توفير مصدر بديل للمصدر الرسمي للمعلومات في مجال السياسة الخارجية، فإن وسائل الإعلام الأمريكية تساند مصالح هذه السياسة مراعاةً لمتطلبات مرحلة الحرب الباردة تحت شعار الحفاظ على الأمن القومي، وفي مرحلة ما بعد الحرب الباردة أخذت وسائل الإعلام تتحدث عن بروز أعداء عالميين جدد، وهذا ما يفسر

(1) هشام العوضي، المرجع السابق، ص 32 - 33.

(2) فواز جرجس، "الأمريكيون والإسلام السياسي"، المرجع السابق، ص 18.

في نظر البعض اهتمام الصحافة الأمريكية بالإسلام السياسي وبإيران أو بما يسمى بـ "الخطر الأخضر"<sup>(1)</sup>.

إن دور الإعلام ووظيفته الآخذين في التغير منذ بداية الحرب الباردة قد جعلها مشاركا طوعيا في صنع السياسة الخارجية، ليس بمعنى تقرير هذه السياسة وإنما من خلال المساندة في إنشاء الحدود التي تُقرّر ضمن إطارها هذه السياسة، وليس أدل على ذلك من قضية التغطية السلبية للإعلام الغربي حول الظاهرة الإسلامية والتي أدت إلى تشويه صورة الإسلام في ذهن المواطن الغربي، وتفاقم هذا التشويه نتيجة ما يقدمه من صورة سلبية مقترنة بالإرهاب والعنف والقتل والجهاد، والتي ترى في الإسلام ذلك النظام الغريب الذي يفرّق بين الجنسين ويظلم المرأة ويحارب العقل والتطور والحداثة والتقدم<sup>(2)</sup>، وهو ما يُنقص من مكانة الإسلام لدى الرأي العام الغربي عامة والأمريكي على وجه الخصوص، وعلى الرغم من أن رأي غالبية المواطنين قد يؤثر أو لا يؤثر في معادلة السياسة الخارجية فإن رأي النخبة يؤثر للغاية، فصناع القرار وأفراد النخبة السياسية يستقون كثيرا من الوقائع والمعلومات التي يحتاجونها من الصحافة. من هنا فإن اعتبار الإعلام كساعد مؤيد لسياسة الدولة يؤدي إلى التقرير بأن التغطية الإعلامية السلبية للإسلام والعالم الإسلامي والظاهرة الإسلامية تعكس مخاوف صناع القرار الأمريكيين وادعاءاتهم وتعززها.

من أمثلة ما صدر في الصحافة الغربية بشأن العالم الإسلامي في الفترة التي تلت انتهاء الحرب الباردة مقال نشرته صحيفته "الفايننشال تايمز" Financial times البريطانية عام 1990 جاء فيه: "إذا كانت أمريكا تشجع الاتجاهات الديمقراطية في شرق أوروبا، فيجب ألا تفعل ذلك في العالم الإسلامي، لأنها بذلك تدفع الأصوليين لتسلّم

(1) نفس المرجع، ص 19.

(2) ج. فنينش، "رؤى تفتح ملف العلاقة بين الإسلام والغرب"، جريدة الشروق اليومي، ع 373، 26 جانفي 2002، ص 14.



السلطة"، كما نشرت صحيفة "الأنديبندنت" The Independent البريطانية في السابع من سبتمبر سنة 1991 تقريرا أشارت فيه إلى أن الأصولية الإسلامية ستكون البديل للجمهوريات الإسلامية الجديدة، كما حذرت من المد الإسلامي فيها<sup>(1)</sup>، أما مجلة "الشؤون الدولية" International affairs البريطانية الصادرة في عدد جانفي 1991، فقد فسرت سبب إعلان الكثير من الدوائر الغربية أن الإسلام هو العدو الذي حل محل إمبراطورية الشر، أي الشيوعية، أنه ناتج عن رفض العالم الإسلامي التخلي عن نموذجه الثقافي والحضاري، واستعصاء الإسلام على الذوبان في النموذج العلماني الغربي، فلهذا أصبح الإسلام، من بين الثقافات الموجودة في الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة<sup>(2)</sup>، في حين أفردت مجلة "نيوزويك" Newsweek الأمريكية في عدد ماي 1995 مقالا بعنوان "أوروبا المسلمة" وكأنه تحذير للحكومات الأوروبية، وتساءلت فيه عن مستقبل أوروبا مع تزايد أعداد المسلمين فيها، كما تعمّدت المجلة أن تذكر أوروبا بالحروب الصليبية<sup>(3)</sup>.

ما زالت التغطية الإعلامية الغربية للشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي غير عادلة، حيث توصلت العديد من الدراسات إلى الاستنتاج نفسه استنادا إلى عدد ضخم من الأدلة التي تؤكد تحيز الإعلام الغربي، فقد أشارت دراسات تحليل المحتوى لثلاث صحف أمريكية هي "نيويورك تايمز" Newyork times و"لوس أنجلس تايمز" Los Angeles times و"واشنطن بوست" Washington Post إلى أنها مؤيدة لإسرائيل خلال الصراع العربي الإسرائيلي، وأنها نادت بأن على أمريكا ألا تؤيد إسرائيل دبلوماسيا فحسب، بل عليها أن تمدّها بالمساعدات العسكرية<sup>(4)</sup>.

(1) لطيفة إبراهيم خضر، الإسلام في الفكر الغربي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 85.

(2) نفس المرجع، ص 86.

(3) نفس المرجع، ص 87.

(4) آصف حسين، صراع الغرب مع الإسلام: استعراض العداء التقليدي للإسلام في الغرب، ترجمة: مازن مطبقاني، مركز الفكر المعاصر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2013، ص ص 133 - 134.

من هنا انتقد بعض المسؤولين الأمريكيين التغطية الإعلامية السلبية للإسلام والمسلمين، وفي هذا السياق انتقد "روبرت بليتر" (\*) Robert Pelletreau الصورة السلبية التي اعتمدها الإعلام الغربي بخصوص الإسلام والعالم الإسلامي، حيث أشار إلى أن الأخبار في وسائل الإعلام لا تشير إلى الإسلام إلا من خلال تقارير تركز على العنف والإرهاب، وخلص إلى أنه في نهاية المطاف يصبح موضوع الإسلام في الحوار الأكاديمي كما في المناظرات العامة مساوياً للتطرف على حد سواء (1).

إنه لمن الخطأ المنهجي تفسير ظاهرة الصورة النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي بإرجاعها إلى عامل واحد، فقد أسهمت عوامل عديدة ومتنوعة في تكوين هذه الظاهرة وترسيخها في العقل الغربي، أهمها ما يلي: (2)

- العداء للإسلام.
- الشعور الغربي بالتفوق على باقي الأجناس.
- الرغبة في الهيمنة وبسط النفوذ السياسي والاقتصادي بعد انتهاء عهد الاستعمار المباشر.
- النفوذ الصهيوني في وسائل الإعلام التي تعتبر من أكثر العوامل تأثيراً.
- الأحداث الجارية التي تدخل في مدار العلاقة مع العالم الإسلامي كقضية الرهائن، وأحداث الحادي عشر سبتمبر 2001.
- ضهور الفاعلية الحضارية للعالم الإسلامي على جميع المستويات الفكرية والسياسية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية (\*\*).
- ضعف فعالية الإعلام العربي والإسلامي.

(\*) مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق.

(1) فواز جرجس، "الأمريكيون والإسلام السياسي"، المرجع السابق، ص 19 - 20.

(2) عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، المرجع السابق، ص 111 - 146.

(\*\*) للتفصيل أكثر أنظر "مؤشرات ضعف العالم الإسلامي" في المطلب الثالث من المبحث الأول في الفصل الأول.

## الفرع الثاني: موقف الغرب الأكاديمي

تتبع المؤسسات السياسية الغربية وخاصة الأمريكية أسلوب دعوة الخبراء والأساتذة الجامعيين لتقديم تقارير وآراء بشأن المشاكل والقضايا المطروحة قبل اتخاذ القرارات، فمنذ نهاية الحرب الباردة ركزت أجهزة مثل وزارة الدفاع ووزارة الخارجية والمخابرات على تكليف مئات الباحثين لانجاز دراسات حول ظاهرة الحركات الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط، ويشكّل الباحثون الأكاديميون العرب والمسلمون الذين يقيمون في الولايات المتحدة الأمريكية مجالاً خصباً للتوظيف والتعاون في هذا الموضوع، وذلك نظراً لارتباطاتهم الاجتماعية والثقافية والحضارية بهذه الظاهرة<sup>(1)</sup>.

تؤثر التقسيمات والآراء التي تتضمنها دراسات الخبراء والأكاديميين العرب والمسلمين في هذا الشأن بقدر معتبر على تكوين الآراء والاختيارات لدى أصحاب القرار الأمريكي، ولهذا تسعى عدة هيئات أكاديمية عربية وإسلامية داخل الولايات المتحدة وخارجها لتعزيز دورها في صياغة القرارات الأمريكية خاصة في قضايا الشرق الأوسط والعالم الإسلامي<sup>(2)</sup>.

إن الدراسات الغربية عن الإسلام ليست ظاهرة جديدة بحدثة التيار الإسلامي المعاصر بل تعود إلى فترات مبكرة من حقبة النهضة الأوروبية، وعمّا إذا كانت تلك الكتابات موضوعية بالقدر الكافي أم لا فهذا موضوع مستقل، ولكن الجديد في الكتابات الغربية المعاصرة هي تلك النقلة النوعية من دراسة الإسلام كدين إلى دراسة القوى الإسلامية كظاهرة سياسية أو ما يسمى بالإسلام السياسي أو الظاهرة الإسلامية<sup>(\*)</sup>، والتركيز على برامج الإصلاح بدلا من انتقاد أصول الفكر الديني، وقد تجلّى هذا الاهتمام في أعقاب الثورة الإيرانية، حيث أن الصبغة الدينية للثورة جعلت بعض الغربيين ينظر

(1) منصف السليمي، صناعة القرار السياسي الأمريكي، مركز الدراسات العربية، الأردن، ط1، 1997، ص 273.

(2) نفس المرجع، ص 274.

(\*) تستخدم مصطلح الإسلام السياسي أو الظاهرة الإسلامية للدلالة على التيار السياسي المنادي بتطبيق الإسلام في جميع الميادين وخاصة منها الميدان السياسي.

في بداية الأمر إلى الظاهرة الإسلامية على أنها ظاهرة شيعية أو فارسية، وعزَّز هذا التصور ظهور حزب الله الموالي لإيران على إثر الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان عام 1982، وهو تصور مضلل لأنه تجاهل ما شملته الظاهرة الإسلامية من جماعات سنية كتلك التي ظهرت في مصر وسوريا منذ مطلع العشرينيات من القرن العشرين.

كما اختلف المفكرون في تحديد هوية الظاهرة الإسلامية اختلفوا أيضا في تحديد أسبابها، والمشكلة بالنسبة للبعض هي في تحديد ما إذا كان الوضع الاجتماعي والاقتصادي هو المسؤول عن وجود هذه الظاهرة أم أنها نتاج طبيعي للإسلام نفسه، فأغلب المفكرين مقتنعين بوجود عدة عوامل مسؤولة عن الظاهرة الإسلامية، ولكنهم يختلفون حول أهمية كل عامل بالنسبة للعوامل الأخرى، وتحديد العوامل بدقة أمر هام لأنه سيحدد ما إذا كانت الظاهرة الإسلامية تشكل أي خطر على المصالح الغربية في المنطقة أم لا، وهذا سيحدد بالتالي طبيعة السياسة الخارجية الغربية نحو العالم الإسلامي عامة والإسلاميين خاصة<sup>(1)</sup>.

يمكن تقسيم موقف المفكرين الغربيين من العالم الإسلامي عامة ومن الظاهرة الإسلامية خاصة إلى موقفين رئيسيين هما: موقف متفهم يُطلق على أصحابه "العالم الثالثين" (Neo-Third worldists)، وموقف مضاد يُطلق على أصحابه "المستشرقين الجدد" (Neo-Orientalists)، وقد نشأ التيار المتفهم في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين على إثر الاتصال المباشر برموز الحركات الإسلامية واستيعاب أطروحاتهم، حيث يُحمّل هذا التيار السياسة الغربية مسؤولية تنامي التطرف والعنف، ويرى بأن ازدواجية تعامل الغرب مع الأحداث - كما في حالة الصراع العربي الإسرائيلي - قد ساهمت بصورة مركزة في إيجاد مشاعر إسلامية معادية له، ومن هذا المنطلق يؤمن هذا التيار بإمكانية حصول حوار بين الإسلاميين والغرب في حالة قبول الثاني التخلي عن

(1) هشام العوضي، المرجع السابق، ص ص 39 - 40.

سياسته المتحيزة في المنطقة، ويمثل هذا التيار عدة مفكرين منهم "جون اسبوزيتو" John Esposito و"فرانسوا بورغا" François Burgat و"توني سوليفان" tony sullivan<sup>(1)</sup>. أما الموقف المعادي فيمثله "برنارد لويس" Bernard Lewis و"دانيال بايبس" Daniel Pipes و"بريان بيدهام" Brian Beedham و"صامويل هنتينغتن" Samuel Hantington وآخرون، ينكر هذا الاتجاه وجود أية علاقة بين السياسة الغربية وبين المشاعر الإسلامية المعادية للغرب، ويرى أن كراهية المسلمين للغرب سلوك طبيعي ونتيجة حتمية لما يسمى بـ "صراع الحضارات"، فقد أكد "برنارد لويس" على أن كراهية المسلمين للغرب سببها الرئيس هو الغيرة من القيم الغربية مثل الرأسمالية والديمقراطية واعتبارها خطرا يهدد قيمهم التقليدية وطريقتهم في الحياة، واعتبر أن الصراع بين المسلمين والغرب ليس صراعا تاريخيا فحسب وإنما هو أيديولوجي بالدرجة الأولى، وبالتالي فلا أمل يُرجى من الحوار لأن الصراع هو الأصل الغالب<sup>(2)</sup>.

إن هناك تمييزا صارخا ضد المسلمين قائم على سوء فهم للإسلام والعالم الإسلامي، ومبني على استقاء المعلومات من علماء غربيين مستشرقين لم يكونوا في مجملهم منصفين، حيث قال "ريتشارد نيكسون" Richard Nixon في هذا السياق: "ليس هناك شعب له صورة سلبية عند الأمريكيين بالقدر الذي للعالم الإسلامي"<sup>(3)</sup>.

لقد رسم هذا التيار صورة سلبية عن الإسلام، أهم ملامحها:

- أن الإسلام يحنقر المرأة من خلال عدة أحكام أهمها: ختان الإناث، وإباحة تعدد الزوجات، واعتبار ضرب الزوجة حقا شرعيا للزوج، وأن ميراث الأنثى نصف

(1) نفس المرجع، ص 41.

(2) نفس المرجع، ص 41.

(3) علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب منطلقات العلاقة ومحدداتها، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، ط3، 2010، ص22.

- ميراث الذكر، وشهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وأن الرجال قوامين على النساء..، حيث اعتبروا أن في ذلك انتقاص من أهلية المرأة يجعلها بمثابة نصف إنسان<sup>(1)</sup>.
- أن الإسلام دين سيف وله صلة بالعنف والإرهاب، بالنظر إلى العمليات الإرهابية ولغة التهديد الموجهة للغرب من طرف الجماعات الإسلامية، وكذا فكرة الجهاد كفريضة يفرضها الإسلام على المسلمين<sup>(2)</sup>.
- أن الإسلام لا ينسجم مع الحداثة.
- أن الإسلام عدو للديمقراطية وحقوق الإنسان.
- أن الإسلام مناهض للقيم الغربية وأسلوب الغرب في الحياة.
- أن الإسلام غريب عن التراث الإنساني المسيحي الغربي.
- أن الإسلام يدعو إلى تطبيق قانون عقوبات وحشي اسمه "الشريعة"<sup>(3)</sup>.
- أن الإسلام يحرمّ الفنون.
- أن الإسلام يعادي الحضارات الأخرى.
- أن الإسلام ضد العمل، وهو دين تواكلي<sup>(4)</sup>.

من هنا وبناءً على هذه الصورة السلبية يؤكد أنصار هذا التيار أن فرصة انتشار الإسلام في بقية العالم جد ضئيلة.

رغم أن ما يقال في الغرب عن الإسلام والعالم الإسلامي غير صحيح، إلا أنه يكفي أنه يقال ويتردد دائماً حتى يكون له الأثر السلبي في الموقف الغربي - الأكاديمي والرسمي والشعبي - من الإسلام والعالم الإسلامي.

(1) محمد عمارة، الغرب والإسلام: أين الخطأ؟ وأين الصواب؟، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص 177.

(2) رجب البناء، المنصفون للإسلام في الغرب، المرجع السابق، ص47.

(3) مراد ويلفريد هوفمان، وعيد المجيد الشرفي، المرجع السابق، ص 154.

(4) سعيد المغناوي، "تشويه صورة الإسلام في الغرب من خلال الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، في صورة الإسلام في الغرب بين حملات التشويه وواجب التصحيح، كلية الشريعة، فاس، المملكة المغربية، ط1، 2006، ص 10.

لقد تأثر "صموئيل هنتنغتن" Samuel Huntington بهذا التوجه الذي أثاره "برنارد لويس" Bernard Lewis ، وبلوره في نظريته حول "صدام الحضارات" - والتي سيتم تناولها بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من البحث- حيث اعتقد أن الصراع بين الحضارات ناجم عن عدم قدرة الإسلام على التوافق مع القيم الأساسية للغرب كالديمقراطية والحدثة<sup>(1)</sup>.

كما جاء في تعليق "البريان بيدهام" Brian Beedham قوله: "إن الحرب مع الشيوعية كانت ثانوية قياسا إلى الحروب مع الإسلام، فالحرب مع الشيوعية استغرقت سبعين عاما، بينما حروب الغرب مع الإسلام بدأت منذ 1300 عام، ومازالت مستمرة". وقد كان المفكر الأمريكي "فرنسيس فوكوياما" Francis Fukuyama يرى في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" أن "الإسلام الأصولي هو أحد فروع الفاشية التي قامت في أوروبا وأدت إلى قيام الحرب العالمية الثانية"<sup>(2)</sup>، وهو ما يؤكد الصورة السلبية للإسلام والمسلمين والعالم الإسلامي في الفكر الغربي.

اختلف المفكرون الغربيون أيضا على الطريقة التي يجب التعامل بها مع التيار الإسلامي، فالتيار الاستشراقي أو الإقصائي المناهض يرى ضرورة تجنب الاعتراف بالإسلاميين مطالبًا الغرب بسياسة غربية متشددة، وعدم السماح للإسلاميين بالمشاركة في السياسة سواء كانت ديمقراطية أو غيرها، وهي الوسيلة المجدية - حسبه- للقضاء على جذور الظاهرة الإسلامية. أما التيار المتفهم أو التقاربي فيعتقد أنه ينبغي السماح للإسلاميين بالمشاركة في العمليات الانتخابية في بلدانهم، فقد أكد "جون اسبوزيتو" John Aspozitto أنه لا يرى أي تضارب بين الإسلام والديمقراطية حيث قال: "إن تصريحات

(1) هشام العوضي، المرجع السابق، ص 42.

(2) محمد الرميحي، سقوط الأوهام: العروبة بعد غزو العراق للكويت، مكتبة مدبولي الصغير، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص ص 193 - 194.

بعض القيادات الإسلامية المناهضة للديمقراطية الغربية تأتي في سياق رفض السيطرة الغربية وليس بالضرورة رفض جوهر الديمقراطية نفسها<sup>(1)</sup>.

هناك أيضا اختلاف مماثل بين المفكرين الغربيين حول أهداف الظاهرة الإسلامية، وعمّا إذا كانت هذه الأخيرة واحدة أم متعددة، وهذه النقطة مهمة لأن من شأنها تحديد طبيعة العلاقة بين الغرب والتيار الإسلامي، وما لها من انعكاسات على السياسة الغربية تجاه العالم الإسلامي، إذ أن معظم المفكرين في الغرب مقتنع بأن التيار الإسلامي ليس تيارا واحدا وإنما يشمل عدة تيارات مختلفة، فهناك تمييز واضح بين الإسلام "التقليدي" والإسلام "الثوري" أو ما يسميه "جيمس بيل" James Bill بالإسلام "المؤسساتي" والإسلام "الشعبي"<sup>(2)</sup>.

رغم إجماع الكثيرين على تعددية التيار الإسلامي إلا أن هناك اختلاف حول جدوى هذه التعددية بالنسبة للغرب، فالتيار الاستشراقي يرى أن الفروق بين الحركات الإسلامية طفيفة عندما يتعلق الأمر بالمصالح الغربية في المنطقة، فباستثناء ما يسمى بالإسلام "التقليدي" أو "المؤسساتي" فإن جميع الحركات الإسلامية متشابهة من حيث أنها تهدف إلى إزاحة سيطرة الغرب الاقتصادية والسياسية والثقافية عن العالم الإسلامي، وبالتالي فلا يوجد شيء اسمه تيار "متشدد" وآخر "معتدل" فهذه تقسيمات تكتيكية حول الأساليب وليس الأهداف، فجميعها لها نفس الهدف وهو معاداة النموذج الغربي وتحكيم الشريعة<sup>(3)</sup>. في حين يرى التيار المتفهم أن الاختلافات بين الحركات الإسلامية شاسعة من حيث طبيعتها ووسائلها وأهدافها، كما هو الحال بالنسبة للفروق الموجودة بين الحركات السلفية والإخوانية والجهادية.

(1) هشام العوضي، المرجع السابق، ص ص 42 - 46.

(2) نفس المرجع، ص 48.

(3) نفس المرجع، ص ص 49 - 50.



لقد وُجِهت عدة انتقادات للدراسات الأكاديمية وكذا الاستشراقية الغربية المتناولة للإسلام والعالم الإسلامي، أهمها:

- أثبت الكثير من المحللين في هذا الشأن وجود علاقة بين المفكرين الغربيين وصناع القرار السياسي الأمريكي، حيث تُعامل بعض الطروحات الفكرية مثل "صدام الحضارات" و"نهاية التاريخ" وكأنها سلعة تجارية من أجل مستهلك معين هو صانع القرار السياسي بالدرجة الأولى.

- انتقد "إدوارد سعيد" Edward Said الاستشراق في كتابه Orientalism بقوله أنه "أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة صياغته وممارسة السلطة عليه"، حيث أثبت أن عددا كبيرا من الباحثين المستشرقين كانت لهم مناصب سياسية في دولهم في زمن الاستعمار الغربي للشرق، ولطالما كان وما زال لآرائهم وأبحاثهم الأثر الأكبر في تشكيل السياسات الخارجية للدول الغربية تجاه الدول العربية والإسلامية، كما كشف أن ادعاءات المنهجية والروح العلمية في دراسات المستشرقين ليست في حقيقة الأمر سوى مواقف أيديولوجية معادية للإسلام والمسلمين، واعتبرها آخر فضائح البحث العلمي وأنها في منأى عن النقد في الغرب<sup>(1)</sup>.

- وجود علاقة بين بعض المفكرين والصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أن هناك منظرين صهاينة أمثال "برنارد لويس" Bernard Lewis و"باري روبين" Barry Rubin و"دنيال بايبس" Daniel Pipes همهم صياغة نظريات تستدعي دعم إسرائيل، فقد كان بعضهم يدعو صناع القرار الأمريكي أثناء الحرب الباردة إلى ضرورة دعم إسرائيل بحجة أنها تحمي الولايات المتحدة من الاتحاد السوفييتي آنذاك، فلما انتهت الحرب الباردة وانتهت معها مبررات الدعم كان على هؤلاء المفكرين البحث

(1) ريتا عوض، "صورة العرب والإسلام في الغرب: كيف يعاد تشكيلها"، مجلة شؤون عربية، ع 109، ربيع 2002، ص ص 120 - 121.

عن عدو آخر يهدد "إسرائيل"، فكان الحديث عن "الخطر الإسلامي" ومن ثم "صراع الحضارات"<sup>(1)</sup>.

- إلى جانب البعد السياسي فإن الحديث عن "الخطر الإسلامي" يخدم أهدافا أخرى تتعلق بالناحية الاقتصادية، فتكلفة الصراعات الإقليمية والدولية تشكل نسبة ضخمة من ميزانية العديد من جماعات الضغط السياسي والعسكري، حيث أن بعض مصانع الأسلحة التي تصل ميزانيتها إلى مليارات الدولارات على صلة قوية بالدوائر السياسية وهي بحاجة إلى عقد صفقات من الأسلحة والصواريخ، وهذا لا يتحقق إلا من خلال خلق ظروف عدم الاستقرار واللا أمن إضافة إلى الترويج لعدو "غير موجود".

- تلعب فكرة "الخطر الإسلامي" دورا مزدوجا فهي بالنسبة للغرب مصدر "للآخر" في التعريف بـ "الذات" الغربية على أنها التقدم والتحضر والديمقراطية، وهي بالنسبة للدول الإسلامية السلطوية فرصة لاستنزاف الغرب اقتصاديا، ومبررا مشروعاً لعدم تبني الديمقراطية مستقبلا، والغرب في كل الأحوال مدرك لذلك وبالتالي أحد المسؤولين عنه.

على ضوء هذا التيار الاستشراقي فإن أمام صناع القرار السياسي في الغرب بديلين أساسيين: إما أن يستغلوا هذه النظريات من أجل تمرير سياساتهم التعسفية أمام الرأي العام الغربي دون الاقتناع بها حقيقةً، وإما أن يأخذوها - وهذا هو الأخطر - مأخذ الجد ويجعلوها ضمن مبادئهم السياسية، ومن شأن الخيار الثاني أن يفرز سياسة "الغرب ضد الجميع" "The west against the rest" أي معاداة بقية العالم من أجل المصالح الغربية، وسيترتب على هذا عواقب وخيمة بالنسبة لعلاقة الغرب، وخاصة أمريكا، مع العالم الإسلامي<sup>(2)</sup>.

(1) مايكل سالبا، "الإسلاميون والغرب: تقارب أم حرب باردة جديدة؟"، ترجمة هشام العوضي، تاريخ التصفح: يوم

2007/08/16، من موقع الإنترنت: [www.naseej.com/islamic/bayan/125/htm1/P132-c1](http://www.naseej.com/islamic/bayan/125/htm1/P132-c1)

(2) هشام العوضي، المرجع السابق، ص ص 52-53.

## الفرع الثالث: موقف الغرب الرسمي

يلاحظ المحللون أن معظم السياسيين الغربيين لا يعرفون ما فيه الكفاية عن الإسلام أو عن التيار الإسلامي، ولا يملكون سوى خبرة بسيطة فيما يتعلق بالقوى الاجتماعية والثقافية التي تساهم في صياغة سياسة الدول الإسلامية، مثال ذلك أن زيارات السياسيين الغربيين الرسمية للمنطقة العربية تقتصر في الغالب على الالتقاء بالنبذة الحاكمة ورجال الأعمال، دون الحصول على فرصة للتعرف على أفكار التيار الإسلامي والالتقاء الشخصي برموزه، وبدلاً من ذلك يتم التعرف على أفكار التيار من خلال الاطلاع على تقارير المخابرات ومراكز التفكير (Think - Tank) ومن وسائل الإعلام الغربية، وهي في مجملها مصادر متحيزة وقاصرة، مما يجعل موضوع الاستدلال على موقف الغرب السياسي من الظاهرة الإسلامية صعباً وأقل تحديداً، إضافة إلى أن السياسات نفسها تختلف من دولة إلى أخرى بحسب أولويات مصالح الدولة المعنية ومن ثم مدى خطورة الإسلاميين على مصالحها<sup>(1)</sup>.

للاستدلال على موقف الغرب الرسمي من الإسلام والعالم الإسلامي في الفترة التي تلت نهاية الحرب الباردة، يمكن سرد بعض التصريحات لزعماء غربيين على سبيل المثال لا الحصر، كقول رئيسة وزراء بريطانيا السابقة "مارغريت تاتشر" Margaret Thatcher في كلمة لها أمام حلف شمال الأطلسي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي: "إن العدو القادم هو الخطر الأخضر (وتقصد الإسلام والعالم الإسلامي) بعد أن تم القضاء على الخطر الأحمر (وتقصد الشيوعية والاتحاد السوفياتي)"<sup>(2)</sup>، وتصريح وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية "هنري كيسنجر" Henry Kissinger سنة 1990 في خطاب

(1) نفس المرجع، ص 56.

(2) لطيفة إبراهيم خضر، المرجع السابق، ص 81.

قال فيه: "إن الجبهة الجديدة التي يجب على الغرب مواجهتها هي العالم العربي والإسلامي"<sup>(1)</sup>.

أما بخصوص الموقف الأمريكي الرسمي والمعلن من الظاهرة الإسلامية، فإن ظاهر هذا الموقف هو اعتبارها ظاهرة تعددية ومتنوعة، وهو ما أكده مساعد وزير الخارجية الأمريكية الأسبق لشؤون الجنوب والشرق الأدنى "إدوارد جرجيان" Edouard Djeredjian في خطاب ألقاه في جوان 1993، والذي عبّر فيه عن الموقف الرسمي لحكومة "بيل كلنتون" Bill Clinton من الإسلام والظاهرة الإسلامية، حيث لخصه فيما يلي:<sup>(2)</sup>

- 1 - إن الحكومة الأمريكية لا تعتبر الإسلام أيديولوجية بديلة للشيوعية تهدد الغرب والسلام العالمي.
- 2 - تعتقد الحكومة الأمريكية أن الظلم الاجتماعي والضعف الاقتصادي والسياسي والتعليمي في منطقة الشرق الأوسط هو الذي يغذي التطرف الإسلامي.
- 3 - إن الحكومة الأمريكية لا تعتقد أن هناك أرضية موحدة أو جهداً دولياً يقف خلف الجماعات أو الحركات الإسلامية، ولكنها تهتم بموقف إيران والسودان من الجماعات الإسلامية.
- 4 - إن الحكومة الأمريكية تشك في نوايا الإسلاميين إن وصلوا إلى السلطة أنهم سينقلبون على الديمقراطية.
- 5 - إن الحكومة الأمريكية تقف ضد من يمارس الإرهاب، بغض النظر عن دينه، كما أنها ضد من يدعو إلى العنف ويرفض الحلول السلمية للمشاكل، وينتهك حقوق الإنسان.

(1) نفس المرجع، ص 80.

(2) أحمد يوسف، "الغرب والصحو الإسلامية من أفكار الصراع إلى فكرة التفاهم"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع1237، 4 فيفري 1997، ص 50.

6 - إن الأمريكيين يعتبرون الإسلام واحدا من الديانات العظمى في العالم، ويعتقه في الولايات المتحدة بضعة ملايين، كما يمثل إحدى الحضارات العالمية التي أثرت في الثقافة الأمريكية وأخصبتها.

من الواضح أن هذه السياسة الأمريكية المعلنة قد تمت صياغتها نظريا بطريقة لا تثير استفزازا للمسلمين، بينما تنتهج أمريكا سياسات تشكل استعداداً واضحاً تجاه تيارات الحركة الإسلامية، خاصة التيارات السياسية والجهادية منها، حيث تتجاهل الإدارة الأمريكية التجاوزات اللا إنسانية والممارسات القمعية التي تتم في حق الإسلاميين في بعض الدول الإسلامية، ورغم تبني أمريكا لسياسة مفادها تشجيع التحول الديمقراطي، إلا أنه من الناحية العملية كان هناك شرطا واحدا وهو ألا ينتصر الإسلام في الانتخابات الديمقراطية<sup>(1)</sup>.

إن أحد أهم الوسائل التي تستطيع من خلالها الولايات المتحدة الأمريكية مجابهة "التطرف الإسلامي" هو مساندة الأنظمة السلطوية والقمعية، إضافة إلى تشجيعها على انتهاج النموذج الغربي في الخصخصة واقتصاد السوق، ليس بالضرورة من أجل تحقيق الرخاء والعدالة الاجتماعية لشعوبها، وإنما في الأساس من أجل القضاء على الظاهرة الإسلامية التي تهدد المصالح الأمريكية<sup>(2)</sup>.

تجدر الإشارة إلى أنه لا يجب إغفال دور اللوبي اليهودي في تشكيل وصياغة الموقف الأمريكي من العالم الإسلامي والظاهرة الإسلامية، حيث تتضح قوة تأثيره من خلال الانتخابات التشريعية أولا وصنع القرار داخل الكونغرس ثانيا، وذلك بواسطة قوة الصوت اليهودي باعتبار أن نسبة مشاركة اليهود في الانتخابات تعادل 90%، وبالدعم

(1) نفس المرجع، ص 51.

(2) سعدون يخلف، "محاربة الإسلام تحت غطاء محاربة الإرهاب"، جريدة الشروق اليومي، ع 280، 6 أكتوبر 2001، ص 07.

المالي الكبير للمرشحين اليهود أو غير اليهود المؤيدين والمدافعين عن إسرائيل<sup>(1)</sup>، كذلك تلعب كل من شركات النفط والمجمع الصناعي العسكري دورا مؤثرا في السياسة الخارجية الأمريكية عموما، والموجهة للعالم الإسلامي على وجه الخصوص، فمن مصلحة تلك الشركات السيطرة على منابع النفط التي يزخر بها العالم الإسلامي، ومن مصلحة المجمع الصناعي العسكري إذكاء الحروب الأهلية والنزاعات البينية في دول العالم المتخلف عموما والعالم الإسلامي على وجه الخصوص<sup>(2)</sup>.

أما بخصوص مدى وجود سياسة أمريكية شاملة أو متكاملة تجاه العالم الإسلامي أو الحركات الإسلامية، فقد أكد "فواز جرجس" Fawaz Gerges على غياب سياسة أمريكية من هذا النوع رغم إدعاءات بعض المسؤولين الأمريكيين بوجودها، وأرجع هذا الأمر إلى ثلاثة أسباب:

1 - إن إدارات جيمي كارتر Jimmy Carter ورونالد ريغان Ronald Reagan وجورج بوش George H. W. Bush وبييل كلينتون Bill Clinton وكذا الإدارات السابقة لها قد افتقدت سياسة خارجية بشكل عام ذات رؤية شاملة ومتماسكة تجاه العالم بأكمله، فضلا على أن تمتلك نظرة متماسكة تجاه العالم الإسلامي أو الإسلام السياسي فيه، إلا أن السياسة الخارجية ظلت محكومة بالمصالح القومية الأمريكية الضيقة.

2 - إن كبار اللاعبين في السياسة الخارجية الأمريكية من أمثال "جيمس بيكر" James Baker و"وارن كريستوفر" Warren Christopher و"مادلين أولبرايت" Madeleine Albright فضلوا التعامل مع الموضوعات السياسية العملية وليس النظرية المجردة، مثل البعد الثقافي في العلاقة مع الإسلام والمسلمين وغير ذلك.

(1) ياسين العيثاوي، السياسة الأمريكية بين الدستور والقوى السياسية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 249.

(2) نفس المرجع، ص ص 259 - 263.

3 - اقتناع أمريكا بأن الحركات الإسلامية مختلفة عن بعضها البعض وغير متجانسة، ويعبر كل منها على انعكاس لظروف خاصة بها في هذا البلد أو ذلك، ولهذا فإنه من غير العملي صياغة سياسة موحدة تجاه الطيف غير المتجانس للإسلام السياسي، والرأي الغالب في دوائر صناعة القرار الأمريكي هو التعامل مع هذه الحركات كل على حدة، وفي ضوء تحليل مواقفها وبرامجها العملية أكثر من الوقوف عن أقوالها وبياناتها<sup>(1)</sup>.

رغم ذلك لاحظ جرجس وجود تناقض في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الإسلام السياسي، إذ انحرفت هذه السياسة عن النظرة إلى الإسلاميين في ضوء تصرفاتهم وأفعالهم وأصبحت تُشكّل مواقفها تجاههم نتيجةً لتحيزات غير موضوعية، حيث برزت في الخطاب الأمريكي دعوة متناقضة، فمن ناحية هناك التحذير من اقتراب الإسلاميين من السياسة خشية ما قد يأتي معهم من تهديدات للمصالح الأمريكية، وهناك بالتوازي الحديث الودي عن البعد القيمي الذي تمثله هذه الحركات في الدعوة إلى الأخلاق والفضائل<sup>(2)</sup>.

بالرجوع إلى الوراء حول سياسة الغرب تجاه العالم الإسلامي والإسلاميين أثناء الحرب الباردة، يمكن التأكيد على أن العداء الإسلامي للإتحاد السوفييتي شجع الغرب على استخدام الإسلام والمسلمين كسلاح ضد الشيوعية، وكان المثال التقليدي لهذا النوع من التحالفات في ثمانينيات القرن العشرين هو دعم ومساندة الولايات المتحدة الأمريكية للمجاهدين الأفغان بالمال والسلاح ضد القوات السوفييتية المحتلة لأفغانستان، وكانت السياسة الأمريكية تجاه باكستان مماثلة أيضا حيث ساندت الرئيس الباكستاني ضياء الحق لأنها احتاجت إلى قاعدة عسكرية في دولته لدعم الأفغان ضد الروس، ومن المثير

(1) فواز جرجس، "أمريكا والإسلام السياسي: صدام الثقافات أم صدام المصالح"، تاريخ التصفح: يوم 2007/08/21،

من موقع الإنترنت: [www.aljazeera.net/books/2001/5/5-7-1.htm](http://www.aljazeera.net/books/2001/5/5-7-1.htm)

(2) نفس المرجع.

لملاحظة غياب أي انتقاد أمريكي لمحاولات باكستان وقتنذ التسليح نوويا كما هو حاصل في فترة ما بعد الحرب الباردة.

لا بد من التأكيد في هذا الصدد على "مصلحيّة" موقف الغرب من العالم الإسلامي والمسلمين، وهو ما يُستخلص من تصريح "آية الله الخميني" مرشد الثورة الإيرانية حين قال: "إن الاستعمار يريد منا أن نقصر في عملنا على الصلاة حتى لا ندخل معه في صراع سياسي، حيث يقول لنا صراحة: صلّ أيها المسلم ما شئت، إننا لا نريد منك إلا نطقك، أما ما أقمّت من صلاة في مسجدك فلا يهّمنا في شيء، ولا نعارض فيه إطلاقاً، إن كل ما يهّمنا هي ثرواتك المعدنية وأسواقك لمنتجاتنا واستثمارتنا"<sup>(1)</sup>، وهو ما يعني أن الغرب يعادي التيار الإسلامي فقط عندما يهدد مصالحه في المنطقة، فمصادر البترول في الخليج هي أهم مصلحة للغرب، وهذا من شأنه نقل الموضوع من كونه "صراع حضارات" إلى كونه "صراع مصالح"<sup>(2)</sup>.

كما يشير الكثير من المحللين إلى أن التيارات الإسلامية المتطرفة لم تكن لتصبح على ما هي عليه من التشدد والقوة لولا رعاية الأمريكيين لها، وذلك كان على حساب التيارات الإسلامية المعتدلة، حيث أشار "ألكسندر دالفال" Alexander Dalfall في كتابه "الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية" الصادر عام 1999 إلى أن أمريكا أنشأت تحالفا مقدسا بينها وبين الجماعات الإسلامية المسلحة انطلاقا من حرب أفغانستان ضد السوفييت، وقد أكد أن ذلك كان ضمن سياسة أمريكا بدءاً من الرئيس الأسبق "رونالد ريغان" Ronald Reagan الذي صرّح في جانفي 1988 مخاطباً الأفغان "أيها المجاهدون لستم وحدكم في جهادكم المقدس، فمركتكم هي معركتنا بالدرجة الأولى"، فيما اعتقد خبراء آخرون أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد هذا الدعم للفصائل الإسلامية الأكثر تشددا وجدت نفسها في ورطة عندما لم تتمكن من إدارة لا حركة طالبان ولا

(1) مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالة أم انفصالية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1991، ص 356.

(2) هشام العوضي، المرجع السابق، ص 66.



جماعة الأفغان العرب المنتمين لتنظيم القاعدة، وخاصة عندما دخل "أسامة بن لادن" زعيم هذا التنظيم في صراع معلّن ضد نظام الحكم في السعودية، ومن هنا اتسعت رقعة الصراع ليتحول إلى صراع مكشوف بين ابن لادن والولايات المتحدة الأمريكية التي لم تكن مستعدة للتنازل عن حماية مصالحها ليس في السعودية فحسب بل وفي المنطقة ككل<sup>(1)</sup>.

إن من بين ما يدل على حدة سلبية الموقف السياسي الغربي تجاه العالم الإسلامي تصريحات "لندن لاروش" Lyndon Larouche، العضو الأسبق في مجلس الشيوخ الأمريكي، بأن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش هي التي خطّطت لتفجيرات الحادي عشر من سبتمبر 2001، وأن "هنري كيسنجر" Henry Kissinger نائب وزير الدفاع الأمريكي الأسبق، و"زبيغنيو بريجنسكي" Zbigniew Brzezinski مستشار الأمن القومي الأسبق، و"صمويل هنتينغتن" Samuel Huntington صاحب فكرة "صراع الحضارات"، هم من مهندسي هذا المخطط الذي كان يهدف إلى إلقاء اللوم على المسلمين واتهامهم بالإرهاب وتبرير بدء حرب جديدة ضد العالم الإسلامي والمسلمين<sup>(2)</sup>.

فبينما يحاول السياسيون العقلاء إبعاد مفهوم "صراع الحضارات" عن التداخل السياسي والإعلامي تقاديا لوقوع صدمات محتملة بين الأمم، خاصة بعد الهجمة الأمريكية على أفغانستان في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، تأتي تصريحات بعض الزعماء الغربيين لتُفصِح أكثر عن خلفية الموقف الغربي من الإسلام والظاهرة الإسلامية بل والعالم الإسلامي ككل، حيث صرّح الرئيس الأمريكي "جورج بوش الابن" George. W. Bush بعد هذه الأحداث بضرورة إعداد تحالف دولي عالمي لمحاربة الإرهاب، وأعلن أن حربه ضد الإرهاب ستكون "الحرب الصليبية الأولى في القرن الحادي والعشرين"، وعلى الرغم من تراجعها فيما بعد مدّعياً أنها مجرد زلة لسان،

(1) أميدة عياشي، "أي مستقبل لجماعات الإسلام المسلح"، جريدة اليوم، ع 808، 26 سبتمبر 2001، ص 5.

(2) جاسم تقي، "أمريكا وراء تفجيرات 11 سبتمبر"، جريدة الخبر، ع 3444، 10 أبريل 2002، ص 11.

إلا أن هذا التصريح يعكس القدر الكبير من عداوة الغرب للعالم الإسلامي والإسلام<sup>(1)</sup>. كما صرّح رئيس الوزراء الإيطالي "سلفيو برلسكوني" Silvio Berlusconi بعدائه للإسلام، ثم تطاول على الحضارة الإسلامية بقوله أن هذه الأخيرة لا ترقى لمستوى الحضارة الغربية التي هي أرقى وأسمى منها<sup>(2)</sup>.

في حين نجد في آراء بعض السياسيين الغربيين شيئاً من الموضوعية، مثل قول "ريتشارد نيكسون" Richard Nixon في كتابه "نصر بلا حدود": ".. وفي العالم الإسلامي حلت الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة السياسية للتغيير العنيف، وعندما ناقش هذه الظاهرة الحديثة فمن المهم أن لا نسمح لنظريات الأصولية الإسلامية أن تعمي أبصارنا عن عظمة التراث الإسلامي، فنفس الدين الذي أنتج القذافي والخميني، أنتج ابن سينا وابن رشد..."<sup>(3)</sup>.

رغم كل هذا فإن الصورة العامة ليست بهذه البساطة، فالعلاقة التاريخية بين الغرب والعالم الإسلامي دلّت على أن أسباب العداوة المشتركة قد تجاوزت كونها مجرد مصالح آنية، فترات القرون الوسطى، ومخلفات الثورات التحررية، والثورة الإيرانية، وقضية الرهائن، وأحداث الحادي عشر سبتمبر 2001، وتداخل مفاهيم الجهاد والإرهاب ..، جميعها تعبر عن تجارب تركت آثارها السلبية على الوعي الغربي، ولا زالت هذه الصور "النمطية" تعمل عملها في تصوير "الآخر"، ومن ثم تشكيل سياسة الغرب الخارجية تجاه العالم الإسلامي والمسلمين والإسلام<sup>(4)</sup>، كما أن معظم الذين تحدثوا عن هذا الأخير لم يتناولوه من حيث هو عقيدة أو حضارة لها تاريخ وإبداع وإسهام في تقدم البشرية، ولكنهم

(1) لطيفة إبراهيم خضر، المرجع السابق، ص 89.

(2) القسم الدولي، "بعد بوش.. برلسكوني يتناول على الإسلام"، جريدة الشروق اليومي، ع 274، 29 سبتمبر 2001، ص 10.

(3) ريتشارد نيكسون، نصر بلا حدود، ترجمة: المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، مركز الأهرام، القاهرة، مصر، ط4، 1996، ص 307.

(4) هشام العوضي، المرجع السابق، ص 68.

تحدثوا عنه كقوة جيوبوليتيكية تنعكس على أرض الواقع في حركة الشعوب التي تدين بالإسلام أو ما يسمى بالعالم الإسلامي<sup>(1)</sup>.

تكشف سياسة تصوير الإسلام والمسلمين في الخطاب الثقافي والسياسي الأمريكي واستجابة المسلمين إزاءها عن علاقة جدلية بين تصورات الغرب للمسلمين وصورة الذات عند المسلمين. ففي هذه العملية الحركية نجد أن حالة "الآخريّة"، أي وضع الإسلام والمسلمين من حيث هم "الآخر"، لها وظيفتان: إذ تعمل لدى الأمريكي أو الغربي عامة كعامل مؤثر لتحديد الهوية عن طريق تخلف الطرف الآخر عن تقديم حجه، ويعتمدها المسلم في الوقت ذاته كصورة لتحديد هويته الذاتية، وهاتان الوظيفتان هما وجهان لعملة واحدة هي أسلوب التصوير الغربي المرتكز في جوهره على المحورية العرقية<sup>(2)</sup>.

يمكن تلخيص موقف الغرب من العالم الإسلامي والمسلمين في مقولة المستشرق "جاك بيرك" Jack Pirk التي مفادها أن "لدى الغرب صورتان عن الشرق: الأولى صورة تراه ناقصا في كل شيء، حيوانا في كل شيء، شرها، إرهابيا، دمويا، غير متحضر، ولا يصلح إلا أن يُحكم ويُستعمر ويُستعبد ويُسير بالسطو والسيوف. أما الثانية فصورة تقول عكس ذلك تماما، أنه يمتلك عناصر الكمال والإنسان في كل شيء، وديع ولطيف وذو حضارة عريقة، وينبغي التآخي والتعاطف والتراحم معه، من أجل سعادة الإنسانية"<sup>(3)</sup>.

والسؤال الرئيس المطروح هنا هو: ما هي الصورة الأكثر اعتمادا وتأثيرا من بين الصورتين السابقتين في إستراتيجية الغرب، وخاصة أمريكا، تجاه العالم الإسلامي في الواقع الدولي لما بعد الحرب الباردة؟.

(1) سلامة أحمد سلامة، مناطق رمادية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص 99.

(2) إيفون يزيك حداد، المسلمون في أمريكا، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص73.

(3) محمد سليم قلاله، التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 1990، ص 9.

## المطلب الثالث: الإستراتيجية الغربية تجاه العالم الإسلامي

يمكن لكل دولة ممارسة سياستها الخارجية من خلال إحدى الوسيلتين: إما الدبلوماسية وإما الإستراتيجية، وهذه الأخيرة تعني استخدام القوة لبلوغ أهداف وغايات سياسية وهو ما يثير العلاقة بين السياسي والعسكري<sup>(1)</sup>.

يفيد مصطلح "الإستراتيجية" مفاهيم أشمل وأوسع مما سبق، ليعني مجمل خطط الدفاع المتعلقة بدولة ما، وهذا ما دفع "جون كالينس" John Callins في كتابه "مبادئ الإستراتيجية الكبرى" إلى تعريفها بأنها: "الخطة التي في إطارها تُستخدم كل عناصر القوة لتأييد أغراض أمنية ما"<sup>(2)</sup>.

كما أنها تعني بالمعنى الشامل للمصطلح "قيادة مجمل العمليات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعسكرية وفق تصور محدد للمصلحة الوطنية"<sup>(3)</sup>.

من هنا يمكن تناول أهم الإستراتيجيات التي اتبعتها الغرب<sup>(\*)</sup> تجاه العالم الإسلامي، من خلال التعرض بشيء من التفصيل لكل من إستراتيجية الاحتواء المزدوج، وإستراتيجية الدول المحورية، والإستراتيجية العسكرية، وكذا الإستراتيجية الاقتصادية المتمثلة في المشروع الشرق أوسطي.

## الفرع الأول: إستراتيجية الاحتواء المزدوج Dual Containment Policy

تعد إستراتيجية الاحتواء أولى حلقات الإستراتيجية الأمريكية في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقد أسهم في تهيئة أسس هذه السياسة وبلورة إطارها العام "جورج كينان" George Kennan، الدبلوماسي الأمريكي في الشؤون السوفييتية، وقام

(1) عطاء محمد صالح زهرة، النظرية الدبلوماسية، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1993، ص 24.

(2) ليدل هارب، الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة: الهيثم الأيوبي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1979، ص 274.

(3) عبد العزيز جراد، العلاقات الدولية، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 1992، ص 101.

(\*) للإشارة فقد تم التركيز في هذا الصدد على الإستراتيجيات الأمريكية تجاه العالم الإسلامي كنموذج للتليل.

بتنفيذها "هاري ترومان" Harry S. Truman منذ عام 1947<sup>(1)</sup>، وتهدف هذه الإستراتيجية إلى احتواء الشيوعية والحد من الخطر الشيوعي، ومكافحة التغلغل السوفييتي، وحماية جميع الدول المناهضة للشيوعية، ومساعدة من تصفهم الولايات المتحدة الأمريكية بالشعوب الحرة في العالم<sup>(2)</sup>.

لقد استخدمت إستراتيجية الاحتواء المزدوج ضد إيران والعراق لاسيما بعد سنة 1979، أي بعد التغيير في طبيعة النظام الإيراني وانتقاله من موقع الحليف التاريخي للولايات المتحدة الأمريكية المتمثل في نظام الشاه، إلى نظام جديد معاد لها تحت شعار الثورة الإسلامية، وتزامن هذا التطور في إيران مع تطور في الشأن العراقي تمثل في تولي صدام حسين الحكم في العراق. وقد صرّح هنري كيسنجر أكثر من مرة أنه: "لا يستطيع استبعاد استخدام القوة العسكرية إذا تعرّض العالم لاختناق نفطي بسبب منتجه في الشرق الأوسط" مشيراً بذلك إلى الحظر النفطي الذي اعتمده العرب في أعقاب حرب أكتوبر 1973<sup>(3)</sup>.

كما أعلن "مارتن أنديك" Martin Indyk - مساعد الرئيس الأمريكي في شؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا - في محاضرة له في شهر ماي عام 1993 عن عزم الإدارة الأمريكية في عهد "بيل كلنتون" Bill Clinton استئناف إستراتيجية "الاحتواء المزدوج لكل من إيران والعراق"<sup>(4)</sup>.

(1) إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، منشورات دار السلال، الكويت، ط4، 1985، ص 222.

(2) علي العودة العقابي، العلاقات الدولية: دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، دار الرواد، بغداد، العراق، ط1، 2010، ص 208.

(3) محمد مراد، السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي بين الثابت الإستراتيجي والمتغير الظرفي، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص ص 167-168.

(4) كاظم هاشم نعمة، "المتغير الأمريكي ومستقبل الأمن في الخليج العربي"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع 93، مارس 1995، ص 22.

أما عن أسباب تطبيق هذه الإستراتيجية، فقد أكد "مايكل ساللا" Michael Salla أن الغرب بات مقتنعا بأن المواجهة مع الشيوعية عبر سياسة الاحتواء هي التي أنهت الحرب الباردة لصالح الغرب، وبالتالي ستظل هذه الطريقة هي المثلى لمواجهة الإسلام، ويرى ساللا أن من ضمن الأسباب التي أدت بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تطبيق إستراتيجية "الاحتواء المزدوج" على الخطر الإسلامي ما يلي:

أولاً: إن أحادية الخطر الإسلامي مثل أحادية الخطر الشيوعي، بمعنى أن نجاح سياسة الاحتواء التي طبقتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الاتحاد السوفييتي يعود لأحادية الأيديولوجية الشيوعية، هذه الأحادية سهّلت عملية الاحتواء ابتداءً من عهد الرئيس ترومان Truman ، ثم طبقتها الرئيس إيزنهاور Eisenhower من خلال طرح فكرة حلف الناتو، ثم نيكسون Nixon في فيتنام، ثم كارتر Carter في الصين وكامب ديفيد، ثم ريغان Reagan من خلال سباق التسلح وحرب النجوم، وبالتالي يمكن عبر مؤسسات أخرى جديدة احتواء الخطر الإسلامي أحادي الأبعاد<sup>(1)</sup>. حيث قال "دانيال بايبس" Daniel Pipes، الباحث بمركز "بيجين - السادات" الإستراتيجي، في هذا الشأن: "إن الأصولية الإسلامية حركة طوباوية متطرفة تماثل في طبيعتها الحركات المتطرفة الأخرى كالشيوعية والفاشية"<sup>(2)</sup>.

ثانياً: إن دخول الولايات المتحدة الأمريكية في حروب ساخنة مع الاتحاد السوفييتي السابق على حلبة طرف ثالث، كفيتنام مثلاً وكوريا، قد أدى إلى إنهاء الحرب الباردة بين القوتين العظميين لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، من هنا فالغرب مطالب في حربه الباردة مع الإسلاميين بالدخول في مغامرات ساخنة ضده على أرضيات مختلفة، من دون تورط أمريكي مباشر هذه المرة ولكن عبر إستراتيجيات أخرى. وقد صرّح "بايبس" Pipes في هذا الصدد قائلاً: "إن الحكومات التي تقمع الحركات الإسلامية تحتاج لدعم

(1) مايكل ساللا، المرجع السابق.

(2) نفس المرجع.

الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه يتوجب علينا الوقوف بجانب القوى غير الأصولية حتى لو كان ذلك يعني القبول بأساليب القمع التي تتبعها هذه الدول".

كما أكد "جون اسبوزيتو" John Aspozitto على أن تأييد الغرب للسلطات القمعية يضعف ثقة المعارضة والإسلاميين بالديمقراطية، مما يولد رفضهم الإقصائي والمتطرف للنموذج الغربي برمته، وأنه كان يُفترض أن يقوم الغرب بتشجيع ثقافة الديمقراطية في العالم الإسلامي لأنها وإن أنت بالإسلاميين أولاً فإنها قد تأتي بالعلمانيين لاحقاً، لكن الراجح - على حد توقعات ساللا - هو أن يدعم الغرب الحكومات القمعية اقتصادياً وعسكرياً لضرب الإسلاميين بدلاً من الضغط على تلك الحكومات لإجراء انتخابات نزيهة أو مراعاة حقوق الإنسان<sup>(1)</sup>.

**ثالثاً:** انعدام نقاط الالتقاء بين النموذج الشيوعي الماركسي والنموذج الليبرالي الديمقراطي وبين هذا الأخير والإسلام. فقد كان جورج كينان George F. Kennan يقول في عام 1931 بأنه لا يمكن الوصول لحل وسط بين النموذج الشيوعي الماركسي والنموذج الليبرالي الديمقراطي لأن كليهما على طرفي نقيض، وكلاهما يعتبر نفسه "منهجاً للحياة" مستقلاً بنفسه عن الآخر، بل يريد تقويض هذا الآخر. وفي فترة ما بعد الحرب الباردة نفس النظرة تُوجّه للإسلام باعتباره نموذجاً مستقلاً عن النموذج الغربي بحيث لا يمكن التفاوض أو التحاور معه.

وهنا عَقَّب "ساللا" أن هذه النظرة الغربية خاطئة لأنها تتغافل عن بعض السمات المشتركة بين الغرب والإسلام في أمور كثيرة تتعلق بدور الدولة في بناء المرافق مثلاً، وعدم سيطرتها على جميع موارد المال على عكس النموذج الشيوعي، وتقدير الكسب الشخصي بل وتشجيعه .. الخ. وفي السياسة هناك الشورى وهي جوهرها - مع بعض الاختلافات الفنية - تماثل الديمقراطية من ناحية كونها تحترم الرأي والرأي الآخر<sup>(2)</sup>.

(1) نفس المرجع.

(2) نفس المرجع.

وفي نفس الإطار صدر في بداية عام 1997 تقرير معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، التابع للوبي اليهودي بواشنطن، والذي رسم المخطط الجديد للإدارة الأمريكية نحو منطقة الشرق الأوسط، حيث نص على نقطتين:<sup>(1)</sup>

- 1 - فيما يخص العراق: إن التغيير الفوري المطلوب أكثر من غيره في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط هو اتخاذ خطوات تسرع في الإطاحة بنظام الرئيس العراقي صدام حسين، في الوقت الذي يتم فيه صيانة وحدة العراق الوطنية ووحدة أراضيه، ويجب أن تشمل هذه الخطوات:
  - توضيح السياسة المعلنة حول العراق بمعارضة رفع عقوبات الأمم المتحدة، ومعارضة أي مصالحة محتملة مع العراق ما لم يتغير النظام في بغداد.
  - إصدار بيان رئاسي يعلن عن مجموعة من الحوافز من شأنها أن تفيد العراق في حال الإطاحة بنظام الرئيس صدام حسين.
  - تطبيق منهج أكثر جرأة فيما يتعلق بالاستجابة العسكرية للاستنزافات العراقية، وبشكل يتناسب مع هدف الإسراع في الإطاحة بالنظام القائم.

- 2 - فيما يخص إيران: نص التقرير على أن إيران تشكل تهديدا خطيرا طويل الأمد لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم فإن فقدان سياسة منسقة من قبل أمريكا وحلفائها يشكل تحديا رئيسا لأكثر جهود الاحتواء الأمريكية أهمية، ولمعالجة هذه المشكلة على الولايات المتحدة أن تتخذ مجموعة من الإجراءات:<sup>(2)</sup>
  - إجراء مشاورات عالية المستوى مع الحلفاء الأوروبيين واليابانيين للتوصل إلى تفاهم مشترك حول إيران، وذلك للوصول إلى اتفاقية تضع مقياسا محددًا للحكم على نجاعة

(1) محمد دلبج، "المخطط الجديد لكلنتون نحو المنطقة العربية"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع 1245، أبريل 1997، ص 37.

(2) نفس المرجع، ص 37.



سياسية الحوار التي يطبقها حلفاؤها، وتحديد فترة اختبار لقياس مدى تقدم تلك السياسة، ومن ثم تعديل سياسة كل طرف إثر إجراء مراجعة مشتركة.

- تفادي تطبيق سياسات غير مقبولة تضع إيران خارج الأسرة الدولية، وفي نفس الوقت أن تحافظ على استعدادها لإجراء حوار رسمي مع ممثلين عن الحكومة الإيرانية حول قضايا تثير قلق الطرفين، وينبغي على الولايات المتحدة الأمريكية أن تكون واضحة بشأن التغييرات التي تريدها أن تحصل في سلوك الحكومة الإيرانية، من أجل تحقيق تخليها عن جهود تطوير القدرة النووية وأسلحة الدمار الشامل، وإنهاء مساندتها للإرهاب الدولي.

- ينبغي على الولايات المتحدة الأمريكية أن تكون في نفس الوقت مستعدة لمواجهة مع إيران، كرد فعل على الإرهاب الدولي الذي تسانده ضد مواطني الولايات المتحدة ومصالحها<sup>(1)</sup>.

لابد من الإشارة هنا إلى أن سياسة الاحتواء قد مورست أيضا ضد ما يسمى بالدول المارقة *Rogue states*، التي لا تُعتبر دول إجرامية فحسب وإنما هي الدول التي تتحدى أوامر الأقوياء الذين هم مستثنون بالطبع<sup>(2)</sup>، كما أن أغلبها دول إسلامية مثل أفغانستان وإيران والعراق وليبيا، وسميت بهذا الاسم لأنها تخالف بانتظام الأعراف والأنظمة الدولية، وهي ذات أنظمة رجعية عدائية تجاه الغرب ولا تحترم قواعد القانون الدولي. فلا عجب إذا وجدت هذه التسمية القبول لدى صانعي السياسة الخارجية الأمريكية - خاصة وأن إسرائيل غير مدرجة في هذا التصنيف - وذلك لتبرير بعض الخيارات السياسية، من خلال تعبئة الرأي العام المحلي والدولي لدعم وتأييد الإستراتيجية الأمريكية والغربية تجاه هذه الدول المارقة<sup>(3)</sup>.

(1) نفس المرجع، ص 37.

(2) نعوم تشومسكي، الدول المارقة: استخدام القوة في الشؤون العالمية، ترجمة: أسامة إسبر، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004، ص72.

(3) مارتن غريفينس وتيري أوكلاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2008، ص ص 219 - 220.

لقد تعرضت سياسة الاحتواء المزدوج للنقد من جانب عدد من الخبراء، حيث اتهمت باضطراب الأهداف وعدم كفاية الوسائل، وبأنها شعار أكثر منه إستراتيجية، وبأنها تفتقر للصلاحيحة والاستمرار، فضلا عن أعبائها المالية والدبلوماسية الكبيرة<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: إستراتيجية الدول المحورية Pivotal states strategy

قبل الحديث عن إستراتيجية الدول المحورية يجب الرجوع إلى إستراتيجية الدومينو (Domino strategy) التي تعتبر مرجعية لها.

تعتبر نظرية الدومينو الأساس المنطقي الذي أعتد عليه في تقرير الأولويات التي بُنيت عليها سياسات الولايات المتحدة الأمريكية إزاء بعض مناطق العالم ذات الأهمية الإستراتيجية المتميزة للمصالح الأمنية الأمريكية، وكانت إدارة إيزنهاور Eisenhower ودالاس John Foster Dulles أول من طبق هذه النظرية الإستراتيجية عام 1954، ويتمثل منطلق هذه النظرية في الإدعاء بأن سقوط دولة ما في قبضة الشيوعية سيؤدي بالضرورة إلى تهديد ومن ثم سقوط الدولة المجاورة لها، تماما مثلما يحدث لمجموعة من المكعبات التي صفت رأسيا حتى إذا ما أزيح أحدها من مكانه ترتب على ذلك تساقط الواحد تلو الآخر إلى أن ينهار البناء برمته في النهاية<sup>(2)</sup>.

نظرا لفشل السياسة الخارجية الأمريكية في احتواء الثورة الإسلامية الإيرانية التي نجحت في إسقاط نظام الشاه الموالي لأمريكا، وتمكنت من اكتساب تعاطف كبير في أرجاء العالم الإسلامي، لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى التخطيط السريع والعمل على مواجهة الخطر الإسلامي والسيطرة على هذه الظاهرة المستحدثة للحيلولة دون انتقال عدواها إلى دول الجوار، من أجل حماية المصالح الأمريكية في المنطقة. ذلك أن إسقاط نظرية الدومينو على موضوع تنامي الظاهرة الإسلامية في العالم الإسلامي سيؤدي إلى

(1) السيد أمين شلبي، "سياسة إدارة كلنتون الخارجية: إنجاز أم فراغ سياسي؟"، مجلة السياسة الدولية، ع144، أبريل 2001، ص 67.

(2) إسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية والسياسة الدولية: المفاهيم والحقائق الأساسية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص 191.

نتيجة مفادها أن تحول دولة واحدة إلى النظام الإسلامي سوف يتبعها تحول لدول أخرى إلى نفس النظام، خاصة مع تنامي نشاط التيار الإسلامي في الدول الإسلامية، ففي عام 1979 كانت إيران، وفي عام 1989 السودان .. (1).

لكن ما تم تجاهله عند إسقاط النظرية على دول العالم الإسلامي هو أن الأوضاع في الدول الإسلامية ليست متشابهة، فلكل دولة ظروفها ومعطياتها، ولهذا فإن إسقاط نظرية الدومينو على العالم الإسلامي فيه الكثير من الخط وربما التعميمية المقصودة والمبالغ فيها.

من هنا ظهرت نظرية جديدة هي "نظرية الدول المحورية"، وهي تُعتبر بمثابة إحياء وإعادة تشكيل وتركيب لنظرية الدومينو، التي شكلت إحدى الأطر المفسرة للسياسة الخارجية الأمريكية أثناء الحرب الباردة، بلور هذه النظرية "بول كنيدي" Paul Kennedy ومجموعة من الباحثين، وهي تهدف إلى وضع إطار جديد للإستراتيجية الأمريكية لما بعد الحرب الباردة، وذلك بقصد احتواء مختلف الاضطرابات الجهوية والإقليمية التي يمكن أن تمس بالمصالح القومية الأمريكية، وتقوم هذه النظرية على اعتبار أن المصالح الأمريكية تتطلب الاستقرار في المناطق الحيوية من العالم، وهذا ما يفرض على الولايات المتحدة الأمريكية مضاعفة جهودها ومساعداتها للدول التي يؤثر مستقبلها ومصيرها بعمق في الجهات المحيطة بها، وبالتالي فالدول المحورية هي تلك الدول ذات الأهمية الإستراتيجية التي يؤدي عدم استقرارها إلى التأثير في الدول المجاورة لها وفي الاستقرار العالمي. ومن ثم فالذي يحدد الدول المحورية هو قدرتها على التأثير في الاستقرار الجهوي والعالمي.

إن الدول المحورية لا تحتاج إلى مساعدة ضد تهديد خارجي قادم من أنظمة سياسية معادية، بل يتجلى التهديد في احتمال سقوطها وانهارها بفعل التوتر والفوضى

(1) عبد الله الشيخ، "الإسلام ونظرية الدومينو في السياسة الأمريكية"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع 1258، جويلية 1997، ص ص 42 - 43.

الداخلية، حيث يشكل عدم الاستقرار تهديدا كبيرا للمصالح الأمريكية في مختلف مناطق العالم، وهذا يستوجب على الإدارة الأمريكية نهج سياسة متميزة لفائدة الدول المحورية، فكلما زادت المساعدات الأمريكية لهذه الدول تقلصت إمكانية انهيارها، وانطلاقا من هذه الاعتبارات حدّد الباحثون لائحة بالدول التي يجب على الولايات المتحدة الأمريكية اعتبارها دولاً محوريةً في فترة ما بعد الحرب الباردة، وهي تشمل الدول التالية: في أمريكا اللاتينية هناك المكسيك والبرازيل، وفي إفريقيا توجد الجزائر ومصر وجنوب إفريقيا، وتضم آسيا تركيا والهند وباكستان وإندونيسيا<sup>(1)</sup>. ومن ثم نجد أن من بين تسع دول محورية في العالم توجد خمس دول إسلامية وهو ما يعكس أهمية مكانة العالم الإسلامي في الإستراتيجية الأمريكية.

### الفرع الثالث: الإستراتيجية العسكرية Military Strategy

لقد تزايدت وتيرة وشدة الإصرار الغربي، والأمريكي خاصة، على منع انتشار أسلحة الدمار الشامل في فترة ما بعد الحرب الباردة، وذلك بسبب الخوف من لجوء الدول التي كانت تبحث عن أمنها في إطار التحالف زمن الحرب الباردة إلى البحث عنه بشكل مستقل من خلال امتلاكها لهذه الأسلحة بعد نهاية الحرب الباردة، وهو ما جعل الغرب يعتبر أن امتلاك دولة نامية لهذا النوع من الأسلحة سيحولها تلقائياً إلى مصدر خطير مهدد للاستقرار العالمي<sup>(2)</sup>.

كان الهاجس الذي شغل الأجهزة الأمنية في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل هو الخوف من امتلاك أية دولة إسلامية للسلح النووي، وكانت العراق هي الدولة العربية والإسلامية الأولى التي توقعت بشأنها تقارير استخباراتية غربية أن تمتلك قنبلة نووية، حيث أفادت تلك التقارير في أواخر السبعينيات من القرن العشرين أن مفاعل "تموز-

(1) Robert .S.chase, Emily.B.hill, and Paul kennedy, «Pivotal state U.S strategy », *Foreign affairs review*, vol 75, N° 01, January-February 1996, PP 33-35

(2) محمد الهزاط، الأهداف الجديدة للسياسة الخارجية الأمريكية في عالم ما بعد الحرب الباردة، *مجلة شؤون عربية*، ع 114، صيف 2003، ص ص 175 - 176.

أوزيراك" العراقي كان على وشك إنتاج قنبلة نووية، واستشعارا لهذا الخطر شنت إسرائيل غارة جوية على العراق في السابع من شهر جوان 1981 ودمرت مفاعلها النووي تماما، وجاءت أزمة الخليج الثانية لتتيح الفرصة للولايات المتحدة الأمريكية عبر ما يُعرف بالشرعية الدولية للقضاء على ما تبقى من المشروع النووي العراقي<sup>(1)</sup>.

ما قيل عن العراق يقال عن محاولات باقي الدول العربية والإسلامية لإقامة مفاعلات نووية أو اكتساب أسلحة الدمار الشامل<sup>(\*)</sup>، وما واجهته من مواقف غربية سلبية وخاصة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، بل وضغوطات وتهديدات للتخلي عن تلك البرامج.

لقد جاء في تقرير معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى أن الولايات المتحدة وإسرائيل تواجهان تهديدات متشابهة - إن لم تكن متطابقة - من النظم الراديكالية، والجماعات الإرهابية، وانتشار أسلحة الدمار الشامل وأنظمة إطلاق الصواريخ، وهناك تهديدات جديدة وخطيرة جدا وهي احتمال استعمال الجماعات الإرهابية لأسلحة الدمار الشامل، ويتطلب هذا التهديد جهدا أعلى من التعاون الإستراتيجي، ومن هنا فإن التزام الولايات المتحدة بتفوق إسرائيل النوعي يعتبر أمرا حاسما، حيث جاء في التقرير: "تحت الحكومتين على مواصلة نشاطات البحوث والتطوير المتعلقة بصاروخ "أرو" ARO المضاد للصواريخ الباليستية، وتوسيع جهود تطوير أنظمة دفاعية فعالة يستعملها الطرفان ضد الصواريخ الباليستية التكتيكية، وصواريخ "كروز" CRUISE والطائرات [...] وندعو إلى إدماج إسرائيل إدماجا كاملا في نظام إقليمي فضائي أمريكي، أو نظام عالمي يوفر الإنذار الفوري في حالة حصول هجوم بصواريخ باليستية، كما يجب أن تسعى الولايات المتحدة وإسرائيل لتحقيق مختلف أشكال التعاون مع أطراف ثالثة مثل تركيا

(1) خالد حسان، "مثلث الشيطان: واشنطن، تل أبيب، نيودلهي"، جريدة الشروق اليومي، ع 313، 13 نوفمبر 2001، ص 10.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر "الإمكانات النووية الإسلامية" في المطلب الثاني من المبحث الأول في الفصل الأول.

والأردن، وكقاعدة عامة فإن على الولايات المتحدة أن تساعد في تقليل المخاطر التي يواجهها أمن إسرائيل عن طريق تقديم الأسلحة والتقنية المناسبة لإسرائيل<sup>(1)</sup>.

مما سبق يمكن التأكيد على أن للولايات المتحدة الأمريكية إستراتيجيتين أساسيتين لمواجهة التحديات العسكرية المحتملة من العالم الإسلامي، وهما:

- الاستمرار في التطوير الكمي والنوعي للترسانة العسكرية الأمريكية.
- اتخاذ كل الإجراءات لمنع انتشار الأسلحة المؤثرة في موازين القوى الدولية إلى دول تدخل في إطار ما تسميه الولايات المتحدة بـ "محور الشر" أو "الدول المارقة"<sup>(2)</sup> وعلى رأسها الدول الإسلامية، وذلك بعدم السماح لها بامتلاك أو شراء أو تصنيع أي نوع من الأسلحة غير التقليدية، من أجل الحفاظ على الميزان العسكري والنووي في المنطقة كما هو عليه لصالح إسرائيل ومن ورائها أمريكا.

### الفرع الرابع: المشروع الشرق أوسطي Middle Eastern Plan

أستخدم مفهوم الشرق الأوسط من طرف القوى الاستعمارية الأوروبية أثناء الحرب العالمية الأولى، وعلى إثر تصدع وتفكك الإمبراطورية العثمانية بدأت تلك القوى في تقسيم تركة الدولة العثمانية كمناطق نفوذ فيما بينها، أي أن الدعوة إلى الشرق أوسطية قديمة قدم الأهداف التوسعية للقوى الدولية في المنطقة، وكانت بداية التطبيق الفعلي لهذه السياسة الاستعمارية من خلال معاهدة "سايكس - بيكو" Sykes - Picot لعام 1916<sup>(3)</sup>.

لقد برز مفهوم الشرق أوسطية بصورة أكثر وضوحاً بعد الحرب العالمية الثانية، كصيغة مناقضة للمصلحة الإسلامية العربية، من خلال إعلان قيام الكيان الإسرائيلي في المنطقة الإسلامية العربية، وكذا محاولة تمرير نفاذ إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط،

(1) محمد دليج، المرجع السابق، ص 39.

(2) حسين بوقارة، وآخرون، الانعكاسات الدولية والإقليمية لأحداث 11 سبتمبر 2001، منشورات باتنيت، باتنة، الجزائر، ط1، 2002، ص ص 19 - 20.

(3) عبد القادر رزيق المخادمي، مشروع الشرق الأوسط الكبير: الحقائق والأهداف والتداعيات، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 44.

ومن ثم فهو الذي سيحقق لإسرائيل الانتماء الاقتصادي إلى المنطقة، وقد تكفل الغرب برعاية فكرة الشرق أوسطية، حيث وُضعت معالم مشروعها من طرف المؤسسات البحثية الغربية وعلى رأسها جامعة هارفارد<sup>(1)</sup>، وابتداءً من منتصف ثمانينيات القرن العشرين بدأ التصور الحديث للمشروع الذي أسهم في إعداده رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق "شمعون بيريز" Shimon Peres ، وقد حاولت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تحقيقه بكل الوسائل تبعاً لتغير الظروف في المنطقة.

من أهم العوامل والدوافع الكامنة وراء المشروع الشرق أوسطي ما يلي:<sup>(2)</sup>

- إن الطابع الاقتصادي للمشروع يعني بالنسبة لإسرائيل مواصلة الحرب بطريقة أخرى حتى تتمكن من إقامة إسرائيل الكبرى.
- إن تمتع إسرائيل بتقدم تكنولوجي ونفوذ دولي ومخالفة أمريكية يعطيها قدرة على الهيمنة ويساعدها على استغلال الغنائم.
- إن تنامي الصحوة الإسلامية يسبب قلقاً لإسرائيل، ومن ثم فمن شأن التكامل الاقتصادي والاندماج في البنية الشرق أوسطية أن يجعل إسرائيل آمنة وقريبة من أصحاب القرار العربي، كما أن ذلك سيؤدي إلى استغلال هذا الوضع في التحريض على الصحوة الإسلامية، واتهامها بإفساد الاقتصاد العربي وضياع الاستقرار في المنطقة وتهديد المصالح الاقتصادية الأمريكية.
- أعطت حرب الخليج الثانية فرصة لإسرائيل لتفريق الصف العربي، ولهذا برزت إسرائيل بفكرة الشرق أوسطية الاقتصادية كبديل عن السوق العربية.
- كما يقوم المشروع الشرق أوسطي، حسب "شمعون بيريز"، على أربع ركائز هي:

(1) نيفين عبد الخالق مصطفى، "المشروع الشرق أوسطي والمستقبل العربي"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع193، 1995، ص 08.

(2) توفيق الواعي، "السجل العربي الإسرائيلي هل يغلق أم أنه لم يفتح بعد؟"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع 1250، ماي 1997، ص 49.

- الاستقرار السياسي، وذلك بالقضاء على الأصولية الإسلامية التي يعتبرها بيريز العدو المشترك الذي يهدد إسرائيل والأنظمة العربية.
- الاقتصاد، من خلال إنشاء منظمة تعاون إقليمية لبناء سوق مشتركة.
- الأمن القومي، من خلال القضاء على كل ما يهدد الأمن الإقليمي.
- تشجيع الديمقراطية في دول المنطقة للحرص على السلام، وتبديد العوامل الكامنة وراء التحريض الأصولي<sup>(1)</sup>.

أما فيما يخص مراحل المشروع الشرق أوسطي فقد حدّدها "شمعون بيريز" في كتابه "الشرق الأوسط الجديد" الصادر سنة 1993 كما يلي:<sup>(2)</sup>

**المرحلة الأولى:** تضم مشروعات التعاون بين دولتين أو أكثر، مثل التعاون بين مصر وإسرائيل من أجل إقامة سلام دائم في المنطقة.

**المرحلة الثانية:** تشمل مشروعات التعاون الإقليمي بمشاركة قوى دولية كبرى مثل مشروعات البحر الميت والبحر الأحمر، حيث يمكن أن تكون مناطق للتبادل الحر أو مناطق سياحية تهتم مصر والأردن وإسرائيل والسعودية.

**المرحلة الثالثة:** إقامة كيان إقليمي يضم دول المنطقة.

رغم أن الهدف المعلن من وراء المشروع الشرق أوسطي حسب "شمعون بيريز" هو خلق أسرة إقليمية من الأمم ذات سوق مشتركة وهيئات مركزية مختارة على غرار الجماعة الأوروبية<sup>(3)</sup>، إلا أن الهدف الحقيقي والخفي لهذا المشروع يظهر من خلال:

- الحيلولة دون قيام وحدة عربية أو إسلامية في المستقبل.

(1) غازي حسين، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2005، ص36.

(2) حافظ الشيخ، "مفهوم الشرق الأوسط الجديد"، مجلة المجتمع، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت، ع 1125، جانفي 1994، ص 31.

(3) غازي حسين، المرجع السابق، ص 36.



- طمس وتذويب الهوية العربية والإسلامية عبر استيعاب المنطقة العربية في إطار إقليمي، يكون فيه الكيان الإسرائيلي أكثر تفوقاً واحتواءً في المجالات الاقتصادية والعسكرية والثقافية، وتعد الأخيرة أخطر الأهداف المبتغاة من وراء هذا المشروع<sup>(1)</sup>.
- تبرير شرعية الوجود الصهيوني في المنطقة في ظل خليط من القوميات والشعوب واللغات<sup>(2)</sup>، وذلك بإقامة مشروعات اقتصادية وتجارب جماعية، والتي من شأنها استبعاد فكرة الصراع عن دول المنطقة.
- إدماج إسرائيل في دول الجوار، ومن ثم التحول إلى مفهوم البحث عن عدو مشترك جديد وهو الأصولية الإسلامية والظاهرة الإسلامية ككل<sup>(3)</sup>.
- أن يصبح المشروع مدخلاً لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي وحل القضية الفلسطينية وفق المخطط الأمريكي الإسرائيلي<sup>(4)</sup>، حيث يظهر ذلك من خلال تصريح لبيريز مفاده: "لا ينبغي أن يقف ماضي العلاقات العربية-الإسرائيلية عقبةً في وجه الفرص المتاحة أمامها الآن، بل ينبغي تركيز الاهتمام كله على المستقبل"<sup>(5)</sup>.
- نتيجةً لما سبق يمكن القول أن مشروع الشرق أوسطية لا يقتصر على علاقة ثنائية بين العالم الإسلامي والغرب فقط، وإنما هو علاقة ثلاثية الأطراف تشمل العالم الإسلامي والغرب وإسرائيل<sup>(6)</sup>، كما يعتبر هذا المشروع من أكبر التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية في المنطقة العربية من العالم الإسلامي، لأن سريان هذا المشروع في جانبه

(1) عبد الله علي العليان، الإسلام والغرب ما بعد 11 سبتمبر 2001، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص105.

(2) محمد مراد، المرجع السابق، ص 352.

(3) عبد المنعم المشاط، المرجع السابق، ص 9.

(4) كمال سالم الشكري، مشروع الشرق أوسطية والأمن القومي العربي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، دمشق، سوريا، المجلد 28، ع1، 2012، ص517.

(5) عبد الله علي العليان، المرجع السابق، ص 104.

(6) عبد القادر رزيق المخادمي، مشروع الشرق الأوسط الكبير: الحقائق والأهداف والتداعيات، المرجع السابق، ص44.

الاقتصادي والسياسي يقضي بإدخال النسيج الثقافي في الآلية العامة الجارية تحت عنوان التطبيع، والذي سيكون أداة وظيفية متقدمة في برنامج إخضاع المنطقة للتفوق الإسرائيلي، باعتبار أن الغاية غير المُعلَّنة من هذا المشروع هو تذويب الهوية العربية من خلال إيجاد صيغة للتعاون الإقليمي، وتحقيق الاعتراف النفسي والوجداني والفكري بانتفاء أسباب العداء العربي لإسرائيل، مما يؤدي إلى التأسيس لقاعدة تسقط مبدأ الحق وتعوضه بمبدأ الواقع.

### خلاصة الفصل:

انطلاقاً مما تم تناوله في ثنايا هذا الفصل يمكن استخلاص ما يلي:

- إن موقف المسلمين من الغرب ليس نتاج تفاعلات مرحلة الحرب الباردة أو ما بعدها فقط، بل هو خلاصة تراكم التجارب التاريخية وكذا التصورات الذهنية المرافقة واللاحقة على هذه التجارب، ورغم أن هذا الموقف تتجاذبه تيارات مختلفة من حيث الشدة واللين إلا أن اتجاهه العام كان سلبياً. كذلك الأمر بالنسبة لموقف الحركات الإسلامية من الغرب فأقل ما يقال عنه أنه سلبي بغض النظر عن الاختلافات القائمة فيما بين هذه الحركات.
- إن الموقف الغربي من الإسلام والعالم الإسلامي، ومن ثم إستراتيجيته في التعامل معه، ليس فقط مجرد مقولات نظرية ولا تعبيرات عن صور ذهنية مجردة، إنما هو بناء فكري مركب نشأ وتطور عبر تاريخ الاحتكاك بين الغرب والشرق، لا ليقف عند أفكار المفكرين ونظريات المنظرين وإنما ليكون التبرير المسوغ لهيمنة الغرب على الشرق، فهو خطاب تبريري لتسويق وتسييق ممارسات لا أخلاقية تجسدها الإمبريالية الغربية على أرض الواقع في شكل إستراتيجية غربية محكمة تجاه العالم الإسلامي والمسلمين عامة.
- إن نزعة "المركزية الغربية" التي لا تعترف بالآخر غير الغربي، تلعب دوراً محورياً وكبيراً في تراكم ثقافة هذا الخطاب الغربي السلبي عن الآخر الإسلامي، فعدم الاعتراف بالآخر فيه التبرير لإلغاء هذا الآخر.
- إن تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا Islamophobia وهستيريا معاداة الإسلام في الغرب ناتجة عن تبني رؤية مغالطة تعكس سوء فهم أو منهجية قائمة على أسس غير علمية، وأخرى مقصودة تتم عن نظرة مريضة تجاه الإسلام والمسلمين. وما لم يتم تبني رؤية موضوعية تشكل في مجملها غالبية السلوك الغربي تجاه الإسلام والمسلمين، فإن الغرب سيبقى أسير الخوف المرضي من الإسلام والعالم الإسلامي.

# الفصل الثالث:

العالم الإسلامي والغرب  
بين الحوار والصراع

المبحث الأول : العالم الإسلامي والغرب ومقولة "حوار الحضارات"  
المبحث الثاني: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "صدام الحضارات"

### الفصل الثالث: العالم الإسلامي والغرب بين الحوار والصراع

بعد الحديث في الفصل الثاني من البحث عن المواقف المتبادلة بين العالم الإسلامي والغرب، والخلفيات والتصورات التاريخية المشكّلة والمحدّدة لتلك المواقف، سيتم الانتقال في هذا الفصل باتجاه المستقبل، حيث سيتم التطرق إلى أهم احتمالين نالا اهتمام المفكرين والإعلاميين والأكاديميين المتخصصين في العلاقات الدولية عامة، والمهتمين بمستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب على وجه الخصوص، وهما احتمالاً الحوار والصراع اللذين يمثلان ثنائية جدلية طفت إلى السطح بعد نهاية الحرب الباردة.

#### المبحث الأول: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "حوار الحضارات"

تعد الدعوة إلى حوار الحضارات من الخصائص المميزة للنصف الثاني من القرن العشرين، وكأنما أدرك العالم أن البشرية لا تستطيع أن تتحمل حروباً عالمية جديدة، بعد أن شهدت ما جلبته الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية من ويلات لم ترافقها حلول للمشكلات الكبرى التي ظل يعاني منها المنتصر فضلاً عن المغلوب<sup>(1)</sup>.

إن البحث في تاريخ تطور فكرة "حوار الحضارات" يؤدي إلى استخلاص أربعة أزمنة أساسية، تشرح طبيعة الأطوار التي مرّت بها هذه الفكرة والسياقات التاريخية والسياسية والفكرية التي تأثرت بها في كل مرة، وهي كالآتي:

**الزمن الأول:** يتحدّد بسبعينيات القرن العشرين، حينما تبنّى المفكر الفرنسي روجي غارودي Roger Garaudy هذه الدعوة وشرحها في كتابه "حوار الحضارات" الصادر سنة 1977، والذي يمكن اعتباره بمثابة مرافعة مُحكمة في الدفاع عن قضية حوار الحضارات، حيث تميّز بمنطق شديد التماسك وبخطاب موثّق بالشهادات والوقائع

(1) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 67.

والحقائق، وظهر غارودي من خلاله كأحد أكثر المنظرين المتحمسين لهذه الفكرة التي عُرف واشتهر بها عالمياً<sup>(1)</sup>.

**الزمن الثاني:** يُحدّد بتجدّد الحديث عن حوار الحضارات وذلك كرد فعل على ظهور مقال "صدام الحضارات" لصاحبه "صمويل هنتينغتن" Samuel Huntington في صيف 1993، ثم في كتاب موسع صدر سنة 1996 بعنوان "صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي"، ومنذ ذلك الوقت والجدل يحتدم حول هذه المقولة بين الإعلاميين والأكاديميين والسياسيين، وتحوّلت إلى واحدة من أنشط الأفكار تداولاً ونقاشاً في مختلف مراكز البحث الدولية، وذلك بسبب طبيعتها التحريضية وبنيتها التفسيرية ورؤيتها التشاؤمية، ولأنها جاءت متزامنة مع بداية مرحلة ما بعد الحرب الباردة حيث كانت التطلعات تسير باتجاه إزالة المخاوف من إمكانية وقوع حروب وأزمات دولية جديدة، وبدل الشعور بالتفاؤل جاءت هذه المقولة لكي تبعث بالتشاؤم والخوف، وتندّر بحرب باردة بين الحضارات هي أشد خطورة مما كانت عليه بين الدول في المرحلة السابقة<sup>(2)</sup>.

**الزمن الثالث:** يُورّخ لهذا الزمن بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في دورتها الثالثة والخمسين والمنعقدة في شهر نوفمبر سنة 1998، الذي تضمّن الموافقة على اقتراح بإعلان "سنة 2001 سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات"، وهو الاقتراح الذي كان قد تقدّم به رئيس الدورة الثامنة لمؤتمر القمة الإسلامي<sup>(\*)</sup> أمام الجمعية العامة شهر سبتمبر من نفس السنة، كما أن الخلفيات التي أشار إليها هذا القرار تتوافق مع أفكار وتصورات أولئك المفكرين والمؤرخين أصحاب النزعة الأخلاقية والإنسانية الذين أكدوا على مفاهيم

(1) زكي الميلاد، "تعارف الحضارات: الفكرة، الخبرة والتأسيس"، مجلة الحوار الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، عدد خريف وشتاء 2013، ص 6.

(2) نفس المرجع، ص 10.

(\*) وكان رئيس دورة مؤتمر القمة الإسلامي حينها هو رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية آنذاك محمد خاتمي.

تنوع الثقافات وتعدد الحضارات، والنظر لهذا التنوع والتعدد بوصفه مصدر إثراء واستلهام يبعث على التقدم والتواصل والحوار بين الأمم والحضارات<sup>(1)</sup>.

من جهة أخرى فإن اختيار سنة 2001 تحديداً، كان بقصد أن يستقبل العالم الألفية الثالثة بنوع من التفاؤل والثقة والشعور بالأمن والسلام، والاندفاع نحو تجديد وتطوير العلاقات الدولية بين الأمم والشعوب، وليكون قرناً مختلفاً عن القرن العشرين الذي عدّ قرن الحروب الكبرى حيث بدأ بالحرب العالمية الأولى وانتصف بالحرب العالمية الثانية وانتهى بحرب الخليج الثانية<sup>(2)</sup>.

**الزمن الرابع:** بدأ مع تجدد الدعوة إلى حوار الحضارات مرة أخرى، ولكن هذه المرة كرد فعل على أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 التي أصابت العالم بهزة عنيفة غيرت من صورته وقلبت معادلاته وتوازناته، حيث أصبحت هذه الأحداث كمنقطة تحول تؤرّخ بها الألفية الجديدة لما لها من أثر على التطورات والتغيرات اللاحقة، لدرجة أن أغلب الدراسات الإستراتيجية أجمعت على أن عهداً استراتيجياً جديداً قد بدأ منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي دفعت العالم ليعيش في أشد حالاته انفعالا وتوترا واضطرابا، وهيمنت عليه مفاهيم العنف والإرهاب والقوة، وأصبح المجتمع الإنساني لأول مرة وكأنه يعيش صدام حضارات، المفهوم الذي أخذ العالم يتداوله على أوسع نطاق، وكأن هنتنغتن صدق في نبوءته حين بشر بهذا المفهوم عام 1993 وأكد عليه عام 1996<sup>(3)</sup>.

هذا على المستوى الواقعي، أما على المستوى المعرفي والتاريخي فتعتبر الحضارة منجزاً إنسانياً اشتركت جميع الأنشطة الذهنية والجسدية في صناعته وتحقيقه في الواقع الخارجي، كما أنها بمثابة تجسيد حي ومتقدم لمجموع الإرادات والمبادرات التي قام بها الإنسان في هذا السبيل، ومن ثمّ فلا يمكن إنكار دور عملية التراكم الإنساني على صعيد

(1) نفس المرجع، ص 12.

(2) نفس المرجع، ص 13.

(3) نفس المرجع، ص 13.

عمليات الإبداع وتوظيف الطبيعة وثوراتها. من هذا المنظور الإنساني تأتي أهمية الحوار بين الحضارات باعتبار أن الإنسان تاريخاً وحاضراً هو الذي صنع ملحمة الحضارة، إذ لم يسجل تاريخ الإنسانية قاطبة أن حضارة واحدة استطاعت أن تتحكم وحدها في العالم، وإنما نجد باستمرار حالات الأقطاب الحضارية المتعددة (1).

ولفهم أكثر لفكرة حوار الحضارات كاحتمال مستقبلي لعلاقة العالم الإسلامي بالغرب لابد من التعرض إلى فكرة حوار الحضارات وكيفية تناولها أولاً في الأدبيات الغربية، ثم في الأدبيات الإسلامية، وأخيراً الانتقال إلى فكرة تعارف الحضارات كبديل لحوار الحضارات.

### المطلب الأول: حوار الحضارات في الأدبيات الغربية

لقد تم تقسيم الأدبيات الغربية المتناولة لحوار الحضارات بحسب موقفها من هذا الأخير إلى قسمين: أدبيات داعية ومؤيدة للحوار، وأخرى رافضة ومعارضة له.

#### الفرع الأول: الاتجاه الداعي لحوار الحضارات

لعل أنضج طرح اتصف بالانفتاح على الحضارات والجدية والسعة في الاستيعاب التاريخي هو الذي قدّمه روجي غارودي Roger Garaudy في كتابه "حوار الحضارات"، حيث حاول من خلاله أن يوجه نقداً قاسياً لسلوك الغرب في تاريخ علاقته بالأمم الأخرى وبالحضارات غير الغربية، وأن يدعو الغرب إلى إعادة النظر في ذاته وفي الآخر الحضاري من خارج محيطه الغربي والانفتاح عليه، والأكثر من ذلك أن يطالبه بأن يتعلم من الحضارات الأخرى (2)، وقد قال غارودي في هذا السياق: "إن الحضارات غير الغربية تُعلّمنا، بادئ ذي بدء، أن الفرد ليس مركز كل شيء، وأن فضلها الأعظم يرجع إلى أنها تجعلنا نكتشف "الآخر" و"كل الآخر" دون فكرة مبيتة تضم التنافس والسيطرة .. ومن الواجب أن نتعلم من الحضارات الأخرى، بصورة أساسية، المعنى

(1) محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 138.

(2) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص 67.



الحقيقي لعلاقة المشاركة الإنسانية التي تجد فيها كل فاعلية ذاتها وهي تنهض بعبء من أعباء المجتمع المسؤول ..."(1).

لقد انتقد غارودي الغرب في كتابه "حفارو القبور" قائلاً: "لقد أعطى الغرب الاستعماري منذ خمسة قرون مثال التطرف الأكثر فتكاً، وهو الإدعاء بامتلاك الثقافة الحقيقية الوحيدة والدين العالمي الوحيد ونموذج التنمية الوحيد، مع نفي أو تدمير الثقافات الأخرى والديانات الأخرى ونماذج التنمية الأخرى"(2).

إن غارودي وفي نقده للغرب قد اعتبر أن عصر النهضة ليس مجرد حركة ثقافية وحسب بل إنه أفرز الرأسمالية والاستعمار معاً، ففي رأيه أن عصر النهضة قد هدم حضارات أسمى من حضارة الغرب، باعتبار علاقات الإنسان فيها بالطبيعة وبالمجتمع وبالإله، بدل أن يكون ذروة النزعة الإنسانية. كما حاول غارودي أن يدفع الغرب إلى رؤية مختلفة للمستقبل، ليس المستقبل الذي لا يجد الغرب فيه إلا ذاته، وإنما المستقبل الذي يجد فيه شراكته مع الأمم الأخرى على قاعدة "يصنع الجميع مستقبل الجميع"، وهو مشروع الأمل عند غارودي الذي عبّر عنه بقوله: ". ومن شأن ابتكار مستقبل حقيقي أنه يقتضي العثور مجدداً على جميع أبعاد الإنسان التي نمت في الحضارات وفي الثقافات غير الغربية، وبهذا الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل، وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع"(3).

إن الجهد الهام الذي قدّمه غارودي في مشروعه هو أنه حاول أن يعرف بين الحضارات، ولعل هذه المعرفة التي كونها لنفسه هي التي أوصلته إلى ضرورة "حوار الحضارات".

(1) روجي غارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، باريس، ط2، 1982، ص ص 190-191.

(2) روجي غارودي، حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة: عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3، 2002، ص22.

(3) روجي غارودي، حوار الحضارات، المرجع السابق، ص ص 8 - 9.

تبرز أكثر ضرورة وأهمية مشروع "حوار الحضارات" عند إعادته إلى مولده وإسقاطه على الواقع الذي نشأ فيه هذا الطرح، بصورة تؤكد مدى تأثير غارودي بالنظام الدولي السائد آنذاك والمتمثل في الحرب الباردة بين المنظومة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفييتي والمنظومة الليبرالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وما احتوتها من أزمات وحروب ونزاعات داخلية وإقليمية بعضها كاد يؤدي بالبشرية إلى الدمار، خاصة في ظل ما يسمى بتوازن الرعب النووي وسيادة "نظرية التدمير المتبادل المضمون" Mutual Assured Destruction في الإستراتيجية المتبعة بين المعسكرين آنذاك، والتي تعني أن بإمكان كل واحد من العملاقين النوويين تدمير الآخر تدميراً كاملاً، أي ليس هناك من منتصر في حرب نووية لأن الدول لها القدرة على الضربة الثانية، أي أنها بعد أن تتعرض للضربة النووية الأولى بإمكانها أن ترد بالهجوم الثاني وذلك بفضل الغواصات النووية وقواعد الصواريخ المخبأة تحت الأرض<sup>(1)</sup>. ومن ثم طرح غارودي مشروعه على الساحة الفكرية الدولية وهو متأكد أن كل الأطراف لها مصلحة في قبول هذا المشروع، كيف لا والاستمرار على الوضع السابق سيؤدي لا محالة إلى قيام حرب عالمية ثالثة تكون هي خاتمة العالم.

ظلت الدعوة إلى مشروع حوار الحضارات تتكرر حتى بعد نهاية الحرب الباردة، وخاصة كرد فعل على إثارة مقولة "صدام الحضارات" سواءً على الساحة الأكاديمية أو الصحفية أو السياسية. فعلى المستوى الأكاديمي ظهرت عدة دراسات غربية تحاول نفي مزاعم الخطر الإسلامي، أهمها بحث البروفيسور "جون اسبوزيتو" John Esposito المعنون بـ: "التهديد الإسلامي: حقيقة أم خيال؟" الذي كان له أثر طيب في تخفيف هاجس الخوف من الإسلاميين ومن الإسلام لدى الغرب، حيث قدّم اسبوزيتو الإسلام

(1) Michael Klare, «Les Stratèges de Washington se préparent à de nouvelles expéditions guerrières », le monde diplomatique, novembre 1993, P 08.

على أنه ليس عدوا للغرب، ولكن باعتباره تحديا حضاريا في اتجاه التنافس المشروع بين الحضارات، وبالتالي لا يشكل أي خطر على الغرب<sup>(1)</sup>.

لقد لاقت فكرة الحوار الحضاري اهتماما من قبل رجال السياسة في الغرب، فخطاب ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز The Prince Charles يعبر عن واحد من أنضج الخطابات في الغرب حول الحوار والعلاقة بالإسلام والعالم الإسلامي، حيث أراد أن يؤكد للغرب أن الإسلام لا يمكن أن يُعرف من خلال ما يجري في البلاد العربية والإسلامية من تطرف وإرهاب وتدني لمستوى التعليم والمعيشة، وأن يؤكد للعالم الإسلامي أيضا أن الغرب ليس مجرد انحلال أخلاقي وقتل واغتصاب...، فهذه الصورة تعد ناقصة ومشوهة للطرفين، ففي محاضرة ألقاها عام 1993 في مركز الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد قال: "إننا مازلنا نحتاج إلى بذل جهد أكبر ليتفهم كل منا الآخر، وأن نتخلص من سموم التفارقة ومن أشباح الخوف والشك، وكلما طال مشوارنا في هذا الطريق فإننا نكون قد خلفنا عالما أفضل لأطفالنا وللأجيال المقبلة"<sup>(2)</sup>، كما أكد أن "سوء الفهم بالنسبة للغرب لا يمكن أن يكون حصيلة الجهل، ففي أرجاء العالم أكثر من ألف مليون مسلم، وفي دول الكومنولث يعيش ملايين المسلمين، وفي دول الغرب يعيش أكثر من عشرة ملايين مسلم، والجالية الإسلامية في بريطانيا تنمو منذ عقود، فهناك حوالي خمسمائة مسجد في بريطانيا[...]. إن الإسلام يحيط بنا من كل جانب ومع ذلك يستمر الشك والخوف [...]. ومن الغريب أن يستمر سوء الفهم بين الغرب والعالم الإسلامي مع أن ما يربط بينهما أقوى بكثير مما يفصل بينهما"<sup>(3)</sup>.

بعد سرده لتاريخ الاحتكاك بين العالم الإسلامي والغرب خلص تشارلز إلى نتيجة مفادها: "إن أيام الفتوحات انتهت، ولكن موقف الغرب من الإسلام ما يزال معاديا حتى

(1) أحمد يوسف، المرجع السابق، ص 50.

(2) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص ص 78 - 79.

(3) رجب البنا، المنصفون للإسلام في الغرب، المرجع السابق، ص 200.

الآن، لأن أسلوب فهمنا للإسلام تأثر بالتطرف والسطحية، فكثيرون في الغرب ينظرون إلى الإسلام بمنظار الحرب الأهلية المأساوية في لبنان، وأعمال القتل والتفجير التي تقوم بها جماعات متطرفة في الشرق الأوسط، وينظرون أيضاً بمنظار ما يشار إليه عموماً باسم الجماعات الإرهابية [...] وقد تأثر حكمنا على الإسلام بالتحريف نتيجة اعتبار التطرف هو القاعدة في الإسلام وهذا خطأ جسيم، مثل الحكم على نوعية الحياة في بريطانيا من خلال وجود جرائم القتل والاعتصاب وإدمان المخدرات [...] فالتطرف موجود في العالم الإسلامي ولا بد من معالجته، ولكنه عندما يُستخدم أساساً للحكم على مجتمع ما فإنه يؤدي إلى حكم ظالم" (1).

لعل ما يعزز التفاؤل حول مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب، حسب بعض المختصين، هو تراجع التيار الفكري الغربي الذي يقول بالصدام بين الإسلام والغرب، وظهور جيل جديد من العلماء الغربيين الذين يفهمون المجتمعات الإسلامية بشكل أفضل، بالإضافة إلى أن معظم الجامعات الغربية أصبحت بها كليات وأقسام متخصصة في الدراسات الإسلامية والمجتمع الإسلامي والحركات الإسلامية، وهو ما يؤكد اكتساب المزيد من الوعي والموضوعية في فهم الظاهرة الإسلامية، وتعزيز القدرة على إمكانية مقاومة دعوات الصراع، ويكفي الاستشهاد هنا بما أورده "جراهام فوللر" Graham E. Fuller في كتابه "الشعور بالحصار" حيث قال: "إننا لا نؤمن بأن العلاقات بين الإسلام والغرب بصفة عامة ستكون مسرحاً للصراع الأيديولوجي القادم في العالم، رغم التنافس التاريخي بينهما كأكبر عقيدتين في العالم، فالإسلام اليوم كدين ليس في وضع تصادمي [...] كما أننا لا نتنبأ بمواجهة شاملة بين كتلة إسلامية وكتلة غربية بأي شكل من الأشكال" (2).

(1) نفس المرجع، ص 201.

(2) أحمد يوسف، المرجع السابق، ص 51.

إلى جانب ذلك ظهرت مع نهاية القرن العشرين دراسات أخرى في نفس السياق، مما ساعد إلى حد ما على تحسين الكثير من التصورات السائدة في الغرب عن الإسلام والظاهرة الإسلامية والعالم الإسلامي ككل، من أهمها: دراسة بعنوان "الإسلام السياسي" لـ "تشارلز بيترورث" Charles Butterworth و"وليام زارتمان" William Zartman في نوفمبر 1992، وبحث بعنوان "تحت الحصار: الإسلام والديمقراطية" لـ "ريتشارد بولت" Richard Polt في جويلية 1993، وكتاب بعنوان "الشعور بالحصار: جيوبوليتيك الإسلام والغرب" لـ غراهام إي فوللر Graham E. Fuller في ديسمبر 1994، و"موسوعة العالم الإسلامي الحديث" لـ "جون أسبوزيتو" John Aspozitto سنة 1995.. الخ<sup>(1)</sup>.

لقد حاولت هذه الدراسات في إطار سعيها لنفي مقولة "الخطر الإسلامي" أن ترسخ من خلال مناهج علمية وموضوعية عددا من الحقائق، لعل أهمها أن الصحوة الإسلامية والظاهرة الإسلامية هي جزء من النهضة الدينية العالمية التي تجتاح العالم منذ عقد السبعينيات من القرن العشرين، وأن الإسلاميين مثلهم مثل باقي الأحزاب السياسية الأخرى التي من حقها التنافس السلمي للوصول إلى السلطة، وأن الاضطهاد السياسي الذي يتعرض له الإسلاميون هو الذي يدفع بهم إلى العنف والتطرف في بعض المناطق، وأن القمع الحكومي هو الذي يولد التطرف والإرهاب. كما أكدت هذه الدراسات على حقيقة أنه إذا كانت هناك فصائل قليلة داخل الحركة الإسلامية لديها نظرة عدائية للغرب، إلا أن التيار العام في الحركة الإسلامية لا يحمل مشاعر العداة للغرب، فهو عادةً ينشط في مجالات الخدمة الاجتماعية والإنسانية ويرى في الديمقراطية خيارًا لا بد منه للحفاظ على هويته السياسية وفرصته للإصلاح من داخل الأنظمة القائمة، وقد سعت هذه

(1) نفس المرجع، ص 51.

الدراسات إلى إبراز وجوب التمييز بين الإسلام كدين من جهة والتطرف الديني أو الإرهاب كممارسة قابلة للانتقاد من جهة ثانية<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: الاتجاه الرافض لحوار الحضارات

في مقابل الدراسات التي عملت على نفي مقولة "الخطر الإسلامي" وتبني فكرة الحوار الحضاري، يوجد هناك عدد من الدراسات الأخرى التي انساق أصحابها إلى التزام مقولة "الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب"، والإضافة إليها بتضخيم معطياتها وتصوير العلاقة على أنها علاقة عداة دائم ومستمر، من بينها: دراسة "برنارد لويس" Bernard Lewis و"أليف روي" Olivier Roy بعنوان "فشل الإسلام السياسي" الصادرة سنة 1995، ودراسة "جوديث ميللر" Judith Miller بعنوان "للرب تسعة وتسعون اسماً: تقارير من الشرق المسلح" الصادرة سنة 1996. لقد روجت هذه الدراسات لفكرة أن الإسلاميين متطرفون وإرهابيون وأعداء للسلام، وأن الإسلاميين المعتدلين والمتطرفين هما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة، ومن ثم فالبحث عن عدو أجنبي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي قد أسفر على الإسلام، ذلك الدين الذي يبدو قربه المكاني وتحديده المتواصل للغرب أمراً خطيراً وعنيفاً<sup>(2)</sup>، على الرغم من أن معظم البلدان الإسلامية تعاني من الفقر المدقع اقتصادياً والاستبداد سياسياً والعجز العسكري أمنياً<sup>(\*)</sup>.

إن دور خبراء مثل "جوديث ميللر" Judith Miller و"صامويل هنتينغتون" Samuel Huntington و"مارتن كارمر" Martin Kramer و"برنارد لويس" Bernard Lewis و"دنيال بايبس" Daniel Pipes و"ستيفن أمرسون" Steven Emerson و"باري روبين" Barry Rubin بالإضافة إلى مجموعة من الأكاديميين اليهود، هو التيقن من بقاء هذا "الخطر" قائماً والتأكيد على ربط الإسلام بالإرهاب والاستبداد والعنف، ففي الوقت

(1) نفس المرجع، ص 51.

(2) إدوارد سعيد، "جوديث ميللر: المتاجرة بالخطر الإسلامي"، مجلة المجتمع، ع 1240، مارس 1997، ص 34.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر "مؤشرات ضعف العالم الإسلامي" في المطلب الثالث من المبحث الأول في الفصل الأول.

الذي يضمنون فيه لأنفسهم استشارات مفيدة وظهوراً متواتراً على شاشات التلفزيون وإيرام عقود تتعلق بكتبهم. لقد تم اختلاق هذا الخطر الإسلامي حتى يبدو مخيفاً بشكل غير معقول، وذلك لدعم الافتراض القائل بأن خلف كل انفجار تكمن مؤامرة إسلامية عالمية، والذي يعتبر موازياً لعقدة الاضطهاد "البارانويا" Paranoia<sup>(1)</sup>، مثلما حدث بالنسبة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 واتهام الإسلاميين بالضلوع فيها.

الواقع أن التوجه الذي يرى في الإسلام عدواً بديلاً عن الشيوعية لازال هو التيار الأكثر سطوةً وتأثيراً في المجتمعات الغربية، وخاصة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لم يعد ممكناً استثناء أي توجه إسلامي أو صحوة إسلامية من الاتهام بالتطرف والإرهاب، وهو ما أدى إلى خوف مرضي من كل ما له علاقة بالإسلام . Islamophobia

### الفرع الثالث: الاستعلاء الغربي ومصير حوار الحضارات

بعد الحديث عن الجدل القائم بين المؤيدين والمعارضين لفكرة حوار الحضارات، لا بد من التوقف عند السؤال الأهم حول مدى وصول البيئة العالمية إلى مرحلة من النضج تتقبل فيها حوار الحضارات بالاستعداد الحيوي والتفاهم المشترك؟، ومدى استعداد الغرب لأن يسمح لنفسه بالدخول في حوار مع حضارات لا يجد فيها التكافؤ معه، وخاصة منها الحضارة الإسلامية، وهو المحكوم بعقلية التوازنات المادية؟.

إذا كان من الصعب على الغرب أن يقتنع بطرح حوار الحضارات فإنه بحاجة إلى أن يكون أكثر تواضعاً، فالغرب ليس هو نهاية التقدم ولا نهاية العالم، حيث قال "برنارد لويس" Bernard Lewis في هذا السياق: "لقد كانت هناك حضارات مهيمنة في الماضي وبدون شك ستكون هناك أخرى في المستقبل، إن الحضارة الغربية تدمج أحداثاً

(1) نفس المرجع، ص 34.

سابقة عديدة، بمعنى أنها ثرية بإسهامات وتأثيرات ثقافية أخرى سبقتها في الزعامة، وهي نفسها ستترك إرثا ثقافيا غربيا لحضارات أخرى ستأتي<sup>(1)</sup>.

إن العقبة المؤكدة أمام مشروع الأمل المتمثل في الحوار هي عقدة الاستعلاء والغرور وإرادة الهيمنة والاستغلال التي تحكم الغرب، وإنه ما لم يتحرر هذا الأخير من هذه العقدة ويحترم خصوصيات كل ثقافة فإن الأمل في الحوار لن يتحقق، وأنه لا بد من محو الالتباس التاريخي الكبير الذي أفسد علاقات الشرق بالغرب منذ قرون وبرر الاستعلاء والاستعمار والاعتداء على حرمان الشعوب، ومن ثم محاولة اكتشاف الآخر الحضاري وإيجاد رؤية حضارية أصيلة تسمح بالتعدد وتؤمن بالمقومات الروحية والفلسفية والأخلاقية للحضارة، ومن هنا فلا بد على أبناء الحضارة الغربية من التواضع الفكري والتخلي عن الاعتقاد بأنهم كل شيء، وأنهم مصدر المعرفة والقوة والسعادة، وأن من سواهم من البشر مضطرون إلى الأخذ عنهم والافتداء بهم واستهلاك بضاعتهم. ومن المؤكد أنهم إن حاولوا أن يعيدوا قراءة التاريخ وانفتحوا على الحضارات والثقافات الأخرى والتزموا في ذلك بالموضوعية، فحتمًا سيكونون هم الأسبق والأسرع إلى المناداة بمشروع "حوار الحضارات"<sup>(2)</sup>.

كما يشعر المسلمون دائما مع ذكريات الإمبريالية والاستعمار بحساسية زائدة من أي شكل من أشكال السيطرة الغربية، ولأن الغرب فشل في استيعاب هذه الحقيقة فإنه يظن أن بإمكانه أن يكون مقبولا لدى الآخر عن طريق فرض قيمه الثقافية والترويج لثقافته الاستهلاكية، ومن شأن هذا الوضع تضيق قنوات الحوار بين الطرفين. كذلك يشعر الإسلاميون بنفس الحساسية الزائدة من الحوارات المبنية على الشروط المسبقة، أي الحوارات التي تطلب أكثر مما تُقدِّم، والتي تأمر بدلا من أن تلتمس، وجميعها حوارات مبنية أساسا على فوارق في القوة بدلا من الاعتراف بـ"الآخر". وهناك شكل آخر من

(1) أحمد محمد العسال، "حوار الحضارات"، مجلة الفيصل، ع 227، سبتمبر/ أكتوبر 1995، ص 43.

(2) نفس المرجع، ص 44.



الحوارات التي لا يستسيغها الإسلاميون وهي تلك التي يهدف من خلالها الغرب إلى التعرف على برامج الإسلاميين عن كثب من أجل إفشالها مستقبلاً، فالغرب لا يريد أن يتفاجأ بوصول الإسلاميين إلى السلطة مثلما تفاجأ بهم في تجربة الثورة الإيرانية<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: حوار الحضارات في الأدبيات الإسلامية

يتناول هذا المطلب طرح حوار الحضارات من وجهة نظر المسلمين، وذلك من خلال تحليل مضامين أهم المبادرات الإسلامية المتعلقة بحوار الحضارات والصادرة عن بعض الساسة ورجال الدين المسلمين وبعض الهيئات الدولية الممثلة للعالم الإسلامي، وما يتعلق بها من نقد.

#### الفرع الأول: مبادرات حول حوار الحضارات

قبل الخوض في أهم المبادرات الإسلامية في هذا المجال، يمكن التطرق أولاً ولو باختصار لموقف المسلمين من حوار الحضارات الذي يتمحور أساساً حول الحوار بين العالم الإسلامي والغرب، حيث ينقسم إلى ثلاث مواقف أساسية هي: (\*)

1- موقف الرفض المطلق للحوار مع الغرب، والذي يدعو إلى العزلة عن العالم الغربي، وهو مبني على مذهب ديني يرى - من وجهة نظره - أن الإسلام أوجب قتال غير المسلمين وغزو العالم لنشر الدعوة الإسلامية.

2- موقف القبول المطلق للحوار مع الغرب لدرجة التقليد والتبعية، يقوم على مبدأ مفاده أن تحقيق التقدم الحضاري للمجتمعات المسلمة لا يتم إلا بتبني قيم المجتمعات الغربية.

3- موقف وسطي يدعو إلى الحوار الحذر الذي يتم فيه استيعاب ما لا يناقض أصول الإسلام التي تمثل الهيكل الحضاري للمجتمعات المسلمة.

تتمثل أهم المبادرات الإسلامية في ميدان حوار الحضارات فيما يلي:

(1) هشام العوضي، المرجع السابق، ص 87 - 88.

(\*) للتفصيل أكثر في الموضوع يمكن الرجوع إلى موقف العالم الإسلامي من الغرب في المبحث الأول من الفصل الثاني.

• مبادرة الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي من خلال زيارة إيطاليا والفاتيكان في الحادي عشر مارس سنة 1999، وهي الأولى من نوعها منذ الثورة الإيرانية، إذ يعتقد البعض أنها تمثل الخطوة الأولى لنهاية العزلة الدولية لإيران منذ 1979 وبداية الحوار بين الإسلام والغرب، حيث عبّر خاتمي عن أمله في إقامة حوار شامل بين الإسلام والغرب، وقال إن الشرق والإسلام لا يجب أن يبقى دائما موضوعا للدراسات، بل يجب أن يتحول إلى طرف فاعل في الحوار الثنائي مع الغرب، حوار قال عنه خاتمي أنه يجب أن يؤدي إلى السلام والأمن والعدالة في العالم<sup>(1)</sup>.

كذلك إعلان خاتمي عن مشروع حوار الحضارات أثناء لقائه مع الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في الثامن من سبتمبر 2001، وهو مجسّد في كتاب له بعنوان "حوار الحضارات"، والذي يضم مجموعة من المحاضرات ألقاها في مناسبات مختلفة مبرزا فيها دور المنظمات الدولية في العلاقات بين الدول والشعوب، ومنها منظمة الأمم المتحدة التي يعتبر تأسيسها مؤشرا على حركة العالم وشعوبه نحو التكامل، وداعيا إلى ضرورة مراجعة تاريخ المنظمة بغية تصحيح أداؤها، ومطالبها بإلغاء حق الفيتو، ومنح بعض الدول الإسلامية مقعدا دائما في مجلس الأمن، كما أكد على ضرورة الحوار والتسويق بين المنظمة الأممية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، كتمثل تنظيمي للعالم الإسلامي، في مجال حوار الحضارات<sup>(2)</sup>.

• مبادرة منظمة المؤتمر الإسلامي بطرح فكرة الحوار بين الحضارات في إطارها الدولي، وذلك من خلال تقديمها مقترحا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة - المنعقدة بتاريخ الحادي والعشرين سبتمبر 1998- يتضمن إعلان عام 2001 عام الحوار بين الحضارات، وبعد شهرين من توجيه هذا النداء، أي في السادس عشر نوفمبر من نفس

(1) القسم الدولي، "نتائج زيارة خاتمي لإيطاليا والفاتيكان: تحطيم العزلة وإرساء حوار بين الإسلام والغرب"، جريدة الخبير، الجزائر، 13 مارس 1999، ص 25.

(2) القسم الدولي، "حوار الحضارات.. كتاب للرئيس الإيراني محمد خاتمي"، جريدة النصر، عدد 10689، 3 أوت 2002، ص 17.

السنة، أصدرت الجمعية العامة قراراً بإعلان "سنة 2001 سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات"، وقد أوكلت منظمة المؤتمر الإسلامي مهمة برمجة العديد من الأنشطة الثقافية المتعلقة بالحوار بين الحضارات لجهازها المتخصص في المجال والمتمثل في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة(\*) "إيسيسكو" ISESCO كطرف ممثل للعالم الإسلامي (1).

لقد قامت "إيسيسكو" بتأصيل علمي لمفهوم الحوار، وتأسيساً عليه أكدت على أن الحوار هو مفهوم سياسي أيديولوجي ثقافي وليس مفهوماً قانونياً، كما أنها وضعت ثلاثة مستويات للحوار هي:

- الحوار بين الحضارات.

- الحوار بين الثقافات.

- الحوار بين الأديان.

كما يستند الحوار حسب رؤية "إيسيسكو" على أسس وضوابط ثلاثة هي:

- الاحترام المتبادل بين أطراف الحوار.

- العدل.

- نبذ التعصب والكراهية.

أما شروط الحوار حسب نفس الجهاز فتتمثل في:

- أن يكون الحوار متكافئاً.

- أن يهدف لتحقيق منافع مشتركة للطرفين.

- أن يكون وفق برامج محددة وتخطيط مسبق.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر الملحق رقم 9 المتضمن لأهم نشاطات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ISESCO في مجال حوار الحضارات.

(1) فؤاد بلخير، التعاون في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، مذكرة ماجستير تخصص القانون الدولي والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، 2009-2010، ص ص 125-126.

وفي سبيل ذلك برمجت وفعلت منظمة "إيسيسكو" عددا من الأنشطة مع الهيئات الإقليمية والعالمية، حيث عقدت عشرات الملتقيات الدولية والإقليمية حول قضايا الحوار المختلفة<sup>(1)</sup>.

• بالإضافة إلى الدعوة للحوار الحضاري هناك دعوة أخرى من رجال الدين إلى الحوار بين الأديان، ومن بين هؤلاء الدعاة الدكتور محمد حمدي زقزوق<sup>(\*)</sup> الذي قال في هذا الشأن: "إن من المرغوب فيه جدا من وجهة النظر الإسلامية أن يقوم حوار أو حديث بين الأديان الموحدة، لأن ذلك يمكن أن يؤدي إلى تقارب متبادل على أساس المبدأ العقدي الأساسي المشترك"<sup>(2)</sup>، لقول الله تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }<sup>(3)</sup>، وقد اعتبر زقزوق أن الاتفاق على هذا الأساس سيحقق أهم مطالب العقيدة الصحيحة ويهيئ للإنسانية أفضل السبل لمكافحة القوى المادية التي تهدد العالم. كما أكد على أن القرآن الكريم قد حرّم علينا بشدة أن نحقر من شأن أي نبي من الأنبياء السابقين، ليس هذا فقط وإنما أمرنا أيضا بكل وضوح أن نحترمهم جميعا، حيث قال في هذا الصدد: "إننا كمسلمين ننتظر بطبيعة الحال أن يراعي أصحاب المعتقدات الأخرى نفس هذا الحرص بالنسبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي حالة ما إذا لم يكن في وسعهم الاعتراف به كنبى مثلما نعترف نحن بإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وكل الشخصيات الأخرى المقدسة في العهد القديم، فإنه ينبغي عليهم على الأقل أن يتناولوا اسمه بذلك التقدير الذي يستحقه، وحالما يتحقق هذا المطلب فإن الأديان

(1) نفس المرجع، ص 126.

(\*) وزير الأوقاف المصري الأسبق.

(2) محمد حمدي زقزوق، الإسلام في الفكر الغربي، دار القلم، الكويت، ط2، 1981، ص 130.

(3) سورة آل عمران - الآية 64.

الثلاثة الكبرى سنقترب من بعضها اقتراباً جوهرياً<sup>(1)</sup>، وقد أكد أن من شأن الحوار بين الأديان المساهمة في حل مشاكل مشتركة لا يمكن حلها إلا بالتعاون في هذا المجال أهمها:

- مشكلة تفكك مؤسسة الأسرة التي تمثل الخلية الأولى لكل حضارة.

- مشكلة الحروب، ومحاولة منع اندلاعها أو على الأقل ضبط حدودها للحيلولة دون

المساس بالمدنيين العزل أو بالبنى التحتية.

- مشكلة الحروب الدينية، أو التي تتخذ من الدين شعاراً لها.

- مشكلة الإرهاب والتطرف<sup>(2)</sup>.

في مقابل ذلك هناك من المفكرين الإسلاميين من لديه مآخذ على فكرة حوار الحضارات كما تصورها غارودي، فقد انتقد الدكتور محمد عمارة هذه الأخيرة قائلاً: "إن صورة العالم الذي يحلم به غارودي هي عالم الدين الواحد والأمة الواحدة.. هي صور لحلم مستحيل التحقيق، لا بسبب إغراقه في الطوباوية فحسب وإنما لأنه التصور النقيض لسنن الله في خلقه، والتي تقتضي التعددية والتمايز والاختصاص لا الوحدانية والاندماج والذوبان، فالوحدانية والأحديّة للذات الإلهية وحدها، أما باقي العوالم جمادا وحيوانا وإنسانا وفكراً فهي قائمة على التعددية والاندماج والتدافع والارتفاق"<sup>(3)</sup>.

كما يوجد من المفكرين الإسلاميين من رفض فكرة الحوار بين الأديان، واعتبره بدعة حديثة تتطلب مواجهة واعية بأصولها وبواعثها وأهدافها وخطرها على المسلمين، وذلك للأسباب التالية: (4)

- خطر هذه الدعوة على أصول الاعتقاد عند المسلمين.

(1) محمد حمدي زقزوق، الإسلام في الفكر الغربي، المرجع السابق، ص 131.

(2) محمود حمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، د ط، 2002، ص ص 73 - 74.

(3) محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 72.

(4) أحمد بن عبد الرحمان بن عثمان القاضي، دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ، ص ص 9 - 10.

- مواكبة هذه الدعوة للاتجاه السائر نحو العولمة، هذه الأخيرة التي تهدف إلى القضاء على الخصوصيات الاجتماعية والثقافية والدينية للمجتمعات الإسلامية وصهرها في إناء واحد مع اليهود والنصارى.

- عدم التكافؤ المادي بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية، ومن ثم خطر انصياعها وخضوعها لها على جميع الأصعدة، وخاصة منها الصعيد الثقافي والديني.

إلا أنه وبغض النظر عن هذا الجدل، يُعتبر الحوار قيمة جوهرية في الثقافة الإسلامية، حيث أن حوار الحضارة الإسلامية مع الحضارات الأخرى قائم على التعاون والتعارف في إطار احترام الخصوصية الثقافية للحضارات المختلفة، وحق كل إنسان في أن يعيش في المجتمع متمتعاً بحقه في تطبيق وممارسة ثوابت وقيم ثقافته، وأولها حرّيته الدينية اعتقاداً وتطبيقاً، إن هذه الأخيرة تمثل قيمة جوهرية في الثقافة الإسلامية بل وموقف ديني ثابت، فقد جاء في القرآن الكريم قول الله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (1)، وقول الله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} (2)، وقوله عز وجل: {فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (3)، وقول الله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (4)، فالحرية الدينية نتيجة طبيعية لكون الإنسان كائن عقلائي وحر (5).

وحتى يكون الحوار ناجحاً لا بد أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط أهمها:

- الندية والتكافؤ، حيث لا يقوم الحوار ولا يثمر إذا عمد القوي إلى فرض رؤاه وأنماط حياته على الآخرين، فالغرب يعرقل الحوار إذا ظن أن ثقافته أرقى وأسمى من ثقافة

(1) سورة البقرة - الآية 256.

(2) سورة الكهف - الآية 29.

(3) سورة الأنعام - الآية 149.

(4) سورة يونس - الآية 99.

(5) مرسي الأسيوطي، الغرب والإسلام دراسة في الأصول العقائدية والثوابت الثقافية لرؤية الآخر: عولمة أو صراع، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 2003، ص112.

- المسلمين، والمسلمون بدورهم يعرقلون الحوار إذا تطرّفوا في التعالي على الآخرين بدعوى مركزية الحضارة الإسلامية.
- النزاهة والموضوعية في قضايا الاختلاف في إطار التعدد الثقافي والتمايز الحضاري.
  - الاستعداد لنقد الذات قبل الإقدام على نقد الآخر، وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة تحلي المسلمين بالجرأة والشجاعة لنقد تراثهم الإسلامي وتاريخهم وواقعهم<sup>(1)</sup>.
  - أن يتناول الحوار مختلف القضايا التي تهم الطرفين.
  - أن يهدف الحوار إلى تحقيق منافع مشتركة للطرفين.
  - أن يكون الحوار متحضرا ومترفعا عن الموضوعات ذات الحساسية التي قد يؤدي تناولها إلى إفشال الحوار أو إيقافه.
  - أن يسير الحوار وفق برنامج مُعدّ مُسبقاً<sup>(2)</sup>.
- في السياق ذاته، اقترح رجب البنا شروطاً أخرى لإنجاح الحوار بين الغرب والعالم الإسلامي، أهمها: <sup>(3)</sup>
- أن يفهم الغرب حقيقة الإسلام، وأن لا يخلط بين الإرهاب والإسلام.
  - أن تخلو الساحة الإعلامية في الجانبين من الاتهامات المتبادلة التي تؤدي إلى توتر الأجواء.
  - أن الحوار بين الغرب والعالم الإسلامي لا يبدأ في وسائل الإعلام، بل يجب أن يبدأ من المختصين والعلماء بقصد البحث عن أرضية مشتركة.
  - ضرورة البدء بالقضايا التي تحتاج إلى تعاون العالم الإسلامي مع الغرب، مثل قضية انتشار جماعات العنف في العالم، وتناقص الموارد المائية، والتلوث البيئي.

(1) نادية محمود مصطفى وآخرون، مسارات وخبرات في حوار الحضارات: رؤى متنوعة في عالم متغير، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص ص 14-15.

(2) عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص ص 50-51.

(3) رجب البنا، الغرب والإسلام، هيئة الكتاب، القاهرة، مصر، ب ط، 2002، ص ص 329-334.

وقد ختم البناء حديثه بالقول أن انحياز الغرب تجاه إسرائيل هو العقبة الكبرى في طريق الحوار بين العالم الإسلامي والغرب.

### الفرع الثاني: عقدة الدونية ومدى مصداقية حوار الحضارات

إن ما سبق ذكره يثير استفهاماً حول السبب الكامن وراء المبادرات المتعلقة بمشروع حوار الحضارات الصادرة من العالم الإسلامي، هل هو من منطلق المبادئ السامية التي يدعو إليها الإسلام، أم أنه من منطلق الضعف والتبعية الذين يعاني منهما العالم الإسلامي؟، ومن ثم فما مصداقية المناداة بهذا المشروع؟<sup>(1)</sup>.

لعل ما أثير منذ نهاية القرن العشرين من اهتمام متزايد بحوار الحضارات يمثل حالة بالغة التعبير عن عمق الأزمة التي يعيشها الفكر العربي والإسلامي، وتتجلى هذه الأزمة في حالة التبعية الظاهرة المتجلية في نقل الأطر النظرية والفكرية وتبنيها بصورة أيديولوجية، أو في التبعية الكامنة المتمثلة في المقاربات والمقارنات المنتهجة. ويكمن جوهر الأزمة في أن من يطرح الإشكاليات ويثير القضايا ويحدد أجندة البحث والاهتمام وأولويات التفكير يقع خارج البيئة الفكرية والاجتماعية العربية والإسلامية، ويتحرك في إطار نموذج معرفي ومعطيات اجتماعية وتاريخية ومصالح اقتصادية وسياسية وقيم وأهداف مختلفة، إن لم تكن متعارضة ومتناقضة، مع تلك التي يتحرك في إطارها الباحث والمفكر العربي والمسلم<sup>(2)</sup>.

لقد ارتبطت إثارة قضية الحوار بين الحضارات في نهاية القرن العشرين بما أثير حول نظرية الصراع الحضاري لصموئيل هنتينغتون، فبدأ العقل المسلم والعربي ينشغل بهذه القضية وتستحوذ على أولوياته، دون أن يكون ذلك نابعا من ضرورة اجتماعية أو إشكالية فكرية أو مصلحة سياسية للمجتمعات العربية والإسلامية، ودون أن ينبع الطرح

(1) فاطمة البدرى، "خاتمي سيلقي في نيويورك خطاباً حول حوار الحضارات"، جريدة الخبر، الجزائر، ع 3318، 10 نوفمبر 2001، ص 22.

(2) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص 68.



من داخل هذه المجتمعات بل جاء من خارجها، وقد حاول العقل المسلم أن يقدم إجابات عن سؤال لم ينبع منه ولم يمثل إشكالية ملحةً للمجتمعات العربية والإسلامية، إذا ما قيس بما يواجهه هذه الأخيرة من قضايا وتحديات أخرى<sup>(1)</sup>. وهذا ما جعل بعض الملاحظين يعتقدون أن حوار الحضارات شعار زائف أعيد طرحه في نهاية القرن العشرين كبديل لشعار "صراع الحضارات"، هذا الأخير الذي يعتبر أصدق تعبيراً عن علاقة الغرب بالعالم الإسلامي بدءاً بالحروب الصليبية ومروراً بمرحلة الاستعمار المباشر وانتهاءً بأحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001.

إن ما يجري هو أن العرب والمسلمون يُضربون ويُهانون بشكل غير مسبوق وأغلب حكوماتهم تتعرض بشكل أو بآخر للإذلال، تارةً لأنها لا تظهر حماسة كافية ضد الإرهاب، وتارةً لأنها تحاول التذكير بالإرهاب الإسرائيلي، وتارةً لأنها تحاول أن تستنثي المقاومة الفلسطينية من وصف الإرهاب، وتارةً لأنها تحاول أن تعبّر عن استنكارها لضرب العراق أو أية دولة إسلامية أخرى، وكل هذا لا يعجب الغرب، إذ المطلوب منهم الطاعة والالتزام التام. يحدث كل هذا للمسلمين ثم نجدهم، عن طريق جامعة الدول العربية، يسارعون بعد شهرين من أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 لعقد مؤتمر تحت عنوان "حوار الحضارات: تواصل لا صراع"<sup>(2)</sup>، أيوجد دليل أكثر من هذا على مدى الدونية والخضوع والتبعية التي يعاني منها العالم الإسلامي حتى في مناداته بحوار الحضارات.

إن العالم الإسلامي يتبنى شعار الحوار الحضاري من موقع الضعف حتى يخفي إفلاس مشاريعه التنموية الوطنية، ويتظاهر بالرقى الحضاري ومواكبة ركب المتقدمين، وما أبعد عن ذلك، وحتى يؤكد براءته من الاتهامات التي يلصقها به الغرب وخاصة منها

(1) نفس المرجع، ص 69.

(2) جلال أمين، عولمة القهر: الولايات المتحدة والعرب والمسلمون قبل وبعد أحداث سبتمبر 2001، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص138.

تهمة الإرهاب<sup>(1)</sup> الذي يعود جزء كبير من أسبابه إلى سلوك الغرب وسياسته تجاه العالم الإسلامي.

### الفرع الثالث: نظرية المؤامرة وفشل حوار الحضارات

يعتقد تيار من المفكرين المسلمين أن لا جدوى من الحوار الحضاري، لأن أجدته توضع في الغرب وتُفرض على المسلمين، وأن الأمر لا يعدو أن يكون مؤامرة غربية كبرى هدفها سيطرة قطب واحد مُمثلاً في الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية على العالم أجمع بما فيه العالم الإسلامي، وأن واقع الأمر هو صراع مصالح يأخذ في كل مرحلة تاريخية سمة محددة، إما اقتصادية أو عسكرية أو ثقافية<sup>(2)</sup>.

إن الجدل العالمي الذي دار حول حوار الحضارات، والذي فندَّ طرح هنتنغتون وفتح الطريق لكي يصبح الحوار هو النموذج الذي ينبغي إتباعه، توقّف فجأة حين وقعت أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001 وما تبعها من تصعيد لرد الفعل الأمريكي والغربي فيما يسمى بـ "الحرب ضد الإرهاب"، والتي كانت موجّهة بالأساس ضد العالم الإسلامي، وهكذا عاد الوضع الدولي من جديد لأجواء الصراع الحضاري الذي ظن العالم أنه تجاوزها<sup>(3)</sup>.

لقد اعتقد محمد خاتمي أن ثمة عائقين يحولان دون تحقيق هذا الحوار، الأول تاريخي والثاني معاصر، أما العائق التاريخي فيتمثل في الذهنية التاريخية السلبية القائمة بين المسلمين والعالم المسيحي خاصة في أعقاب الحروب الصليبية، والتي شكّلت حالة من التشكيك وعدم الثقة بين المسيحيين والمسلمين، وهذه الذهنية السوداء والظلامية تُعدّ عائقاً

(1) يحي بوعزيز، "حوار الحضارات والتمثيل الأعرج للجزائر في الجامعة العربية"، جريدة الشروق اليومي، ع 329، 02 ديسمبر 2001، ص 24.

(2) نادية محمود مصطفى وعلا أبو زيد وآخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مصر، ط2، 2007، ص 8.

(3) السيد يسين، الإمبراطورية الكونية.. الصراع ضد الهيمنة الأمريكية، دار نهضة مصر للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 2004، ص 296.

مهماً يجعل من الحوار عملية صعبة، وهناك مشكلة تاريخية أخرى بين المسلمين أنفسهم، إذ تجلت الخلافات الكلامية بين الطوائف والمذاهب الإسلامية على مر التاريخ على شكل صراعات دامية مثيرة للأحقاد السياسية. أما العائق المعاصر فيتمثل في الاستعمار الذي عمل على إثارة الخلافات والانقسامات بين المذاهب الإسلامية، ليتمكن المستعمرون في ظل هذا المناخ من الوصول إلى تحقيق مصالحهم<sup>(1)</sup>.

كل ذلك أدى ببعض المحللين إلى التشكيك في جدوى الحوار، واعتبار حوار الحضارات برمته موضوعاً مهرجانياً بدأ الاحتفاء به بصورة مفاجئة منذ تسعينيات القرن العشرين كرد فعل على نظرية صراع الحضارات، ومن ثم فإنه لا يُعتبر موضوعاً أصيلاً ذا جدوى حقيقية ومحكوم عليه بالفشل، ويسوقون لذلك حججاً أهمها:

- عدم التكافؤ بين طرفي الحوار المتمثلين في الغرب والعالم الإسلامي سواءً في القوة أو الحجم.
- إن الغرب ونتيجةً للحجة الأولى هو الذي دائماً يضع أجندة الحوار ويحدد قضاياها، في حين يرضخ الطرف الآخر ويقوم فقط بفعل الرد على المبادرة<sup>(2)</sup>.
- صورة العدو المتبادلة التي تطورت عبر التاريخ، مع الجهود الحثيثة من جانب أصحاب المصالح من كلا الطرفين في الترويج لهذه الصورة السلبية<sup>(3)</sup>.
- الاختلاف المفاهيمي بين طرفي الحوار، وعدم وجود قاعدة مفاهيم مشتركة.
- التعصب الذي كثيراً ما يعكس صفو الأجواء بين الأطراف.
- الأحكام المسبقة والعداوات القديمة.
- نقص المعلومات الصحيحة والموضوعية عن الآخر.
- الاستعمار والتبشير.

(1) محمد خاتمي، الإسلام والعالم، مكتبة الشروق القاهرة، مصر، ط3، 2007، ص ص 124 - 125.

(2) نادية محمود مصطفى وعلا أبو زيد وآخرون، المرجع السابق، ص ص 7 - 8.

(3) محمود حمدي زقزوق، الإسلام والغرب، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص46.

-تتناقض المصالح (1).

-تعدد المؤسسات الممثلة للغرب، حيث أنه على الإسلاميين أولاً أن يحددوا الطرف الذي سيحاورونه، فالغرب ليس واحداً في تركيبته وإنما مكوّن من عدة مؤسسات مختلفة، وأحياناً متناقضة، منها الكنسية والسياسيين والإعلاميين والجامعات والنقابات وجماعات الضغط، وهو تنوع يتطلب من الإسلاميين استيعاب الغرب بصورة أقرب من مجرد دراسة تاريخ الصليبيين واللوبي الصهيوني ونمطية الإعلام. لذلك على الإسلاميين أن يأخذوا بعين الاعتبار أن جميع هذه المؤسسات ظهرت وتطورت ضمن واقع متغير وبالتالي ينبغي التعامل معها بأشكال مختلفة.

-تعدد المؤسسات الممثلة للمسلمين، مما يطرح مشكلة الطرف الذي يتولى محاوره الغرب، هل هو الأزهر أو السعودية أو إيران أو منظمة التعاون الإسلامي أو الإعلام أو الجامعات أو رجال الدين أو الساسة ..، وهو ما يثير عقبة في طريق محاوره الغرب للمسلمين وكيفية تحديد الجهة أو المؤسسة المخولة بتمثيلهم.

### المطلب الثالث: نحو تعارف الحضارات كبديل لحوار الحضارات

الملاحظ بصورة عامة أن مقولة "الحوار بين الحضارات" تكاد تفقد مضمونها الصحيح، لأن الحوار لا يقوم في أغلب الأحيان على التعارف المسبق الكفيل بانفتاح كل طرف على الآخر، من هنا تعتبر فكرة "تعارف الحضارات" طرحاً جديداً أطلقه المفكر الإسلامي زكي الميلاد في رؤية مغايرة لحوار الحضارات، وهي نظرية مستوحاة من القرآن الكريم.

إن كل حضارة تشتمل من الحضارات الأخرى بأنها لا تُعرَف بالشكل الذي ينبغي، أو لا تُعرَف إلا من خلال بعض الظواهر العابرة والسطحية والمحدودة، الأمر الذي يؤكد أن هناك جهلاً متبادلاً بين الحضارات الذي قد يكون سبباً في أي تصادم يحصل بينها،

(1) عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين: رؤية إسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص ص 109-117.

وبالتالي فإن رفع هذا الجهل هو أحد أبعاد مقولة "تعارف الحضارات"، ذلك أن الجهل بالآخر هو من أشد العوائق في وجه مشروع "حوار الحضارات".

### الفرع الأول: نقد حوار الحضارات كمدخل لتعارف الحضارات

انطلق زكي الميلاد في حديثه عن مشروع "تعارف الحضارات" من نقده لأهم المبادرات المتتوالفة لحوار الحضارات والصادرة عن كل من روجي غارودي ومحمد خاتمي، كما يلي:

أما عن فكرة حوار الحضارات الصادرة عن غارودي فقد أراد منها هذا الأخير أن تكون خطاباً نقدياً وعلاجياً لأزمة الغرب الحضارية، كما وصفها، ولأنماط علاقاته بالعالم والحضارات غير الأوروبية، كما أراد منها أيضاً أن تكون خطاباً موجهاً إلى الغرب بصورة أساسية، لذلك فهي تنتمي إلى النظريات الغربية التي تتطرق من نقد التجربة الغربية والفكر الغربي، ومن حيث نسقها المعرفي فهي تنتمي إلى المجال الثقافي وتحدد به لأنها تركز على الأبعاد الثقافية والفكرية والأخلاقية<sup>(1)</sup>.

أما عن فكرة حوار الحضارات في رؤية محمد خاتمي فقد كانت استجابةً لبعض المعطيات والضرورات السياسية بالدرجة الأولى، ومن أجل أن تكون خطاباً نقدياً بديلاً لخطاب صدام الحضارات، وقد ظلت تتحدد في هذا النطاق ولم تتحول إلى نظرية واضحة ومتماسكة. وما زال العالم الإسلامي يفتقر إلى نظرية تعبر عن رؤيته في كيفية التقدم والتطور، أو عن أنماط علاقاته بالآخر الحضاري وعلى وجه الخصوص الغرب<sup>(2)</sup>.

كما انتقد زكي الميلاد تعبير "حوار الحضارات" من خلال مجموعة من الثغرات أهمها:<sup>(3)</sup>

- (1) هجيرة شبلي، إشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات: زكي الميلاد نموذجاً، مذكرة ماجستير في فلسفة الحضارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012-2013، ص 137.
- (2) نفس المرجع، ص 138.
- (3) زكي الميلاد، "تعارف الحضارات: الفكرة، الخبرة والتأسيس"، المرجع السابق، ص 14-15.

- عدم دقة تعبير "حوار الحضارات"، ذلك أن أول ما يعترض هذه المقولة هو هل أن الحضارات تتحاور فعلاً؟، وكيف نتصور هذا التحاور ونبرهن عليه؟، علماً بأن الباحثين والمؤرخين في ميادين التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا والحضارة والثقافة الذين درسوا صور وأنماط العلاقات بين الحضارات لم يتحدثوا عن ظاهرة الحوار بين الحضارات، وإنما تحدثوا عن ظواهر أخرى كالتفاعل والتعاقب والتبادل والاحتكاك إلى جانب الصراع والصدام.

- إن الحوار يكون عفويًا وتلقائيًا ولا يحتاج لدعوة، إذ توجد في الأدبيات العربية المعاصرة لفتات متزايدة ومقنعة إلى حد ما في نقد هذه المقولة بعد أن دخلت في دائرة التداول والاهتمام، فهناك من يصفها مثل الدكتور محمد عابد الجابري بأنها مليئة بالغموض والالتباس، وحسب رأيه فإن الذين يطرحون هذه المقولة يتوقفون عند منطوقها، ذلك أن الحوار بين الحضارات يكون عفويًا وتلقائيًا نتيجة الاحتكاك الطبيعي، فيكون عبارة عن تبادل التأثير من أخذ وعطاء بفعل السيرورة التاريخية، وهذا النوع من تلاقح الحضارات لا يحتاج إلى دعوة، ولا يكون بتخطيط مسبق بل هو عملية تاريخية تلقائية.

- عدم إمكانية تطبيق حوار الحضارات، لأن الغرب الذي يُفترض فيه أن يكون طرفاً أساسياً في أي حوار على مستوى الحضارات ليس مستعداً للانخراط في حوار مع حضارات يعتبرها غير متكافئة معه، وهو الذي يمثل الحضارة الغالبة والمسيطرة على العالم والمتحكمة في ثرواته، كما أن تاريخ علاقات الغرب بالحضارات الأخرى قد لا يشجعه على هذا الحوار.

- افتقار العالم العربي والإسلامي لنظرية واضحة حول حوار الحضارات، والتعامل مع مصطلح "الحوار الحضاري" بطريقة تغلب عليها العمومية والإطلاقية، لكنه رغم ذلك يبقى من المقولات التي يمكن اعتبارها دعوة أخلاقية نبيلة<sup>(1)</sup>.

(1) نفس المرجع، ص ص 14 - 15.

من خلال هذه الانتقادات الموجهة إلى استخدام مصطلح "الحوار" في نطاق العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب انطلق زكي الميلاد في الدفاع عن مشروع "تعارف الحضارات"، هذا "التعارف" الذي يعتبره أكثر واقعية ومصداقية من "الحوار" في التعبير عن ما هو مأمول في هذه العلاقة.

### الفرع الثاني: مرتكزات نظرية تعارف الحضارات

ذهب فقهاء الإسلام إلى الاعتقاد بأن الدين الإسلامي قد سبق الجميع إلى الدعوة للسلام الشامل مصداقاً لقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً }<sup>(1)</sup> ، بل واعتبر الحرب والعدوان من أعمال الشيطان التي يجب تجنبها والابتعاد عنها، وذلك حين ختم الآية بقوله عز وجل: { وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }<sup>(2)</sup> . فالسلام بين الأمم والشعوب مهما اختلفت عقائدها وأعرافها ولغاتها هو المفضي إلى التعارف الذي خلقنا الله من أجله مختلفين<sup>(3)</sup>، ومن ثم فإن مفهوم "تعارف الحضارات" يعبر عن رؤية إسلامية مستوحاة من القرآن الكريم وذلك في قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }<sup>(4)</sup>، وإن دراسة تحليلية لهذه الآية تمكن من استخلاص أهم المرتكزات الأساسية لتعارف الحضارات وهي:

- شمولية الخطاب الإسلامي: بمعنى أن القرآن الكريم خطاب إلى الناس كافة، من غير أن يتحيز إلى أمة بعينها بسبب القوم أو العرق أو اللغة، والجدير بالذكر أن الخطاب في سورة الحجرات متوجه بشكل صريح إلى المؤمنين في بداية السورة وفي خاتمتها، باعتبارها من السور المدنية، إلا في هذه الآية الثالثة عشرة حيث توجه الخطاب إلى الناس

(1) سورة البقرة - الآية 208.

(2) سورة البقرة - الآية 208.

(3) محمد ديرا، "الموقف الإسلامي من التعايش"، جريدة الأخبار، المملكة المغربية، ع 739، 10 أبريل 2015، ص 13.

(4) سورة الحجرات - الآية 13.

كافة بصيغة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ}، الأمر الذي جعل بعض المفسرين يعتبر هذه الآية مكية، وكون الخطاب متوجهاً إلى الناس كافة فهو ناظر إليهم بكل تنوعهم وتعددتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم، وإلى غير ذلك من تمايزات ومفارقات (1).

- وحدة الأصل الإنساني: لقول الله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى}، فالإنسانية بكل تنوعاتها وبكل مستوياتها في المعايير الاجتماعية والعلمية والاقتصادية إنما ترجع إلى أصل واحد، والقرآن الكريم يريد أن تعي الإنسانية هذه الحقيقة وتلتزمها كمبدأ في نظرة كل إنسان للآخر ونظرة كل أمة لأخرى، فالإسلام يريد للناس أن ينظروا لأنفسهم على أنهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض مهما اختلفوا في ألوانهم وألسنتهم، وأن يكون هذا سعيهم نحو بناء العالم على أساس الأسرة الواحدة.

- الإقرار بالتنوع الإنساني: حيث أن القرآن الكريم ربط بين وحدة الأصل الإنساني وبين التنوع الإنساني {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ}، هذا الربط الذي يفهم منه أن وحدة الأصل الإنساني لا تعني إلغاء التنوع بين الناس، وأن التنوع والانقسام في العيش إلى شعوب وقبائل لا تعني إلغاء وحدة الأصل الإنساني.

- ضرورة التعارف: ذلك أنه لا يكفي أن يدرك الناس أنهم من أصل إنساني واحد وينتهي كل شيء، بل هم بحاجة إلى أن يتعارفوا {لِتَعَارَفُوا}، وأن يصل مستوى هذا التعارف إلى الشكل الذي يتحقق بين الأسرة ذات الأصل الواحد، ويسمو بالعالم إلى مستوى يعيش فيه الناس كما لو أنهم أسرة إنسانية واحدة ذات أصل إنساني واحد، فبدون تعارف بين الأمم والحضارات لن يكون هناك حوار، فالتعارف هو الذي يحدد مستويات الحوار ويثريها ويثمرها (2).

- عدم التناقض بين التفاضل والمساواة: حيث أن القرآن الكريم لا يلغي مبدأ التفاضل بين الناس وبين الشعوب والقبائل، لأن التفاضل إنما يعبر عن واقع موضوعي لا يتعارض

(1) زكي الميلاد، "تعارف الحضارات: الفكرة، الخبرة والتأسيس"، المرجع السابق، ص 18.

(2) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص ص 74 - 75.



مع مبدأ العدل والمساواة، والجديد الذي جاء به الإسلام هو تغييره لمقياس التفاضل، من مقاييس التفاضل بالأنساب والقوم والقبيلة والعشيرة والعرق والمال إلى مقاييس سامية تربط الأمم والحضارات بالجانب القيمي وأهمها المعيار الديني.

- شخصية كل أمة في كرامتها: لأن الكرامة هي التعبير الحقيقي لوجدان كل أمة وهي التي تشكّل للأمم نظرتها إلى ذاتها وإلى مكانتها وسيادتها وعزتها، وأكثر ما تصاب به الأمم حينما تتأثر كرامتها، حتى أن البعض فسّر سلوك ودور ألمانيا في الحرب العالمية الثانية أنه انتقام من الإذلال الذي فرضته عليها دول الحلفاء بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، فالأمة لها كرامة كما للفرد كرامة.

- أولوية المعيار الأخلاقي: إن العلاقات والروابط بين الأمم والشعوب والحضارات في المنظور الإسلامي ليست مجرد مصالح ومنافع، وليست محكومة بالسياسة والاقتصاد فحسب، وإنما هناك القيم والأخلاق والآداب {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، فالعالم لا يستطيع أن يعالج أزماته ومشاكله بالسياسة فحسب أو بالاقتصاد والعلم فقط، فالسياسة تحولت إلى أداة لجلب المصالح، والاقتصاد محكوم بالمنافع وبقاعدة الربح والخسارة، والعلم انفصل عن القيم، والذي يضيفه الإسلام في مجال العلاقات الدولية هو إدخال منظومة القيم والأخلاق التي باتت من المؤكد أن العالم قد افتقدها وهو في أمس الحاجة إليها، وذلك بسبب ما لحق به من الضرر من جراء انعدام العامل الروحي والأخلاقي في العلاقات الدولية وفي العلاقات بين الأمم والحضارات<sup>(1)</sup>.

كما يعتقد زكي الميلاد أن سبب ورود لفظ {لتعارفوا} في القرآن الكريم بدلاً من "ليتحدوا" أو "ليتحدوا" أو "ليتعاونوا" أو غير ذلك من الكلمات المرتبطة بهذا النسق، هو مصدر القيمة والفاعلية في مفهوم "التعارف"، فهذا الأخير هو الذي يؤسس لمفاهيم مثل "الحوار" و"التعاون" و"الوحدة" ويحدّد لها درجاتها وصوّرها، وهو الذي يحافظ على فاعليتها وتطورها واستمرارها من جهة، ومن جهة أخرى فإن التعارف كمفهوم وفاعلية

(1) نفس المرجع، ص ص 76 - 77.

له دور وقائي في منع النزاع والصدام على مستوى الأمم والحضارات، بل وهو الذي حافظ على تعاقب الحضارات في التاريخ الإنساني (1).

ومن ثم تتمثل أهداف مقولة "تعارف الحضارات" فيما يلي: (2)

1- التقارب: حيث أن التعارف الإيجابي هو الذي يبذل فيه كل طرف أقصى جهوده للتعرف على ما يقربه من الطرف أو الأطراف الأخرى التي تشاركه التطلع نفسه، فيبحث القائمون بالتعارف في ثقافتهم وحضاراتهم عما يقرب بينهم.

2 - التعايش السلمي: وذلك من خلال تعميق العمل بفلسفة السلام، للخروج بالمسألة من حسابات ومصالح السياسيين والعسكريين وأصحاب المنافع إلى ساحات التوعية العامة وإنشاء جماعات ضغط من دعاة السلام العالمي العادل في كل حضارة، بل وفي كل مجتمع، فتسود المجتمع الدولي ثقافة حضارية تمنح فكرة السلام صورتها الحقيقية وقوتها اللازمة.

3 - فك عقدة الهيمنة وتجاوز فكرة الصراع: لأن الحضارة الغربية الحديثة بُنيت على الصراع والهيمنة، وما يزال الصراع هو المحرك الأساسي لسياسة الغرب، وأفضل نموذج له السياسة الخارجية الأمريكية القائمة على ضرورة خلق العدو، ولتجاوز هذا الأمر لا بد من لقاءات وحوارات مستمرة بين النخب الممثلة لشتى الحضارات والمجتمعات المعاصرة، مع ضرورة التخلي عن نزعة الاستئثار بتحديد المفاهيم كالديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية والتطور والتنمية وغيرها.

4 - معرفة الآخر على حقيقته وتصحيح الصورة المُسبقة عنه: فغالبا ما رسمت الحضارات صوراً نمطية لغيرها من الحضارات الأخرى، فلا تنتظر إليها إلا من خلال تلك الصورة، وتُخضع حسابات التعامل معها لمقتضى نفس الصورة، وكثيرا ما تكون هذه

(1) محمد بوالروايح، نظريات حوار وصدام الحضارات: رؤية تحليلية نقدية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص61.

(2) هجيرة شبلي، المرجع السابق، ص ص 147-148.

الأخيرة مغلوبة لعدة أسباب. ولكن من شأن الدفع بمشروع "تعارف الحضارات" أن يؤدي خدمة جليلة للإنسانية، فيتعرف كل طرف على صورة الآخر كما هي حقيقةً، مما يؤدي إلى رفع الجهل بكل صورته، الجهل المسبب للصدام بين الحضارات، كما أنه من النتائج المنتظرة لهذا التعارف معالجة عُقد الاستعلاء والحقد واللا إنسانية.

5 - تشجيع فكرة الانتفاع المتبادل: فالرؤية الإسلامية تنطلق من عقيدة أن الله لم يخلق الأرض لتُسفكَ الدماء بل لينتفع كل فريق بخير ما عند الفريق الآخر، فإذا كانت الأرض مختلفة فيما تنتجه فالإنتاج كله للإنسانية كلها، وهذا توجه يخالف سلوك الحضارة الغربية القائمة على أبشع صور الاستغلال وتبريره بدعاوى التقدم<sup>(1)</sup>.

وعلى الصعيد الأكاديمي أكد زكي الميلاد أنه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 قد تنامت في المجتمعات الغربية ظاهرة لفتت إليها انتباه الكثيرين من داخل هذه المجتمعات ومن خارجها، إنها ظاهرة تزايد واتساع دائرة الاهتمام بالاطلاع والتعرف والتساؤل عن الإسلام من جديد، لدرجة أصبحت المؤلفات والكتابات في هذا المجال هي الأكثر انتشاراً وتداولاً وطلباً، وبدأت المراكز والمعاهد والجمعيات الإسلامية في الغرب تستقبل اتصالات لم تشهد مثيلاً لها من قبل، تدور في مجملها حول ماهية الإسلام والقضايا الإسلامية والمجتمعات الإسلامية، ووصل الحال ببعض المعاهد والكليات والجامعات الأوروبية والأمريكية إلى تخصيص برامج دراسية حول الإسلام، والاستجابة لرغبات طلابها في تكوين المعرفة بالإسلام والثقافة الإسلامية، ويمكن وصف هذه الظواهر بأنها تأتي في سياق تأكيد الحاجة إلى "تعارف الحضارات".

إلا أنه ورغم كل ما سبق ذكره فإن الواقع كشف ويكشف أن هناك جملة من الصعوبات التي تعترض سبيل مشروع "تعارف الحضارات"، أهمها: (2)

(1) نفس المرجع، ص 148.

(2) نفس المرجع، ص ص 148 - 150.

- وقوع وسائل الإعلام والاتصال الحديثة تحت هيمنة الإمبراطوريات المالية والصناعية والتجارية الكبرى ومؤيدي فكرة الصراع، مما أدى إلى تحول أغلبها إلى أداة تصنع وتغذي الحرب والخوف والرعب والأنانية والكرهية. ولتجاوز هذا العائق لا بد من برمجة مندييات إعلامية وفكرية عالمية تضم النخب المؤمنة بالتعارف والداعية لتفعيله، وتنظيم أنشطة ثقافية لتحقيق التقارب وفصح مغالطات وإدعاءات وسائل الإعلام المضلّة والموجّهة من طرف الغرب، ومحاولة إعادة توجيهها نحو التعايش بين الحضارات.

- العائق الديني: حيث أن الدين يمثل جوهر كل حضارة، وإن الالتفاف حول المعتقد في حالات الشحن والتعبئة العاطفية حقيقة واقعية مشهودة، مما يضيق مساحة العقل لمواجهة المسائل بموضوعية. وهنا يبرز التعارف باعتباره مبدأ إسلامي يدعو بالتّي هي أحسن، حيث لا إكراه في الدين، لأن الغاية من التعارف ليست نقل أهل دين إلى دين آخر، ومن ثم ينبغي التطلع إلى بحث القواسم المشتركة بين الحضارات كرفض الظلم ومحاربة الاستغلال وطلب الحرية والعدل والمساواة وغيرها، وهي مما تلتقي القيم الحضارية السوية والعقول السليمة على قبولها<sup>(1)</sup>.

- تضخيم الذات الحضارية: والمقصود به الادعاء بتفوق حضارة ما على الحضارات الأخرى بصورة مبالغ فيها، ولتجاوز هذه العقدة لا بد من الانطلاق من أن الحضارة إنجاز بشري مشترك، وبذل الجهود في استفادة الحضارات من إيجابيات بعضها البعض لفائدة المستقبل الإنساني، والتفكير في نظرية مستقبلية للتكامل الحضاري.

- تنامي نظريات الصراع بين الحضارات: فقد أثبت التاريخ أن الأمم والحضارات عرفت فترات كثيرة من الصراع سواء المادي أو المعنوي، إضافة إلى نظريات تبرر وتغذي وتعزز هذه الصراعات. ولتخطي هذا العائق يجب دعم الأفكار والمبادئ والقيم الحضارية المتمحورة حول السلم والتعاون بين الحضارات، لأن البشر أكثر ميلا إلى السلم، ولأن

(1) نفس المرجع، ص 149.

فترات السلم بين الأمم والحضارات أطول من فترات الحرب، كما أن الأديان بدورها تدعو إلى السلم والأمن ومختلف القيم الإنسانية الإيجابية.

- هيمنة المفهوم السياسي على مجال العلاقات الدولية، وهو مجال تحكمه مبادئ المصلحة وفرض شروط الأقوى وأحادية النظرة في تحديد المفاهيم وتفسيرها على حساب القيم العليا للإنسانية. ولهذا يتعين على رواد التعارف الحضاري صياغة مفهوم جديد للعلاقات بين الشعوب والأمم يتأسس على مبادئ إنسانية سامية وترفيع على المصالح الآنية الضيقة والجشعة<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: التفاعل الحضاري كمدخل للتعارف ومنه إلى الحوار

إن العلاقة بين "الأنا الحضارية" و"الآخر الحضاري" يجب أن يحكمها منطق التفاعل الحضاري، لا الهيمنة والتبعية بحجة المركزية الحضارية ولا الانغلاق والعزلة بحجة الاختلاف والتمايز، فكما أن التعددية في الأمم هي سنة من سنن الله في الخلق كذلك التعددية في الحضارات، لأن هذا التمايز الحضاري هو واحد من أهم أسباب التعددية بين الأمم<sup>(2)</sup>.

تقوم الفلسفة الإسلامية في رؤية الآخر، حسب الدكتور محمد عمارة، على نقطتين أساسيتين:

- التنوع والتعدد والاختلاف في كل عوالم المخلوقات كسنة من سنن الله في خلقه، وليس التمرکز حول الذات مع إنكار الآخر ومشروعية اختلافه وتميزه.
- التدافع كطريق وسط للحراك الاجتماعي والفكري، فهو يعدّل المواقف إذا اختلفت علاقات العدل والتوازن بين الفرقاء المختلفين<sup>(3)</sup>، فالصراع الحضاري ليس سبيل التقدم

(1) نفس المرجع، ص 150.

(2) محمد عمارة وجمال البنا وآخرون، قارعة سبتمبر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 62.

(3) محمد عمارة، هذا هو الإسلام 5، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 55.

والصلاح والإصلاح، بل سبيل ذلك هو التفاعل والتدافع والتنافس والتسابق على طريق التقدم، ففلسفة التدافع الحضاري هي البديل الإسلامي لفلسفة الصراع الحضاري<sup>(1)</sup>.

إن الحديث عن التفاعل الحضاري وما يتصل به من تعارف وحوار حضاريين يستلزم التأكيد على جملة من الملاحظات أهمها:

- إن التفاعل والمشاركة والحوار كقيم ومبادئ من الضروري أن تسود وتتحكم في مسار العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، وهي نظام في المجتمع قبل أن تكون قيما في العلاقات السياسية بين مختلف الدوائر الحضارية في العالم، فمطلب التفاعل والمشاركة والحوار مع الغرب لا يتأتى بشكل فعلي إلا إذا سادت القيم المذكورة واقع المسلمين أولاً.

- تعتبر مفاهيم التفاعل والمشاركة والحوار ممارسة نسبية قابلة للنمو في العلاقات الحضارية مثلما هي قابلة للتراجع، وصياغة الواقع الإسلامي وفق هذه القيم هي بمثابة توفير لشروط هذه الممارسة على صعيد العلاقات مع الغرب<sup>(2)</sup>.

- لا مشاركة فعلية في الحضارة الإنسانية ولا حوار بناء مع الغرب ولا تفاعل مثمر مع قوى الحضارة الحديثة إلا بوجود قوى متوازنة، وطريق العالم الإسلامي لتحقيق ذلك هو النهوض بالمجتمعات الإسلامية في مختلف المجالات.

- إن الحوار إرادة حضارية قبل أن تكون رغبة وأمنية تختلج في نفوس الكثيرين، كما أن التفاعل الخلاق مع الحضارة الغربية مرحلة يبلغها العالم الإسلامي حينما تتكامل قواه وإمكانياته الذاتية.

- عندما تغيب عناوين التفاعل والتعارف والحوار عن واقع وممارسات النخب الإسلامية، فإن الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي لا يكون مهيباً لممارسة نمط تفاعلي وتواصل مع الغرب، نتيجة لفقر الواقع الإسلامي، ولوجود مناخ عام من جراء ذلك الفقر يدفع باتجاه الانبهار والتبعية وتقليد الغرب، فالتفاعل والحوار مع الغرب ليس بالمسألة

(1) نفس المرجع، ص 56.

(2) محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 221.

التي يمكن وصفها بالبساطة واليسر، بل هي جملة من التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية التي تتدرج في إطار النهضة الشاملة للمجتمع الإسلامي، هذا الأخير الذي ينبغي أن يكون له حضور معرفي وإنساني وسياسي ومؤسسي، ومستوى أخلاقي وقيمي، وقوى اجتماعية فاعلة في إطار النهوض الحضاري، حتى يتسنى لهذا الواقع التفاعل والحوار مع الغرب<sup>(1)</sup>.

من هنا يبقى التفاعل مع الحضارة الغربية الحديثة هو الطريق الذي ينبغي أن يسلكه العالم الإسلامي، لأن التفاعل هو عنوان لجملة قوى وتحولات وتصورات ومؤسسات مجتمعية تتجه جميعها إلى العلاقة والحوار مع الدوائر الحضارية الأخرى. وبهذا المعنى ليس التفاعل وصفا جاهزة قد تختار جماعة بشرية ما رفضها أو تطبيقها، بل هو جملة من العمليات التراكمية عبر التاريخ.

في شأن متصل وفي إجابته على السؤال: هل نحن أمام قرن أمريكا أم أمام قرن الإسلام؟، أجاب الدكتور محمد عمارة أن هذا السؤال خاطئ من الأساس، ذلك أن الإسلام وهو يرفض الهيمنة الغربية وكل هيمنة استعمارية أو حضارية لا يقدم نفسه بديلا للآخرين، ولا يسعى ليحل محل الآخرين، فالرؤية الإسلامية ترى العالم "منتدى حضارات" تتفاعل فيما هو مشترك إنساني عام وتتمايز في خصوصياتها العقائدية والقيمية والثقافية، ولا تريد العالم حضارة واحدة، حتى ولو كانت هذه الحضارة الواحدة هي حضارة الإسلام نفسها<sup>(2)</sup>، لقول الله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} <sup>(3)</sup>.

إن الإسلام يريد منتدى حضارات تتفاعل وتتدافع فيه الحضارات، فلا تفاعل ولا تدافع بدون تعدد واختلاف، ولا إصلاح ولا صلاح بدون هذا التفاعل والتدافع بين

(1) نفس المرجع، ص 222.

(2) محمد عمارة، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 132.

(3) سورة يونس - الآية 99.

الحضارات<sup>(1)</sup>، مصداقا لقول الله تعالى: {وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (2).

لذلك فإن الاجتهادات الإسلامية التي تعمل على بلورة معالم المشروع الحضاري الإسلامي، والتي تحاول تقديم إجابات إسلامية لأسئلة القرن الحادي والعشرين، إنما تعمل على تقديم إجابات إسلامية للنهضة في العالم الإسلامي، ولا تقدّم بديلا إسلاميا للحضارات غير الإسلامية، فالرؤية الإسلامية تريد إقامة النموذج الإسلامي في عالم الإسلام، وبعد ذلك فليُنظر فيه من يريد وليستفد منه من يريد<sup>(3)</sup>.

هذه هي أهم ملامح احتمال الحوار بين العالم الإسلامي والغرب وما يتعلق بها من مفاهيم التعارف والتفاعل والمشاركة، فرغم كون الحوار مجرد أمنية أو طرح مثالي تحول دون بلوغه عقبات كثيرة من كلا الطرفين، تبقى مفاهيم التعارف والتفاعل والمشاركة أكثر عملية وواقعية منه.

(1) محمد عمارة، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص133.

(2) سورة البقرة - الآية 251.

(3) محمد عمارة، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص134.



## المبحث الثاني: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "صدام الحضارات"

نشر صامويل هنتينغتن Samuel Huntington أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد مقالته "صدام الحضارات" The Clash of Civilizations في مجلة الشؤون الدولية Foreign Affairs في صيف 1993، هذه المقالة التي فتحت نقاشات لم تنقطع على المستوى العالمي، وكان ذلك بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة وإعلان الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب عن بدء نظام دولي جديد، مما أدى بمؤلفها إلى توسيع هذه المقالة إلى كتاب بعنوان "صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي" "The Clash of Civilizations and the remaking of world order" الذي أدى إلى فتح أبواب التشاؤم في الوقت الذي كان فيه العالم يتطلع إلى تحقيق السلم والأمن بعد نهاية الحرب الباردة<sup>(1)</sup>، حيث أُنذر بصدام هو الأشد والأخطر في العالم وفي تاريخ البشرية. لذا وانطلاقاً مما أُولى لهذه الدراسة من أهمية يمكن طرح التساؤل التالي: ما هو النمط المستقبلي للصراع الدولي على ضوء هذه الدراسة؟، وما موقع كل من العالم الإسلامي والغرب فيه؟، وما طبيعة العلاقة التي ستربط بينهما على ضوء هذا طرح؟.

## المطلب الأول: "صدام الحضارات" والنمط المستقبلي للصراع الدولي

لقد أرّخ هنتينغتن لتاريخ الصراع الإنساني بطريقة مغايرة للمألوف، حيث اعتبر الصراع في مرحلة ما قبل الثورة الفرنسية صراعاً مرتكزاً بين الأمراء والأباطرة، وبعدها أصبحت الخطوط الأساسية للنزاع بين الأمم وبين الشعوب، ثم ومنذ نهاية الحرب

(1) عصام الدسوقي، "11 سبتمبر 2001 وهم الصراع الديني"، في التقاء الحضارات في عالم متغير: حوار أم صراع، تحرير: عبادة كحيلة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 331.

العالمية الأولى أصبح النزاع بين الأيديولوجيات، وأخيرا وبعد نهاية الحرب الباردة ظهر صراع الحضارات والثقافات وهو الحلقة الأخيرة من حلقات الصراع العالمي<sup>(1)</sup>.

### الفرع الأول: الغرب والحاجة الدائمة للعدو

أشارت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية والنفسية والاجتماعية والتاريخية إلى أن ظاهرة الحاجة إلى العدو هي ظاهرة قديمة، إن لم نقل أنها نسبيًا نزعة طبيعية لدى الأفراد والجماعات البشرية منذ أقدم العصور، وتجد أسسها النظرية في التصور الخاص بجماعة ما عن العدو في إطار المفهوم التصارعي للوجود، وتطبيقاته العملية في العدوانية المتبادلة والنزوع إلى شيطنة الآخر المختلف ورفعته إلى درجة العدو المطلق، وهذا قصد تحقيق التعبئة اللازمة عبر إفراغ الحقد باتجاه هذا العدو، وهو ما يخلق إحساسًا بالوحدة والقوة والتماسك لدى الجماعة، وانطلاقًا من النزوع نحو التمرکز الذاتي والتعميم في تحديد العدو اندلعت عدة حروب مدمرة عبر التاريخ<sup>(2)</sup>.

إن الحديث عن الغرب<sup>(\*)</sup> يستلزم وجود "آخر" يسمى الشرق الذي يتموقع في موقع "الآخر" وغالبا في موقع "العدو"، إلا أن هذا الأخير الذي كان للغرب أن ابتدعه ليضمن بناءً أفضل لهويته قد اختلف من فترة لأخرى تبعا للتغيرات الإستراتيجية وضرورة المصلحة، فلا وجود لغرب دون شرق، ومن دون شرق لا صدام حضارات على الإطلاق، ولا تشنجات ولا مخاوف، ولا انتشار عسكري ولا نظام أحلاف عسكرية للذود عن "العالم الحر" وقيمه ضد العدو المتربص به. أما واقع الشرق وقوامه وحقيقته فكلها أمور لا تلقى إلا القليل من الأهمية، لأن المهم يكمن في ضرورة ابتداعه، فبعد أن كان

(1) أحمد شلبي، صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص14.

(2) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام، أطروحة دكتوراه (منشورة) تخصص الديناميات الجديدة للعلاقات الدولية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 185.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر "تطور مفهوم الغرب" في المطلب الثالث من المبحث الثاني في الفصل الأول.

إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية، ثم روسيا الشيوعية، فإن الشرق بوصفه عدوا للغرب يجد له في الإسلام والعالم الإسلامي تجسيدا<sup>(1)</sup>.

لقد وظّف الغرب في مواجهة العدو السوفييتي مختلف قواه العسكرية والاقتصادية والإعلامية والأيدولوجية، وقد جعلته الحرب الباردة أكثر تماسكا ووحدة في الرؤى الإستراتيجية والخيارات الأساسية، وذلك توخيا لتحقيق النصر على العدو المشترك للغرب أي الشيوعية، لكن انهيار المعسكر الشيوعي أدى إلى ما سُمي بـ"فراغ التهديد"، ومعناه أن النظام الاجتماعي والسياسي الغربي، والأمريكي خاصة، لا يمكن أن يعيش بدون تهديد خارجي يسمح له بالانسجام والتعبئة الداخلية، فحسب الكثير من المحللين فإن الغرب دخل عملية البحث عن عدو أو أعداء جدد حقيقيين أو وهميين وذلك قصد ملء الفراغ الإستراتيجي، وهذا هو الموضوع الذي يشغل بال الدوائر المعنية بالدفاع والسياسة الخارجية والتخطيط والتصنيع الحربي لإرساء التوازنات والتحالفات الدولية في الغرب<sup>(2)</sup>. كذلك امتلك الغرب القوة من خلال إنشائه الصورة التي يريدونها عن الآخر، ووظّف الألوان أيضا للتعرف على ذاته عبر الآخر، فمن الخطر الأصفر "الآسيويون" إلى الخطر الأحمر "الشيوعية" انتهاءً إلى الحديث عن الخطر الأخضر "الإسلام والعالم الإسلامي"<sup>(3)</sup>. ومن هنا تظهر أهمية النفي في الوعي الفلسفي الغربي، فالإثبات لا يتحدد إلا من خلال النفي، والأنا لا يتحدد إلا عبر الآخر المختلف.

ومن جهته يرى هنتينغتن أن وجود "الآخر العدو" ضروري لأنه يساهم في تحقيق التماسك والالتحام الهوياتي، وأن الأمريكيين أقاموا دائما هوياتهم بتضاد مع آخر غير

(1) جورج قرم، المرجع السابق، ص 56-57.

(2) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام، المرجع السابق، ص 185.

(3) نفس المرجع، ص 187.

مرغوب فيه، ودائماً ما كان أعداء أمريكا يُحدِّدون بوصفهم أعداءً للحرية<sup>(1)</sup>، وهذا ما أكده في نظريته بقوله: "في الوقت الذي تكون فيه الحروب عامل انقسام في مجتمع ما، فإن وجود عدوٍ مشتركٍ من شأنه أن يساعد دوماً على ترسيخ الهوية والانسجام بين أفراد الشعب، وإن كل من يبحث عن الهوية والوحدة العرقية هو في حاجة إلى أعداء"، فمنذ نهاية الحرب الباردة والغرب يبحث عن عدو أو أعداء يستطيع أمام خطرهم وتهديدهم الفعلي أو الوهمي تعبئة شعوبه وقواته العسكرية، ومن ثم الحصول على مبرر مقنع لتحالفاته ونفقاته العسكرية المتزايدة<sup>(2)</sup>.

في ذات السياق وتأكيداً لما سبق، قامت مؤسسة "راند" RAND<sup>(\*)</sup> في تقريرها السنوي لعام 2007 بإجراء مقارنة للصراع بين فترتي الحرب الباردة وما بعدها، وهو ما يوحي بأن الولايات المتحدة الأمريكية في حرب جديدة وأن العدو في هذه المرحلة هو العالم الإسلامي، حيث تم تحديد أوجه الشبه بينهما في ثلاث نقاط هي:

- حدوث أزمة جيوبوليتيكية ذات بعد أمني: بالإضافة إلى وجود مخاطر عسكرية وإستراتيجية على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، حيث حاول هذا التقرير إقناع القارئ بأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 مثلت خطراً حقيقياً على الأمن الإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما يشابه الخطر السوفييتي في منتصف القرن العشرين<sup>(3)</sup>.

(1) محمد سعدي، "قراءة في كتاب صامويل هنتنغتون..من نحن؟ الهوية الوطنية وصدام الثقافات"، مجلة الدولية، المطبعة والوراقة الوطنية، الداوديات، مراكش، المملكة المغربية، ع1، 2005، ص90.

(2) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام، المرجع السابق، ص ص 189 - 190.

(\*) هي مؤسسة راند أو مؤسسة الأبحاث والتطوير (RAND Corporation: Research And Development) وهي منظمة غير ربحية وخليّة تفكير أميركية تأسست عام 1948.

(3) باسم خفاجي، "إستراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام: قراءة في تقرير راند 2007"، سلسلة رؤى معاصرة، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، مصر، السنة الأولى، ع4، ماي 2007، ص ص 20-21.

- إنشاء جهاز إداري ضخم للتعامل مع هذه الأزمة: حيث اعتقد معدو التقرير أن الولايات المتحدة الأمريكية قد لجأت تلقائياً إلى تكوين جهاز إداري تمثّل في وزارة الأمن الداخلي الأمريكية وجمع أجهزة الاستخبارات تحت مظلة واحدة، وهو أمر شبيه بما حدث خلال الحرب الباردة التي شهدت بداياتها في عام 1947 تكوين وزارة الدفاع، ومجلس الأمن القومي، وكذلك وكالة المخابرات المركزية.

- إن طبيعة الصراع فكرية وليست اقتصادية أو عسكرية فقط: حيث أكد التقرير أن طبيعة الصراع مع الاتحاد السوفييتي قد تحولت سريعاً إلى مواجهة فكرية تعكس التنافس حول قيادة البشرية، في إشارة إلى أن نفس الأمر يتكرر مع العالم الإسلامي، مما يعكس تغيير نظرة بعض المفكرين لطبيعة المواجهة<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: الهوية كمحور للصراع الدولي المستقبلي

انطلق هنتينغتون من تعريف الحضارة بأنها: "أعلى تجمع ثقافي للناس، وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب، وتحدد بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات والمؤسسات بآن واحد معاً"، وبأنها "التحديد الذاتي الذي يقوم به الشعب لنفسه"<sup>(2)</sup>، ثم أكد على "أن الهوية الحضارية ستكون ذات أهمية متزايدة في المستقبل، وأن شكل العالم مستقبلاً سيتحدد إلى حد كبير من خلال التفاعلات بين سبع أو ثماني حضارات كبرى، تشمل: الحضارة الغربية، والكونفوشيوسية، واليابانية، والإسلامية، والهندية، والسلافية - الأرثوذكسية، وحضارة أمريكا اللاتينية، وربما الإفريقية"<sup>(3)</sup>.

أما عن مصدر الصراع المستقبلي فقال هنتينغتون: "نظريتي تقوم على أن التناقض الرئيس في النظام العالمي الجديد لن يكون أيديولوجياً ولا اقتصادياً، بل إن الانقسام الكبير

(1) نفس المرجع، ص ص 21 - 22.

(2) صامويل هنتينغتون، "صدام الحضارات"، مجلة شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 18.

(3) Samuel p. Huntington, «The clash of civilizations», foreign affairs, vol 72, N° 03, summer 1993, P 25.

بين الناس والقوة المهيمنة على التناقض بينهم يكون في الثقافة"، حيث اعتبر أن للهوية الثقافية أهمية متزايدة في المستقبل على امتداد خطوط التقسيم الثقافية التي تفصل الحضارات عن بعضها، وأن جوهر الثقافة ينطوي على اللغة والدين والتقاليد والعادات، وأن أهمها هو الدين (1).

وفيما يخص أطراف هذا الصراع المستقبلي فقد أكد أنه على الرغم من أن الدولة القومية ستظل أقوى اللاعبين في الشؤون العالمية، إلا أن التناقضات الأساسية في السياسة الدولية ستحدث بين مختلف الحضارات، والصدام بين هذه الأخيرة هو الذي سيسيطر على السياسة العالمية، حيث تشكل حدود هذه الحضارات ساحات القتال المقبل، وأن صراع الحضارات سيكون آخر مرحلة في تطور صراعات العالم الحديث (2).

وبالنسبة لموضوع الصراع فيقوم هذه المرة حسب هنتينغتن على الثوابت الحضارية، حيث ضرب مثلاً بالأصولية الإسلامية التي اعتبرها تحدياً كبيراً للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في الغرب المسيحي، وأخذ يصف الوضع الدولي آنذاك - أي بداية تسعينيات القرن العشرين - قائلاً: "فقد انتصر الإسلام في إيران والسودان وهو يقاتل بعنف في شمال إفريقيا ومصر، وفي شبه الجزيرة الهندية تظهر الأصولية الهندوسية وهي تشكل بهذا تحدياً للحضارة الغربية، وفي الصين تعيد الكونفوشوسية ترتيب بيتها، وكذلك الحال في أمريكا اللاتينية، وفي البلقان، كل هذا الزخم من انبعاث الحضارات القديمة سوف يشكل عالماً يعيش صراعاً حاداً" (3).

إن من أهم ما يميز كتاب هنتينغتن هو محاولته التخلص من فلسفة الحتميات أو النهايات الأخيرة، حيث قال: "القرن العشرون يجمع أوراقه إلا أنه لا يوجد نموذج ما

(1) أماني محمود غانم، البعد الثقافي في العلاقات الدولية: دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات، برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص210.

(2) إبراهيم سعدي، "هنتينغتن، ابن لادن وصراع الحضارات"، جريدة الشروق اليومي، ع 287، 14 أكتوبر 2001، ص 14.

(3) عبد الله الشيخ، "صراع الحضارات .."، جريدة الراية، ع 19، من 15 إلى 21 جانفي 2000، ص 8.

صالح إلى الأبد، ف نموذج الحرب الباردة في السياسة العالمية كان مفيدا وملائما لعدة سنوات ولكنه أصبح قديما في نهاية الثمانينات، وفي مرحلة ما سوف يلقى هذا النموذج القائم على الحضارة نفس المصير"، ومن ثم فقد رسم عددا من النهايات المفتوحة على الاحتمالات المستقبلية، يمكن إجمالها فيما يلي: (1)

1 - أن الغرب قد يستمر في التفوق لعقدين من الزمن ثم يتدهور، وهنا يؤكد على أن المجتمعات التي تعتقد بالنهاية هي مجتمعات على حافة الانهيار، ويمكن للغرب أن يستمر متفوقا إذا استطاع مواجهة حضارات التحدي وظاهرة الصحوة التي تهدد بالخصوص الولايات المتحدة الأمريكية.

2 - وجود حضارات التحدي والمقصود بها الحضارات غير الغربية، وركز هنا على الحضارتين الصينية والإسلامية، كما أشار إلى أن التقدم بالنسبة للمسلمين مرهون بوجود "دولة مركز" ونهوض اقتصادي.

3 - حرب الحضارات هي حرب القرن الجديد، حيث رسم حالة حرب كونية حضارية، كما يمكن لهذه الحرب ألا تقع إذا استطاعت حكومات الغرب إدارة الأزمات ومنع حالات النزاع القائمة على الهوية، وكذا إيقاف التسابق نحو امتلاك السلاح النووي (2).

### الفرع الثالث: مبررات الصراع الحضاري

أما عن إجابته على السؤال: "لماذا ستتصادم الحضارات؟"، فقد انطلق هنتينغتن من الاعتقاد بالأهمية المتزايدة للهوية الثقافية في المستقبل، وبأن الشكل العام لهذا الأخير سيكون مرتبنا إلى حد كبير بالتفاعل بين سبع أو ثمان حضارات كبيرة، وبأن أهم النزاعات في المستقبل ستحدث على امتداد خطوط التقسيم الثقافية التي تفصل بين هذه الحضارات، ثم أورد أسباب ومبررات الصراع الحضاري كما يلي:

(1) بومدين بوزيد، "صدام الحضارات: إعادة تأصيل الأنا الغربي"، جريدة الخبر، 9 جانفي 1999، ص 19.

(2) نفس المرجع، ص 19.

- أن الفروق بين الحضارات ليست حقيقية فحسب بل فروقا أساسية، فالحضارات تختلف عن بعضها البعض بفعل التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والأكثر أهمية عامل الدين.
- أن العالم أصبح صغيرا وأصبحت التفاعلات بين شعوب الحضارات في تزايد، مما يؤدي إلى تنامي وعي الحضارات بنفسها وإدراكها للفروق بين الحضارات والأشياء المشتركة بينها، ومن بين هذه التفاعلات البينية ظاهرة الهجرة، حيث ازداد خوف الغرب من المستقبل ليس من مواجهة الجيوش، وإنما من مهاجرين يتكلمون لغات أخرى ويدينون بديانات أخرى وينتمون إلى ثقافات أخرى، ويحصلون على وظائف ويستقرون ويتجنسون ويهددون أسلوب الحياة الغربي، ففي فرنسا مثلا لا يُخشى من المهاجرين الأفارقة من غير العرب والمسلمين، بل كل الخوف من المهاجرين المسلمين.
- أن عملية التحديث الاقتصادي والتغير الاجتماعي في كل أنحاء العالم تفصل الشعوب عن الهويات المحلية القديمة، كما تضعف الدولة - الأمة كمصدر للهوية، وفي كثير من الأحيان تُركّ الدين ليملاً هذه الفجوة وغالبا ما يكون في شكل حركات توصف بأنها أصولية وملتزمة، وتوجد مثل هذه الحركات في المسيحية الغربية وفي اليهودية وفي البوذية وفي الهندوسية وبشكل أكثر وضوحا وتأثيرا في الإسلام<sup>(1)</sup>.
- تعزز الوعي بالحضارة من خلال ظاهرة العودة إلى الجذور بين الحضارات غير الغربية، فيسمع المرء على نحو متزايد إشارات عن اتجاهات نحو الانكفاء إلى الداخل وإضفاء الطابع الآسيوي في اليابان، والطابع الهندوسي في الهند، وفشل الأفكار الغربية من اشتراكية وقومية، ثم إعادة الأسلمة إلى الشرق الأوسط، كما يدور الجدل في روسيا حول التغريب مقابل الترويس. ومن ثم فإن غربا في أوج قوته يواجه كيانات ليست غربية ترغب في تشكيل العالم بطرائق غير غربية، ولديها، حسب هنتينغتن، الإرادة والإمكانات للقيام بذلك.

(1) صامويل هنتنغتن، الإسلام والغرب آفاق الصدام، ترجمة: مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص ص 11-13.



- أن الخصائص والفروق الثقافية أقل قابلية للحلول الوسط والتسويات من نظيراتها السياسية والاقتصادية، ففي الاتحاد السوفييتي سابقا قد يصبح الشيوعيون ديمقراطيين، والأغنياء فقراء، والفقراء أغنياء [...] لكن لا يمكن أن يصبح الروس إستونيين ولا الأذريون أرمناً. ففي النزاعات الأيديولوجية سابقا كان السؤال الأساسي هو "إلى أي جانب تقف؟"، وكانت الإجابة قابلة للتغيير، وقد كانت كذلك، أما في النزاعات بين الحضارات فإن السؤال سيكون "من أنت؟"، والإجابة على ذلك غير قابلة للتغيير أو التعديل، فالدين يفصل ويميز بين الناس بصورة أكثر حصراً ووحدة من العرق، فالمرء قد يكون نصف فرنسي أو نصف عربي بل حتى مواطناً في بلدين في الوقت ذاته، لكن من المستحيل أن يكون نصف مسيحي ونصف مسلم<sup>(1)</sup>.

- أن النزعة الإقليمية الاقتصادية آخذة في الزيادة، حيث أن التكتلات الاقتصادية الإقليمية، حسب هنتنغتن، ستزداد في المستقبل وستلعب الحضارة دوراً بارزاً في تقوية الاندماج الاقتصادي الإقليمي.

إن المبررات السابقة ستؤدي إلى جعل الصدام الحضاري أكثر احتمالاً، لأن العداءات التقليدية ستعود ولا يمكن تجاوزها، ومن ثم فإن أي تأكيد لطرف هو نفي لطرف أو أطراف أخرى، باعتبار أن ذلك التأكيد هو إقرار واضح بتغليب عناصر حضارية لمجموعة بشرية على غيرها<sup>(2)</sup>.

مما سبق وصل هنتنغتن إلى نتيجة مفادها أن صدام الحضارات يكون على مستويين جزئي وكلي:

- مستوى جزئي: حيث تتصارع المجموعات المتجاورة على امتداد حدود خطوط التقسيم بين الحضارات بصورة عنيفة، عادة، للسيطرة على أراضي بعضها البعض.

(1) Samuel p. Huntington, op. cit ., p 27 .

(2) صامويل هنتنغتن، "إذا لم تكن حضارة فماذا تكون"، مجلة شؤون الشرق الأوسط، عدد خاص، مركز الدراسات للبحث والتوثيق، بيروت، لبنان، 1996، ص46.

- مستوى كلي: حيث تتنافس دول من حضارات مختلفة على القوة الاقتصادية والعسكرية النسبية، وتتصارع على السيطرة على المؤسسات الدولية والأطراف الثالثة، وتتنافس على ترويج قيمها الدينية والسياسية خاصة<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: العالم الإسلامي ضمن "الغرب ضد الباقي"

باعتبار أن النمط المستقبلي للصراع سيكون حضارياً وأن الحضارة الأقوى في جميع المجالات هي الحضارة الغربية، فإن المحور المركزي للصراع مستقبلاً هو "الغرب ضد الباقي" *The West versus The Rest*، ومن ثم تناول هنتينغتن العلاقة بين الغرب وباقي الحضارات وعلى رأسها الحضارة الإسلامية<sup>(\*)</sup>، حيث طرح ثلاثة اتجاهات للصدام تتمثل في:

- علاقة الغرب بالحضارات الأرثوذكسية (الروسية) واليابانية والهندية.
- علاقة الغرب بحضارة أمريكا اللاتينية والحضارة الإفريقية.
- علاقة الغرب بالحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية.

### الفرع الأول: علاقة الغرب بالحضارات الأرثوذكسية واليابانية والهندية

لقد فصل هنتينغتن في علاقة الغرب بهذه الحضارات كما يلي:

#### أولاً - علاقة الغرب بالحضارة الأرثوذكسية:

بعد نهاية الحرب الباردة برزت روسيا كوريثة للقوة السوفييتية المنهارة محاولة إعادة صياغة العلاقات مع الغرب والبحث عن موقع لها في السياسة العالمية، وحسب هنتينغتن فإن الواقع الدولي يثبت أن لا مشكلة بين الغرب وروسيا، بل على خلاف ذلك هناك تقارب واضح وإرساء لعلاقات جديدة تتضمن ما يلي<sup>(2)</sup>:

- قبول روسيا لتوسيع الاتحاد الأوروبي والناو مع تبيان حدود ذلك التوسع.

(1) صامويل هنتينغتن، "صدام الحضارات"، المرجع السابق، ص ص 20-21.

(\*) أنظر المخطط البياني المتعلق باحتمالات الصدام بين الحضارات في الملحق رقم 10.

(2) صامويل هنتينغتن، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، دار سطور، عمان، الأردن، ط2، 1999، ص 392.

- الشراكة مع الناتو وضمان عدم الاعتداء، والتشاور الدائم حول القضايا الأمنية، والتحكم في التسليح.

- الاعتراف لروسيا بحقها في الحفاظ على الأمن بين الدول الأرثوذكسية.

ومن خلال هذه العناصر السابقة اعتبر هنتينغتن أن أوروبا وروسيا مجتمعات ناضجة وليس لها توجهات توسعية أو عدوانية متبادلة، ولهذا فإن الصدام ضعيف الاحتمال، ومن الأرجح أنه غير وارد.

### ثانيا - علاقة الغرب بالحضارة اليابانية:

إن العلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان التي يُصطلح عليها بـ "الحرب التجارية" هي التي أدت إلى توتر العلاقات بينهما من حين لآخر، لكن هذا لا يعني، حسب هنتينغتن، وقوع تصادم بينهما<sup>(1)</sup>.

### ثالثا - علاقة الغرب بالحضارة الهندية:

استبعد هنتينغتن الهند من قائمة الخصوم الذين من الممكن أن تتصارع معهم الحضارة الغربية، وذلك لأن الهند قوة اقتصادية ناهضة، وتمتلك قوة نووية مكرّسة في الحقيقة ضد جيرانها من المسلمين في باكستان وبنغلاديش وإيران وماليزيا وإندونيسيا، وضد الصين، ومن المستبعد أن تُحوّل هذه القوة ضد الغرب<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: علاقة الغرب بحضارة أمريكا اللاتينية والحضارة الإفريقية

#### أولا- علاقة الغرب بحضارة أمريكا اللاتينية:

ذهب هنتينغتن إلى اعتبار أن قرب أمريكا اللاتينية من الغرب ثقافيا ومن حيث أنظمة الحكم السائدة يجعل التصادم بعيد الاحتمال، خاصة إذا أُخذ بعين الاعتبار توقف البرازيل والأرجنتين عن مساعيها لإنتاج السلاح النووي، وعدم ظهور نية لرفض

(1) Samuel p. Huntington, op. cit, p.39

(2) صامويل هنتينغتن، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، المرجع السابق، ص 367.

السيطرة العسكرية الأمريكية أو تحديها، ورغم هذا التفاؤل فإن هنتينغتن لم يهمل القضايا الخلافية بين الطرفين حول الهجرة والإرهاب والمخدرات<sup>(1)</sup>.

### ثانيا - علاقة الغرب بالحضارة الإفريقية:

رغم أن إفريقيا ضعيفة إلا أن علاقة الغرب معها تتضمن مستوى من الصراع أعلى منه مع أمريكا اللاتينية، فجنوب إفريقيا التي تصلح أن تؤدي دور دولة المركز في الحضارة الإفريقية يمكنها بناء ترسانة نووية وتردع أي تدخل للغرب في إفريقيا، كما لاحظ هنتينغتن أنه في الوقت الذي أصبح فيه أمريكا اللاتينية أكثر تغرباً فإن إفريقيا تتجه إلى أن تصبح أقل تغرباً<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثالث: علاقة الغرب بالحضارتين الإسلامية والكونفوشوسية

#### أولاً- علاقة الغرب بالحضارة الإسلامية:

لقد سجل هنتينغتن مجموعة ملاحظات حول تاريخ الصراع بين الغرب والعالم الإسلامي، أهمها:

- استمرار الصراع بين الغرب والعالم الإسلامي لمدة 1300 سنة ولا يزال.
- اكتساح المسلمين لأرض كانت تحت سلطة الروم وهي سوريا ومصر وشمال إفريقيا والأندلس.
- من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر حاول الغرب - من خلال الحروب الصليبية - استعادة الأرض العربية وكان نجاحه محدوداً ومؤقتاً.
- من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر ظهر زحف العثمانيين الذين فتحوا البلقان والقسطنطينية وحاصروا فيينا.
- في القرن التاسع عشر فرضت فرنسا وبريطانيا وإيطاليا سيطرة الغرب على كثير من البلدان الإسلامية، وذلك عن طريق الحملات الاستعمارية.

(1) نفس المرجع، ص ص 389 - 390.

(2) نفس المرجع، ص 390.

- تراجع الغرب بعد الحرب العالمية الثانية<sup>(1)</sup>، وذلك من خلال النزعة الاستقلالية التي سادت دول العالم الثالث ومنها دول العالم الإسلامي .

من خلال ما سبق ورغم زعم بعض القادة الغربيين أمثال "بيل كلينتون" Bill Clinton والأمير تشارلز The Prince Charles أن الغرب ليس بينه وبين الإسلام أي مشكلة وأن المشكلات موجودة فقط مع بعض المتطرفين الإسلاميين، إلا أن هنتينغتن قد أكد بأن أربعة عشر قرنا من التاريخ نقول خلاف ذلك، و"أن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك"<sup>(2)</sup>، مشيرا إلى إحصائية مفادها أن 50% من الحروب التي تضمّنت ثنائيات من دول ذات أديان مختلفة بين عامي 1820 و 1929 كانت حروبا بين مسلمين ومسيحيين"<sup>(3)</sup>.

هناك مجموعة من العوامل التي أدت، حسب هنتينغتن، إلى تزايد حدة الصراع بين العالم الإسلامي والغرب أهمها:

- تزايد ظاهرة هجرة المسلمين إلى الغرب بسبب النمو السكاني المرتفع وقلة الموارد.
- تنامي الصحوة الإسلامية التي قوّت من ثقة المسلمين بأنفسهم وبتميّز هويتهم وقِيَمهم وحضارتهم عن غيرهم.
- رفض السياسات الغربية التي تسعى لتأكيد عالمية القيم الغربية عن طريق التفوق الاقتصادي والعسكري.
- أزال سقوط الشيوعية عدوا مشتركا للغرب والإسلام، وجعل كلا منهما يصبح الخطر المتصوّر على الآخر.
- الاحتكاك المتزايد بين المسلمين والغربيين يثير في كل من الجانبين إحساسا بهويته الخاصة وبتميزها عن هوية الآخر<sup>(4)</sup>.

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص ص 17 - 18.

(2) صامويل هنتينغتن، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، المرجع السابق، ص 339.

(3) نفس المرجع، ص 340.

(4) نفس المرجع، ص 342.

كما وصف هنتينغتن العلاقة العدائية بين العالم الإسلامي والغرب بأنها حالة "شبه حرب" Quasiwar حيث يبرر تسميته هذه استنادا إلى الحقائق التالية: (1)

- وجود بعض الدول الإسلامية التي يمكن اعتبارها في حالة حرب مع الغرب، ومن هذه الدول إيران والسودان والعراق وسوريا وليبيا.

- تعدد الأساليب المستخدمة في هذا الصراع، من الأساليب التقليدية إلى الإرهاب والمقاطعة الاقتصادية.

- إن حالة "شبه الحرب" بين العالم الإسلامي والغرب متقطعة على الرغم من أن المنحى العام لها يتسم بالاستمرارية.

وصل هنتينغتن بعد ذلك إلى حكم قيمي يتلخص في أن المشكلة الأساسية للغرب ليست هي الأصولية الإسلامية أو التطرف، وإنما هي الإسلام الذي يمثّل حضارةً مختلفةً، ويقتنع أتباعه بتفوق حضارتهم، ويوجد لديهم هاجس أو عقدة نقص حيال ضعفهم في مقابل الغرب. ومن وجهة نظر الإسلام - حسب هنتينغتن - فإن المشكلة لا تكمن في المخابرات الأمريكية ولا في وزارتي الدفاع والخارجية الأمريكيتين، وإنما في الغرب الذي يمثّل حضارةً مختلفةً ويؤمن أتباعه بأنهم يحملون ثقافة عالمية، ويقتنعون بتفوقهم الذي يفرض عليهم مسؤولية نشر هذه الثقافة في العالم. هذه المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام والغرب كما تصورها هنتينغتن (2).

### ثانيا - علاقة الغرب بالحضارة الكونفوشوسية:

لقد طرح ظهور الصين كقوة صاعدة في عالم ما بعد الحرب الباردة كثيرا من التحديات التي يفترض من باقي الحضارات التعامل معها، وخاصة الغرب الذي يجد نفسه في موقع المواجهة المباشرة مع الصين، وتتجسد هذه المواجهة على وجه التحديد مع

(1) صامويل هنتينغتن، "صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي"، ترجمة: نجيب غضبان، مجلة المستقبل

العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع 226، ديسمبر 1997، ص ص 141-142.

(2) صامويل هنتينغتن، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، المرجع السابق، ص 352.

الولايات المتحدة الأمريكية الممثل الرئيس للغرب، ففي أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين بلغت العلاقات بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية درجة كبيرة من التوتر، إلى حدّ جعل الرئيس الصيني "يانغ شانغ وان" Yang Shangkun يصرّح في سنة 1991 قائلاً: "إن الصراعات بين البلدين هي بمثابة حرب باردة جديدة"، وتبع ذلك تدهور للعلاقات الدبلوماسية ووصولها إلى أدنى مستوى لها منذ إقامتها رسمياً سنة 1979، حيث انتقدت الصين تدخل الولايات المتحدة في شؤونها الداخلية، أما الولايات المتحدة فاتهمت الصين بسوء النية حين أخلت بالتفاهم المشترك وقامت بتصدير الصواريخ والتكنولوجيا النووية إلى بلدان إسلامية. ويؤكد تتبع الاتجاه السائد للرأي العام الداخلي في كلا البلدين على وجود تعارض فعلي واستشعار خطر متبادل بينهما، ففي الصين يمثل القطاع العسكري أشد الجماعات عداءً للولايات المتحدة الأمريكية، أما في هذه الأخيرة فإنه يضع الصين بعد إيران مباشرة كأكبر خطر على أمنه<sup>(1)</sup>.

خلص هنتينغتن في نهاية استشرافه لعلاقة الغرب بباقي الحضارات إلى تقديم مجموعة من التوصيات للغرب قصد العمل بها، تمثلت في الآتي: (2)

أولاً: فيما يخص علاقة الغرب بباقي الحضارات باستثناء الحضارتين الإسلامية والكونفوشوسية فأوصى بما يلي:

- تدعيم التعاون والوحدة داخل حضارة الغرب خاصة بين العنصرين الأوروبي والأمريكي الشمالي.
- أن تدمج في الغرب مجتمعات أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية.
- الحفاظ على علاقات التعاون مع روسيا واليابان.
- الحفاظ على التفوق العسكري في شرق آسيا وجنوبها الغربي.

(1) نفس المرجع، ص ص 360-361.

(2) أماني محمود غانم، المرجع السابق، ص ص 182-183.

- احتفاظ الغرب بالقوة الاقتصادية والعسكرية الضرورية لحماية مصالحه.
- دعم المجموعات الحضارية الأخرى المتعاطفة مع القيم والمصالح الغربية، ويقصد إسرائيل بالدرجة الأولى.
- تقوية المؤسسات الدولية التي تعكس المصالح الغربية.

**ثانياً:** فيما يخص علاقة الغرب بالحضارتين الإسلامية والكونفوشوسية فقد أوصى

بما يلي:

- ضرورة استغلال النزاعات بين الدول الإسلامية والكونفوشوسية.
- الحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكونفوشوسية.<sup>(1)</sup>

### المطلب الثالث: صراعات العالم الإسلامي ضد جيرانه

بعد الحديث عن مقولة "الغرب ضد الباقي" West versus The Rest، وموقع العالم الإسلامي ضمن هذا "الباقي"، انتقل هنتينغتن إلى التفصيل في مجموعة الصدامات الجانبية التي يكون العالم الإسلامي طرفاً فاعلاً فيها<sup>(\*)</sup>، وذلك انطلاقاً من موقفه التعميمي من الإسلام والعالم الإسلامي والذي مفاده أن علاقات العالم الإسلامي وتوجهاته العدائية ليست تجاه الغرب فقط بل حتى تجاه الحضارات الأخرى.

### الفرع الأول: الحدود الدموية للإسلام

لقد عاد هنتينغتن إلى استعمال عبارة وردت في مقالته المنشورة عام 1993، والتي كانت من أكثر العبارات إثارة للجدل ألا وهي "حدود الإسلام الدموية" Islam's bloody borders، وعلى الرغم من اعترافه بكثرة الانتقادات التي وُجّهت إليه إلا أنه أصرَّ على استخدام هذه المقولة استناداً إلى الوقائع كما تتجلى له، وللتدليل على موقفه ذكر إحصائيات عن الصراعات المنتشرة عبر العالم أين لاحظ أن مشاركة المسلمين فيها عالية، الأمر الذي برَّر له وصف حدود الإسلام بأنها حدوداً دموية، وفي ذلك إيحاء قوي

(1) نفس المرجع، ص 183.

(\*) أنظر المخطط البياني المتعلق باحتمالات الصدام بين الحضارات في الملحق رقم 10.



بأن المسلمين هم الطرف المشاكس، إن لم يكن المعتدي<sup>(1)</sup>، ومن الأدلة الإحصائية التي ساقها:

- أن نسبة خمسين بالمائة من الحروب التي اندلعت بين سنتي 1820 و 1929 دارت بين المسلمين وغير المسلمين.

- أن التدخلات العسكرية الأمريكية السبعة عشر بين سنتي 1980 و 1995 كانت كلها ضد دول إسلامية<sup>(2)</sup>.

- أن من بين خمسين نزاعا عرقيا في الفترة الممتدة بين سنتي 1993 و 1994 كان المسلمون طرفا في ست وعشرين منها، وأن من بين هذه الأخيرة عشرين نزاعا بين مسلمين وأتباع حضارات أخرى<sup>(3)</sup>.

واستنادا على هذه الحجج خلص هنتينغتن إلى نتيجة مفادها أن لدى المسلمين نزعة لحل الأزمات الدولية باللجوء إلى استخدام العنف.

انتقل هنتينغتن بعد ذلك من معرض الوصف إلى التفسير، حيث أكد على أنه بالرغم من الجذور التاريخية للصراعات التي يشترك فيها أتباع الحضارة الإسلامية، إلا أن هناك بعض العوامل التي يمكن أن تفسر "اتجاهات العنف" عند المسلمين، وهي كالآتي:

- إن الإسلام منذ البداية كان "دين سيف"، كما أنه يعظم القيم العسكرية، وكذا ارتكاز نشر الإسلام على فكرة الجهاد.

- إن انتشار الإسلام الواسع قد وضع المسلمين في احتكاك مباشر مع شعوب كثيرة تعرّضت للفتح الإسلامي واعتنقت الدين الجديد، وقد تركت هذه الأحداث إرثا وأثرا

(1) صامويل هنتينغتن، "صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي"، المرجع السابق، ص 142.

(2) ماريا تيريزا دي بوربون، "خواطر حول أنموذج صمويل هنتنغتن"، في الثقافة العربية وثقافات العالم حوار الأنداد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1999، ص 104.

(3) صامويل هنتينغتن، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، المرجع السابق، ص 416.

- مستمرين، فلا يمكن فهم الصراع في البوسنة بداية تسعينيات القرن العشرين دون الرجوع إلى الاحتلال العثماني لمنطقة البلقان.
- هناك سبب ثالث محتمل للصراع بين المسلمين وغيرهم، ألا وهو صعوبة تعايش المسلمين مع الآخرين، سواء كانوا أقلية أو أغلبية.
- من الأسباب التي تساق في معرض تبرير النزعة العدوانية للمسلمين موضوع الاستعمار الغربي، ويستخف هنتينغتن بهذا السبب لأنه، في رأيه، لا يفسر الصراعات بين المسلمين والأقليات غير المسلمة.
- يمثل غياب الدولة القائدة للحضارة الإسلامية سببا لتزايد الصراعات بين المسلمين أنفسهم، كما أنه يزيد من احتمالات الصراع مع غيرهم.
- أخيرا، هناك الانفجار السكاني في المجتمعات المسلمة ووجود أعداد كبيرة من الشباب الذين يعانون البطالة، وهذا سبب أساسي، في رأيه، لانتشار الفوضى والعنف بين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين شعوب الحضارات الأخرى<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: الحضارات المرشحة للتصادم مع الحضارة الإسلامية

حدد هنتينغتن أهم الحضارات المجاورة التي ستكون علاقة الحضارة الإسلامية معها عدائيةً، وهي الحضارة الأرثوذكسية والحضارة الهندية والحضارة الإفريقية إضافة إلى الكيان الإسرائيلي، وفيما يلي شرحها:

#### أولا - الحضارة الأرثوذكسية (الروسية):

يبرز خط التقسيم بين الحضارتين على شكل تماس يمتد من القوقاز إلى قبرص، وهذا الصدام يحمل عداءً متزايدا بين الحضارتين يستمد قوته من الأحداث التاريخية البينية التي عمقت الخلاف بينهما<sup>(2)</sup>.

(1) صامويل هنتينغتن، "صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي"، المرجع السابق، ص ص 142 - 143.

(2) صامويل هنتينغتن، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، المرجع السابق، ص 446.

**ثانيا - الحضارة الهندية:**

بعد إشارته لاندلاع المواجهة بين الهندوس والمسلمين، وظهورها على نحو عنيف بين باكستان والهند بعد ثلاث حروب حول الحدود للسيطرة على كشمير ذات الأغلبية المسلمة، أكد هنتينغتن على أن إمكانية التوفيق بين الحضارتين ضئيلة، خاصة مع امتلاك الدولتين للسلاح النووي والتهديد المتبادل باستعماله، والذي قد يؤدي إلى جر المنطقة ككل إلى حالة حرب شاملة، واعتبر أن احتمال وصول حكومة متطرفة في البلدين كسبب رئيس في وقوع الصدام بينهما.

**ثالثا - الحضارة الإفريقية:**

رغم تحفظ هنتينغتن على الحضارة الإفريقية كحضارة واضحة المعالم، إلا أنه عندما تطرق إلى الصدام الحضاري أقر بوجودها وأكد على صدامها مع الإسلام، ويتراوح ذلك الصدام على خط ممتد من أثيوبيا إلى السودان وإلى نيجيريا، وعلى امتداد هذه المساحة تدور صراعات متنوعة ومواجهات دموية<sup>(1)</sup>.

**رابعا - الكيان الإسرائيلي:**

أشار هنتينغتن هنا إلى صدام مجموعة فرعية من الحضارة الإسلامية، وقصد بها العرب، مع مجموعة فرعية من الحضارة الغربية هي اليهودية مُمثلةً في إسرائيل، واعتبر الصراع العربي الإسرائيلي في جوهره صراع حضارات، صراع بين الحضارة العربية الإسلامية وبين التجمع البشري اليهودي الذي بعث به الغرب مُمثلاً بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من أجل السيطرة على هذه المنطقة الحيوية من العالم.

إن المواجهة مع إسرائيل في جوهرها مواجهة لحضارة الغرب العلماني أكثر منها مواجهة للعقيدة اليهودية، فليس لليهود حضارة محددة وإنما لهم دين ومذاهب ومصالح، فهم موزعون على مختلف مناطق العالم وحضاراته منذ آلاف السنين، وثقافتهم هي خليط

(1) نفس المرجع، ص 447.

من تلك الحضارات، أما إسرائيل فقد كانت مشروعاً وخطّة وغزوا وإعلان دولة من الجانب الغربي<sup>(1)</sup>.

إضافة لما سبق، يمكن الإشارة إلى أن هنتينغتن قد تعرّض إلى صدمات الحضارة الصينية مع الحضارات المجاورة لها وهي: الحضارات اليابانية والأرثوذكسية والهندية، إلا أنه نظراً لعدم ارتباطها الوثيق بموضوع البحث وعدم خدمتها له فقد تم تجاوزها.

### الفرع الثالث: الصراع الحضاري ومركزية التنظير الغربية

خلافًا لما كان يُبذل من جهود دولية وإقليمية باتجاه تعزيز الحوار بين الحضارات وخلق جو مناسب لذلك، أدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 وما تلاها من توجيه أصابع الاتهام للمسلمين بشأن الضلوع فيها إلى إعادة نظرية صدام الحضارات إلى الواجهة، واكتسبت بذلك مصداقية وطابعاً توقّعيّاً أكبر، خاصة ما ارتبط بتعليقات الأكاديميين والسياسيين والإعلاميين بشأنها والتي تتمحور حول التأكيد على الخطر الإسلامي والربط بين الإسلام والإرهاب<sup>(2)</sup>، وبذلك أُحبطت كل المحاولات والجهود الساعية إلى الحوار بين الحضارات<sup>(3)</sup>.

رغم محاولات هنتينغتن التخلص من هيمنة النهايات، وانتقاده لأوهام العقل الغربي القائمة على "المركزية الغربية" وتقسيمها للمجتمعات البشرية إلى مجتمعات متحضرة ومجتمعات بربرية، إلا أنه وقع في مغالطات إذ أنه لم يتحرر من هذه الحتمية بل حاول إعادة تأصيل المركزية الغربية بمعنى جديد وصياغات متنوعة، ومثال ذلك أنه سعى من

(1) محجوب عمر، "الصراع العربي الإسرائيلي وصدام الحضارات"، مجلة شؤون الأوسط، مركز الدراسات

الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص ص 120 - 121.

(2) إدريس لكريني، المرجع السابق، ص ص 135 - 136.

(3) نفس المرجع، ص 144.

خلال طرحه هذا إلى نفي العنف والحرب عن المسيحية والغرب المتحضر من جهة، والتأكيد على أن للإسلام حدود دموية وأنه دين سيف وحرب (1).

كما أنه وبالرغم من اعترافه بالتعدد الحضاري وتقسيمه العالم إلى عدة حضارات، إلا أنه سرعان ما تدارك الأمر ليقوم بتصنيف ثنائي للعالم: الغرب من جهة والباقي من جهة أخرى، حيث قال في هذا الإطار: "ثمة غرب في قمة السلطة يجابه بلدانا غير غربية تتعاطم لديها الرغبة والإرادة والموارد في أن تقوم بصياغة العالم وفق طرق غير غربية"، ورسم هنتينغتن صورة غرب محاصرٍ ومستهدفٍ يتحرك العالم بأكمله للانقضاض على منجزاته وقيمه الحضارية، وهذا الطرح يشير بشكل ضمني إلى أن للغرب نظاما قيميا عالميا مكتفيا بذاته، وهو نظام صحيح ولأنه كذلك فيجب أن يسود بطريقة أو بأخرى، ومن ثم فإن هنتينغتن قسّم المجموعة الدولية بين غرب يُجسّد الخير والقيم الكونية من جهة وباقي العالم المنشغل بمجابهة الغرب من جهة ثانية، وتأكيد على أن الحضارة الغربية فريدة من نوعها وأن لها خصائصها التي تجعلها متميزة عن الحضارات الأخرى كالفردانية والتعددية والحرية..، وبأنها ميزات لصيقة بالغرب دون الحضارات الأخرى، وهذا غير صحيح لأن هذه القيم اتسمت بها عدة فضاءات ثقافية على مر التاريخ، ولا يمكن للغرب أن يدّعي انفراده بها دون غيره (2).

من هنا يُعتبر طرح "الصراع الحضاري" تأكيدًا على "المركزية الغربية" التي جعلت الحضارة الغربية نزاعة إلى احتواء الآخر وترويضه ودمجه في نمطها الحضاري ومنظومتها القيمية، وهي النزعة التي اعتمدت أسلوب "الصراع" في علاقة الحضارة الغربية بالآخرين، بل وجعلت من هذا الصراع مع الآخرين ومن احتوائهم وإلغاء ذاتيتهم

(1) بومدين بوزيد، "صدام الحضارات: شعوب التحدي وغياب دولة المركز"، جريدة الخبر، 23 جانفي 1999، ص 19.

(2) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام، المرجع السابق، ص 228.

وخصوصيتهم وهويتهم وتميزهم "رسالتها الحضارية النبيلة!" التي تقوم بها لتمدين هؤلاء الآخرين<sup>(1)</sup>.

ومن جهة أخرى فإن انهماك العالم الإسلامي في مناقشة مقولة "صراع الحضارات"، واعتبارها من الموضوعات المقررة عليه، وكونها تشكل جدول أعمال مناقشاته ومؤتمراته، كل ذلك يتضمن وقوعاً في فخ مركزية التنظير الغربية في العلاقات الدولية<sup>(2)</sup>، كما في باقي العلوم الإنسانية والاجتماعية، بل وفي التنظير لمستقبل العالم الإسلامي وعلاقته مع الغرب في إطار هذا السيناريو.

يمثل هذا الطرح المبني على فكرة الصراع وغلق أي باب للحوار الإطار المفاهيمي لسياسة الاحتواء التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي، ذلك أن فكرة الصراع الحضاري أو التحدي الحضاري أو الصراع الطبقي هي الأساس الذي تقوم عليه الحضارة الغربية بمذاهبها المتعددة وتطبيقاتها المتنوعة، والصراع يعني محاولة إلغاء الآخر بشتى الأساليب والوسائل، لذلك فإن أي حضارة أو ثقافة تفتقد النزعة الإنسانية وتقوم على العرق أو الجنس أو اللون أو الطبقة هي حضارة تمييز وتعال بطبيعتها، الأمر الذي يقودها إلى الاعتقاد بأن بقاءها مرهون بإلغاء الآخر، لذلك تصبح الطبيعة العدوانية من أبرز خصائصها، فتنظر إلى الآخر نظرة عدوانية وتحاول أن تتغلب عليه، وهذا يستدعي استعمار واسترقاقه واستنفاد جميع طاقاته. وفي ضوء ذلك يمكن تفسير دوافع الحملات الصليبية على العالم الإسلامي وكذا الاستعمار الحديث الذي لم يختلف عن تلك الحملات إلا بوضع الصليب<sup>(3)</sup>.

(1) محمد عمارة، الحضارات العالمية تدافع أم صراع؟، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص6.

(2) جلال أمين، المرجع السابق، ص 143.

(3) أحمد القديري، الإسلام وصراع الحضارات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط1، 1995، ص ص 31 - 33.

كذلك إن لاختيار العالم الإسلامي بديلاً يمارس معه الغرب هوائيته في صراع الحضارات، من بين حضارات عديدة قدّمها هنتينغتن في نظريته، رغم ما يعانیه من ضعف وتخلف<sup>(\*)</sup> دلالات عدة، أهمها تغليب الجانب الأيديولوجي والفكري على الجوانب السياسية والاقتصادية والسكانية التي كان يفترض أن توجه نظر الغرب إلى الثقافات الصينية واليابانية والهندية وغيرها، مما يدل على عمق تقدير الغرب للطاقة الأيديولوجية القوية والكامنة التي تنطوي عليها الثقافة الإسلامية، ومما ساعد على هذا الاختيار الصراع التاريخي الطويل بين الغرب والعالم الإسلامي الذي عمّقه الاستشراق الغربي من جهة وسمود الإسلام والعالم الإسلامي في وجه الغزو الاستعماري من جهة أخرى<sup>(1)</sup>.

لقد قدّمت نظرية هنتينغتن صورة أخرى عن الغرب غير الصورة العلمانية المعهودة، فهذا الغرب الذي يُعتبر كنموذج للديمقراطية ويمثل الفضاء الأكثر تقدماً علمياً وتكنولوجيا واقتصادياً وعسكرياً في العالم، لا يفصل في نهاية المطاف بين السياسة والدين ويتعامل مع العالم غير الغربي انطلاقاً من معايير دينية، وهكذا بشرّ هنتينغتن بنظرية تعود بالمجتمع البشري إلى عهد الحروب الصليبية، وبتصور ديني للعلاقات الدولية يقوم على مبدأ الحرب.

لكن هل يمكن اعتبار العامل الديني أساس العلاقات الدولية في عهد يتشدق فيه الجميع بالعولمة؟، وهل أن ركيزة وأساس النظام الدولي الجديد هو الخصوصية الثقافية كما رآها هنتينغتن؟، ومن ثم تفسير موقف الغرب من العالم الإسلامي كنتاج لصراع ديني بين الطرفين؟.

الواقع أنه رغم عدم إمكانية إنكار دور العامل الديني في العلاقات الدولية إلا أنه أبعد من أن يكون الوحيد والأساسي، ذلك أن تمتع العالم الإسلامي بموقع إستراتيجي

(\*) للتفصيل أكثر أنظر "مؤشرات ضعف العالم الإسلامي" في المطلب الثالث من المبحث الأول في الفصل الأول.

(1) محمد عدنان سالم، على خط التماس مع الغرب، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2005، ص ص 20-21.

وبثروات طبيعية مختلفة(\*) هي عوامل تفسر أطماع الغرب وتخوفه، بل وسعيه إلى السيطرة على هذا الفضاء الحيوي من العالم، كما أن الصراع العربي الإسرائيلي يقتضي من وجهة نظر الإستراتيجية الغربية بقاء العالم الإسلامي متخلفاً، لأن البلدان الإسلامية تُعتبر على الأقل من الناحية النظرية حليفة طبيعية للقضية الفلسطينية.

بناءً على ما سبق تعتبر مقولة صدام الحضارات في عمقها وتصورها للعالم تنظيراً إستراتيجياً بامتياز، فهي تحمل وتعكس مجموعة من الثوابت والمتغيرات في التفكير الإستراتيجي الأمريكي والغربي بصفة عامة، وهي تستشرف الخيارات والأولويات الإستراتيجية للولايات المتحدة في فترة ما بعد الحرب الباردة، وعلى ما يبدو فهي بمثابة مشروع أو مخطط يحاول تقديم رؤية جديدة للعلاقات الدولية ولموازن القوى وللتفاعلات الجيوإستراتيجية والجيوثقافية، وذلك قصد صياغة تفكير إستراتيجي جديد كفيل بمواجهة مختلف الرهانات والتحديات التي يفرضها الوضع المتقلب لمرحلة ما بعد الحرب الباردة. وهكذا يمكن اعتبار أن نظرية هنتينغتن مخالفة تماماً لمنطق العولمة المهيمن وللتصورات النابعة منه والقائلة بأن العالم أصبح قرية صغيرة وبأننا سائرون نحو عالم أحادي الحضارة، مثلما هي مخالفة تماماً للنظريات المسلمة بتعدد الحضارات المفضي للحوار.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر "مؤشرات قوة العالم الإسلامي" في المطلب الثاني من المبحث الأول في الفصل الأول.



## خلاصة الفصل:

يمكن القول في نهاية هذا الفصل أنه بغض النظر عن السجال والجدل النظري القائم والمستمر حول مقولات الحوار والصراع في العلاقات الدولية عموماً وبين العالم الإسلامي والغرب على وجه الخصوص، فإن الأحداث التاريخية والتجارب المريرة على مر العصور، والتي أخذت طابعا منظما وممنهجا ووتيرة متسارعة في عالم ما بعد الحرب الباردة، تؤكد على أن مقولة صدام الحضارات هي الأصدق واقعياً وعملياً من مقولة حوار الحضارات، إلا أنه ورغم كل ذلك تبقى هذه الأخيرة - مع ما يتداخل معها من مفاهيم التعارف والتفاعل الحضاريين - هي الأصلاح على مستوى المعرفة والفكر، لكن الوصول إليها كواقع وممارسة تقف دونه مسافات طويلة وعقبات كثيرة تحول دون تقدّم العالم خطوات نحوها.

# الفصل الرابع:

العالم الإسلامي والغرب

بين "نهاية التاريخ" و"سقوط الغرب"

المبحث الأول: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "نهاية التاريخ"

المبحث الثاني: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "سقوط الغرب"

### الفصل الرابع: العالم الإسلامي والغرب بين "نهاية التاريخ" و"سقوط الغرب"

بعد التعرض لاحتمالي الحوار والصراع في مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب في الفصل السابق يأتي دور هذا الفصل لتحليل ومناقشة الاحتمالات المستقبلية لما سيؤول إليه وضع كل من العالم الإسلامي والغرب، وهما أحد احتمالين اثنين:

- إما احتمال بقاء وديمومة الزعامة الغربية للعالم، وهو ما يعطي مصداقية أكثر لمقولة "نهاية التاريخ"، ومن ثم التساؤل عن موقع العالم الإسلامي في ظل هذا الاحتمال.

- وإما احتمال "سقوط الغرب" وما يرتبط به من إمكانية استخلافه بقوى دولية أخرى، ومن ثم البحث عن موقع العالم الإسلامي في ظل هذا الاحتمال.

يعتمد البحث في هذا الفصل على تحليل مضامين أهم الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية المتصلة بالاحتمالات المذكورة آنفاً، والتي تناولت مستقبل كل من العالم الإسلامي والغرب سواءً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

#### المبحث الأول: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "نهاية التاريخ"

أثارت نهاية الحرب الباردة جدلاً فكرياً ونقاشاً مستمراً على الصعيد الأكاديمي والإعلامي، فحواه مصير العالم بعد انتهاء الصراع بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي على المستوى الواقعي، وما تبع ذلك على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والتنظيرية، بل ومصير الإنسان نفسه، هذا وقد بدأ النقاش والجدل الفكري المذكور المفكر والموظف في وزارة الخارجية الأمريكية "فرانسيس فوكوياما" Francis Fukuyama في كتاب صدر له سنة 1992 بعنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" The End of History and The Last man<sup>(1)</sup>. فما مضمون مقولة نهاية التاريخ؟، وما موقع كل من العالم الإسلامي والغرب على ضوء هذا الطرح؟.

(1) عبد الله الشيخ، "الصراع بين الغرب والدول الإسلامية - الكونفوشيوسية"، جريدة الراية، ع 20، من 22 إلى 28 جانفي 2000، ص 08.

## المطلب الأول: "نهاية التاريخ" وسيادة الليبرالية الغربية

يتناول هذا المطلب الظروف المحيطة بظهور مقولة "نهاية التاريخ"، ومضمونها، وكذا المبررات التي قدّمها فوكوياما لتبرير فكرة سيادة الليبرالية الغربية في عالم ما بعد الحرب الباردة كأسى نظام بشري.

## الفرع الأول: "نهاية التاريخ" بنهاية الحرب الباردة

ظهرت دراسة "نهاية التاريخ" في فترة اتسمت بالحاجة إلى تجديد الفكر الرأسمالي الليبرالي، فبعد سقوط الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة كان منظرو الأيديولوجية الرأسمالية يمهّدون الطريق لإضفاء شرعية جديدة على النظام القديم، فبالإضافة إلى تدمير النموذج السوفييتي من الناحية الاقتصادية والعسكرية كان على الولايات المتحدة الأمريكية تحقيق الهزيمة الأيديولوجية للنظرية الماركسية، والأهم من ذلك هو عدم ترك الفرصة لهذه الأيديولوجيا لتجديد نفسها<sup>(1)</sup>.

لقد أكد فوكوياما على أن القرن العشرين قد بدأ والعالم المتقدم يخوض صراعا عنيفا بين الديمقراطية الليبرالية وبين بقايا الحكم المطلق، ثم مع النازية والفاشية والبلشفية، ثم انتصف بما تتبأ به البعض من عملية تلاقي أو تقارب بين الرأسمالية والاشتراكية، غير أن القرن ينهي دورته بالنصر الواثق لليبرالية السياسية والاقتصادية. وقد اعتبر فوكوياما هذا النصر نهائيا حيث يستبعد بشكل أساسي أي نظم بديلة للنظام الليبرالي الغربي<sup>(2)</sup>.

إن الديمقراطية الليبرالية لم تكن الوحيدة في المسار التاريخي ولم يكن الطريق إلى تحقيقها سهلا، بل صادفتها كثير من العقبات عبر التاريخ تمثلت في مجموعة من المنظومات والآراء والنظريات وحتى العقائد التي نافستها في الوصول إلى الحكم عبر أنحاء العالم، ابتداءً من الملكيات الوراثية والنزعة المحافظة، ثم الشيوعية والأنظمة

(1) سالم لبيض، "من الاستشراق إلى نهاية التاريخ: الفكر الغربي والآخر"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع 211، سبتمبر 1996، ص 32.

(2) السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 1، 2005، ص ص 139 - 140.

الاستبدادية، مرورا بالنخب العسكرية بما في ذلك النزعة الفاشية التي سادت بين الحربين العالميتين، وصولا إلى الاشتراكية وتطبيقاتها في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية<sup>(1)</sup>. كما افترض فوكوياما توقف التاريخ وما يتسم به من تطور بشري في مجالات الحياة، بمعنى أن التاريخ سيتوقف عند النموذج الليبرالي الغربي وعلى العالم كله أن يتبع قيم هذا النموذج، لأن الحضارة الغربية حققت ما وصلت إليه من نجاح وازدهار مادي بفضل انتهاجها الديمقراطية الليبرالية<sup>(2)</sup>، حيث قال في هذا الشأن: "ربما لا يكون ما نشهده هو مجرد نهاية الحرب الباردة أو انتهاء فترة معينة من تاريخ ما بعد الحرب، بل التاريخ ذاته، أي نهاية التطور الأيديولوجي للبشرية كلها وتعميم الديمقراطية الليبرالية الغربية كشكل نهائي للسلطة على البشرية جمعاء"<sup>(3)</sup>.

#### الفرع الثاني: حول معنى "نهاية التاريخ"

إذا كان التاريخ قد انتهى عند "هيجل" Higel عام 1806 في معركة "بيننا" Jena بانتصار نابليون ممثلا للطليعة الإنسانية المجسدة لمبادئ الثورة الفرنسية، فإنه - أي التاريخ - قد انتهى عند فوكوياما عام 1989، وذلك بوصول الولايات المتحدة الأمريكية إلى مرحلةٍ يستطيع فيها الفرد أن يسد حاجاته دون أن يعمل أكثر مما يريد، وهذه الطريقة الأمريكية في الحياة American way of life هي نمط العيش الخاص بمرحلة "ما بعد التاريخ" حسب فوكوياما<sup>(4)</sup>.

إن نهاية التاريخ التي يتحدث عنها فوكوياما لا تعني أن جديدا لن يجد كل يوم، بل تعني أن الجديد الذي سوف يجد لن يكون جديدا في القواعد وإنما فقط في الممارسة، وأن

(1) Francis Fukuyama, **The end of history and the last man**, The free press, New york, 1992, pp 23-38.

(2) لطيفة إبراهيم خضر، المرجع السابق، ص66.

(3) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أسنة الحضارة وثقافة السلام، المرجع السابق، ص47.

(4) عبد القادر رزيق المخادمي، النظام الدولي الجديد: الثابت والمتغير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2003، ص 114.

الصراع حول القواعد الأساسية، أي حول قضايا الأيديولوجيا، لم يعد مطروحا بعد سقوط الشيوعية<sup>(1)</sup>.

يعتقد فوكوياما أن الديمقراطية الليبرالية يمكن أن تكون "النقطة النهائية لتطور الأيديولوجية البشرية"، أو "الشكل النهائي لحكم البشرية"، وبالتالي فهي بشكلها هذا تعتبر نهاية للتاريخ، وفي رأيه أن أشكال الحكم السابقة عانت من نقائص وعيوب وجمود وتناقض، الأمر الذي أدى إلى سقوطها، وفي الوقت نفسه فالديمقراطية الليبرالية، من وجه نظره، خالية من تلك التناقضات الجذرية الداخلية، وهذا لا يعني أن هذه الديمقراطيات كما في الولايات المتحدة الأمريكية أو سويسرا أو فرنسا ليست فيها مشاكل حادة، ولا يعني أنه لا يوجد في هذه الدول مكان لغياب العدالة، ولكن هذه المشاكل قد نتجت بسبب عدم التجسيد الكامل لمبادئ الحرية والمساواة التي أُقيمت على أساسها الديمقراطية المعاصرة، وليست ناجمة عن نقائص في المبادئ نفسها<sup>(2)</sup>.

لقد وصف فوكوياما عصر "نهاية التاريخ" بأنه سيكون حزينا ومُملًا، فنتيجةً للتقدم العلمي والديمقراطي والرخاء الاقتصادي فإن الإنسان سيكتفي بتدبير الأمور الاقتصادية والتقنية والبيئية وبتلبية رغباته الاستهلاكية، وسيكون هذا إيذانا بنهاية الفنون والفلسفة والإنجازات الكبرى للعقل البشري، لهذا سيفقد الإنسان روح الشجاعة والإبداع والجرأة ليتحول إلى حيوان استهلاكي خالٍ من العواطف والطموح، حيث قال فوكوياما في هذا الصدد: "نهاية التاريخ ستكون مرحلة جد حزينة، فالصراع من أجل الاعتراف، والاستعداد للتضحية بالحياة من أجل قضية مجردة، والصراع الأيديولوجي العالمي الذي كان يستدعي الجرأة والشجاعة والتخيل المبدع، كل هذا سيُعوّض بالحسابات الاقتصادية وباللجوء للحلول غير المنتهية للمشاكل التقنية والاهتمامات البيئية وبإشباع المطالب المتزايدة

(1) محمد سيد أحمد، "الثقة: فضيلة اجتماعية منشئة لليسر"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع 208، جوان 1996، ص 170.

(2) ف. يرولف، "نهاية التاريخ أم البحث عن طريق جديد"، ترجمة: أشرف الصباغ، مجلة الثقافة العالمية، ع 58، نوفمبر 1997، ص 10.

المستهلكين"<sup>(1)</sup>، ثم أكمل وصفه لمرحلة نهاية التاريخ بقوله: "في حقبة ما بعد التاريخ، لن يكون ثمة شعر ولا فلسفة، فقط الوصاية الدائمة على متحف التاريخ الإنساني"<sup>(2)</sup>. إن المستقبل في رأي فوكوياما موزع بين أمريكا والمحيط الهادي، تقف الولايات المتحدة الأمريكية في طرف منه بقوتها العسكرية الهائلة وحركية مجتمعها متعدد الأعراق في وحدة محصنة ومنيعة، ويقف في الطرف الآخر اليابان الذي يُعتبر النموذج الكامل للانضباط والقدرة على العمل الجماعي بانسجام وتناسق. إن الجمع بين القوتين سوف يؤدي حتماً إلى الوصول لأقصى درجات الفعالية، إنه باختصار "نموذج المستقبل" حسب فوكوياما<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثالث: مبررات سيادة الليبرالية الغربية

من خلال ما سبق يتضح بأن فكرة "نهاية التاريخ" تتمحور حول اعتبار الحضارة الغربية آخر الحضارات البشرية وبعدها يتوقف التطور التاريخي، حيث نقطة النهاية للتطور الأيديولوجي للبشرية، وتعميم الليبرالية والديمقراطية الغربية على مستوى العالم كشكل نهائي للحكومة الإنسانية<sup>(4)</sup>.

لقد أسس فوكوياما طرحه المتعلق بسيادة الليبرالية الغربية انطلاقاً من أربع قراءات ميدانية اتخذها كمبررات لنبوءته هذه، وهي كالاتي:

**المبرر الأول:** فشل أنظمة الحكم الملكية المطلقة والديكتاتوريات العسكرية والشيوعية الشمولية في معالجة شؤون الناس وتلبية طموحاتهم الحياتية، ويتعلق الأمر بالديكتاتوريات في أمريكا الجنوبية، والأنظمة اليسارية الشمولية في الاتحاد السوفييتي

(1) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام، المرجع السابق، ص 59.

(2) راسل جاكوبي، نهاية اليوتوبيا: السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة، ترجمة: فاروق عبد القادر، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ط1، ماي 2001، ص 21.

(3) محمد العربي ولد خليفة، النظام العالمي: ماذا تغير فيه؟ وأين نحن من تحولاته؟، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1998، ص 176.

(4) لطيفة إبراهيم خضر، المرجع السابق، ص 67.

وشرق أوروبا، أما الأنظمة الأيديولوجية التي أُسِّست على منطلقات عرقية مثل النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا فقد أدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية، مما أدى إلى تصدع أفكارها وسقوطها إلى غير رجعة<sup>(1)</sup>.

ومن ثم فقد أكد فوكوياما على أن انتصار الغرب والفكرة الغربية إنما يتضح أولاً وقبل كل شيء من الإنهاك الكامل لأي بدائل منظمة قادرة على الحياة في وجه الليبرالية الغربية، حيث قال في هذا الشأن: "إن الانتصار النهائي للديمقراطية الليبرالية الغربية لا يؤدي إلى نهاية الأيديولوجيا أو إلى نقاط التقاء بين الرأسمالية والاشتراكية [...]. ولكن إلى انتصار لا شبهة فيه لليبرالية الاقتصادية والسياسية"<sup>(2)</sup>.

**المبرر الثاني:** النمو المستمر الذي حققته الديمقراطية الليبرالية في معظم أنحاء العالم، واستشهد في ذلك بالإحلال المُتَّرد للأنظمة الديمقراطية محل الأنظمة السياسية الأخرى الملكية والشيوعية والعسكرية، بدليل أن عدد الأنظمة الديمقراطية في عام 1790 كان محصوراً في ثلاث دول هي الولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا وفرنسا، وبمجيء عام 1990 بلغ تعدادها واحدا وستين نظاماً ديمقراطياً موزعاً بين دول العالم المتقدم وما عُرف بالعالم الثالث.

**المبرر الثالث:** الهجرة المتزايدة من بلدان العالم المتخلف إلى بلدان العالم الغربي الذي تسوده القيم الديمقراطية واقتصاد السوق الحر، واعتبر فوكوياما هذه الهجرة مؤشراً موضوعياً يؤكد رغبة هؤلاء المهاجرين في العيش في ظل أنظمة ديمقراطية قادرة على توفير متطلباتهم الحياتية المختلفة، على خلاف بلدانهم الأصلية العاجزة عن تحقيق ذلك<sup>(3)</sup>.

**المبرر الرابع:** يتمثل في نقد فوكوياما للبديل الإسلامي باعتباره متوقفاً، ولا يرضي إلا بعض القطاعات الأصولية التي تنتمي إلى عقيدة الإسلام، وعليه فهو بديل فاقد

(1) أحمد إبراهيم أبو شوك، "نهاية التاريخ والإنسان الأخير في الفكر الغربي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات العربية المتحدة، مجلد 19، ع 2، أكتوبر 2003، ص 78.

(2) راسل جاكوبي، المرجع السابق، ص 20.

(3) أحمد إبراهيم أبو شوك، المرجع السابق، ص 79.



لشرعية الدولية وأنه يتعارض مع مفهوم العلمانية الذي يمثل محور ارتكاز الديمقراطية الليبرالية ذات الحضور العالمي الكثيف، واستشهد في ذلك بفشل الجمهورية الإسلامية في إيران وحكومة طالبان في أفغانستان، في الاستجابة لتطلعات الجماهير العريضة وفي توفير الحياة الكريمة وتحقيق الرفاهية، حيث قال: "وبعد ثلاثة وعشرين عاما من حكم رجال الدين الأصوليين، فإن معظم الإيرانيين والشباب خاصة يفضلون العيش في مجتمع أكثر ليبرالية، ويشاركهم في نفس الشعور الأفغان الذين جربوا حكم طالبان"<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: "نهاية التاريخ" ومستقبل العالم الإسلامي

يتناول هذا المطلب كيفية تقسيم فوكوياما - من خلال طرح "نهاية التاريخ" - للعالم إلى عالمين هما عالم التاريخ وعالم ما بعد التاريخ، ثم يفصل بعد ذلك في وضع العالم الإسلامي ضمن العالم التاريخي، ليخلص في النهاية إلى محدودية نطاق الإسلام وهامشية العالم الإسلامي في مستقبل العلاقات الدولية حسب هذا الطرح.

### الفرع الأول: ثنائية عالم التاريخ وعالم ما بعد التاريخ

انطلق فوكوياما من فكرة مفادها أن العالم في المستقبل سينقسم إلى شطرين: شطر لا يزال غارقا في التاريخ سماه عالم التاريخ، وشرط قد تخطى التاريخ وسماه عالم ما بعد التاريخ.

أما عالم التاريخ الذي يُعتبر العالم الإسلامي جزءاً أساسياً منه فسيبقى فريسةً لمختلف الصراعات الدينية والقومية والأيدولوجية على الرغم مما قطعته البلاد المتخلفة فيه من أشواط في سبيل التنمية، وستضل القواعد العتيقة لسياسة القوة قائمة فيه، فبلاد مثل العراق وليبيا ستضل تهاجم جيرانها وتخوض معارك دامية، وستضل الدولة القومية هي المحور الرئيس للهوية السياسية في العالم التاريخي<sup>(2)</sup>.

(1) نفس المرجع، ص 80.

(2) Francis Fukuyama, op.cit., p276.

أما في عالم ما بعد التاريخ فسيكون الاقتصاد هو المحور الرئيس للتفاعل بين الدول، في حين تتضاءل أهمية القواعد العتيقة لسياسة القوة، وسيكون هناك تنافس كبير في المجال الاقتصادي ولكنه محدود في المجال العسكري، وسيكون عالم ما بعد التاريخ مقسما إلى دول قومية متصالحة مع الليبرالية، وفي هذه الأثناء ستكون العقلانية الاقتصادية سببا في تآكل مظاهر تقليدية عديدة للسيادة، كما ستؤدي إلى توحيد الأسواق والإنتاج<sup>(1)</sup>.

لقد اعتبر فوكوياما أن الخط الفاصل بين عالم التاريخ وعالم ما بعد التاريخ يتغير بسرعة، وأنه من الصعب تحديده، ومن جملة الأمثلة التي سردها في هذا السياق أن الدول الأكبر في أمريكا اللاتينية وهي المكسيك والبرازيل والأرجنتين ستنتقل من عالم التاريخ إلى عالم ما بعد التاريخ، وذلك لكونها وثيقة الارتباط بالديمقراطيات الصناعية الأخرى بفضل الاعتماد المتبادل في المجال الاقتصادي<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: وضع العالم الإسلامي ضمن "العالم التاريخي"

يتموقع العالم الإسلامي مع باقي الدول المتخلفة حسب التقسيم السابق الذكر في إطار العالم التاريخي، حيث يرى فوكوياما أن عالم التاريخ وعالم ما بعد التاريخ سيقومان جنبا إلى جنب، ولكنهما منفصلان في وجوه عديدة، ولن يكون بينهما تفاعل إلا في حدود ضيقة، غير أنه ستكون ثمة عدة محاور تشكل موضوع اصطدام بين العالمين المذكورين، تتمثل فيما يلي:<sup>(3)</sup>

**المحور الأول:** يتمثل في النفط الذي لا يزال إنتاجه مركزا في العالم التاريخي وخاصة بلدان العالم الإسلامي، وهو في نفس الوقت مادة حيوية بالنسبة للرخاء الاقتصادي لعالم ما بعد التاريخ، لدرجة أن اضطراب سوقه أو أسعاره سيؤدي إلى عواقب

(1) Ibid., p276.

(2) Ibid., p277.

(3) Ibid., p277.

اقتصادية مدمرة بالنسبة لعالم ما بعد التاريخ، مثلما حدث في الحظر النفطي العربي عام 1973.

**المحور الثاني:** يتمثل في الهجرة وهي أقل وضوحاً من النفط، غير أنها قد تصبح على المدى الطويل سبباً لمتاعب أكبر، فهناك أعداد متزايدة من أناس من دول فقيرة غير مستقرة تتدفق على الدول الغنية الآمنة، وهو ما أثر في أغلب دول العالم المتقدم، ويمكن لهذه الظاهرة المتزايدة أن تتصاعد فجأةً بسبب الاضطرابات السياسية في العالم التاريخي، وسيضمن هذا التدفق استمرار اهتمام دول ما بعد التاريخ بالعالم التاريخي.

وقد أكد فوكوياما أنه من الصعب جداً على دول ما بعد التاريخ الحيلولة دون هذه الهجرة، وذلك لسببين: (1)

السبب الأول هو أن دول ما بعد التاريخ تجد صعوبة في صياغة مبدأ عادل يقضي باستبعاد الأجانب دون أن يبدو هذا المبدأ عنصرياً أو قومياً، وهو ما سيخرق المبادئ العامة للحقوق التي التزمت بها الديمقراطية الليبرالية.

السبب الثاني هو العامل الاقتصادي الذي يمثل أهم دافع وراء الهجرة، نظراً إلى أن كل الدول المتقدمة تقريباً تعاني نقصاً في أنواع معينة من العمالة غير الماهرة أو شبه الماهرة والتي تتوفر بشكل ملحوظ في العالم المتخلف.

**المحور الثالث:** يتعلق بمسائل خاصة بالنظام العالمي، حيث أنه وبغض النظر عما تشكّله دول تاريخية معينة من خطر على جيرانها، سيكون لدول كثيرة من دول ما بعد التاريخ المصلحة في منع انتشار وانتقال تكنولوجيات معينة مثل ما يتعلق بالأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية إلى العالم التاريخي، لأن هذا الأخير يُعتبر أكثر عرضةً لحدوث الصراعات والعنف فيه (2).

وفيما يتعلق بطبيعة المشاكل الدولية مستقبلاً فإنها ستكون، حسب فوكوياما، على شكلين هما: المشاكل الخاصة بعالم التاريخ والمشاكل الخاصة بعالم ما بعد التاريخ.

(1) Ibid., pp 277- 278.

(2) Ibid., p278.

1- المشاكل الخاصة بعالم التاريخ: تتمثل في المشاكل العرقية والقومية والدينية وغيرها والتي ستبقى موجودة فقط في البلدان التي تعيش مرحلة "التاريخ الراهن" ومنها بلدان العالم الإسلامي، أما البلدان الديمقراطية الليبرالية فقد تجاوزت تلك الانقسامات إلى مرحلة "ما بعد التاريخ الراهن"، ومن ثم فإنه يسهل تقسيم العالم إلى قوى بشرية تتاضل داخل تاريخها، في حين أن التاريخ الحقيقي قد تجاوز ذلك إلى مرحلة الديمقراطيات الليبرالية، أي إلى نهاية التاريخ.

إن مأساة بلدان العالم التاريخي، ومنها العالم الإسلامي، أنها ستستمر في صراعاتها طويلاً، فهذه البلدان تعاني من مشاكل غير قابلة للحل لا بالعنف ولا بالسلم، سبب ذلك أنه من جهة يقودها العنف إلى تدميرها من الداخل، ومن جهة أخرى فالديمقراطية في هذه البلدان هشة للغاية لأنها غير محمية من قوى ومؤسسات تحترم الديمقراطية كقيمة مطلقة بحد ذاتها، كما تفعل القوى والمؤسسات في البلدان الديمقراطية.

2- المشاكل الخاصة بعالم ما بعد التاريخ: وهي مشاكل حادة وخاصة ببلدان الديمقراطيات الليبرالية، مثل البطالة والتمييز العنصري والكساد وأزمات السكن والعمل وتفشي المخدرات.. وغيرها، وللإشارة فإن هذه المشاكل قد وصفها فوكوياما بأنها عَرَضِيَّة وبأن الديمقراطيات الليبرالية ستنتصر في النهاية<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: العالم الإسلامي.. حدود جاذبية الإسلام

رغم رفض فوكوياما للدين واعتباره العلمانية والليبرالية الغربية السبيل الوحيد للتحرر من الدين وقيوده<sup>(2)</sup>، إلا أنه اعترف بأن الإسلام يشكل أيديولوجيا منسقة و متماسكة شأن الليبرالية والشيعوية، وأن له معايير الأخلاقية الخاصة به ونظريته المتصلة بالعدالة السياسية والاجتماعية، وأن له جاذبية يمكن أن تكون عالمية، وقد تمكَّن فعلاً من الانتصار على الديمقراطية الليبرالية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي، وشكَّل بذلك خطراً كبيراً

(1) سالم لبيض، المرجع السابق، ص 33.

(2) لطيفة إبراهيم خضر، المرجع السابق، ص 67.

على الممارسات الليبرالية حتى في الدول التي لم يصل فيها الإسلام إلى السلطة السياسية بصورة مباشرة، إلا أنه على الرغم من القوة التي أبقاها الإسلام في صحوته فإنه يمكن القول، حسب فوكوياما، أن هذا الدين لا يكاد يكون له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة، حيث اعتقد أن زمن المزيد من التوسع الحضاري الإسلامي قد ولى، وإن كان بوسع الإسلام أن يكسب من جديد ولاء المرتدين عنه فهو لن يؤثر في قلوب شباب برلين أو طوكيو أو موسكو، وبالرغم من أن نحو مليار نسمة أي خمس تعداد سكان العالم يدينون بالإسلام إلا أنهم لا يستطيعون تحدي الديمقراطية الليبرالية في أرضها على المستوى الفكري. ومن ثم فإن العالم الإسلامي، حسب فوكوياما، أشد عرضة للتأثر بالأفكار الليبرالية على المدى الطويل من احتمال أن يحدث العكس<sup>(1)</sup>.

إن المتمعن في موقف فوكوياما من الإسلام يجد فيه نوعاً من التناقض فهو من جهة يعتبر أن للإسلام جاذبية محدودة على سلالة وأمة واحدة ومن ثم لا يمكن له تعبئة غير المسلمين، وأنه غير قادر أن يولد حركة ذات أهمية ومعنى كوني<sup>(2)</sup>، ومن جهة أخرى يقر بأن الإسلام كدين والعرب كشعب هما العدو التقليدي للغرب والمذهب الحر، حيث حذر الغرب من خطر الاسترخاء والخلود للراحة بعد زوال الخطر الشيوعي، لأن ذلك سيولد نوعاً من الفراغ الذي يمكن أن يملأه بديل آخر، فإذا ما أُريد للتاريخ أن يظل فاعلاً حركياً دون فراغ فليحذر الغرب هذا البديل، أي الإسلام والمسلمين، ذلك أن التاريخ كالتبيعة يقتله الفراغ، والإسلام في نظره هو العدو الذي سيثقل ويعطل النهاية الحتمية للتاريخ المتمثلة في بداية ما بعد التاريخ<sup>(3)</sup>.

(1) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر، ط1، 1993، ص 56.

(2) عبد القادر رزيق المخادمي، النظام الدولي الجديد: الثابت والمتغير، المرجع السابق، ص 114.

(3) نعمان عبد الرزاق السامرائي، "نهاية التاريخ من هيجل إلى فوكوياما"، مجلة الفيصل، ع 243، فيفري 1997، ص 109.

وعلى إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ازداد إصرار فوكوياما على اعتبار الإسلام المنظومة الثقافية الوحيدة التي تعادي الحداثة والقيم الليبرالية، حيث قال في هذا الإطار: "يبدو أنه يوجد في الإسلام أو على الأقل في الإسلام الأصولي شيء ما يجعل المجتمعات الإسلامية معادية للحداثة، فمن بين جميع الأنظمة الثقافية المعاصرة يحتوي العالم الإسلامي على أقل عدد من الديمقراطيات، ولا يحتوي على أية أمة استطاعت الانتقال من وضع دول العالم الثالث إلى العالم المتقدم"<sup>(1)</sup>، إذ اعتبر أن الصراع بين الإسلام والحداثة هو صراع يتجذر في أيديولوجية "الحركات الإسلامية الأصولية الحديثة" التي ترفض المؤسسات الغربية ومبادئ الحداثة القائمة على التسامح الديني والعلمانية. ويعزو ظهور هذا التوجه الراديكالي المعادي للغرب إلى عدة بواعث يمكن إجمالها فيما يلي:

- التحول الاجتماعي والديموغرافي الذي شهده العالم الإسلامي.

- حالة الفقر المدقع والركود الاقتصادي.

- الأنظمة الديكتاتورية التي تعاني منها معظم المجتمعات الإسلامية<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثالث: مدى مصداقية "نهاية التاريخ"

يتناول هذا المطلب نقدا لفكرة نهاية التاريخ المتضمنة لنبوءة سيادة الليبرالية الغربية كآخر نظام تشهد البشرية، وذلك بالتطرق إلى علاقة هذه الفكرة بالغرور الغربي، واعتبارها بمثابة ترجمة للإستراتيجية الغربية تجاه الآخر، ومحاولة مقابلتها بتوجه آخر في الدراسات المستقبلية تحدث عن سقوط الغرب على عكس ما ذهب إليه فوكوياما.

(1) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام، المرجع السابق، ص ص 52-53.

(2) أحمد إبراهيم أبو شوك، المرجع السابق، ص 83.

## الفرع الأول: "نهاية التاريخ" والغرور الغربي

إن خطاب النهاية هو خطاب انتصاري يحمل في ثناياه روحا رسالية متعجرفة، ففوكوياما قد أغرته بعض الوقائع الدولية وخاصة منها نهاية الحرب الباردة بسقوط المعسكر الاشتراكي، وجعلته يعتقد أن "أنا التاريخ" التي مركزها أوروبا وأمريكا قد حققت ذاتها وإشباعها، وبالتالي على باقي العوالم أن تلهث وتسرع لتلتحق بالتاريخ الكوني<sup>(1)</sup>، وهكذا أفصح طرح فوكوياما عن الغرور والاستعلاء والخطرسة من جانب الغرب تجاه الآخر، وخصوصا الإسلام والعالم الإسلامي، كما أنها عكست الخوف من الإسلام والتأمر عليه ومحاصرته وضرب قيمه في إطار ما يسمى بالإسلاموفوبيا<sup>(2)</sup>.

كما أن محاولة فوكوياما إيصال جميع العمليات المعقدة والمتباينة في العالم إلى طريق واحد وهو الديمقراطية الليبرالية يمكن تفسيرها جيدا من موقع الجدوى السياسية، فهي في الكثير من جوانبها مرتبطة بالسعي لتبرير وتمجيد منظومة القيم الأيديولوجية المتعلقة بالغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وفي هذا الإطار تبدو هذه المحاولة طبيعية تماما على اعتبار أنها استمرار وتطوير في المضمون السياسي المعاصر للأفكار المرتبطة بالدور الخاص بأمريكا، تلك الأفكار التي كانت وستظل الجزء المهم لوعيها السياسي والاجتماعي على امتداد كل تاريخ أمريكا المستقلة<sup>(3)</sup>.

إن فكرة القيادة الأيديولوجية لدولة واحدة لم تكن لتستدعي المعارضة لو أنها لم تعط لنفسها، وللدول الأخرى معها، الحق في فكرة أنه لا يوجد لدى البشرية اختيار آخر سوى السير في طريق واحد فقط، وهو الطريق الذي رسمه الغرب وأمريكا، فتطور البشرية في نهاية القرن العشرين أكد على أن شعوب العالم تقدر أصالتها وثقافتها وقيمها الروحية. إن العالم يستطيع، بل ويجب، أن يكون واحدا غير مجزأ، ولكن لا يجب ولن

(1) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام، المرجع السابق، ص 60.

(2) لطيفة إبراهيم خضر، المرجع السابق، ص 68.

(3) ف. يرولف، المرجع السابق، ص 18.

يكون نموذجاً واحداً، وإلا فسوف يكف عن كونه عالماً لأناس مختلفين ومتوعين حيث كل شعب وكل إنسان فريد وغير متكرر. ومن ثم يمكن القول أن الدول الأخرى غير الغربية تبقى الجزء المبعّد من مركز اهتمام العلماء والسياسة الغربيين، رغم أن هذا "الجزء المبعّد" واسع لدرجة كبيرة يصعب معها إهماله أو الاستخفاف به، إذ أن الحديث يدور حول أكثر من مائة دولة يعيش فيها أكثر من ثلثي سكان العالم، والكثير منها كالهند والصين ودول العالم الإسلامي تمتلك ثقافة وتقاليد تعود لآلاف السنين، كما أن عدداً من هذه الدول قد بلغ نجاحات ضخمة خلال سنوات التطور لمرحلة ما بعد الاستعمار، ومن ثم فإن محاولة جعلها جميعاً على شكل نموذج واحد ليس فقط مستحيلاً وإنما أيضاً ليس ضرورياً، إن ذلك يعني فقدان أصالة وخصوصية العديد من الشعوب المختلفة<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: "نهاية التاريخ" والإستراتيجية الغربية تجاه الآخر

تمثل مقولة أو طرح "نهاية التاريخ" التوجه المعلن لإستراتيجية القوى الغربية في التعامل مع الآخر، أي العالم المتخلف عامة والعالم الإسلامي خاصة، إنها نظرية القوة والهيمنة المفصوحة التي تنفي الآخر ولا تعترف بوجوده، وهي بالتالي الحلقة الأكثر وحشية في تطور الاستشراق والمركزية الغربية التي لا تريد فقط إعدام تاريخ الآخر بل إعدام الآخر نفسه<sup>(2)</sup>.

لقد نشرت جريدة Libération الفرنسية عرضاً لكتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" ختمته بالقول: "إذا أردنا أن نكون صرحاء، فإننا نلاحظ أن فوكوياما هو هيجل ناقص الديالكتيك زائد ملاحظات وزارة الخارجية الأمريكية"<sup>(3)</sup>.

كذلك يُحسب على فوكوياما اعتباره الأصولية الإسلامية كأحد فروع الفاشية التي قامت في أوروبا، والتي أدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية بعد سيطرة الفاشية في

(1) نفس المرجع، ص 19.

(2) سالم لبيض، المرجع السابق، ص 33.

(3) محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 144.



إيطاليا والنازية في ألمانيا وسعيهما للسيطرة على العالم، حيث أنه لم يفسر حكمه هذا خاصة وأن الفاشية والنازية انبعثتا من أيديولوجيا واحدة هي الرأسمالية الصناعية<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: "نهاية التاريخ" في مواجهة "أفول الغرب"

لقد تسرّع فوكوياما في إعطاء أحكام جازمة حول نهاية التاريخ، وحول كمال النموذج الليبرالي الغربي، حيث أن المتصفح لبعض الأدبيات غير الغربية، بل وحتى الغربية منها، سواء السابقة أو اللاحقة عن مقولة نهاية التاريخ، يجد أن الكثير منها تنبأ بأفول وانهارها الحضارة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وكلّ منها يُرجع ذلك لعامل من العوامل سواء كان اقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا أو أخلاقيا أو كلها مجتمعة، وهو ما سيتم التفصيل فيها لاحقا<sup>(\*)</sup>.

إن المتتبع لبعض كتابات فوكوياما الصادرة بعد كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" يجد تغيرا في أفكاره، بل وإعادة نظر فيها، فبعد أن حاول أن يقدم النموذج الأمريكي باعتباره النموذج الأمثل والأكثر تفوقا وتقدما في العالم، عاد مرة أخرى في كتابه "الثقة: الفضيلة الاجتماعية وصنع الازدهار" Trust: the social virtue and the creation of prosperity الصادر سنة 1995 لكي يعيد النظر في هذا النموذج، ويوجه له النقد بالحديث عن ثغراته من داخل كيانه الذاتي، حيث انتقد في هذا الكتاب الإفراط في الحقوق الفردية وتأثيرها السلبي على الحياة الاجتماعية في داخل المجتمع الأمريكي، وإمكانية أن تتأثر أمريكا عالميا بسبب استنفاد ما سمّاه فوكوياما بـ: "رأس المال الاجتماعي" والذي عرفه بأنه: "المقدرة على العمل سوية في روح تعاونية وفي شكل جماعات منظمة"، فقد كان يرى أن هذه المكانة قد تعرضت للاهتزاز والانتقادات الشديدة عند كثير من مجتمعات شرق آسيا، بعد أن لاقى النموذج الأمريكي إعجابا عند تلك

(1) محمد الرمحي، سقوط الأوهام: العروبة بعد غزو العراق للكويت، المرجع السابق، ص 204.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر "الغرب واحتمال السقوط" في المطلب الأول من المبحث الثاني في هذا الفصل.

المجتمعات إلى درجة أن أهلها كانوا يتمنون أن تصبح مجتمعاتهم في يوم من الأيام نسخة أخرى أو جزءاً من هذا النموذج<sup>(1)</sup>.

وكمقارنة بين مقولة "نهاية التاريخ" ومقولة "صدام الحضارات" التي سبق تحليلها يمكن القول أنهما تشتركان في كونهما محاولة لسد الفراغ التنظيري الناتج عن نهاية الحرب الباردة بسقوط الاتحاد السوفييتي، في حين أنهما تختلفان في كون الأولى انطلقت من نفي الآخر الحضاري خلافاً للثانية التي تتضمن اعترافاً بحضارات غير غربية وعلى رأسها الحضارة الإسلامية.

### المبحث الثاني: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "سقوط الغرب"

يتناول هذا المبحث الاحتمال الأخير لما يمكن أن يكون عليه العالم الإسلامي والغرب مستقبلاً، وذلك في إطار مقولة "سقوط الغرب" التي تستلزم وجود قوى دولية يمكن لها أن تملأ الفراغ الذي سينشأ عن سقوط القوة المهيمنة الراهنة، الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم وجب التعرض إلى بعض الدراسات المستقبلية الغربية والإسلامية المتناولة بشكل مباشر أو غير مباشر لسقوط الغرب ومنه الانهيار الأمريكي، باعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية هي طليعة الغرب، ثم الإشارة إلى القوى المرشحة لاستخلاف القيادة الأمريكية، وأخيراً التعرض لاحتمال صعود العالم الإسلامي كقوة بديلة أو مرشحة لمنافسة القطب المركزي الراهن، ومن ثم استخلافه .

### المطلب الأول: الغرب واحتمال السقوط

كان المؤرخ الفرنسي "أليكسيس دي توكفيل" Alexis de Tocqueville قد تنبأ سنة 1835 بأفول معظم القوى العظمى وبزوغ نجم كل من أمريكا وروسيا، وهو ما أثار تهكم وسخرية الكثير من معاصريه الذين وصفوا فكرته بأنها "نبوءة مجنون"، باعتبار أن المناخ العام والواقع السياسي آنذاك لا يشجعان على تصديق هذا الطرح، رغم أن هذا المؤرخ لم ينطلق في طرحه من فراغ بل ربط آراءه بأهمية الأثر الجغرافي في صنع

(1) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص 125.

حضارة الأمم<sup>(1)</sup>. وبعد أزيد من قرن من الزمن ها هي نبوءة "أليكسيس" تتحقق في ما يسمى بالحرب الباردة بين القطب الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والقطب الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفييتي، ثم مرة أخرى بعد انهيار هذا الأخير ونهاية الحرب الباردة بتزعم الولايات المتحدة الأمريكية للعالم في ظل النظام الدولي الجديد، لدرجة أن أصبح البعض يسمي العولمة بالأمركة تأثراً بالقوة الأمريكية في جميع الميادين.

لقد ظهر الكثير من أمثال "أليكسيس" لكن هذه المرة تتمحور نبوءتهم حول سقوط الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، ومن بين هؤلاء الفيلسوف الياباني "تاكيشي أومي هارا" Takeshi Ohmihara الذي اعتبر أن الإخفاق التام للماركسية والتفكك المأساوي للإتحاد السوفييتي ليسا سوى نذير بسقوط الليبرالية الغربية، التي تعتبر تيار التحديث الرئيس في عالم ما بعد الحرب الباردة. وبعيدا عن كونها البديل للماركسية، والأيدولوجية الحاكمة في نهاية التاريخ، ستكون الليبرالية هي حجر الدومينو الذي عليه الدور في السقوط<sup>(2)</sup>.

تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة بتفوق لم تصل إليه أعظم الإمبراطوريات منذ فجر التاريخ، فهي تمارس سيطرة لا نظير لها على كل أنحاء العالم، وتتوسط في الاضطرابات الرئيسية، إلى الحد الذي جعلها جزءاً لا يتجزأ من عملية السلام على المستوى العالمي، وتنتشر القوات الأمريكية حول العالم، وتكاد تتحول القواعد المتعلقة بالتدخل الأمريكي باسم حفظ السلام إلى التزامات عسكرية دائمة، كما تعتبر الولايات المتحدة نفسها مصدر المؤسسات الديمقراطية في العالم والضامن لها، وتسيطر على النظام المالي العالمي بتوفير أكبر مجمع لرأس المال الاستثماري، والملاذ الأكثر جاذبية للمستثمرين، وأوسع سوق للصادرات الأجنبية، كما تحدّد الثقافة الشعبية

(1) رشدي شحاتة أبو زيد، المرجع السابق، ص 85.

(2) صامويل هنتنغتن، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، المرجع السابق، ص 495.

الأمريكية معايير الذوق في كل أنحاء العالم ..<sup>(1)</sup>. إلا أنه ومع كل ذلك لا يمكن إنكار وجود تيار يرى - على عكس ما ذهب إليه فوكوياما من حتمية الزعامة الأمريكية للعالم - بروز مظاهر أو بوادر لما يمكن تسميته بالانهيار أو السقوط الأمريكي، ويشمل دراسات لعدد من المفكرين المسلمين والغربيين، أمثال: مالك بن نبي وأوزوالد شبنجلر Oswald Spengler وروجي غارودي Roger Garaudy وهاري إي فيجي Harry E.Figgie وجاك أتالي Attali Jacques وزبيغنيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski ونعوم تشومسكي Noam Chomsky وبول كيندي Paul Kennedy وموريس بيرمان Morris Berman وتاكيشي أومي هارا Takeshi Ohmihara وغيرهم. فكل من هؤلاء تناول الانهيار الغربي أو الأمريكي من زاوية معينة بحسب الأسباب القائمة وراءه من وجهة نظره. من هنا يمكن سرد أهم الأسباب والعوامل الكامنة وراء احتمال سقوط الغرب عموماً وأمريكا على وجه الخصوص في ثلاثة فروع كما يلي: محدودية الدورة الحياتية للحضارة، والاختلال بين الفكرة والمادة، والولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط.

### الفرع الأول: محدودية الدورة الحياتية للحضارة

قبل الحديث عن آراء المفكرين التي تتمحور حول فكرة محدودية الدورة الحياتية للحضارة لا بد من الإشارة إلى أن القرآن الكريم كان سبقاً إلى طرح هذه الفكرة، وذلك من خلال قول الله تعالى: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }<sup>(2)</sup>، تتحدث هذه الآية عن أعمار الأمم وأجالها، فإذا ما انتهى عمر أمة وجاء أجلها انتهت وزالت. فالله سبحانه وتعالى يُوجدُ الأُمَّةَ، ويمكِّنُ لها في الأرض، ويحدِّد لها عمرها، ويقدرُ زمنًا معيَّنًا لقوتها وسلطانها، فإذا جاء أجل الأُمَّة أوقع الله بها أمره وقضى

(1) هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟: نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص ص 7-8.  
(2) سورة الأعراف - الآية 34.

عليها، وذلك إما بتدميرها وإهلاكها أو بإضعافها وإزالة نفوذها وتقلص سلطانها<sup>(1)</sup>، وما تاريخ الأمم والإمبراطوريات القديمة والحديثة إلا نماذج تؤكد ذلك.

من بين أهم المفكرين الذين تناولوا انهيار الحضارة الغربية بحجة أن للحضارة دورة حياتية كما هو الحال بالنسبة للكائنات الحية، "أوزوالد شبنجلر" Oswald Spengler و"مالك بن نبي" ومن قبلهما ابن خلدون.

حاول "أوزوالد شبنجلر" Oswald Spengler في كتابه "أفول الغرب" The decline of the west أن يناقش مسألة انتظام الثقافات والحضارات الإنسانية، وأن يحدد مراحل التغير التي تمر بها من حال إلى حال، حيث قرر أنه ليس هناك تاريخ واحد ينظم الجنس البشري، ومن ثم فإن التقسيم التقليدي لتاريخ الإنسانية إلى تاريخ قديم ووسيط وحديث هو تقسيم تعسفي وعقيم وغير منهجي، ذلك أنه يضع الحقائق في غير موضعها، ويجعل من تواريخ حضارات وثقافات إنسانية عريقة مجرد توابع تدور في فلك الحضارة الغربية<sup>(2)</sup>.

فالدلالة التاريخية الكبرى عند شبنجلر تكمن في تواريخ هذه الثقافات التي تتميز الواحدة منها بخصائص وسمات وأسلوب حياة تختلف عن سائر الثقافات والحضارات الأخرى، ما يعني أن كل حضارة تمثل في ذاتها تاريخاً مستقلاً لا يتأثر أبداً بتاريخ حضارة أخرى، ومن ثم فإن القول بوجود تاريخ واحد للجنس البشري ينطوي على وجود ثقافة أو حضارة إنسانية ما أن تشيخ وتقنى حتى يفنى معها الجنس البشري كله وهو ما يتنافى مع الواقع والمنطق.

تمر الحضارة الواحدة، حسب شبنجلر، بثلاثة مراحل تبدأ بالنشأة والتكوين، ثم النضج والاكتمال، وتنتهي بالشيخوخة والانحلال حتى الموت والفناء ولن تعود للحياة أبداً. إن التاريخ بهذا المعنى يكمن في تواريخ كل من هذه الثقافات، ذلك أن الثقافة الواحدة

(1) صلاح عبد الفتاح الخالدي، وعود القرآن بالتمكين للإسلام، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 2009، ص 78.

(2) مصطفى النشار، فلسفة التاريخ، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص 66.

كائن حيّ، له طريقه واتجاهه الذي لا يمكن أن يحيد عنه، والذي ينتهي إلى الشيخوخة ثم الفناء، وهو في ذلك مطابق لما قال به ابن خلدون الذي قدم رؤية كلية لتفسير نشوء الدول والحضارات وانهيارها في كتابه "المقدمة"، إذ اعتبر أن الدول والحضارات لها عمر أشبه ما تكون بعمر الكائن الحي الذي يولد وينمو ثم يتجه نحو الهرم والفناء<sup>(1)</sup>.

وحسب رأي شبنجلر فإن الحضارة الغربية رغم كل إنجازاتها التي حققتها وتقدمها العلمي والتكنولوجي والصناعي فإنها تسير نحو الركود والجمود، بعد أن أخذت تفقد مقومات حيويتها ونشاطها وقدرتها على الخلق والإبداع اللازم لاستمرارها، الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى اندثارها وفنائها. لقد وصف شبنجلر المرحلة الأخيرة من الحضارة بالجمود في كل مجالات الحياة، فيفقد الناس وعيهم بالتاريخ، وتنتشر الفوضى الفكرية، ويختفي الفن الحقيقي، وتسود التسلية الرخيصة، فلا يبقى في تفكير الناس سوى الخبز واللعب على حد تعبيره<sup>(2)</sup>.

كما وصف شبنجلر سقوط الغرب بقوله: "إن انحطاط الغرب، الذي قد يبدو للوهلة الأولى أنه انحطاط مشابه لانحطاط الثقافة الكلاسيكية، هو ظاهرة محدودة في الزمان والمكان، وإنما نلاحظ الآن أن المشكلة، عندما نعي خطورتها وعيا كاملا، تصبح مشكلة فلسفية تشمل بداخلها كل قضية من قضايا الوجود العظمى"<sup>(3)</sup>.

تنفق هذه النتيجة التي توصل إليها شبنجلر مع آرائه في تغير الثقافات والحضارات، حيث اعتقد أن عمر الثقافة الواحدة يصل إلى حوالي الألف عام، وأن الحضارة الغربية التي بدأت حسب رأيه حوالي عام 900م تعيش مرحلة احتضارها، حيث

(1) نفس المرجع، ص 66.

(2) حامد عبد الصمد، سقوط العالم الإسلامي: نظرة في مستقبل أمة تحتضر، دار ميريت للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص4.

(3) Oswald Spengler, *The decline of the west : form and actuality*, Translated by Charles Francis Atkinson, Ruskin hous, london, 1927. p3.

تشهد حالة من التدهور والجمود التي سوف تنتهي باندثارها وفنائها<sup>(1)</sup>، وانتقال دورها إلى آسيا التي تدل كل الشواهد على أن حضارة الجنس الأصفر سوف تأخذ مكانها، تماماً مثلما حدث عندما انتقل هذا الدور من اليونان إلى الرومان<sup>(2)</sup>.

أما بالنسبة لمالك بن نبي فقد فسّر الدورة التاريخية للحضارة بقوله: "أن حضارة تقع بين حدّين اثنتين: الميلاد والأفول [...]"، والمنحنى البياني يبدأ بالضرورة من النقطة الأولى في خط صاعد ليصل إلى النقطة الثانية في خط نازل [...]"، فطور الأفول النازل هو عكس طور النهضة الصاعدة، وبين الطورين يوجد بالضرورة اكتمال معين هو: طور انتشار الحضارة وتوسعها"<sup>(3)</sup>.

لقد أكد ابن نبي أن كل مجتمع من المجتمعات، قديم أو معاصر، لا يمكنه أن يحتل في لحظة تاريخية ما إلا إحدى المراحل التاريخية التالية: مرحلة المجتمع قبل التحضر، مرحلة المجتمع المتحضر، ومرحلة المجتمع بعد التحضر. كما عاب على المؤرخين تمييزهم المركز بين الوضع الأول والثاني، وعدم اهتمامهم بالتمييز بين هذين الوضعين والوضع الثالث، فهم يرون أن مجتمع ما بعد التحضر هو بكل بساطة مجتمع يواصل سيره على طريق الحضارة، رغم أنه في الواقع مجتمع يتقهقر إلى الوراء بعد أن هجر درب حضارته وقطع صلته بها<sup>(4)</sup>.

(1) موسى راغب، "هل سقطت نظرية شبنجر حول انهيار الحضارة الغربية وتبوء حضارة التين الأصفر محلها؟"، تاريخ التصفح: يوم 2014/05/27، من موقع الإنترنت:

<http://m.moheet.com/2012/05/19/1621129/-html#.WDo5UBJ77Mz>

(2) حامد عبد الصمد، المرجع السابق، ص 4.

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 66.

(4) نذير طيار، "سقوط الحضارة الأمريكية بين بن نبي ورجاء غارودي"، جريدة الشروق اليومي، ع 351، 30 ديسمبر 2001، ص 10.

## الفرع الثاني: الاختلال بين الفكرة والمادة

كثيرا ما انتقدت الحضارة الغربية في إفراطها في المادية، حيث أن الغرب قد اختل توازنه، فنما عمله ونمت صناعاته ونما علمه ونمت كل مرافق الحياة، ولكن لم ينم قلبه<sup>(1)</sup>.

قال وزير الخارجية الأمريكية الأسبق فوستر دالاس John Foster Dulles في كتابه "حرب أم سلام": "إن هناك شيئا ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج، وفي هذه الحالة النفسية [...] إن ذلك أمر جديد في تاريخنا، إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية، إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي، فبدونه يكون كل ما لدينا قليل"<sup>(2)</sup>.

يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى أهم طرحين ناقشا فكرة سقوط الحضارة الغربية من منطلق عدم التوازن بين الفكرة والمادة وهما لمالك بن نبي وروجي غارودي، كما يمكن إضافة رأي جاك أتالي Jacques Attali<sup>(\*)</sup> الذي يرجع سقوط الغرب إلى التناقض بين الشق السياسي والشق الاقتصادي للإمبريالية الغربية.

انطلق مالك بن نبي من تعريف الحضارة على أنها "نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ"، ويبنى هذا المجتمع نظامه الفكري طبقاً للنموذج الأصلي لحضارته، إنه يتجذر في محيط ثقافي أصلي يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى<sup>(3)</sup>.

ثم حدد ابن نبي عناصر الحضارة تحديداً وظيفياً من خلال تفاعل ثلاثة عناصر هي الإنسان والتراب والوقت فيما بينها تفاعلاً وظيفياً يولد لنا مركباً يُحدّد بالعامل

(1) أحمد أمين، الشرق والغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1955، ص141.

(2) عبد القادر طاش، أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، ص40 - 41.

(\*) عالم اقتصاد ومفكر فرنسي، عمل مستشاراً للرئيس الفرنسي الأسبق فرنسوا ميتران من 1981 إلى 1991.

(3) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص41.



الديني<sup>(1)</sup>، فالتراب هو عماد حياة الإنسان المادية لأنه يعيش على ثمراته في أي ظرف كان، والوقت رهن مشيئته لا ينازعه فيه أحد، ولديه من العبقرية ما يعينه على التصرف فيهما، فهو على هذا يتصرف تصرفاً تاماً في الشروط الضرورية التي تتيح له أن يحصل على وسائل أقوى، ومعنى هذا أنه يستطيع أن يحوّل وسائله البدائية إلى وسائل أكمل كلما قدر على تغيير نفسه ووعى حقيقة إنسانيته وما تقتضيه من مسؤوليات<sup>(2)</sup>.

أما بخصوص صناعة التاريخ، حسب رأي ابن نبي، فإنها تتم تبعاً لتأثير ثلاثة عوالم هي عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، وهي لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج أيديولوجية من "عالم الأفكار"، يتم تنفيذها بوسائل من "عالم الأشياء"، من أجل غاية يحددها "عالم الأشخاص"، فإذا كانت وحدة هذا العمل التاريخي تعد ضرورية فإن توافق هذه الوحدة مع الغاية منها - وهي التي تتجسد في صورة "حضارة" - يعد ضرورة أيضاً، وهذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود "عالم رابع" هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية أو ما يطلق عليها اسم "شبكة العلاقات الاجتماعية"<sup>(3)</sup>.

إن ما يجمع مجتمع ما قبل التحضر ومجتمع ما بعد التحضر، حسب ابن نبي، هو محورهما حول الأشياء لا الأفكار، فإذا كان عالم الأشياء في المجتمع الأول شديد الفقر فإنه في المجتمع الثاني شديد الثراء، ولكنها أشياء خادمة وخالية الفعالية الاجتماعية، وهكذا فإن الحضارة تسير بالمجتمع قوة وضعفاً، وصعوداً وهبوطاً، تبعاً لدرجة تمحوره حول الأفكار أو حول الأشياء المحيطة به، فذروة الحضارة تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية بطريقة مباشرة أو بواسطة بديلاتها اللا دينية نفسها، كما أنها تنتهي حين تفقد الروح الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة، ومن هنا يبدو أن مشكلة الحضارة في

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 57 - 58.

(2) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 98.

(3) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، المرجع السابق، ص 23 - 24.

العصر الحاضر لا تخص الشعوب الإسلامية فقط، بل إنها تخص أيضا الشعوب المتقدمة نفسها التي أصبحت مهددة بالفناء (1).

إن الفكر الغربي، حسب ابن نبي، يجنح أساسا إلى الدوران حول مفهوم الوزن والكم، وهو عندما ينحرف نحو المغالاة يصل حتما إلى المادية في شكلها البرجوازي للمجتمع الرأسمالي والاشتراكي للمجتمع السوفييتي. أما الفكر الإسلامي بعد دخول المجتمع في مرحلة ما بعد الحضارة، فإن المغالاة تدفعه إلى التصوف المبهم وعدم الدقة والتقليد الأعمى والافتتان بأشياء الغرب. وعلق مالك بن نبي على هذه المقارنة قائلا: "تلكم هي الحضارة في أحيانها وتقلباتها، تكون في الأوج حضارة تتركز فيها الأشياء حول فكرة حيناً، وحيناً تبلغ الأوج حضارة أخرى تتركز فيها الأفكار حول الأشياء [...] وما كان لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التعادل بين الكم والكيف، بين الروح والمادة، بين الغاية والسبب، وحين يختل هذا التعادل في جانب أو في آخر تكون السقطة رهيبية قاصمة". واعتبر أن الحضارة الإسلامية قد فقدت تعادلها يوم فاتها أن ترعى سلامة هذه العلاقة بين الكم والكيف، وها نحن اليوم - كما قال - نشهد تجربة أخرى تنتهي إلى اختلال آخر، فالحضارة الغربية التي فقدت معنى الروح تجد نفسها على حافة الهاوية، كما أن المجتمع الأمريكي متمحور حول القيم التقنية، ولهذا تجد الفكرة صعوبة في التأقلم مع المناخ المادي لهذا المجتمع، ومن ثم فإن الحضارة الأمريكية، حسب مالك بن نبي، قد دخلت مرحلة الاحتضار (2).

أما روجي غارودي Roger Garaudy فحلل من جهته الأزمة التي يعيشها الغرب، ولاحظ أنها ترجع بجذورها إلى عصر النهضة الذي ولدت معه الرأسمالية والاستعمار معاً، وما صاحبه من تنكر وهدم لجميع الثقافات غير الأوروبية، فقد اتبعت الحضارة الغربية في نموها وتقدمها من القرن السادس عشر حتى نهاية القرن العشرين طريقة

(1) نذير طيار، المرجع السابق، ص 10.

(2) نفس المرجع، ص 10.

أوصلتها- حسب غارودي- إلى أزمة داخلية عميقة، أزمة لها ثلاثة أبعاد رئيسة شرحتها في كتابه "حوار الحضارات"، وهي: (1)

1 - رجحان جانب العمل، بالشكل الذي يتحول فيه الإنسان إلى مجرد آلة للإنتاج والاستهلاك، ويفقد جوهره المعنوي والأخلاقي.

2 - رجحان جانب العقل، واعتباره قادراً على حل جميع المشكلات، بحيث لا توجد مشكلات حقيقية إلا تلك التي يستطيع العلم حلها، والنتيجة بعد ذلك هي عدم القدرة لا على تحديد الغايات الحقيقية ولا على السيطرة على الوسائل.

3 - رجحان جانب الكم، وجعله معياراً ومقياساً لا نهائياً، بحيث يصبح النمو باعتباره نمواً كمياً صرفاً في الإنتاج والاستهلاك.

ومن ثم خلص إلى أن حضارة تقوم على هذه الأبعاد الثلاثة هي حضارة مؤهلة للانتحار. لقد وصف غارودي الولايات المتحدة الأمريكية بكونها منظمة إنتاج يديرها المنطق التقني أو التجاري فقط، حيث يساهم كل فرد كمنتج أو كمستهلك، متطلع إلى هدف وحيد وهو الزيادة الكمية لرفاهه، وكل هوية شخصية ثقافية أو روحية أو دينية تعد قضية خاصة لا علاقة لها في تشغيل النظام، واستشهد في ذلك بقول "دي توكفيل" De Tocqueville في كتابه "الديمقراطية في أمريكا": "لا أعرف شعباً يحتل فيه حب المال أكبر مكان في قلوب الرجال كهذا الشعب" (2).

إن الحضارة الأمريكية، حسب غارودي، ليست سوى أزمة من أزمت الحضارة الغربية، فهي الذروة في الرفاهية المادية، والطليعة أيضاً في الانحطاط و"اللا معنى" و"قيم السوق" و"تفديس الوسائل" و"الفقر على السؤال الفلسفي للغائية"، كما أكد أن الحضارة الغربية محكوم عليها بالسقوط لأنها فاقدة للقاسم المشترك بين كل الحضارات، وهو

(1) زكي الميلاد، "تعارف الحضارات: الفكرة، الخبرة والتأسيس"، المرجع السابق، ص 8.

(2) روجيه غارودي، الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط: كيف نجابه القرن الحادي والعشرين، ترجمة: صياح الجهم وميشيل خوري، دار عطية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص 28.

امتلاك الإجابات الفاصلة على أسئلة الغايات الأخيرة للإنسان، فهي الحضارة الوحيدة التي تجيب عن سؤال "ما معنى حياتنا؟" — "لا أعرف"، وبهذا استحققت نعت "حضارة اللا معنى" و"ديانة الوسائل" لأنها فصلت بين العلم والحكمة<sup>(1)</sup>.

لقد حدد غارودي أربعة مؤشرات تنذر بدمار الحضارة الغربية هي:

- 1 - الاقتصاد الذي تسيطر عليه الرغبة الجنونية في زيادة وسرعة الإنتاج، إنتاج أي شيء نافع أو غير نافع، ضار أو مميت.
- 2 - السياسة التي تحكمها علاقات اجتماعية داخلية وخارجية، والتي يسودها العنف المعبر عن صدام المصالح والنزوع إلى السيطرة بين الأفراد والطبقات والأمم.
- 3 - الثقافة الخالية من المعنى والغاية، فالتقنية للتقنية والعلم للعلم والفن للفن والحياة لغير هدف.

4 - الافتقار إلى العقيدة الخالية من التعالي، والتي تمثل البعد الإنساني للإنسان<sup>(2)</sup>.

يمكن القول أن الطرحين السابقين يتفقان في فكرة جوهرية هي اتجاه الحضارة الغربية نحو الانهيار، في حين يختلفان في تصورهما لمعنى "الأفول" أو "السقوط"، فالانحطاط الغربي عند غارودي معناه ضياعه وسط الحيرة واللا استقرار وافتقاد الحياة داخله كل معنى، فهي بذلك جسد قائم بلا روح، وكون أمريكا في فكر غارودي طليعة هذا الانحطاط معناه أنها الذروة في اللا معنى والعبثية. أما سقوط الحضارة الأمريكية التي لا يمكن فصلها عن الحضارة الغربية عند مالك بن نبي فيعني بوضوح انتقال شمس الحضارة من الأرض الأمريكية إلى أرض أخرى، ومن الشعب الأمريكي إلى شعب آخر نجح في الانتقال من مرحلة ما قبل الحضارة إلى مرحلة الحضارة<sup>(3)</sup>.

(1) نذير طيار، المرجع السابق، ص 10.

(2) فتحي شهاب الدين، سقوط أمريكا والغرب .. والبديل الإسلامي، مؤسسة إقرأ، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص 28.

(3) نذير طيار، المرجع السابق، ص 10.

أما جاك أتالي Jacques Attali فقد تنبأ بأن أمريكا مهددة بانهيار قادم ومن ورائها الحضارة الغربية ككل، حيث أن الديمقراطية بعد أن حلت محلها آليات السوق والفساد، سيقام نوع من ديكتاتورية السوق بدون وجود مؤسسات ديمقراطية قوية في المقابل، وسيتم شراء النتائج السياسية وبيعها، وسيتحكم اقتصاد السوق في كل عنصر من عناصر الحياة العامة كالشرطة والقضاء والصحة والتربية والتعليم. وفي ظل مثل هذه الظروف ستنهار الحضارة الغربية حتماً، وفي ظل تراجع الانتماء الوطني ورفض النخبة السياسية ممارسة مسؤولياتها سيضعف الكيان التقليدي للدولة القومية، وفي نفس الوقت ستسعى كيانات قوية ومسيطرّة وأحياناً غير مشروعة، كالشركات المنتجة للمخدرات أو المتاجرة في المواد النووية، إلى استغلال اقتصاد السوق في ظل غياب السلطة المحلية القوية، مما يهدد سلامة الغرب وقيمه الاجتماعية، بل ومعتقداته الدينية التي ستنهار لأن الدين سيصيبه الفساد نتيجةً لسيطرة القيم المادية والتجارية<sup>(1)</sup>.

كما أكد أن من أهم مظاهر ونتائج هذا التناقض بين السياسي والاقتصادي: التأثير القوي للجماعات الضاغطة ذات الطابع المالي والصناعي والتجاري وحتى ذات التوجهات الدينية كاللوبيات اليهودية في المجال السياسي، سواء كان ذلك في الاستحقاقات الانتخابية من خلال تمويل الحملات الانتخابية للمرشحين الذين يؤمل أن يدافعوا عن مصالح هذه الجماعات، أو من خلال التأثير على نواب الكونغرس بوسائل مختلفة لسن قوانين لصالحها، ومن ثم فإن سلطة وتأثير الأموال تطرد سلطة وتأثير الناخبين<sup>(2)</sup>.

إن الولايات المتحدة الأمريكية، حسب أتالي، ستكون هي الخاسرة أكثر من أي دولة أخرى إذا حدث مثل هذا السيناريو المفزع، حيث إن ديكتاتورية السوق ستهدد التكوين الداخلي لأمريكا، وبالتالي ستؤدي إلى صعود فئة لا تعمل إلا لمصلحتها الشخصية، أما

(1) Jacques Attali, "The Crash of Western Civilization: The Limits of the Market and Democracy", *Foreign Policy*, N° 107, Summer 1997, pp. 60-61.

(2) سعد اللاوندي، القرن الحادي والعشرين هل يكون أمريكياً: بحث في استراتيجيا الصراع من أجل الهيمنة على العالم، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص 75.

خارجيا فإن مثل هذا التصور لا يحدد فقط قطاعات واسعة من المصالح الأمريكية وإنما يهدد أيضا الأساس الأيديولوجي لريادتها العالمية، وبالتالي فإن انهيار الحضارة الأمريكية سيسبق انهيار الحضارة الغربية، ولتفادي هذا المصير اقترح جاك أتالي مجموعة من الحلول أهمها: (1)

- أن تكون الحضارة الغربية أكثر تواضعا فيما يتعلق بقيمها.
- أن تدرك الحضارة الغربية الحاجة إلى إيجاد حل وسط بين اقتصاد السوق من جهة، وبين الآليات المتحكمة في صنع القرار الديمقراطي من جهة ثانية، بدلا من الانغماس في تمجيد عولمة القيم الغربية.
- أن على الأوروبيين أن يتعلموا من الكفاءة الأمريكية، وعلى الأمريكيين أن يتعلموا من التضامن الأوروبي، ويجب على الحضارة الغربية أن تتعلم الوقوف على قدميها الاثنتين على جانبي المحيط الأطلسي.
- أن على الحضارة الغربية أن تعلن صراحة أنه يمكنها أن تتعلم من الحضارات الأخرى، لأن الحضارات التي استطاعت أن تأخذ من حضارات أخرى أفكارها الفلسفية والأخلاقية قد نجحت فيما فشل فيه الغرب من الحفاظ على كرامة الإنسان وتعزيز التضامن، وأعطى مثلا بالمجتمعات الآسيوية التي رأى أنها تُوازن بين القوى المتناقضة وتقترب حولا ممكنة للتناقضات التي تحكم العلاقة بين السوق والديمقراطية، وذلك من خلال قيام الدولة بدور أكثر قوة وفعالية لحماية المواطنين من مخاطر التنافس.

وختم أتالي بحثه بالقول: "كانت هناك تنبؤات كثيرة باندثار الحضارة الغربية، بعضها مستمد من النظرية التاريخية، والبعض الآخر من الافتراضات الثقافية والاقتصادية

(1) Jacques Attali, op.cit ., pp 61-62.

أو حتى العرقية، وقد ثبت خطأ هذه التنبؤات في الوقت الحالي لحسن الحظ، إلا أنه لا يجب أن يصدّق أحدٌ أن أية حضارة منتصرة ستبقى إلى الأبد<sup>(1)</sup>.

في نفس السياق أكد نعوم تشومسكي Noam Chomsky على هشاشة وهلامية الديمقراطية الأمريكية نتيجة خضوعها للمنطق الاقتصادي والمادي، حيث قال: "حريٌّ بأي شخصٍ ملمٌ بالتاريخ ألاَّ يُفاجأً بأن يصاحب العجز الديمقراطي المتنامي في الولايات المتحدة الأمريكية الإعلان عن رسالات "خلاصية" لحمل الديمقراطية إلى عالمٍ "معدّبٍ" [...]"، إن الديمقراطية مقبولة إذا كانت فقط متوافقة مع المصالح الإستراتيجية والاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية وأتباعها"<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثالث: الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط

لقد حدد "موريس بيرمان" Morris Berman في كتابه "انحطاط الحضارة الأمريكية" أربعة عوامل تؤدي إلى انهيار أي حضارة، وهي كما يلي:

- عدم مساواة اجتماعية واقتصادية متسارعة.
- مردود هامشي متناقص تدريجياً بالنسبة للاستثمار في الحلول التنظيمية للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية.
- مستويات من الأمية متزايدة بشكل متسارع، ونقص متزايد في الفهم النقدي والوعي الفكري العام.
- الموت الروحي، أي إفراغ المضمون الحضاري وتجميده في صيغ لا قيمة حقيقية لها.

(1) جاك أتالي، "الحضارة الغربية تحمل بداخلها بذور انهيارها"، إعداد: سوسن حسين، مجلة السياسة الدولية، ع 144، أبريل 2001، ص 128.

(2) نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة: إساءة استخدام القوة والتعدي على الديمقراطية، ترجمة: سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 309.

ثم قال بعد ذلك: "يبدو أن هذه النقاط الأربع تنطبق على الولايات المتحدة الأمريكية في بداية القرن الحادي والعشرين"<sup>(1)</sup>. من هنا يمكن التفصيل في أهم الدراسات المتناولة لانهايار الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي.

**على المستوى الأخلاقي:** لقد أجمع المفكرون الإسلاميون وفي مقدمتهم حسن البنا وسيد قطب في تقييمهم للحضارة الغربية على أنها حضارة قامت على أساس العصبية القومية، والتفكير المادي، وإطلاق الشهوات الغريزية، وإخضاع الشعوب الأخرى واستغلالها والسيطرة عليها بمختلف الوسائل وفي مقدمتها العنف والقهر والإبادة، ورأوا أنه رغم تقدم الغرب المادي والصناعي والعلمي، إلا أنه بسبب تنكره للجوانب الروحية والدينية والأخلاقية السامية قد أدى إلى تعريض البشرية إلى خطر الإبادة<sup>(2)</sup>.

من جهته انطلق الدكتور عباسي مدني في كتابه "نحو إنقاذ الإنسان والإنسانية: أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي" من تحليل عوامل قوة الحضارة الغربية، التي لخصها في:<sup>(3)</sup>

- ازدهار ثقافي خلصهم من عموميات الأدب إلى دقة العلم، وساعدهم على التخلي عن متاهة الميتافيزيقا والفلسفة ومذاهبها الفرعية، ومكّنهم من تعويضها بالعلوم ومناهجها والتكنولوجيا وتطبيقاتها.

- نشدان الحرية في الفكر والعمل، والعمل على توظيفهما في نطاق حضاري أوسع.

- ظهور الوعي السياسي أفضى بهم إلى وعي اقتصادي وتربوي وحضاري.

- الحصول على النخبة الممتازة من العبقريات القيادية في كل مجالات العلوم والتقنيات.

(1) موريس بيرمان، انحطاط الحضارة الأمريكية، ترجمة: حسين الشوفي، دار المدى، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 27.

(2) منير شفيق، الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1991، ص ص 51-52.

(3) مدني عباسي، نحو إنقاذ الإنسان والإنسانية: أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي، مكتبة الرحاب، الجزائر، ط1، 1989، ص 18.



ثم استدرك بالحديث عن عوامل سقوط الحضارة الغربية قائلاً: "إن غياب عامل الدين القويم قد أفضى بالتجربة الحضارية الغربية، ومنها الأمريكية، إلى التورط في أخطاء استعصى حلها على عبقرية الإنسان الحديث، وجعل حضارتها تُهدد بالسقوط والانهيـار وذلك لعوامل عدة أهمها: (1)

- 1 - إصلاح أمور الدنيا بإفساد الدين، لوضعهما في تصور مغاير إلى حد التناقض.
- 2 - تعويض العقيدة بالأيدولوجيا، الأمر الذي جعلهم يستغنون عن الكامل بالناقص فوقعوا في الاستلاب.
- 3 - طلب العدل عندما يُحكَمون ويُحاكَمون، ويظلمون عندما يَحكَمون ويُحاكَمون، فتورطوا في الذاتية والنسبية، ففرطوا وأفرطوا.
- 4 - فقدان التوازن بين الفضائل في القيم، وتعذر الوسطية والاعتدال في الأمور التي لا تتكامل إلا إذا توازنت، كالاعتدال في الروحيات والماديات.
- 5 - انعدام الشمول عندهم في التصور والقيم والمفاهيم والنماذج التي تبناها على مستوى نظمهم السياسية".

كما حدد الدكتور يوسف القرضاوي خمس خصائص للفكر الغربي الذي تقوم عليه الحضارة الغربية، والتي تعتبر مقدمات لانهارها، وهي: (2)

- اللبس في معرفة الألوهية، فرؤية الفكر الغربي للألوهية لا تقدّر الله حقّ قدره.
- النزعة المادية، وما تتضمنه من إنكار للغيبيات.
- الصراع، حيث لا يعرف الفكر الغربي السلام ولا الطمأنينة بل يقوم على الصراع بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والإله.
- الاستعلاء على الآخرين، واعتبار أن لا حضارة إنسانية إلا الحضارة الغربية.

(1) نفس المرجع، ص 19.

(2) يوسف القرضاوي، الإسلام...حضارة الغد، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص ص 13- 23.

لقد شهد شاهد من الغرب على دنو سقوطه وموته، وهو ما ينطبق على قول روجي غارودي Roger Garaudy بأن الغرب هو أكبر مجرم في التاريخ، وأنه بسبب سيطرته الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي لا يشاركه فيها أحد يفرض على العالم بأكمله نموذجه في النمو الذي يقود إلى انتحار سكان العالم، وأن الغرب يحمل في ذاته بذور موته متمثلة في مفهوم شاذ عن الطبيعة، ومفهوم لا رحمة فيه للعلاقات الإنسانية، ومفهوم عن المستقبل مثبت للأمال<sup>(1)</sup>. ويتفق "أليكسيس كاريل" Alexis Carrel مع غارودي في فكرة مفادها أن للعامل الديني والأخلاقي الدور الرئيس والحاسم في سقوط الحضارة الغربية من خلال انعدام العقيدة المهيمنة على روح الإنسان، وسيطرة النزعات الإباحية والشذوذ والمخدرات والعبثية والضياع، إضافة إلى الإفراط في المادية والتفريط في العامل الديني والأخلاقي<sup>(2)</sup>.

في ذات السياق أكد "جيمس بيكر" James Baker، وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، في مقاله "أزمة القيم تكلفنا باهظاً" على فظاعة وخطورة الوضع الأخلاقي في الغرب وأن تدهور القيم الاجتماعية أدى إلى ارتفاع الفساد في أمريكا، حيث جاء فيه: "إن 73% من الأمريكيين قلقون من أن الأمة تعاني من انحدار أخلاقي، وهم على حق في قلقهم هذا"، ثم ختم مقاله بقوله: "وختاماً فإن محاولات الهروب من الأزمة الأخلاقية التي تواجه أمريكا ستكون محاولات لا طائل من ورائها، فالتهور الاجتماعي يدخل عنوة إلى شوارعنا ومدارسنا وشاشات تلفزيوناتنا، [...] إن المسؤولية الشخصية هي ما جعلنا شعباً قوياً، أما الاستمرار في أزمة القيم فسيحولنا إلى شعب ضعيف"<sup>(3)</sup>، فقد أكدت بعض الإحصائيات على النسب الكبيرة لحالات الولادة خارج الزواج الشرعي في البلدان

(1) روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة: نوقان فرقوط، دار الرقي، بيروت، لبنان، 2، 1985، ص ص 19-20.

(2) محمد علّوه، عالمية الإسلام وقضايا العصر، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 1، 1990، ص ص 77-78.

(3) حامد بن أحمد الرفاعي، الإسلام والنظام العالمي الجديد، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ، ص ص 169-170.

الغربية، حيث تجاوزت 45% في الدانمارك والنرويج و50% في السويد، كما تجاوزت 30% في كل من فرنسا وبريطانيا وهولندا وفنلندا... وهو ما يعكس مدى تفشي الانحلال الأخلاقي في الغرب<sup>(1)</sup>.

**على المستوى الاجتماعي:** ذهب بريجنسكي<sup>(\*)</sup> Brzezinski إلى اعتبار التعددية الثقافية من بين المشاكل الكبرى التي ستواجهها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أن ظهور ثقافة متعددة هو عامل حاسم، فهو من جهة يمثل اعترافا بواقع التعددية الأمريكية ولكنه من جهة ثانية يهدد بتفتيت أمريكا متعددة الطوائف<sup>(2)</sup>.

إذا كان تنامي عدد السكان يمثل منذ وقت طويل علامة على صحة وقوة الأمم، وكان هبوط عدد السكان سمة للأمم والحضارات التي تعيش حالة الانحطاط، فإن الحضارة الغربية تكون - بغض النظر عن القوة والثروة - في حالة حرجة، وذلك لأن عدد السكان في الغرب بدأ بالتلاشي<sup>(3)</sup>، حيث أنه وحتى وقت متأخر من سنة 1960 كان السكان الأوروبيون ومعهم الأمريكيون والأستراليون والكنديون يبلغون 750 مليون نسمة، أي الربع من ثلاثة مليارات نسمة في العالم. وفي الوقت الذي تضاعف فيه عدد سكان العالم إلى ستة مليارات نسمة في غضون أربعين عاما، أصبحوا لا يمثلون إلا السدس، فقد توقفت الشعوب الأوروبية عن التكاثر، وبدأ عدد السكان في التوقف، بل وفي العديد من البلدان بدأ عدد السكان بالهبوط، ومن بين جميع الدول الأوروبية هناك دولة واحدة فقط

(1) عمر ديوب، "مؤشرات خطيرة تهدد مجتمعات الغرب بالانهيار"، مجلة المجتمع، ع1250، 20 ماي 1997، ص45.

(\*) مستشار الأمن القومي في عهد جيمي كارتر.

(2) محمد سعدي، "قراءة في كتاب صامويل هنتنغتون.. من نحن؟ الهوية الوطنية وصدام الثقافات"، المرجع السابق، ص92.

(3) باتريك جيه بوكنان، موت الغرب: أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب، ترجمة: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005، ص31.

هي ألبانيا المسلمة<sup>(\*)</sup> التي تحتفظ بمعدل مواليد كافٍ ليلقيها مستمرة، أما بقية أوروبا فقد بدأت تموت (1).

إن موت الغرب على المستوى السكاني ليس تنبوءًا بما سيحدث بل إنه تصوير لما يحدث، إن أمم الغرب تواجه أزمة مميتة لا بسبب شيء ما يحدث في العالم الثالث، بل بسبب ما لا يحدث في الغرب، فقد مضى على معدلات الخصوبة عقود وهي تهبط، وخارج ألبانيا لا توجد هناك دولة أوروبية واحدة تتجب ما يكفي من الأطفال لتعويض النقص الذي تعانيه في هذه الفئة<sup>(2)</sup>.

من أهم الأسباب القائمة وراء انخفاض الزيادة السكانية التي يعاني منها الغرب هو تفكك الأسرة، فهذه الأخيرة التي تعتبر الخلية الأساسية لتكوين المجتمع أصبحت أشلاء محطمة، ومهددة بالانقراض في المجتمع الغربي، وهذا ناتج عن:

- العزوف عن الزواج.

- العزوف عن إنجاب الأطفال.

- تزايد نسبة الطلاق.

- الانحلال الخلقي<sup>(3)</sup>.

لقد أكد من جانبه روجي غارودي أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل كل أعراض الانحطاط، وبصورة أكثر عمقا من الانحطاط الروماني، وذلك نظرا لقيامها بالآتي:<sup>(4)</sup>

- تفكيك النسيج الاجتماعي من خلال تراجع المسؤولية الجماعية لصالح الأنانية واللامبالاة.

- تفكيك المجتمع بسبب تزايد عدم المساواة والتميز العنصري والاقتصادي والثقافي.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر نسبة الزيادة السكانية في العالم الإسلامي في الملحق رقم 1.

(1) نفس المرجع، ص 32.

(2) نفس المرجع، ص ص 55-56.

(3) باسم خفاجي، "قراءة للواقع الداخلي الأمريكي: مؤشرات ودلائل الانتقال الحضاري"، في: الواقع الدولي ومستقبل الأمة، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ع 5، 2008، ص 163.

(4) روجي غارودي، حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، المرجع السابق، ص 69.

- تفكيك مستقبل المجتمع بسبب تزايد محاولات الاستفادة القصوى من الحاضر على حساب المستقبل، واستخدام الوسائل المتاحة دون الوعي بالأهداف النهائية الكبرى.

**على المستوى الاقتصادي:** لقد استشرّف الباحث والمؤرخ الأمريكي "هاري إي فيجي" Harry E.Figgie مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية في سيناريو يتضمن مسلسلاً متلاحقاً للانهيّارات الأمريكية التي تعود إلى الاقتصاد المثقل بالديون على الخزينة الأمريكية، حيث قال في هذا السياق: "إن بقاءنا صامتين سيكون أسوأ وأخطر بكثير من أي كارثة أخرى، وحينها ستفقد أمريكا الكثير وبشكل سريع جداً، لدرجة أن الجيل الذي سيأتي بعدنا مباشرة سيكون عاجزاً عن إدراك واستيعاب ما جرى، ولن يدرك أي شخص ما جرى سوانا نحن، فنحن الذين سنعيش المأساة بقية حياتنا"، ثم أضاف: "علينا أن ندرك أننا مسؤولون عن الحفاظ على أبنائنا وعائلاتنا وبلدنا، كما علينا ألا نتوقع أن يتحرك الغرباء لمساعدتنا، ويتوجب على كل فرد منا أن يأخذ العبرة من روسيا ومن الدول الأخرى التي مرت أو تمر بوضع مشابه لوضعنا"، وختم الباحث كتابه بالقول "إن علينا التحرك فوراً إذا ما رغبتنا في الحفاظ على سمعة ووحدة الولايات المتحدة الأمريكية، وعلينا أن نتذكر أن الوضع الذي ستؤول إليه أمريكا وما يتبعه من نتائج فضيعة سيكون مأساوياً، حيث ستضطر إلى الركوع وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة"<sup>(1)</sup>.

كما حدد بعض الاقتصاديين الغربيين مجموعة من المؤشرات الدالة على الانهيار الوشيك للإمبراطورية الأمريكية، أهمها ما يلي:

- الظلم والجشع الاقتصادي الذي يظهر في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال امتلاك 1% من الأمريكيين - وهم رجال المال والأعمال - ما نسبته 50% من مجموع الثروة فيها، في حين أن 80% من السكان لا يملكون إلا أقل من 8% من مجموع الثروة<sup>(2)</sup>.

(1) هاري إي فيجي وجرالد سوانسون، الإفلاس 1995: الانهيار القادم لأمريكا، ترجمة: محمد محمود دبور، دار الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1993، ص 203.

(2) عبد العزيز كامل، "المؤشرات الدولية للتراجع الأمريكي"، في: الواقع الدولي ومستقبل الأمة، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ع 5، 2008، ص 115.

- ارتفاع العجز في الميزانية الأمريكية إلى مستويات غير مسبوقة، حيث بلغت (1.342) تريليون دولار سنة 2010.
- ارتفاع العجز في الميزان التجاري بسبب تراجع الصادرات الأمريكية.
- ارتفاع الديون الأمريكية العامة لتصل إلى 13 تريليون دولار سنة 2010.
- ارتفاع ميزانية الدفاع نتيجة لتكاليف التدخلات الأمريكية في العراق وباقي المناطق عبر العالم<sup>(1)</sup>.
- تراجع النمو في الناتج المحلي الإجمالي.
- اهتزاز أسواق الأسهم الأمريكية وفقدان الثقة بها.
- إفلاس المئات من المصانع والشركات الأمريكية وتسريح العاملين بها.
- إفلاس أكثر من 150 بنكا أمريكيا.
- تراجع قيمة الدولار أمام العملات الرئيسية الأخرى.
- تخلص المستثمرين من الدولار بشراء الذهب كمخزن للقيمة.
- ارتفاع معدلات الفقر في أمريكا إلى أعلى مستوياتها حيث تجاوز عدد الفقراء أربعين مليونا في سنة 2010<sup>(2)</sup>.

وقد ذهب "نعوم تشومسكي" Noam Chomsky إلى الاعتقاد بأن ثمة خلافا واضحا في النظام الدولي لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، فالنظام اقتصاديا يظهر متعدد الأقطاب (اليابان وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية) أما عسكريا فيبدو أحادي القطبية (الولايات المتحدة الأمريكية)، والقوة العسكرية دون قاعدة اقتصادية تدعمه تعتبر كارثة،

(1) فتحي شهاب الدين، المرجع السابق، ص ص 33-35.

(2) نفس المرجع، ص ص 37-38.

ومن ثم خُص تشومسكي إلى أن مصير النظام الأمريكي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة هو الانحطاط والانهيار<sup>(1)</sup>.

في نفس السياق اعتبر روجي غارودي Roger Garaudy أن عبادة السوق والملكية المطلقة للمال ستقود الغرب إلى الانحطاط والموت<sup>(2)</sup>.

أما بول كيندي Paul Kennedy فأكد على أن الإمبراطوريات تصعد وتسقط الواحدة تلو الأخرى، وأن هذا القانون ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية التي نجحت في تحقيق تراكم اقتصادي هائل في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد استند كيندي في حكمه هذا إلى ثلاث حجج هي:

- إن الولايات المتحدة الأمريكية تتدهور اقتصادياً مقارنة بالدول الصناعية الأخرى خاصة اليابان وأوروبا، وأن هذا التدهور يتعلق بالأداء الاقتصادي العام والقدرات العلمية والتكنولوجية والتعليمية.

- إن القوة الاقتصادية هي العامل المركزي في قوة الدولة، ومن ثم فإن تدهورها يؤثر في الأبعاد الأخرى للقوة القومية.

- إن التدهور الاقتصادي النسبي للولايات المتحدة الأمريكية يعود إلى الإنفاق العسكري الذي نجم عن توسع التزاماتها الأمنية في العالم، والتي بلغت درجةً لم يعد ممكناً تحملها اقتصادياً<sup>(3)</sup>.

في حين وصف بريجنسكي Brzezinski الوضع الأمريكي في فترة ما بعد الحرب الباردة بالمتناقض:

(1) مصطفى النشار، "ما بعد العولمة: قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري"، في النقاء الحضارات في عالم متغير: حوار أم صراع، تحرير: عبادة كحيلة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 365.

(2) روجي غارودي، حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، المرجع السابق، ص 69.

(3) فنسان الغريب، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 45.

- فمن جهة لا تواجه الولايات المتحدة الأمريكية منافسين قادرين على مسايرة قوتها العالمية الشاملة باعتبارها القوة التي تجمع بين أبعاد أربعة هي:
- قوة عسكرية تستطيع أن تصل إلى أي مكان في العالم.
  - تأثير اقتصادي عالمي.
  - جاذبية ثقافية وأيديولوجية.
  - قوة سياسية هائلة نتيجة للأبعاد السابقة.

غير أنه من جهة ثانية فإن ديناميكية التغيير الاجتماعي - الاقتصادي - الثقافي تفرغ هذه الأبعاد من مضمونها ومن أية رسالة مقنعة للعالم، الأمر الذي يهدد بتقويض الدور الخاص بأمريكا في العالم وقدرتها على التأثير بشكل فعّال وبناء في اتجاه التغيير العالمي، ومن ثم يستخلص بريجنسكي أن التفوق الأمريكي هو واقع ووهم معاً<sup>(1)</sup>.

لقد تنبأ بريجنسكي بالانهيار الاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية، إذ اعتبر أن العالم الذي جاء بعد الشيوعية عالماً خطيراً ومتوتراً، حيث سيوجد في أمريكا نوع من الإباحية المطلقة، كل شيء مسموح ومباح، وبالتالي سوف تتعارض مصالح الأفراد، وسوف يوجد هناك قدر كبير من الأنانية بينهم، تُوجد انشطاراتاً في المجتمع وخطراً عظيماً، إنه عالم يعيش حالة غليان بعد انهيار الشيوعية.

كما أكد أيضاً على أن أمريكا المتفردة بقيادة العالم تواجه سلسلة من التحديات والعيوب التي ينبغي التصدي لها كي تمارس سلطة عالمية أصيلة، منها: اللاتنافسية الاقتصادية، وتدهور البنية الاجتماعية التحتية، وظهور اليأس الاجتماعي، والمخدرات والفقر، والفساد الجنسي والأخلاقي، وظهور ثقافة متعددة تنذر بتفتت أمريكا إلى طوائف متعددة، هذا على المستوى الداخلي. أما على المستوى الخارجي، فستواجه أمريكا خصوماً عدة تزاحمها على تربع عرش العالم، منها اليابان التي يتنبأ له بأن تستمر قوته نمواً، وكذا

(1) السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، المرجع السابق، ص ص 186 - 187.



أوروبا الموحدة، ثم الصين<sup>(\*)</sup>، ليخلص إلى القول أن قوة أمريكا العالمية ستظل لبعضٍ قادمٍ من الزمن من دون نظير، وقدرة أمريكا على قيادة وتوجيه العالم ستعتمد، على المدى البعيد، على الدرجة التي تستطيع فيها التغلب على الانطباع القائل بأن المجتمع الأمريكي أخذ يفقد تدريجياً الأخلاق الضرورية والمعايير الأساسية لممارسة ضبط النفس المسؤول<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: الأقطاب المرشحة لاستخلاف أمريكا والغرب

إن الحديث عن "سقوط الغرب" ومختلف الحجج التي دفع بها القائلون بهذا الاحتمال سيؤدي إلى طرح السؤال حول ما إذا كان هناك بديل آخر غير الولايات المتحدة الأمريكية، كقطب رئيس في الغرب، لقيادة العالم؟، وما إذا كان بمقدور القوى الأخرى أن تتحمل جانباً من تبعات القيادة العالمية؟، أو بالأحرى عما إذا كانت هناك قوى ستخلف مكانة أمريكا القيادية؟. إن الإجابة على هذا السؤال تقتضي تحليل أوضاع أهم القوى الكبرى المرشحة لاستخلاف أمريكا وهي الكتلة الأوروبية والصين واليابان.

### الفرع الأول: الكتلة الأوروبية

لا يزال حلم "أوروبا العظمى" يراود الكثيرين من قادة القارة العجوز، فقد كان الزعيم البريطاني "ونستون تشرشل" Winston Churchill يحلم باليوم الذي تتكون فيه "الولايات المتحدة الأوروبية" لتكون نداءً في وجه الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(2)</sup>، ولعل تصريح الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" Jacques Chirac في أول حديث له لصحيفة أمريكية عقب فوزه بمقعد الرئاسة كان أصدق وأفصح عن النية في سيادة العالم، ومن ثم الوقوف في وجه الولايات المتحدة الأمريكية، حينما قال: "إنه من غير المعقول أو المقبول

(\*) وهو ما سيتم تفصيله في المطلب الموالي: الأقطاب المرشحة لاستخلاف الغرب.

(1) محمد بلحيمر، "بريجنسكي في كتابه: الفوضى، الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين"، جريدة الفجر، 19 جوان 2001، ص 19.

(2) عبد العزيز كامل، المرجع السابق، ص 123.

أن يظن البعض أن الإرادة والقرار سيكونان دائما من نصيب الولايات المتحدة [...] وأن على أوروبا فقط أن تدفع الثمن" (1).

بعد قيام الاتحاد الأوروبي رسميا عام 1993 برزت عوامل قوة متعددة تؤهله لمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية، أهمها:

- إن تزايد انضمام الدول الأوروبية إلى الاتحاد الأوروبي زاد من عدد سكانه، حيث أصبح الاتحاد الأوروبي أكثر سكانا من الولايات المتحدة الأمريكية، فبينما وصل عدد سكان هذه الأخيرة إلى (301) مليون نسمة حسب إحصائيات سنة 2007 بلغ عدد سكان الاتحاد الأوروبي قرابة النصف مليار نسمة خلال نفس الفترة.

- إن تزايد عدد أعضاء الاتحاد الأوروبي أدى إلى زيادة نفوذه السياسي على الصعيد الدولي.

- إن للاتحاد الأوروبي مواقف أكثر قبولا في المجتمع الدولي.

- أصبحت العملة الأوروبية "اليورو" هي العملة الأكثر استقرارا مقارنة بالدولار.

- أصبح الاتحاد الأوروبي أكبر مانح للمساعدات المقدمّة للدول الفقيرة، حيث فاقت مساعداته ضعف المساعدات الأمريكية، وهو ما يمكنه من توظيفها سياسيا واقتصاديا لمصلحته (2).

مما سبق يتضح جليا أن الكتلة الأوروبية هي أهم قطب منافس ومرشح لاستخلاف المكانة القيادية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بعد أن قطعت أشواط كبيرة في مسار التكامل كان آخرها التكامل النقدي، ولم يبق أمامها سوى التكامل السياسي الذي لا يزال الوصول إليه صعبا، نتيجة لحاجز الانتماء القطري الذي يحول دون بلوغ ما يسمى بالشعور بـ "الأوروبيانية" Europeanism، ورغم هذا تبقى أوروبا المرشح الأكثر حظا لاستخلاف مكانة أمريكا، خاصة وأنها بدأت تسعى إلى إقامة علاقات واسعة

(1) سعد اللاوندي، المرجع السابق، ص 139.

(2) عبد العزيز كامل، المرجع السابق، ص 123.

مع دول القارة الأمريكية لتخفيف نفوذ الولايات المتحدة فيها، أو كما قال رئيس المجلس الأوروبي في ديسمبر من سنة 2000 وكان حينها وزير خارجية البرتغال "أنطونيو غايتريس" Antonio Guterres : "إن تقوية الروابط مع دول أمريكا ذات أهمية إستراتيجية يجب أن تُقدّم على سائر الاعتبارات الأخرى، من أجل بناء نظام جديد متعدد الأقطاب يمكنه الحد من النزعة الأمريكية الفطرية إلى السيطرة"<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: الصين

إن الصين بعدد سكانها المتجاوز للمليار ونصف المليار نسمة، واقتصادها القوي وقوتها العسكرية والنووية التي تترسخ عاما بعد عام، تعتبر القوة الأولى في آسيا، وهي في طريقها لاحتلال مكانة الصدارة في العالم، كما أنه من المتوقع أن يحتدم الصراع بين أمريكا والصين، لأن الأولى ترى في الصين المنافس الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، بينما ترى الصين أن زمن الهيمنة الأمريكية على العالم ينبغي أن ينتهي و يأفل نجمه<sup>(2)</sup>.  
لقد صرّح هنري كيسنجر Henri Kissinger في هذا الشأن قائلا: "تلوح الصين أسرع صعودا بين جميع القوى العظمى، فأمريكا هي الأقوى، و يتوجب على أوروبا العمل لوحدها، وروسيا عملاق ضخم، واليابان أمة ثرية لكنها جبانة. أما الصين فستتعرض أعظم ارتفاع نسبي في مكانتها مستندةً إلى نسبة نمو اقتصادي يناهز 10%، ومتحليةً بتلاحم قومي، مع اعتبارها قوة عسكرية جبارة"<sup>(3)</sup>.

كما تتبأ المختصون في الشأن الصيني أن الصين مهياة، إذا استمرت بنفس وتيرة النمو، أن تصبح في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين أكبر اقتصاد قومي في العالم، وأن بإمكان الصينيين التقدم نحو المستقبل انطلاقا من خلفيتهم التاريخية العريقة،

(1) هنري كيسنجر، "هل نحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟: نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين"، تاريخ التصفح:

www.aljazeera.net/books/2002/1/1-30-1.htm

يوم 2009/04/05، من موقع الإنترنت:

(2) سعد اللاوندي، المرجع السابق، ص 127.

(3) هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، ترجمة: مالك فاضل البديري، دار الأهلية، عمان،

الأردن، ط1، 1995، ص 565.

ومن سمات شخصيتهم القومية التي لا ترى أي تناقض بين التمسك بالتقاليد الكونفوشيوسية القديمة وبين امتلاك عوامل الحداثة المعاصرة<sup>(1)</sup>.

لقد ساهمت الثقافة الكونفوشيوسية التي تعتمد على مبدأ الطاعة المطلقة للسلطة في إرساء دعائم الاستقرار السياسي والبناء الاقتصادي في الصين، لهذا يتوقع الخبراء أن تتكافأ القوة الاقتصادية الصينية مع القوة الأمريكية في آفاق لا تزيد عن عام 2025<sup>(2)</sup>.

ورغم أن عالم الاقتصاد الصيني "فان جانج" Fan Gang قد بدأ أقل تفاؤلاً بخصوص وتيرة النمو الصيني حين قال: "نحن لا نزال في مراحل الانتقال الأولى الباكورة للغاية، وإن خمس أو عشر سنوات ليست كافية لإنجاز نقلة شاملة، إن المنظومات السياسية والاقتصادية في الغرب التي اقترنت بالثورة الصناعية اقتضت قرناً لكي تنمو وتكتمل في بعض المواقع [...] إن التحول إذا استغرق معنا خمسين عاماً فقط فإن هذا يعني تحولاً سريعاً بالمقارنة بالغرب". إلا أن الباحثين "دنيال بورشتاين" Daniel Burstein و"أرنه دي كيزا" Arne de Keijzer قد أبديا في مؤلفهما "التنين الأكبر: الصين في القرن الواحد والعشرين" تفاؤلاً أكبر من سابقهما بخصوص مستقبل الصين في سيناريوهات هذا القرن، حيث اعتبروا أن التغيرات التي سيكون لها أثراً كبيراً في الصين ومن ثم تقودها بدورها ليكون لها أقوى تأثير في العالم لن تحدث خلال خمس سنوات، مثال ذلك أن الشكل الحقيقي للإطار الاقتصادي والسياسي الجديد للصين كامن في مستقبل أبعد مدى من ذلك<sup>(3)</sup>، ويتفق الباحثان على أنه بحلول عام 2024، وهو عام التنين في التقويم السنوي الصيني، ستصبح الصين أول قوة عظمى حديثة في الألفية الجديدة<sup>(4)</sup>.

(1) مصطفى النشار، ما بعد العولمة: قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري، المرجع السابق، ص 366-367.

(2) عبد العزيز كامل، المرجع السابق، ص 124.

(3) دنيال بورشتاين وأرنه دي كيزا، التنين الأكبر: الصين في القرن الواحد والعشرين، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة كتب عالم المعرفة، جويلية 2001، ص 377.

(4) مصطفى النشار، ما بعد العولمة: قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري، المرجع السابق، ص 381.

## الفرع الثالث: اليابان

رغم الأزمات التي عصفت باليابان اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا ونفسيا من جرّاء الحرب العالمية الثانية، إلا أنها استطاعت أن تحقق قفزة علمية وصناعية وعسكرية في زمن قياسي<sup>(1)</sup>، ويكمن أحد أسرار قوة اليابان في طبيعة الفرد الياباني وحرصه الشديد ليس على حب الوطن والعمل فحسب، بل والتفاني فيه والحرص على الإنجاز على الوجه الأكمل، فالمواطن الياباني يتجه إلى العمل الجماعي في إطار من الولاء العميق لأسرته ومؤسسته ووطنه، لذا أصبحت اليابان غنية بشعبها وليس بمواردها، فنسبة التعليم في اليابان وصلت نسبة 100%، وهي من أوائل دول العالم التي استطاعت أن تمحو أمية شعبها، وأن تحافظ على تراثه وثقافته، وأن تبلغ أعلى درجات التقدم في أسلوب الحياة، بلغت كل ذلك دون تعارض أو تصادم أو تداخل بين الالتزام بالتقاليد اليابانية في الحياة والعمل وبين تطبيق المدنية الحديثة<sup>(2)</sup>.

تعتبر اليابان مركز الثقل في القوى المنافسة للولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في الحقل التجاري والاقتصادي وكذا التقني، والواقع أنه لم تستفد أو تزدهر دولة في فترة الحرب الباردة مثلما استفادت وازدهرت اليابان، ففي الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا منشغلة بصراع الحرب الباردة وإعداد أدواتها العسكرية والدبلوماسية، كانت اليابان تركز بشكل كامل على بناء قوتها التقنية والاقتصادية والمالية، إلى أن أصبحت أكبر دائن في العالم، وأكبر عشرة بنوك في العالم هي بنوك يابانية، وشركاتها هي أكبر منافس لنظيراتها الأمريكية والأوروبية<sup>(3)</sup>، ولعل من بين المؤشرات الدالة على قوة اليابان وتهديدها لمكانة الولايات المتحدة الأمريكية، بل وترشيحها

(1) سعد اللاوندي، المرجع السابق، ص 130.

(2) محمد عبد الغني سعودي، الجغرافية السياسية المعاصرة: دراسة الجغرافيا والعلاقات السياسية الدولية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د ط، 2010، ص 363.

(3) السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، المرجع السابق، ص ص 188 - 189.

لاستخلافها، سعي هذه الأخيرة بعد نهاية الحرب الباردة إلى محاولة إذابة اليابان ومعها ألمانيا في نظام الأمن الجماعي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية (1).

يمكن الإشارة إلى دراسة شينتارو إشيهارا Shintaro Ishihara بعنوان: "اليابان التي تستطيع أن تقول لا: لماذا ستصبح اليابان الأولى بين المتكافئين؟"، والتي أكد من خلالها على أن اليابان، وهي تتجه نحو التفوق الاقتصادي والتقني العالمي الكاسح، لن ترضى بأن يكون لها دورا ثانويا في الشؤون الدولية، ولن تهدأ وهي تؤدي دورا يسيرا في ظل القوة العالمية الرئيسة في عالم ما بعد الحرب الباردة المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأنه فيما لو حدث هناك تعاون بين الأمتين اليابانية والأمريكية فإن على هذه الأخيرة أن تغير من اتجاهها نحو التعاضم الذي يمكن أن يكون سببا في هزيمتها وتدميرها، كما أن على اليابان أن تتحدث وبصوت مرتفع مدافعة عن حاجاتها وكل ما يعينها ويهم مجتمعها حتى تتبوأ مصاف القوى الكبرى، ويمكن تلخيص حجج المؤلف في النقاط التالية: (2)

- إن كل الترسانة النووية للولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على رقائق الكمبيوتر "Microships" التي تصنعها اليابان، ومن ثم فهي تتحكم فيها إلى درجة أنه لو باعت اليابان هذه الرقائق للاتحاد السوفييتي - قبل نهاية الحرب الباردة - بدلًا من الولايات المتحدة لاختل التوازن العسكري للعالم.

- إن اليابان لها من التقنية الكافية والتمويل الفاض ما يمكّنها من القدرة على بناء قوة عسكرية تدافع بها عن نفسها، ومن ثم فهي لم تعد بحاجة إلى حماية أمريكا لها عسكريا، بل والأكثر من ذلك أنها يمكنها منافستها في هذا الميدان.

- حينما تقول اليابان للولايات المتحدة الأمريكية "لا" في قضية ما، أي حينما تنتمرد وتعلن ذلك صراحةً، فإن الولايات المتحدة قد يجانبها التوفيق في ردود أفعالها، وقد تتصرف

(1) سعد اللاوندي، المرجع السابق، ص 134.

(2) محمد عبد الحليم مرسي، "اليابان التي تستطيع أن تقول لا"، مجلة الفيصل، ع 196، أبريل 1993، ص 107.

بطريقة غير حكيمة، وحينئذ فإن اليابان تستطيع أن تلجأ إلى قوتها وإلى علمها ومعرفتها، وبها جميعا تستطيع أن تقلب المعايير المتعارف عليها، فتتعامل مع العالم من منطلق مختلف تماما بعد ذلك إنه منطلق التفوق.

- سوف تكون اليابان، وليست الولايات المتحدة الأمريكية، أهم القوى المؤثرة في اقتصاديات الدول الآسيوية الآخذة في النمو، ومن ثم شيئا فشيئا في اقتصاديات العالم.

- إن التعصب العرقي هو أخطر مصادر الاحتكاك، وبالتالي المتاعب بين الولايات المتحدة واليابان، ولقد كان هو السبب في تحيز الولايات المتحدة تجاه ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، فلم تضربها بالقنابل الذرية في حين دمرت هيروشيما وناجازاكي بقنبلتين منها دون تردد، ومن شأن هذا التعصب أن يتخذ كدافع نفسي بل ومن أهم مصادر التحدي ومن ثم التفوق الياباني<sup>(1)</sup>.

كما أكد الكاتب بأن المرحلة الحضارية التي يعيشها العالم بعد نهاية الحرب الباردة تمثل الفصل الأخير من تلك الحضارة، ويقصد الحضارة الغربية، لأن ميزانها أخذ يميل من الغرب إلى الشرق، والواعون من الأمريكيين الذين تعتبر دولتهم أعظم دول العالم يعرفون هذا، وقد أخذت تنمو بينهم مشاعر حزينة حيال ذلك، بل إن بعضهم تتنابه حالات من الهستيريا بسببه، خاصة وهم يرون ميزان التقدم التكنولوجي والتصنيع المتقن والقوة الاقتصادية يميل تدريجيا لصالح الشرق دون الغرب، ثم ختم الكاتب حديثه باستشهاده بتصريح لهنري كيسنجر Henri Kissinger قال فيه: "إن اليابان قد تصبح في المستقبل قوة عسكرية عظمى"<sup>(2)</sup>.

مما سبق يمكن القول أن النقاش حول القوة أو القوى التي يمكن أن تشارك أو تنافس الولايات المتحدة الأمريكية، إن لم نقل تستخلفها، في قيادة العالم والذي مس كلا من أوروبا والصين واليابان، قد أسفر بعد الفحص والتقييم الدائمين لعناصر القوة لدى كلٍ من

(1) نفس المرجع، ص 107.

(2) نفس المرجع، ص 107.

هذه القوى عن نتيجة مفادها أن ثمة اتفاق على أن الكتلة الأوروبية، بما تملكه من مقومات بشرية واقتصادية وتكنولوجية ومعالم مشتركة، هي الأكثر تأهيلاً وتوقعا لأن تكون قوة موازنة للولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بعد الخطوات الأوسع التي قطعتها نحو وحدتها الاقتصادية والنقدية، وكذلك بفعل الاختلاف وربما الصراع حول المصالح الصناعية والتجارية بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(1)</sup>. فإذا كانت الصين واليابان تتقدمان اقتصاديا فإن هذا التقدم الاقتصادي لا يُترجم إلى قوة سياسية، أما عن أوروبا فيمكن اعتبارها القوة المرشحة أكثر من غيرها لمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية ومنافستها، بل واستخلافها مستقبلا، في أعباء القيادة العالمية<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثالث: العالم الإسلامي واحتمال الصعود

لقد ظهرت مجموعة من الدراسات المتتالية لموضوع مستقبل العالم الإسلامي والتي يعود بعضها إلى بدايات القرن العشرين، إلا أن الفترة التي تلت نهاية الحرب الباردة قد شهدت زخما فكريا وأكاديميا وإعلاميا غير مسبوق بشأن هذا الموضوع، حيث استقطب هذا الأخير اهتمام العالم بصورة ملحوظة ومميزة نتيجةً للتحويلات العاصفة والامتسارعة التي مسّت العالم آنذاك. ولفهم أعمق للطرح القائل بصعود العالم الإسلامي واتجاهه نحو استخلاف الحضارة الغربية بعد أفولها، تم تقسيم الأدبيات المتناولة لهذا الطرح إلى أدبيات غربية وأخرى إسلامية.

### الفرع الأول: صعود العالم الإسلامي في الأدبيات الغربية

لقد تناول روجي غارودي Roger Garaudy الإسلام بإيجابية في كتابه "وعود الإسلام" حيث قال فيه: "إن المقصود من هذه الدراسة هو مستقبلنا ومستقبل الجميع، وإن هذا الكتاب ليس كتاب تاريخ، بل هو اقتراب جديد من الإسلام، كقوة حية، لا في ماضيه

(1) السيد أمين شلبي، التسعينات: أسئلة ما بعد الحرب الباردة، المرجع السابق، ص 12.

(2) حسن نافعة، "حتمية الزعامة الأمريكية: تحد للانعزالية الجديدة"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع 227، جانفي 1998، ص 167.



فقط وإنما في كل ما يستطيع أن يسهم به اليوم في ابتكار المستقبل"<sup>(1)</sup>، مع الإشارة إلى أنه قد تحدث في كتابه هذا عن تجريم الغرب وقرب موته لأنه يحتوي في ذاته بذور سقوطه<sup>(2)</sup>.

كما أصدر "مراد ويلفريد هوفمان" Murad Wilfried Hofmann، سفير ألمانيا الأسبق في المغرب، سنة 1992 كتابا بعنوان "الإسلام كبديل"، والذي اعتبره المؤلف "أنه مرافعة عن الإسلام وتزكية، جذورها ضاربة في التاريخ، وأسسها قائمة على العلم والموضوعية"<sup>(3)</sup>، انطلق هوفمان من الفراغ الروحي الذي يعاني منه النظامين الغربي والشيوعي الملحدّين، وما نتج عنه من تفشي المخدرات والانحلال الأخلاقي والتفكك الأسري وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية والسلوكية التي تهدد حياة الفرد في تلك المجتمعات، ليصل إلى نتيجة مفادها أن الإسلام سيثقل الفراغ الناجم الذي سيخلفه العالم الغربي والشيوعي على مسرح الأحداث في حالة إفلاسه الروحي، حيث قال في موضع آخر من كتابه: "كان الإسلام إيان الصراع بين العالم الغربي والشيوعية يستطيع أن يعدّ نفسه الطريق الثالثة المباشرة لهما، أي أنه الخيار الحر المستقل عن كليهما لفهم العالم والتعامل معه عقائديا، أما اليوم (وقصد فترة ما بعد نهاية الحرب الباردة) فإن الإسلام يطرح نفسه بديلا لكلا النظامين [...]"، ولا يخفى عن المتأمل بعيد الرؤية أن يرى الزحف الإسلامي في القرن الحادي والعشرين مسيطرا مُمكنًا لانتشاره دينا لأغلبية البشر"<sup>(4)</sup>.

إن التنبؤ بالتصاعد الإسلامي على المستوى العالمي ليس جديدا سماعه من الغرب، بل إن هناك مفكرين وفلاسفة قد سبقوا غارودي وهوفمان وغيرهما في تقديم هذه الفكرة، ومن هؤلاء "أوزولد شبينجلر" Oswald Spengler حيث أن من أبرز ما قاله في هذا

(1) روجيه غارودي، وعود الإسلام، المرجع السابق، ص 187.

(2) نفس المرجع، ص ص 19 - 20.

(3) مراد ويلفريد هوفمان، الإسلام كبديل، ترجمة: غريب محمد غريب، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1997، ص 19.

(4) نفس المرجع، ص 20.

السياق: "إن للحضارة دورات فلكية، تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية"<sup>(1)</sup>.

في نفس السياق قال "برنارد شو" George Bernard Shaw في النصف الأول من القرن العشرين: "إن أوروبا سوف تقبل الإسلام ولو تحت اسم آخر"، كما تنبأ في كتابه "الإسلام بعد مائة عام" قائلاً: "في المستقبل العاجل عندما يريد الرجال المفكرون أن يلجأوا إلى دين يحمي الفضيلة ويقي المجتمع، ويكون سبباً للحياة السعيدة للبشر، فسيجدون الإسلام هو الدين الوحيد الذي يضمن لهم التقدم والنجاح، وأول البراهين على ذلك أن الإسلام لا يمنع أي تقدم سواء كان في النهضة الفلسفية أو الكيميائية"<sup>(2)</sup>، ولم يصدر موقفه هذا من فراغ بل جاء كرد فعل منه على ما كانت تعاني منه أوروبا والغرب عامة آنذاك، فقد أرقه اللهاث وراء المادة وضياع الأمن والأمان وتقشي الجريمة بكافة صورها وغياب العامل الروحي وافتقاد هدف سام للحياة<sup>(3)</sup>.

كما تحدّث المفكر الألماني "باول شميتز" Paul Schmitz في كتابه "الإسلام قوة الغد العالمية" عن مستقبل الإسلام والعالم الإسلامي قائلاً: "إن التاريخ سيعيد نفسه مبتدئاً من الشرق [...] من المنطقة التي قامت فيها القوة الإسلامية العالمية، وتظهر هذه القوة في تماسك الإسلام ووحدته ووضوحه [...] وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون فعالية هذه القوة والاستفادة منها..."<sup>(4)</sup>، حيث أكد على أنه يوجد لدى المسلمين من مصادر القوة ما لا يملكه أتباع دين آخر على وجه الأرض، أهم هذه المصادر: <sup>(5)</sup>

- إنهم يسكنون منطقة جغرافية تتحكم في العالم كله.

(1) عبد الله عزام، الإسلام ومستقبل البشرية، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1980، ص 40.

(2) أنور الجندي، آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في الغرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص 102.

(3) ياسر حسين، الإسلام.. مستقبل أوروبا، دار الأمين، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص 66.

(4) كمال الدين عبد الغني المرسي، المرجع السابق، ص 217.

(5) باول شميتز، الإسلام قوة الغد العالمية، ترجمة: محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1983،

- لديهم خصوبة بشرية تمكنهم من التفوق على غيرهم إن أحسنوا إعدادها وتوجيهها.  
- يملكون من الثروات والمواد الخام ما يستطيعون به بناء قوة صناعية تضاهي أرقى الصناعات العالمية.

- الإسلام الذي له قوة سحرية على تجميع الأجناس البشرية المختلفة تحت راية واحدة، وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به إلى الدفاع عن أرضه وثرواته مسترخيا في سبيل ذلك كل شيء حتى روحه.

ثم ختم "شميتز" كتابه بكلام ينذر بالصدام والحرب، حيث قال: "إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا وهتاف يجب آفاقها، يدعو إلى التجمع والتساند الأوروبي لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو وينفض النوم من عينيه، هل يسمعه أحد؟ هل من مجيب؟" (1).

لقد استقبلت الأوساط العربية والإسلامية كتاب "باول شميتز" باعتزاز مستبشرةً به لما يتضمنه من شهادة "الكاتب الغربي" الذي أكد فيها على حركية الإسلام وتقدمه في المستقبل، مع أن الكتاب يراد به في الأصل لفت أنظار أوروبا المتطاحنة والمفككة آنذاك إلى الإسلام والعالم الإسلامي كقوة عالمية متصاعدة من خارج الحضارة الغربية (2).

من جانبه قال "ريتشارد نيكسون" Richard Nixon في كتابه "الفرصة السانحة":  
"... يحذر المراقبون من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة، وإنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية المتاحة سوف يشكل المسلمون قوة هائلة ومخاطر كبيرة" (3).

كذلك جاء على لسان الرئيس البرتغالي الأسبق "أنطونيو سالازار" Antonio Salazar: "إن الخطر الحقيقي الذي يهدد الغرب بشكل مباشر وعنيف هو الإسلام،

(1) محمد مورو، الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة، دار الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص 106.

(2) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص 119.

(3) محمد مورو، المرجع السابق، ص 106.

فالمسلمون عالم مستقل ويملك تراثا روحيا وحضارة ذات أصالة، ويستطيعون إقامة قواعد لعالم مستقل دون الحاجة إلى الحضارة الغربية [...] وإذا تهيأت للمسلمين سبل الإنتاج الصناعي فإنهم سينتقلون إلى العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين [...] وسينتشرون في الأرض ليزيلوا قواعد الحضارة الغربية فيقذفوا برسالتها إلى متاحف التاريخ [...] إن العالم الإسلامي عملاق مقيد لم يكتشف نفسه بعد"<sup>(1)</sup>.

لم تكن الأصوات المستشرفة بصعود الإسلام والعالم الإسلامي منبعثةً من الغرب فقط، بل حتى في الشرق هناك من المفكرين من تنبأ بذلك، فقد تساءل العالم الروسي "تروجانوسكي" Trojanowski في سنة 1919: "متى وأين تأتي الثورة العالمية الثالثة؟"، مشيرا بهذا إلى الثورتين العالميتين الفرنسية والروسية، وإلى فشلها في نواحي متعددة، وإلى أن العالم في حاجة إلى ثورة قادمة تستطيع أن تصحح من مسارات الحركة الإنسانية، ثم أجاب بأن تلك الثورة لن تأتي إلا من العالم الإسلامي<sup>(2)</sup>.

في مقابل هذه الكتابات والتصريحات التي تنبأت بصعود الإسلام والعالم الإسلامي، توجد دراسات أخرى ذات منظور مستقبلي لم تعر أي أهمية لا للإسلام ولا للعالم الإسلامي، من حيث المكانة المستقبلية المنتظرة بشأنهما، فهذا "بول كيندي" Paul Kennedy في كتابه "الاستعداد للقرن الحادي والعشرين" الصادر عام 1992، لا تكاد المساحة التي خص بها العالم الإسلامي تشكل نسبة تذكر فيه، حيث أنه بعد حديثه عن أمريكا اللاتينية التي توقع لها أن تصبح هامشية بعد نهاية الحرب الباردة، وإمكانية أن يحصل فيها انهيار اقتصادي واجتماعي واسع، قال: "فلهم عزاء في العالم الإسلامي"، بهذه الجملة دشّن كيندي حديثه عن العالم الإسلامي الذي يعاني في نظره من: الضغوط السكانية ونقص المصادر التعليمية والتكنولوجية وتفجّر الصراعات الإقليمية التي تتحدى أحكم الحكومات، ليخلص في الأخير إلى نهاية مأساوية بشأن واقع ومستقبل العالم

(1) صالح عوض، "متى ينهض المارد الإسلامي؟"، جريدة الشروق اليومي، ع 5096، 11 ماي 2016، ص 17.

(2) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص 119.

الإسلامي مفادها: "فبعيدا عن الاستعداد للقرن الحادي والعشرين فإن معظم العالمين العربي والإسلامي يجد صعوبة في التعامل حتى مع القرن التاسع عشر"<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: صعود العالم الإسلامي في الأدبيات الإسلامية

لقد اختلفت آراء ومواقف المفكرين والباحثين المسلمين بشأن مستقبل العالم الإسلامي، حيث ذهب فريق إلى اعتبار أن التاريخ الإسلامي إنما هو انحدار مستمر من بداية لا تحاكى ولا تضاهى وهي عصر النبوة لما كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقود مجتمع المسلمين، وحجة هذا الفريق أن كل جيلٍ تالٍ يصبح أقل موثوقيةً وصدقاً<sup>(2)</sup>، واستدل في موقفه هذا بحديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ"<sup>(3)</sup>، في حين اعتقد فريق ثانٍ أن التاريخ الإسلامي هو حركة صعود وهبوط. أما فريق ثالث، وهو الأكثر تفاقولا، فجزم أن الإسلام في تقدم مستمر، إذ انتشر الإسلام في جميع أنحاء العالم، وأصبح عدد المسلمين لا يقل عن 1,3 مليار نسمة، وأصبح الدين الثاني في أمريكا وأوروبا، وهو الدين الأسرع في الانتشار، إن لم يكن هو الدين الوحيد الذي ينمو ويتعاضم، فلم يكن هناك أحد يتخيل قيام دولة مسلمة في أوروبا مثل ألمانيا، ولا أن يكون في أوروبا خمسة عشر مليون مسلم وفي أمريكا ثمانية ملايين مسلم<sup>(4)</sup>.

لقد استشهدت أغلب الدراسات الإسلامية في استشرافها لمستقبل الإسلام والعالم الإسلامي بما جاء في القرآن الكريم من آيات تبشر بسيادة الدين الإسلامي على الناس، وبانتصار المؤمنين في نهاية التاريخ على أعدائهم، ومن هذه الآيات قول الله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}<sup>(5)</sup>، وقوله جلّ جلاله:

(1) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص 128.

(2) مراد ويلفريد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، المرجع السابق، ص 116.

(3) صحيح البخاري، كتاب الفتن، رقم 6657.

(4) مراد ويلفريد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، المرجع السابق، ص 136.

(5) سورة الأنبياء - الآية 105.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>(1)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

إن المتتبع لأغلب الدراسات والأدبيات الإسلامية المتناولة لمستقبل العالم الإسلامي سيخرج بملاحظات أهمها ما يلي:

1 - إن أغلب الكتابات الإسلامية التي تطرقت إلى موضوع المستقبل انطلقت من حتميات دينية من غير أن تؤسس لهذه الحتميات أسبابها الموضوعية، حيث أننا لا نختلف كمسلمين على صدق هذه الآيات الكريمة، فإن وعد الله حق لا ريب فيه، وإنما يأبى الله إلا أن تجري الأمور بأسبابها، ووفق سننه في حياة البشر، السنن التي لا تبديل فيها ولا تحويل، فلا يصح أن تؤخذ هذه الحتميات مفصولة عن سننها وبعيدة عن أسبابها الموضوعية.

2 - إن المستقبل الذي تتطرق إليه أغلب الدراسات الإسلامية ليس المستقبل بالمفهوم العلمي وإنما بالمفهوم العام، كما أنها لم تعكس التطورات المهمة التي حصلت في حقل الدراسات المستقبلية، والاستفادة منها في دراسة وتحليل قضايا العالم الإسلامي الراهنة والمستقبلية، بل عادةً ما يجري التعامل مع مصطلح "المستقبل" بعمومية وإطلاق وكمجرد كلمة عادية مفرغة من أي مضامين علمية ومن دون تشخيص دقيق لمراحل وخطوات الدراسة، ومن غير الاستناد على خطط وبرامج مجدولة زمنياً، تأخذ معطياتها وأسسها من مسح شامل يستوعب حقائق العالم الإسلامي في كافة الميادين، وتحويل هذه الحقائق من الوضعية الكيفية إلى الوضعية الكمية<sup>(3)</sup>.

(1) سورة الأنفال - الآية 7-8.

(2) سورة التوبة - الآية 32 - 33.

(3) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص ص 116-117.

3 - إن الواضح من هذه الكتابات أنها تتعرض إلى زوال الغرب من خلال حتمية مطلقة، والذي يعترض هذه الحتمية هو كيف أنها سمحت لأن ينهض الغرب بحضارته، إذا كان يقصد بهذه الحتمية المشكلة الأخلاقية والقيمية. إن هذه المشكلة مع أنها تضاعفت بصورة خطيرة للغاية إلا أنها في الأساس كانت موجودة منذ القديم في المجتمعات الغربية، وإن كانت بشكل أقل وبفارق كبير عما هي عليه في الواقع الراهن، فهذا الغرب ليس كله مشكلة أخلاقية وإن كانت هي المشكلة الأبرز، فهناك الغرب الذي يقدر العلم ويحترم العلماء وأصحاب الكفاءات ويقدر العمل والإنجاز والإتقان والفاعلية والتطور<sup>(1)</sup>.

4 - مبالغة بعض الكتابات الإسلامية التي صورت العالم الإسلامي باعتباره البديل الحضاري لحضارة الغرب وأن المسلمين عندهم مفتاح الحل لمشكلات العالم الحضارية، كيف يعقل هذا الكلام والعالم الإسلامي يعيش كل أشكال التخلف الشامل في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية<sup>(\*)</sup>، كيف نطرح أنفسنا نحن المسلمين كبديل حضاري للعالم ونحن لا نستطيع أن ننشل أنفسنا من هذا الواقع المتخلف الذي لا يطاق، والذي يصعب علينا تصويره كما هو واقع فعلا. يكفي إسقاط مفهوم سقوط الحضارة عند مالك بن نبي، الذي سبق تناوله، أو إسقاط رؤية "أرنولد توينبي" Arnold Joseph Toynbee لأسباب انهيار الحضارات - التي يرُدُّها إلى ثلاثة أسباب هي: قصور الطاقة الإبداعية في الأقلية، وعزوف الأغلبية عن محاكاة الأقلية بعد قصور طاقاتها الإبداعية، وفقدان الوحدة الاجتماعية في المجتمع بصفة عامة نتيجة لما سبق<sup>(2)</sup> - على واقع العالم الإسلامي لمعرفة صورة هذا الأخير بكل موضوعية، فإذا لم نضع أنفسنا في حجمنا الطبيعي ولم ننظر لأوضاعنا بواقعية وموضوعية، فلن ندرك حاجتنا من التغيير والإصلاح ومستوى الجهد الذي ينبغي أن يُبذل ونوعية الخطط والبرامج التي تتناسب مع

(1) نفس المرجع، ص 114.

(\*) للتوسع أكثر أنظر "مؤشرات ضعف العالم الإسلامي" في المطلب الثالث من المبحث الأول في الفصل الأول.

(2) نعمان عبد الرزاق السامرائي، في التفسير الإسلامي للتاريخ، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د ط، 1988، ص

هذه الأوضاع وحجم المشكلات، فنحن مع أوضاع شديدة التخلف لا يناسبنا أن ندعي لأنفسنا عناوين مبالغ فيها كالبديل والخيار والحنمية<sup>(1)</sup>.

5 - إن ما صدر ويصدر عن الأدبيات الإسلامية من تبشير شبه مستمر بقرب سقوط الغرب ومن ثم نهوض الأمة الإسلامية إنما هو تعبير عن رغبة دفيئة وليس حقيقة موضوعية، إذ إن مثل هذه الأدبيات ترى أن سقوط الغرب شرط أساسي من شروط النهضة المرجوة، وبالتالي فإنها، أي هذه الأدبيات، تضيي رغبتها هذه على الواقع ولا ترى فيه إلا ما تريد أن تراه من عوامل سقوط وانهايار هنا وهناك، وفق عمليات الاختزال والإخفاء والإبراز والإسقاط. أما الواقع الموضوعي فإنه بعيد كل البعد عن مثل هذه الذهنية التي لا تريد الاعتراف به، مثل هذه الذهنية لا شك أن إنتاجها سوف يكون ذاتيا صرفا، محوره الذات وتضخيمها والعالم كله يدور حول هذه الذات، وإنتاجها الفكري لن يتمتع بأي جاذبية لغير أهله لأنه منتج أساسا لإشباع رغبات منتجيه ليس إلا، وبالتالي لا يمكن أن يصل بأي شكل من الأشكال إلى مستوى العالمية وفق الثغرات السابقة الذكر<sup>(2)</sup>.

6 - إن أغلب الدراسات الإسلامية تعاني من الخلط وعدم التمييز بين مستقبل الإسلام كدين ومستقبل العالم الإسلامي كواقع موضوعي، خاصة مع المفارقة الكبيرة بين إيجابية الأول وسلبية الثاني.

7 - تأثر أغلب الدراسات الإسلامية في تبشيرها بصعود العالم الإسلامي ببعض ما كان يصدر في الغرب من كتابات تنذر بخطر ما ينتظر الغرب والحضارة الغربية من تدهور واندحار وسقوط، وفي مقدمة هذه الكتابات: كتاب "أفول الغرب" للألماني "أوزوالد شبينجلر" Oswald Spengler ، وكتاب "سقوط الحضارة" للبريطاني "كولن ولسن" Coln Wilson، وكتاب "الساعة الخامسة والعشرون" لكونستونتين جورجيو Constantin Virgil Gheorghiu، وكتاب "الخمور الفكرية" لآرثر كوستلر Arthur

(1) زكي الميلاد، المسألة الحضارية، المرجع السابق، ص ص 116 - 117.

(2) تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، المرجع السابق، ص 188.



Koestler، وكتاب "الطريق إلى مكة" لليوبولد وايس Leopold Weiss، وكتابا "منعطف الاشتراكية الكبير" و"البديل" لروجي جارودي Roger Garaudy، وكتاب "عصر السريالية" لوالاس فاولي Wallace Fowlie، وكتاب "الإنسان ذلك المجهول" لألكسيس كاريل Alexis Carrel، وكتاب "البحث عن الأيديولوجيا البديلة" لروبير ديون Robert Dion<sup>(1)</sup>.. وغيرها، ومع ذلك يمكن التأكيد من منطلق الواقع الدولي أنه حتى على افتراض أن الغرب مهتدّ بالسقوط، فهذا لا يعني أننا كمسلمين مرشحون للصعود بهذه الأحوال التي نحن عليها<sup>(\*)</sup>.

### الفرع الثالث: صعود العالم الإسلامي والسنن الإلهية

يعتقد الفقهاء المسلمون أن هناك مجموعة من السنن الإلهية التي تعتبر بمثابة قوانين تجري على الأولين والآخرين وعلى المسلمين والمشركين وعلى مختلف الأمم والحضارات بما فيها الغرب والعالم الإسلامي، وهي سنن لا تتبدل ولا تتغير لقول الله عزّ وجلّ: {..فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا<sup>(2)</sup>، وقد تكررّت الإشارة إلى هذا القانون الربّاني في آيات عدّة كقول الله تعالى: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا<sup>(3)</sup>، وقوله أيضا: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا<sup>(4)</sup>، وقوله: {سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا<sup>(5)</sup>، كما ذهب بعض الفقهاء إلى اعتبار هذه السنن كمبشرات بتمكين العالم الإسلامي وصعوده بل واستخلافه لمكانة الغرب الريادية. ومن بين هذه

(1) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992، ص ص 35-36.

(\*) للتفصيل أكثر أنظر "مؤشرات ضعف العالم الإسلامي" في المطلب الثالث من المبحث الأول في الفصل الأول.

(2) سورة فاطر - الآية 43.

(3) سورة الإسراء - الآية 77.

(4) سورة الأحزاب - الآية 62.

(5) سورة الفتح - الآية 23.

السَّنن الإلهية سنة التداول وسنة التدافع وسنة التغيير وسنة التمكين، وفيما يلي شرح كلِّ منها:

أولاً: سنة التداول، أي المداولة للأيام بين الأمم، وهي السنة التي قرَّرها القرآن الكريم في قول الله تعالى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} (1)، وهي الآية التي نزلت بعد هزيمة المسلمين في غزوة أحد، وقوله سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ، ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} (2). وقوله جلَّ جلاله: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (3)، تحدَّثت هذه الآيات الكريمة عن هزيمة الروم أمام الفرس في حرب وقعت قبل نزولها، ثم أُخبرت عن تغلب الروم على الفرس بعد بضع سنين من نزولها، وقد تحقق ما أُخبرت عنه الآيات حيث وقعت معركة فاصلة بعد سبع سنوات من نزولها هزم الروم فيها الفرس (4)، حيث أنه بانهزام الروم أصبحت كفة الميزان راجحة لصالح الفرس، مما أدى إلى خوف المسلمين من انفراد الفرس بالعالم وبالإسلام خاصة لكونهم مجوساً على عكس الروم الذين يعتبرون من أهل الكتاب، فيأتي القرآن الكريم ليبشِّر بأن الأمر لا يعدو أن يكون تداولاً للقوة لفترات قصيرة، ثم لتعمل سنة التداول وتغلب الروم بعد ذلك (5).

يجد الباحث في أحوال الأمم عبر التاريخ أن شعلة الحضارة تنتقل من أمة إلى أمة، فقد كانت قيادة العالم قديماً في يد الشرق على أيدي الحضارات الفرعونية والأشورية

(1) سورة آل عمران - الآية 140.

(2) سورة يونس - الآية 13-14.

(3) سورة الروم - الآية 1-5.

(4) صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص43.

(5) فتحي شهاب الدين، المرجع السابق، ص99.

والبابلية والكلدانية والفينيقية والفارسية والهندية والصينية، ثم انتقلت إلى الغرب على يد الحضارة اليونانية والرومانية، ثم انتقلت هذه القيادة مرة أخرى إلى الشرق على يد الحضارة الإسلامية التي جمعت بين الرقي المادي والسمو الروحي وبين العلم والإيمان، وحين غفا الشرق وغفل عن رسالته أخذ الغرب المبادرة وكانت له القيادة مرة أخرى، وقد أثبتت التجربة إفلاسه في الميدان الروحي وإفراطه في المادية<sup>(1)</sup>.

إن الحضارة أو القيادة ليست ملكاً لأحد، وبإمكان الكل أن يتطلع إلى دور هام أو فرصة في الريادة حين يكون أهلاً لذلك، ولو كان كافراً ملحداً، وبإمكان الأمة الإسلامية أن تتطلع إلى الصعود حتى وإن وصلت إلى أسفل السافلين، إذ أنه لا "حتمية" تقف في طريقها، فالصعود ليس أبدياً وكذلك السقوط، وقد علق القرآن الكريم ذلك على شرط واحد وهو "التغيير"، وهكذا تتراوح أحوال الأمم بين النجاح والفشل وبين الصعود والهبوط، ولكن من غير "حتمية" وإنما اعتماداً على "التغيير" الذي حصل بين أفراد الأمة صعوداً أو هبوطاً<sup>(2)</sup>.

**ثانياً: سنة التدافع،** إن التدافع بين الناس موجود منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة، فقد خلق الله الناس مختلفين ومنتازعين ومتدافعين، تصطدم مصالحهم وشهواتهم ورغباتهم، فيتصارعون ويتنافسون ويتقاتلون ويتدافعون فلا تبقى فئة حاکمة مطلقاً ولا تبقى أمة هي الأقوى أبداً، وبهذا التدافع بين الأشخاص والأحزاب والأمم والدول تصلح الأرض<sup>(3)</sup>، **مِصْدَاقًا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { وَكَلَّامًا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ }<sup>(4)</sup>**، وقوله **جَلَّ وَعَلَا: { وَكَلَّامًا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**

(1) يوسف القرضاوي، المبشرات بانتصار الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط3، 2004، ص ص 84-85.

(2) نعمان عبد الرزاق السامرائي، في التفسير الإسلامي للتاريخ، المرجع السابق، ص ص 124-126.

(3) صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص ص 189-190.

(4) سورة البقرة- الآية 251.

وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ<sup>(1)</sup>.

إن سنة التدافع تشير دائما وتؤكد على أن الغلبة تكون للإيمان وحده ومن ثم للمؤمنين، وهو ما يؤكد قول الله تعالى: { فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }<sup>(2)</sup>، وقوله عز وجل: { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }<sup>(3)</sup>.

يتجلى هذا التدافع في عدة صور تبعا لاختلاف الدوافع والأسباب، وعند التأمل في تاريخ الأمم والجماعات البشرية يظهر التدافع مقسما إلى نوعين:

- التدافع على الحياة الدنيا ومغانمها المادية، وأهداف هذا النوع منها ما هو مشروع ومنها ما هو غير مشروع.

- التدافع أو الصراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الكفر والإيمان، وهو صراع شامل وواسع ومعقد.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن التدافع سنة عالمية غير مختصة بجنس أو لون أو طائفة، ولا يكفي الحق أنه الحق ليوقف عدوان الباطل عليه، بل لا بد له من القوة التي تحميه وتدافع عنه<sup>(4)</sup>.

ثالثا: سنة التغيير، تُستخرج هذه السنة من قول الله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }<sup>(5)</sup>، وقوله عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }<sup>(6)</sup>، وفي هذا الإطار ذهب الدكتور يوسف القرضاوي إلى اعتبار أن سنة التغيير تعمل لصالح المسلمين بل واعتبرها من

(1) سورة الحج- الآية 40-41.

(2) سورة الروم - الآية 47.

(3) سورة آل عمران - الآية 139.

(4) حسن بن صالح الحميد، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم، رسالة دكتوراه (منشورة) تخصص شريعة، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 2011، ص ص 227- 230.

(5) سورة الأنفال - الآية 53.

(6) سورة الرعد - الآية 11.

المبشرات بصعود العالم الإسلامي، فالذين يتغيرون من الخير إلى الشر ومن الصلاح إلى الفساد يغير الله ما بهم من حال النعمة إلى النقمة ومن القوة إلى الضعف، أما الذين يتغيرون من الشر إلى الخير ومن الفساد إلى الصلاح، فهم أهل لأن يغير الله حالهم من الضعف إلى القوة، ومن الاستضعاف إلى التمكين<sup>(1)</sup>، وهو ما يعني وجوب الأخذ بأسباب النجاح والتطور من أجل مستقبل أفضل، والابتعاد عن التواكل والكسل وانتظار التقدم والنجاح دون تقديم أسبابهما.

رابعاً: سنة التمكين، تُستخلصُ هذه السنة من قول الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (2)، وقوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} (3).

ليس التمكين في الأرض أمنيةً ينالها الكسالى الذين لا يُعِدُّون للمواجهة عدتها، بل لا بد له من شروط أهمها الإعداد المادي الذي يجب أن يُؤخذ بأسبابه ضمن الحد الأقصى المستطاع، وكذا الإعداد المعنوي الإيماني وهو الشرط الأساسي لتمكين أهل الحق، ومن سنة الله أن يمكن أهل الإيمان ولو كانوا قلة ويخذل أهل الضلال ولو كانوا كثرة<sup>(4)</sup>، لقول الله تعالى: {فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} (5).

لقد وضع الله سبحانه وتعالى نواميس لسيرورة الكون والأمم، فمن أحسن فهمها والتعامل معها استحق التقدم والرفق ومن تجاهلها وصد عنها استحق التراجع والسقوط، فالقيادة في الأفراد لا تكون إلا لمن استحقها بجدارة وكذلك بالنسبة للأمم، والله تعالى لا

(1) يوسف القرضاوي، المبشرات بانتصار الإسلام، المرجع السابق، ص 87.

(2) سورة النور - الآية 55.

(3) سورة القصص - الآية 5.

(4) فتحي شهاب الدين، المرجع السابق، ص 101 - 103.

(5) سورة الروم - الآية 47.

يحابي مسلماً لمجرد إسلامه ولا يصد الكافر عن النجاح لمجرد كفره وكذلك بالنسبة للأمم. لذا علينا كمسلمين أن نحلّ في تاريخ أمتنا أسباب تقدمنا وسيادتنا العالم وأسباب تأخرنا فيما بعد وفقداننا مكانتنا وموقع قيادتنا للعالم<sup>(1)</sup>.

كذلك ذهب الدكتور محمد عمارة إلى اعتبار أن من حقائق العدل الإلهي كان حديث القرآن الكريم عن خيرية الأمة الإسلامية وبأنها خير أمة أخرجت للناس في قول الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}<sup>(2)</sup>، وهو حديث عن خيرية مشروطة باكتساب هذه الأمة لمجموعة من "الصفات المكتسبة"، وليس حديثاً عن "خيرية مطلقة" تدعيها هذه الأمة بحكم العرق أو الجنس أو اللون أو الميراث أو التاريخ أو أية صفة من الصفات اللصيقة التي لا فضل لها في تحديد معايير الخيرية ودرجاتها<sup>(3)</sup>.

إذا كانت هناك جملة من القوانين الإلهية والقرائن الواقعية التي تشير إلى احتمال سقوط الحضارة الغربية ومن ثم بزوغ فجر حضارة جديدة تستخلفها، والتي نمي كمسلمين أنفسنا أن نكون نحن المعنيين بها، فعلياً أن نتذكر جيداً أن الله سبحانه وتعالى لا يؤتي نصره من لم يكن جديراً به، مسلماً كان أم غير مسلم، ومن مقتضيات العدل الإلهي أن تنطبق سننه على الجميع مسلمين وغير مسلمين، ومن بين هذه السنن أنه لا يفوز إلا من امتلك أدوات الفوز ولا يسود إلا من امتلك أدوات السيادة، ومعنى ذلك أن على المسلمين أن يبذلوا جهودهم ليكونوا جديرين بالاستخلاف والتمكين<sup>(4)</sup>، وألاً يتوهما أن سقوط حضارة الغرب سيؤدي بالضرورة إلى توليهم قيادة ركب الحضارة الإنسانية.

في ذات السياق أكد الدكتور عبد الرزاق السنهوري أن بعث الخلافة الإسلامية وإحيائها، كنظام سياسي إسلامي، لا بد أن تسبقه نهضات علمية واقتصادية ولغوية

(1) نعمان عبد الرزاق السامرائي، في التفسير الإسلامي للتاريخ، المرجع السابق، ص 144.

(2) سورة آل عمران - الآية 110.

(3) محمد عمارة، هذا هو الإسلام 3، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص 43.

(4) نعمان عبد الرزاق السامرائي، في التفسير الإسلامي للتاريخ، المرجع السابق، ص 144.

- وقانونية داخل الدول الإسلامية وفيما بينها، وتمهّد لقيام الخلافة كنظام سياسي جامع أشبه بعصبة أمم إسلامية، ولتطبيق ذلك عمليا يمكن البدء بالنهضات التالية:
- نهضة تتناول الشريعة الإسلامية وجعلها مطابقة لروح العصر.
  - نهضة تتناول اللغة العربية، وإدخال ما يجب عليها من تعديلات وتوحيد اللهجات المختلفة فيها بقدر الإمكان.
  - نهضة اقتصادية، تتناول ربط الدول الإسلامية بمعاهدات تجارية واقتصادية واتحاد جمركي أو ما شابه ذلك.
  - نهضة لإحياء العلوم والمعارف الشرقية وبخاصة الإسلامية<sup>(1)</sup>.
- كخلاصة لما سبق يمكن القول أن الأولى بالدول الإسلامية أن تبادر بحل المعضلات التي تتخر جسدها على الصعيد المحلي في جميع الميادين<sup>(\*)</sup>، ثم معالجة مشكلاتها العالقة على الصعيد البيئي<sup>(\*\*)</sup>، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة البحث عن صيغة تكاملية أو اندماجية فيما بينها. حينها فقط نستطيع أن نعتبر أنفسنا كمسلمين قوة من بين القوى المرشحة لاستخلاف الغرب المهذّب بالسقوط.

(1) محمد عمارة، إحياء الخلافة الإسلامية: حقيقة أم خيال؟، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط2، 2008، ص ص 46-47.

(\*) أنظر "مؤشرات ضعف العالم الإسلامي" في المطلب الثالث من المبحث الأول في الفصل الأول.

(\*\*) أنظر النزاعات البيئية في الفرع الخاص بالمعضلة الأمنية في المطلب الثالث من المبحث الأول في الفصل الأول.

## خلاصة الفصل:

مما سبق يمكن القول أن الطرح القائل بنهاية التاريخ وسيادة الليبرالية الغربية كسيناريو مستقبلي للعلاقات الدولية عليه كثير من المؤاخذات والانتقادات على المستوى النظري، أما على المستوى الواقعي فما صعود بعض القوى الدولية المهددة لمكانة الغرب وأمريكا- كطرف محوري فيه- مثل أوروبا والصين واليابان إلا دليل على هشاشة هذا الطرح.

كذلك فإن الدراسات الإسلامية والغربية تتفاوت في قراءتها لواقع وآفاق الإسلام والعالم الإسلامي، بين قراءات فيها نوع من المرونة وبين قراءات فيها نوع من الإهمال، وبين قراءات متفائلة وأخرى متشائمة، ومن المتوقع لها ذلك التفاوت لأن الواقع ومعطياته واختلاف الباحث وأدواته يوصل إلى هذا النوع من النتائج. كما أن هذه الدراسات ليست جميعها على خطأ ولا على صواب، ولا يمكن أن تُؤخذَ على إطلاقية وعمومية وتجريدية بل هي بحاجة إلى تفكير نسبي وواقعي وموضوعي في النظر إليها.

رغم هذا التفاوت في الدراسات الذي يستبعد النظرة الواحدة، إلا أنه يمكن التأكيد بوضوح أن اتجاه هذه النظريات يختلف ويتميز ويتعدد بين النظرة إلى الإسلام كدين ورسالة وبين النظرة إلى العالم الإسلامي كواقع موضوعي، ففي الوقت الذي تصاحب النظرة إلى الإسلام في دراسات كثيرة حديثة ومعاصرة وإسلامية وغربية حالة من التوقع له بالنمو والصعود لما يظهره من قدرة على الحيوية والنهوض، نجد النظرة إلى العالم الإسلامي تصاحبها حالة يطغى عليها التشاؤم.



خاتمة

## خاتمة:

بعد التعرض لمختلف مفاصل موضوع البحث انطلاقاً من تحديد المفاهيم الأساسية التي يتمحور حولها الموضوع والمتمثلة في العالم الإسلامي والغرب وما يرتبط بهذا الأخير من مفاهيم النظام الدولي الجديد والعولمة، مروراً بالعلاقة التي تربط بين طرفي المعادلة، أي العالم الإسلامي والغرب، من خلال التركيز على العوامل والأحداث المؤثرة والمحددة لموقف كل منهما تجاه الآخر، وانتهاءً بالاحتمالات المستقبلية المتعلقة بوضع العالم الإسلامي والغرب والعلاقة المحتملة بينهما في إطار جدلية الحوار والصراع، وما يترتب على هذا الأخير بالنسبة لمستقبل الزعامة الغربية على العالم والقوى المرشحة لاستخلافها وموقع العالم الإسلامي من كل ذلك.

يمكن الوصول للنتائج التالية:

أولاً - فيما يتعلق بقطبي الموضوع محل الدراسة: العالم الإسلامي والغرب.

إن العالم الإسلامي كواقع موضوعي يظهر في صورتين: الأولى إيجابية تظهره كقطب إستراتيجي مؤهل للصعود من خلال ما يتمتع به من مؤشرات القوة، من موقع إستراتيجي وبعد حضاري وعوامل وحدة وثروات طبيعية، والثانية سلبية تبرزه كعالم ضعيف تتخر جسده مجموعة من المعضلات على الصعيد الثقافي والاقتصادي والسياسي والأمني. إلا أنه وبالموازنة بين الصورتين يمكن التأكيد على أن الصورة الأولى هي الغالبة باعتبار مؤشرات القوة فيها طبيعية وأصيلة، أما بالنسبة لمؤشرات الضعف فأغلبها عوامل بشرية مكتسبة يمكن تداركها وإصلاحها مما يغيّر من واقع ومستقبل العالم الإسلامي نحو الأفضل.

أما بالنسبة للغرب كقطب إستراتيجي فقد شهد محطات عديدة في تطوره إلى أن بلغ الوضع السائد منذ نهاية الحرب الباردة، حيث برز كقطب مهيم على العالم في جميع الميادين، لدرجة أن أصبح هناك نوع من التداخل والتلازم بين مصطلحات "الغرب"

و"النظام الدولي الجديد" و"العولمة"، كما أصبحت العولمة Globalization والغربنة Westernization والأمركة Americanization أقرب إلى اعتبارها كمترادفات.

**ثانيا- فيما يتعلق بالمواقف المتبادلة بين العالم الإسلامي والغرب:**

أما بالنسبة لموقف العالم الإسلامي والمسلمين من الغرب فقد كان كنتيجة حتمية لتراكم التجارب التاريخية المريرة والاحتكاك المتواصل بين العالم الإسلامي والغرب، من خلال عدة أحداث أهمها: الحروب الصليبية، وإعادة فتح إسبانيا، وتفكيك الإمبراطورية العثمانية، والحركة الاستعمارية، وقيام إسرائيل، وانتهاءً بالتدخل الغربي في الكثير من الدول الإسلامية، لدرجة أنه يمكن اعتبار هذه التجارب والأحداث كمحددات لموقف العالم الإسلامي والمسلمين من الغرب، والذي يبرز من خلال المواقف السلبية للمسلمين عامة، وبصورة أكثر وضوحا من خلال المواقف السلبية لمختلف الحركات الإسلامية تجاه الغرب.

أما بالنسبة لموقف الغرب من العالم الإسلامي فإن تراكم مجموعة من العوامل التاريخية أهمها: أجنبية الإسلام و فقدان أوروبا للوحدة المتوسطية وتراث الحقبة الاستعمارية والثورة الإسلامية في إيران وأحداث الحادي عشر سبتمبر 2001..، قد أثر تأثيرا عميقا لدرجة أنه يمكن اعتبار هذه العوامل كمحددات للموقف الغربي من العالم الإسلامي والمسلمين، هذا الموقف الذي أقل ما يوصف به أنه سلبي يظهر من خلال تشويه الإسلام والإساءة له ولرموزه وكذا الخلط بين فكرتي الجهاد والإرهاب، هو ما يمكن اختصاره في تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا التي لم تقف عند حدود الإطار النظري والنتظيري، بل تم ترجمتها على أرض الواقع إلى إستراتيجية غربية شرسة ومُحكمة ضد العالم الإسلامي والمسلمين.

لا بد من التأكيد في هذا الشأن على أن المسلمين، دولا وشعوبا، يتحملون القسط الأكبر من المسؤولية بخصوص الصورة النمطية والسلبية المتداولة عن الإسلام في

الغرب والعالم ككل، وذلك لكونهم لم يقدّموا النموذج الأمثل والمشرّف بل والحقيقي عن الإسلام، باعتبار أن الغرب وخاصة على المستوى الشعبي يبحث عن النموذج العملي المتّبع من قبل المسلمين لفهم الإسلام، فكان أن وجد نموذجاً سيئاً في أغلب الأحيان يبرز من خلال أوضاع المسلمين في شتى الأقطار الإسلامية وحتى المهاجرين منهم، فأثر ذلك على موقف الغرب من الإسلام والمسلمين، ومنه على إستراتيجيته تجاههم.

**ثالثاً-** فيما يتعلق بمستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب بين احتمالي الحوار والصراع:

أما بالنسبة لاحتمال الحوار بين العالم الإسلامي والغرب فقد كان يفترض من أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 أن تهيئ اللحظة التاريخية لانطلاق فكرة أو نظرية حول تعارف أو حوار الحضارات، لكي يتحصّن العالم من النزاعات والحروب، وحتى لا تتكرر مثل هذه الأحداث مرة أخرى، وهو ما يتطلب صياغة رؤية جديدة للعالم يشترك الجميع بكل تنوعاتهم الثقافية والدينية واللغوية والعرقية في صياغتها وبلورتها وتكاملها، وفي التضامن حولها والدفاع عنها. إلا أن منطق المصلحة وربما الحنين إلى الحروب الصليبية دفعا الغرب إلى اتخاذ هذه الأحداث كذريعة للمضي قُدماً باتجاه تكريس منطق الصراع أكثر من أي وقت مضى بدءاً من ضرب أفغانستان وما تلاه من أحداث.

كما أن احتمال الحوار بين العالم الإسلامي والغرب، وبغض النظر عن عقدة الدونية من جهة الأول وعقدة الاستعلاء من جهة الثاني، يبقى مجرد شعار أو أمني لبعض السياسيين والأكاديميين والإعلاميين من كلا الطرفين.

أما بالنسبة لاحتمال الصراع بين العالم الإسلامي والغرب فيمكن في البداية إبداء نوع من التحفظ على مصطلح الصراع لعدم تكافؤ القوة بين الطرفين، ومن ثم فإن العبارة المثلى لوصف واقع العلاقة هي سيطرة الغرب على العالم الإسلامي، وبغض النظر عن هذا التحفظ يعتبر احتمال الصراع المستقبلي هو الأكثر واقعية، خاصة بعد أحداث الحادي

عشر سبتمبر 2001 التي رسخت مفهوم الصراع بصورة أكثر تركيزا في تصور كل من العالم الإسلامي والغرب.

رابعا- فيما يتعلق بمستقبل العالم الإسلامي والغرب بين احتمالي "نهاية التاريخ" و"سقوط الغرب":

إن احتمال تحقق نبوءة "نهاية التاريخ" على طريقة فوكوياما والتي تعني سيادة الليبرالية الغربية كأكمل نموذج عرفته البشرية تقف دونه الكثير من العوامل، منها النظريات الأنثروبولوجية والتجارب التاريخية والوقائع الدولية وموازن القوى الدولية، والتي تصبُّ جلُّها في معنى قول الله تعالى { **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** }<sup>(1)</sup>. ومن ثم فإن مقولة "نهاية التاريخ" ما هي إلا تعبير عن الغرور الغربي والأمريكي في لحظة انتشاء على إثر انهيار المعسكر السوفييتي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم.

أما عن احتمال سقوط الغرب فيبدو أكثر واقعية بالنظر إلى محدودية الدورة الحياتية للأمم والحضارات مثلها مثل الكائنات الحية، وكذا السيرورة التاريخية التي تؤكد على تداول العديد من الدول والقوى على موقع الريادة على مرِّ العصور، إضافة إلى ما يعانيه الغرب من تناقضات كامنة بداخله، تم التفصيل فيها، والتي تُنبئُ بسقوطٍ وشيكٍ للغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية.

إن سنة الله في خلقه تستدعي تداول الأمم فيما بينها على موقع الريادة، ومن ثم فإن سقوط الغرب - أو الولايات المتحدة الأمريكية كقطب محوري فيه - سيفتح المجال على عدة احتمالات بشأن القوة المرشحة لاستخلافه من بين قوى عديدة أهمها الكتلة الأوروبية واليابان والصين، وذلك نظرا لتمتع كلٍ منها بمؤشرات قوةٍ تُنبئُ بصعودها مستقبلا.

أما بخصوص وضع العالم الإسلامي فلا شك أنه من الناحية النظرية يمثل قوة دولية نظرا لما يتمتع به من مؤشرات قوة، من موقع استراتيجي ووحدة دين ولغة وتاريخ

(1) سورة آل عمران - الآية 140.

وعادات مشتركة، وإلا لَمَّا اهتم به الغرب إعلامياً وأكاديمياً وسياسياً لهذا الحد، إلا أن أوضاعه السياسية والثقافية والاقتصادية والأمنية لا تبشّر باستحقاقه استخلاف الغرب على الأقل على المدى القريب أو المتوسط، وهو ما يستوجب نهضة شاملة في جميع الميادين حتى يكون مؤهلاً للحديث عنه ضمن القوى المرشحة لاستخلاف الغرب(\*).

### توصيات:

باعتبار أن واقع ومستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب يتحددان بنسبة كبيرة من خلال المواقف المتبادلة بينهما والناجئة بدورها عن تصورات كل طرف عن الآخر، فإنه يتعين على كل من العالم الإسلامي والغرب ما يلي:

#### أولاً - على صعيد العالم الإسلامي:

رغم واقع العالم الإسلامي المزري على جميع المستويات إلا أنه يجب على المسلمين الإحساس بالمسؤولية في إحداث التغيير انطلاقاً من الداخل للنهوض بأوضاعه من جهة، وكذا حمل رسالة إلى الآخر الحضاري من أجل تحسين صورة الإسلام والمسلمين من جهة أخرى، انطلاقاً من المخزون القيمي والفكري والأخلاقي الذي يتوافر عليه العالم الإسلامي، ويكون ذلك على عدة مستويات:

1 - على المستوى الداخلي: يجب على الدول الإسلامية منفردة أن تقوم بما يلي:

- تكريس دولة القانون والمؤسسات، وذلك بتحقيق العدل والمساواة بين مواطنيها بغض النظر عن انتماءاتهم، وبتجاوز مختلف الفروق والاختلافات الدينية والثقافية والعرقية والقبلية والجهوية والمادية في تسيير الشأن العام على مستوى كل قطر.
- إصلاح ذات البين، وذلك بحل الأزمات والنزاعات الداخلية، والقضاء على مسبباتها.

(\*) أنظر الرسم التخطيطي الملخص للاحتتمالات المستقبلية المتعلقة بنمط العلاقة المحتملة بين العالم الإسلامي والغرب وبأوضاعهما المستقبلية في الملحق رقم 11.

- تكريس لغة الحوار بكل معانيه بين مختلف الأطياف العرقية والدينية والمذهبية والجهوية، حتى يصبح الحوار ثقافة في المجتمع الإسلامي محليا، ثم بعد ذلك يمكن الحديث عن الحوار مع الآخر الحضاري.

- إحداث نهضة شاملة على جميع الأصعدة التعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، من أجل بلوغ مرحلة من التقدم يمكن فيها الحديث عن ندية العالم الإسلامي للغرب.

2 - على المستوى البيئي: يجب على دول العالم الإسلامي مجتمعة أن تبادر بما يلي:  
- السعي لإيجاد تسويات وحلول للنزاعات القائمة بينها، وذلك بتكريس ثقافة الحوار، وضرورة أن تلعب الهيئات والأجهزة الإقليمية المرتبطة بها كمنظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي وغيرها- كل في حدود اختصاصه- دورها في ذلك.

- السعي لإيجاد صيغ مختلفة للتكامل والاندماج الاقتصادي والتجاري على المستوى الجهوي والإقليمي وذلك تمهيدا لمستويات أعلى من الاندماج أسوةً بالتجربة الأوروبية.

3 - على مستوى المؤسسات والهيئات الدولية الإسلامية: يجب على مختلف الهيئات والمؤسسات التي تجمع دولا إسلامية، كمنظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي، ما يلي:

- الرفع من فعالية المؤسسات التمثيلية الموجودة، وعلى رأسها منظمة التعاون الإسلامي، وإضافة مؤسسات جديدة في مجالات التكامل الاقتصادي والتجاري تمهيدا لمراحل متقدمة اقتداءً بالتجربة التكاملية الأوروبية.

- القيام بدور أكثر فعالية في تحسين صورة الإسلام والمسلمين، وذلك بتنظيم ندوات وملتقيات فكرية وتخصيص قنوات فضائية وإعلامية وإذاعية لهذا الغرض.

- الترويج لثقافة الحوار وذلك بتبنيها عمليا في ممارسات هذه الهيئات على المستوى الداخلي، ثم بعد ذلك يصبح من السهل عليها الدعوة للحوار على مستوى العلاقة مع الغرب.

- على المؤسسات الدينية كالأزهر والزيتونة ووزارات الأوقاف في مختلف الدول الإسلامية أن تلعب دوراً أكبر في توضيح الصورة الحقيقية للإسلام، بإبراز الحدود بين الجهاد والإرهاب وبين الاعتدال والتطرف، هذا الأخير الذي يعتبر كمرجعية للنشاطات الإرهابية سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العالمي.

4 - على مستوى المسلمين عموماً: يجب على المسلمين سواء كانوا ساسة أو شعوباً أو مهاجرين في بلاد الغرب تحسين صورتهم كمسلمين وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام، وذلك بالرفع من مستوى سلوكياتهم مع الذات أولاً ثم مع الآخر الحضاري، مع ضرورة الاستفادة من الثورة المعلوماتية والإنترنت ومختلف القنوات الفضائية والمحطات الإذاعية في هذا السياق، وهو ما من شأنه وضع حدٍّ للإسلاموفوبيا التي تنامت حديثاً بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001.

#### ثانياً- على صعيد الغرب:

على الغرب عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة إعادة النظر في رؤيتها وموقفها من الإسلام والمسلمين بصورة أكثر موضوعية وإيجابية، وذلك بالاعتماد على الباحثين والأكاديميين والإعلاميين الأكثر موضوعية في هذا المجال، وبتجاهل الجهات الداعية إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر الغرب ساسة وشعباً، والتي تقف وراءها اللوبيات ذات الطابع الديني والعسكري والصناعي.

على الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبارها الوسيط في عملية السلام في الصراع العربي الإسرائيلي، أن تنتهج سياسةً أكثر موضوعيةً وعقلانيةً وعدلاً في هذه العملية، وذلك نظراً لقوة تأثير القضية الفلسطينية في الوجدان العربي والإسلامي، ومن ثم تأثيرها على موقف المسلمين من الغرب عامة وأمريكا خاصة، وهو ما يحدد بنسبة كبيرة الاتجاه المستقبلي للعلاقة بين العالم الإسلامي والغرب نحو الحوار أو الصراع.



الملاحق

الملحق رقم (1): مؤشرات أساسية حول العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>

الدولة	تعداد السكان (بالمليون نسمة) لسنة 2007	متوسط معدل النمو السكاني (2003-2007)	إجمالي الناتج المحلي بالمليار دولار لسنة 2007	نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي 2007
أذربيجان	8.5	0.9	31.3	3.652
الأردن	5.7	2.5	15.7	2.750
أفغانستان	27.4	3.8	9.4	341
ألبانيا	3.2	0.5	10.7	3.369
الإمارات	4.3	3.8	191.5	43.866
اندونيسيا	225.7	1.3	432.9	1.918
أوزبكستان	26.9	1.2	19.3	717
أوغندا	30.9	3.3	12.4	4.3
إيران	71.0	1.5	289.8	4.082
باكستان	162.5	2.3	163.3	1.005
البحرين	0.8	2.0	19.7	26.122
بروناي	0.4	2.2	12.4	31.825
بنغلادش	158.6	1.8	67.9	428
بنين	9.0	3.2	5.6	618
بورкина فاسو	14.8	3.1	7.1	483
تركمستان	5.0	1.4	26.2	5.279
تركيا	70.5	1.2	649.1	9.196
تشاد	10.8	3.3	7.5	693
توجو	6.5	2.7	2.5	386
تونس	10.2	0.9	35.0	3.424
الجابون	1.3	1.2	11.3	8.483
جامبيا	1.7	2.9	0.6	377
الجزائر	33.9	1.5	132.5	3.913
جزر القمر	0.2	2.2	0.5	743
جويانا	0.7	0.1	1.1	1.433
جيبوتي	0.8	1.8	0.8	1.002
ساحل العاج	19.3	1.7	20.7	1.072
السعودية	24.2	2.3	377.3	15.481
السنغال	12.4	2.6	11.2	9.6

(1) أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص ص 291-292.

1.443	55.7	2.0	38.6	السودان
1.887	7.5	2.7	19.9	سوريا
4.466	2.1	0.6	0.5	سورينام
331	1.9	3.4	5.9	سيراليون
291	2.5	3.0	8.7	الصومال
555	3.7	1.3	6.7	طاجكستان
2.356	69.7	3.0	29.6	العراق
15.519	40.3	1.2	2.6	عمان
451	4.2	1.9	9.4	غينيا
211	0.4	3.0	1.7	غينيا بيساو
1.472	5.5	3.4	3.71	فلسطين
76.391	63.9	3.9	0.9	قطر
715	3.8	1.0	5.2	قبر قيزستان
6.726	104.1	0.8	15.5	كازاخستان
1.112	20.6	2.2	18.5	الكاميرون
41.300	110.0	2.6	2.7	الكويت
6.014	24.6	1.1	4.1	لبنان
10.080	62.1	2.0	6.2	ليبيا
3.456	1.1	1.2	0.3	المالديف
555	6.8	3.0	12.3	مالي
7.033	186.7	1.8	26.6	ماليزيا
1.770	133.6	1.8	75.5	مصر
2.389	73.4	1.1	30.9	المغرب
875	2.7	2.7	3.0	موريتانيا
363	7.8	2.2	21.4	موزمبيق
289	4.1	3.5	14.2	النيجر
1.170	173.2	2.4	148.0	نيجيريا
968	21.7	3.0	22.4	اليمن
2.556	3.788.9	2.1	1.482.6	إجمالي المنظمة ب
8.314	45.848.9	1.3	6.597.5	العالم
39.561	39.542.3	0.2	999.5	الدول المتقدمة
2.734	15.306.6	1.4	5.598.0	الدول النامية

الملحق رقم (2): مؤشرات البحث العلمي في العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>

الدولة	عدد المقالات المنشورة 2008	عدد المقالات المنشورة (2008-2004 )	عدد المقالات المقتبسة (2008-2004 )	نسبة الإنفاق على البحث والتنمية من إجمالي الناتج المحلي (متوسط 2006- 2007)
أذربيجان	288	1.171	449	0.30
الأردن	1.165	4.566	2.664	0.34
أفغانستان	23	59	36	-
ألبانيا	50	168	107	-
الإمارات	644	2.720	1.670	-
اندونيسيا	661	2.794	1.850	0.06
أوزبكستان	283	1.382	681	-
أوغندا	355	1.524	1.089	0.28
إيران	10.550	82.586	18.383	0.59
باكستان	2.889	8.556	4.367	0.24
البحرين	107	480	268	-
بروناي	46	174	115	0.02
بنغلادش	729	2.895	1.774	-
بنين	302	1.064	564	-
بوركينافاسو	173	696	493	0.24
تركمنستان	4	23	13	-
تركيا	17.849	73.484	44.002	0.69
تشاد	15	81	61	-
توجو	43	190	102	-
تونس	1.872	6.720	3.654	0.73
الجابون	82	348	265	-
جامبيا	66	337	301	-
الجزائر	1.166	40218	2.221	0.20
جزر القمر	3	18	11	-
جويانا	16	80	41	-
جيبوتي	2	13	10	-
ساحل العاج	165	659	399	-
السعودية	1.718	7.090	3.931	-
السنغال	216	986	646	0.09

(1) نفس المرجع، ص ص 300-301.

0.37	382	622	154	السودان
-	467	804	198	سوريا
-	34	44	6	سورينام
-	17	40	14	سيراليون
-	11	16	6	الصومال
0.08	63	171	45	طاجكستان
-	295	2606	182	العراق
-	763	1.336	294	عمان
-	58	81	13	غينيا
-	85	99	17	غينيا بيساو
-	237	425	87	فلسطين
-	371	664	192	قطر
0.19	84	204	54	قبرقيستان
0.24	441	967	211	كازاخستان
-	1.153	1.831	459	الكاميرون
0.16	1.582	2.712	619	الكويت
-	30238	4.452	1.064	لبنان
-	184	381	91	ليبيا
-	8	11	1	المالديف
-	302	386	88	مالي
0.59	5.245	9.072	2.671	ماليزيا
0.19	9.454	15.627	3.800	مصر
0.60	2.646	4.664	1.074	المغرب
-	48	85	13	موريتانيا
0.50	219	306	78	موزمبيق
-	165	311	95	النيجر
-	2.880	6.498	1.940	نيجيريا
-	140	241	61	اليمن

(1) الملحق رقم (3): التجارة البينية لدول منظمة المؤتمر الإسلامي لسنة 2007

التجارة البينية لدول المنظمة ( النسبة المئوية من التجارة الاجمالية)	الواردات البينية لدول المنظمة		الصادرات البينية لدول المنظمة		إجمالي الواردات (بالمليون دولار)	إجمالي الصادرات (بالمليون دولار)	الدولة
	( النسبة المئوية من الواردات الاجمالية)	( بالمليون دولار)	( النسبة المئوية من الصادرات الاجمالية)	( بالمليون دولار)			
15.0	25.6	2.015	8.9	1.213	7.870	13.627	أذربيجان
41.1	38.5	5.209	47.3	2.618	13.531	5.534	الأردن
52.2	53.2	2.568	37.7	124	4.825	328	أفغانستان
8.3	9.8	366	2.7	26	3.730	976	ألبانيا
16.1	14.1	20.499	18.5	23.335	145.383	126.136	الإمارات
22.6	15.2	894	29.9	1.808	5.884	6.046	أوزبكستان
11.5	11.5	326	11.7	99	2.832	849	أوغندا
18.4	25.9	14.483	13.3	10.867	55.917	81.706	إيران
36.2	37.6	14.847	33.2	6.437	39.486	19.388	باكستان
23.3	47.7	4.964	12.7	3.037	10.406	23.916	البحرين
20.3	12.9	5.7	24.3	1.789	3.934	7.361	بروناي
13.9	20.4	3.769	4.3	543	18.476	12.639	بنغلادش
16.1	14.3	696	36.8	153	4.869	415	بنين
36.9	42.5	671	18.1	85	1.578	470	بورкина فاسو
33.8	39.6	1.392	31.2	2.411	3.514	7.727	تركمنستان
15.1	12.7	21.588	18.9	20.244	169.986	107.113	تركيا
7.4	29.0	211	0.7	16	727	2.340	تشاد
14.6	10.0	411	41.6	291	4.112	700	توجو
12.0	11.7	2.324	12.5	1.854	19.866	14.834	تونس
9.3	10.3	281	8.8	551	2.732	2.266	الجابون
34.4	36.0	307	5.6	3	853	46	جامبيا
7.7	10.2	3.309	6.3	3.594	32.443	57.050	الجزائر
27.9	25.1	40	43.0	13	161	30	جزر القمر
2.5	3.2	33	1.5	12	1.032	809	جويانا
42.4	35.5	681	73.6	311	1.919	423	جيبوتي
33.7	37.8	2.424	30.5	2.537	6.413	8.318	ساحل العاج
15.8	13.3	12.148	17.0	33.934	91.341	199.610	السعودية
20.9	13.0	648	43.8	752	4.981	1.716	السنغال
16.6	27.8	2.429	5.5	481	8.739	8.754	السودان

55.1	47.0	10.902	67.9	9.872	32.195	14.540	سوريا
5.8	1.7	21	9.4	133	1.236	1.410	سورينام
18.5	24.6	170	2.5	7	691	266	سيراليون
57.7	52.3	508	71.6	272	972	380	الصومال
47.5	38.9	981	69.4	688	2.521	992	طاجكستان
24.8	59.1	9.378	5.5	1.546	15.868	28.112	العراق
22.5	30.2	4.729	17.6	4.292	15.659	24.387	عمان
9.3	11.2	324	6.1	108	2.891	1.766	غينيا
25.7	29.0	71	20.9	34	244	146	غينيا بيساو
-	-	-	-	-	-	-	فلسطين
12.7	18.6	4.035	8.6	2.659	21.696	30.916	قطر
15.9	9.9	560	45.7	480	5.657	877	قيرغيزستان
8.5	6.2	2.253	10.7	4.020	32.339	37.568	كازاخستان
15.4	23.9	862	9.2	454	3.605	4.932	الكاميرون
17.1	20.2	4.230	15.7	7.395	20.940	47.099	الكويت
38.1	29.8	3.861	70.6	2.350	12.955	3.329	لبنان
8.9	19.2	2.504	5.8	2.533	13.043	43.674	ليبيا
28.8	31.8	364	9.1	16	1.144	172	المالديف
28.2	28.6	813	23.2	55	2.841	235	مالي
8.6	8.4	12.346	8.7	15.330	146.982	176.207	ماليزيا
18.8	14.8	7.397	27.3	6.399	49.981	23.440	مصر
14.4	17.3	5.579	8.6	1.362	32.248	15.839	المغرب
14.0	15.6	284	12.2	206	1.820	1.687	موريتانيا
4.1	5.9	222	1.7	46	3.758	2.721	موزمبيق
30.9	32.8	366	26.0	113	1.116	435	النيجر
7.0	7.2	2.737	6.9	4.066	38.014	58.924	نيجيريا
29.5	41.9	3.867	13.6	974	9.230	7.162	اليمن
16.1	17.9	216.010	14.5	197.327	1.206.659	1.306.459	إجمالي المنظمة
					5.957.560	6.219.420	الدول النامية
					14.369.600	13.818.100	العالم

الملحق رقم (4): خصائص التخلف السياسي لدى بارسونز (1)

الدول المتخلفة سياسيا	الدول المتقدمة سياسيا
الخصوصية	العمومية ( للوظائف والقوانين)
القرابة	الإنجاز
الانتشار / السطحية	التخصص / الدقة
التوجيه الذاتي	التوجيه الجماعي / المصلحة العامة
العاطفية	الحياد العاطفي

الملحق رقم (5): أكثر الدول الإسلامية نزاعا (2)

عدد أطراف النزاعات	عدد النزاعات	الدولة
6	14	العراق
3	9	إيران
5	8	السعودية
2	8	الكويت
4	5	مصر
1	4	أفغانستان
1	4	باكستان
3	4	الجزائر
2	4	قطر
4	4	ليبيا
3	4	مالي
3	4	نيجيريا

(1) عبد المنعم المشاط، المرجع السابق، ص 278.

(2) إسماعيل محمد، "النزاعات في العالم الإسلامي: ضحاياه 600 ألف قتيل"، تاريخ التصفح: يوم 2009/06/12، على موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/8105cfaf-99d3-41b2-bfa4-20770a61ed3e>



الملحق رقم (6): نزاعات تسبب فيها الخلاف السياسي<sup>(1)</sup>

سنوات النزاع	أسباب النزاع	أطراف النزاع
1958	الانقلاب على الحكم الهاشمي	العراق / الأردن
1961	الانفصال بعد الوحدة	مصر / سوريا
1977	خلافات إيديولوجيا	ليبيا / مصر
1987	خلافات سياسية	السعودية/إيران 1
1996-1988	خلافات سياسية	السعودية/إيران 2
1999-1992	خلافات سياسية	أوغندا / السودان

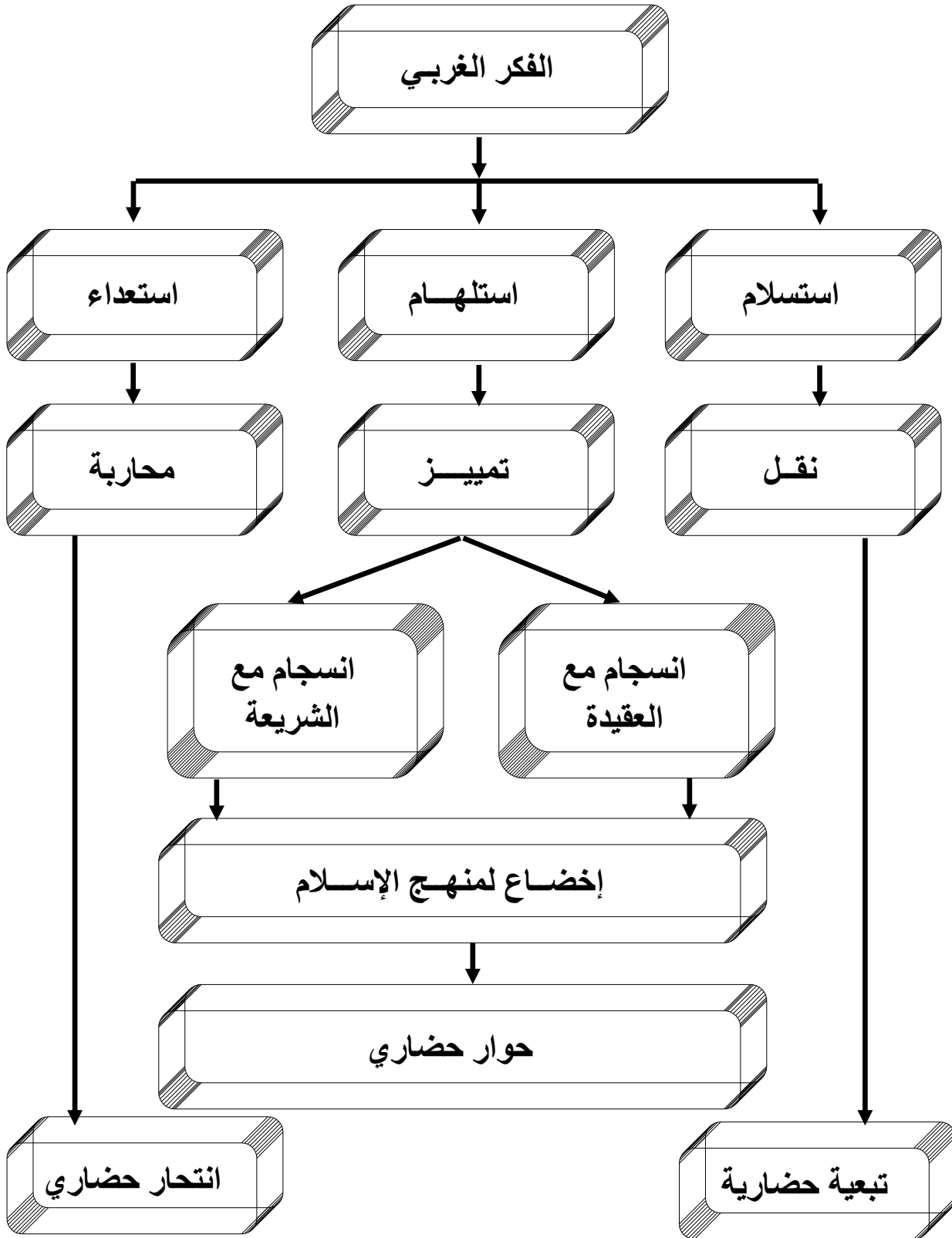
الملحق رقم (7): الفروق الرئيسة بين النظام الدولي القديم والنظام الدولي الجديد<sup>(2)</sup>

النظام الدولي الجديد	النظام الدولي القديم	الأنماط السائدة
شمال/جنوب	شرق/غرب	نمط الانقسامات
تكتلات تجارية	تكتلات عسكرية	نمط التكتلات
تجارية/اقتصادية	أيديولوجية/سياسية	نمط الصراعات
تسويات	صراعات	التفاعلات السياسية
نزاع السلاح	سباق تسلح	التفاعلات العسكرية
أحادي أو متعدد الأقطاب	ثنائي الأقطاب	الأقطاب
رأسمالية	رأسمالية/اشتراكية	الأيديولوجيات

(1) نفس المرجع.

(2) محمد عبد الغني سعودي، الجغرافية السياسية المعاصرة: دراسة الجغرافيا والعلاقات السياسية الدولية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د ط، 2010، ص 238.

الملحق رقم (8): التيارات الثلاثة في موقف المسلمين من الغرب (1)



(1) طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 1991، ص114.

**الملحق رقم (9): أهم نشاطات "الإيسيسكو" ISESCO في مجال حوار الحضارات (1)**

- إعلان الحوار بين الحضارات (طهران — إيران 3-5 ماي 1999م).
- الندوة الدولية حول العالم العربي — الفرانكوفونية : حوار الثقافات (باريس — فرنسا 2000 م).
- المؤتمر الدولي حول الدين والثقافة والبيئة (طهران — إيران 19 يونيو 2000 م).
- الندوة الدولية حول إسهامات الحضارة الإسلامية في الارتقاء بقيم حقوق الإنسان ومبادئها، (الرباط - المغرب 25-27 نوفمبر 2000 م).
- الندوة الدولية حول الحوار بين الحضارات في عالم متغير (الرباط 9-10 يوليو 2001 م).
- المؤتمر الدولي حول الجوانب السياسية للحوار بين الحضارات (كيوتو - اليابان 3-5 أغسطس 2001 م).
- الندوة الدولية حول الحوار بين الحضارات : التنظير والتنفيذ (تونس 12-13 نوفمبر 2001 م).
- الندوة الدولية حول الحوار بين الحضارات من أجل التعايش (دمشق 18-20 مايو 2002 م).
- الندوة الدولية حول الحوار بين الحضارات والثقافات : الفهم والتفاهم (إمارة ليختنشتاين 21-23 أكتوبر 2002 م).
- المؤتمر الدولي حول الحوار بين الحضارات : المفتاح إلى مستقبل آمن ( وارسو — بولونيا 23-26 أبريل 2003 م).
- الندوة الدولية حول حوار الثقافات : (أثينا — اليونان 1-4 مايو 2003 م).
- الندوة الدولية حول الشراكة من أجل الإنسانية (عمان — الأردن 26-29 يوليو 2003 م).
- الندوة الدولية حول حوار الحضارات : التنوع في إطار التكامل ( هيسن — ألمانيا 29-30 سبتمبر 2003 م).
- الندوة الدولية حول الغرب والحضارة الإسلامية : تأثير وتأثر (باريس — فرنسا 20 أكتوبر 2003 م).
- الندوة الإقليمية حول التنوع الثقافي (تونس — تونس 7-9 سبتمبر 2003 م).
- الندوة العالمية حول التراث الثقافي للقدس في إطار الحوار الإسلامي المسيحي (الرباط — المغرب 19-20 أكتوبر 2003 م).
- الندوة الدولية حول حوار الحضارات والثقافات (صنعاء — اليمن 10-11 فبراير 2004 م).
- الندوة الدولية حول دور الإسلام والمسيحية في بناء الوفاق (تونس - تونس 17-19 فبراير 2004 م).
- الإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي، الجزائر - ديسمبر 2004 م).
- الملتقى الدولي الأول للأئمة والحاخامات من أجل السلام (بروكسيل — بلجيكا 3-6 يناير 2005 م).
- الندوة الدولية حول الحوار الحضاري والثقافي : أهدافه ومجالاته (مكة المكرمة — السعودية 15-17 يناير 2005 م).

(1) أنظر بوابة "حوار الحضارات"، تاريخ التصفح: يوم 2014/04/21، على الموقع الإلكتروني للمنظمة الإسلامية

<https://www.isesco.org.ma/ar/dialogue-among-civilizations/#>

للتربية والعلوم والثقافة:

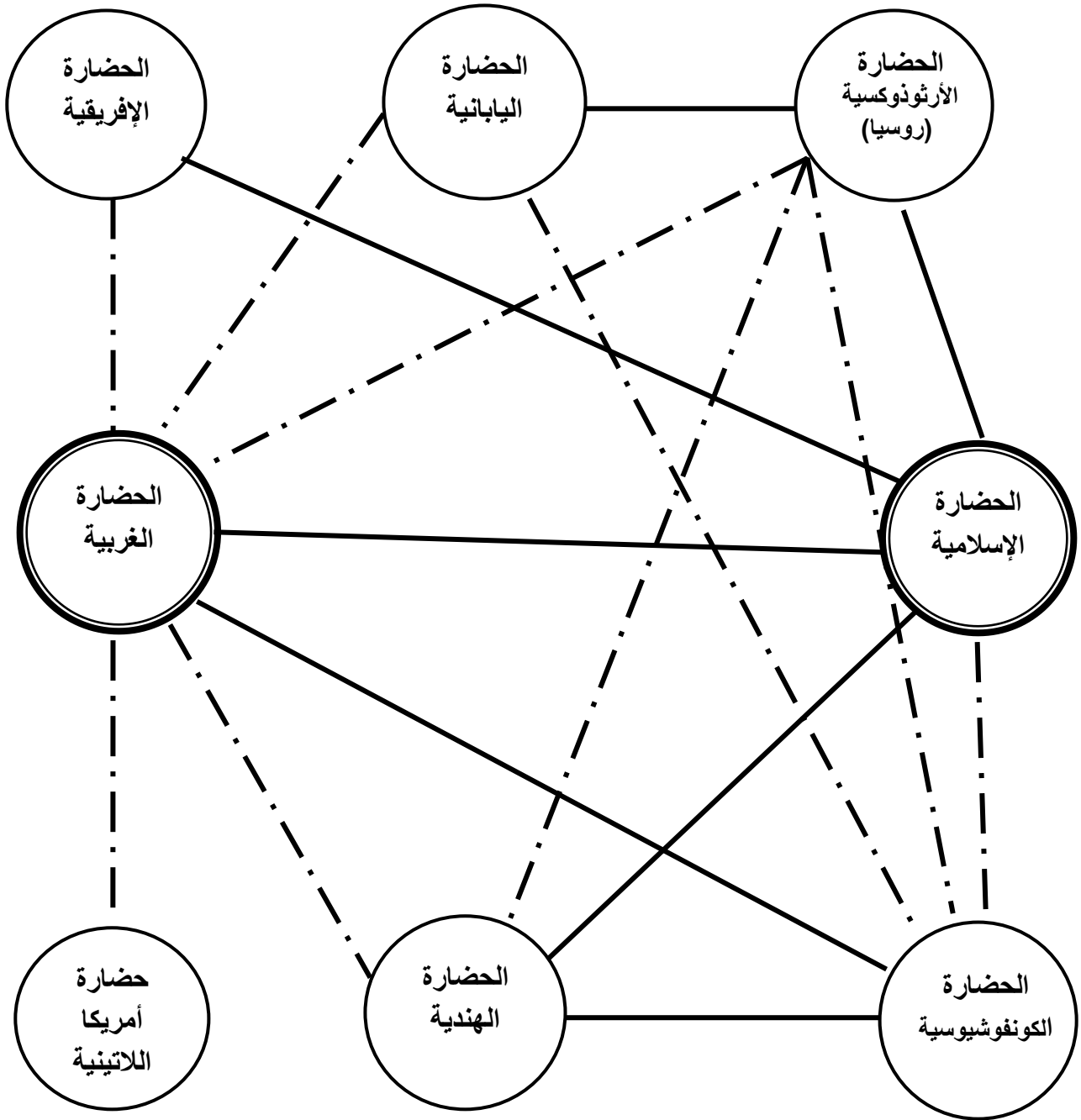
- المؤتمر الدولي حول الهجرة في عصر تعدد الثقافات (جنيف — سويسرا 11 مارس 2005 م).
- الندوة الدولية حول أوروبا وإدارة حوار الثقافات الأورو-متوسطية (القاهرة — مصر 10-12 أبريل 2005 م).
- المؤتمر الدولي الأول حول تعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات من خلال مبادرات ملموسة ومستدامة، (الرباط — المملكة المغربية 14-16 يونيو 2005 م، بالتعاون مع اليونسكو، ومنظمة التعاون الإسلامي، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمركز الدنماركي للثقافة والتنمية، ومؤسسة أناليند الأورو - متوسطية للحوار بين الثقافات).
- الندوة الدولية حول الحضارات والثقافات الإنسانية : من الحوار إلى التحالف (تونس 30 يناير - 01 فبراير 2006 م).
- المؤتمر الدولي حول الحوار بين شمال المتوسط وجنوبه : من أجل رؤية موحدة للمستقبل، (الجزائر — الجزائر 24-26 فبراير 2006 م).
- الملتقى الدولي الثاني للأئمة والحاخامات من أجل السلام (إشبيلية — إسبانيا 19-22 مارس 2006 م).
- المنتدى الأول للحوار العربي الأروبي، (باريس — فرنسا 26-28 أبريل 2006 م).
- المؤتمر الدولي حول جدلية الذات والآخر في عالم اليوم (فاس — المغرب 27 أبريل 2006 م).
- المؤتمر الدولي حول السلام والأمن والرخاء في البحر الأبيض المتوسط : عشر سنوات من التعاون الأورو — متوسطي، (جزيرة رودس — اليونان 2006 م).
- اجتماع المجموعة رفيعة المستوى لتحالف الحضارات (داكار — السنغال 29 مايو 2006 م).
- الندوة العلمية حول التنوع الثقافي والعولمة : أية رهانات للخدمات السمعية البصرية ؟ (الرباط — المغرب 16 يونيو 2006 م).
- اللقاء الدولي التاسع لتبادل الثقافات والتعرف على الحضارات (القاهرة — مصر 21-31 أغسطس 2006 م).
- منتدى حوار الشعوب والثقافات، (باريس — فرنسا 13-15 سبتمبر 2006 م).
- المائدة المستديرة حول ثقافة السلام اليوم، (باريس — فرنسا 21 سبتمبر 2006 م).
- الملتقى الدولي الثاني للتربية والثقافة حول تحالف الحضارات (شفشاون — المغرب 30 أكتوبر - 01 نوفمبر 2006 م).
- الندوة العلمية الدولية حول جامعة القرويين وحوار الأديان والحضارات (فاس — المغرب 8-10 يناير 2007 م).
- الندوة الدولية حول تفعيل مقومات الهوية الثقافية الإسلامية في مجال الفهم والتفاهم بين الشعوب والحضارات (الرباط — المغرب 26-28 فبراير 2007 م).
- اجتماع حول تعزيز ثقافة السلام والعيش المشترك (باريس — فرنسا 14-15 يونيو 2007 م).
- المؤتمر الدولي حول مفهوم الحب والتسامح في القرآن الكريم (عمان - الأردن 4-7 سبتمبر 2007 م).

- الندوة الدولية حول حوار الثقافات والأديان من أجل السلام والتنمية المستدامة (موسكو - روسيا 13-16 سبتمبر 2007 م).
- الاجتماع الوزاري لأصدقاء تحالف الحضارات (نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية 26 سبتمبر 2007 م).
- الندوة الدولية حول الوجود الإسلامي في أوروبا (باريس - فرنسا 17-18 أكتوبر 2007 م).
- المؤتمر الدولي حول السياحة والأديان وحوار الثقافات (قرطبة - إسبانيا 29-31 أكتوبر 2007 م).
- المؤتمر الدولي حول مبادرة الشباب من أجل تحالف الحضارات (باكو - آذربيجان 1-2 نوفمبر 2007 م).
- المؤتمر الدولي حول الإرهاب (تونس، 15-17 نوفمبر 2007 م).
- المنتدى الدولي الأول حول تحالف الحضارات (مدريد - إسبانيا 15-16 يناير 2008 م).
- الندوة العلمية الدولية حول الترجمة إغناء للثقافات ودعم لحوار الحضارات (تونس - تونس 20-22 فبراير 2008 م).
- المؤتمر 17 للأكاديمية اللاتينية : نحو شروط الحوار بين الثقافات (الرباط - المغرب 17-20 أبريل 2008 م).
- المؤتمر الدولي حول دور المرأة في توسيع حوار الثقافات (باكو - آذربيجان 10-11 يونيو 2008 م).
- المؤتمر السنوي الآسيوي حول السلام، (جالا - تايلاند 22-24 يوليو 2008 م).
- المؤتمر الدولي حول مستقبل العمل الإسلامي - المسيحي المشترك (لندن - إنجلترا 13 أكتوبر 2008 م).
- المؤتمر الدولي حول التربية على التفاهم الثقافي والحوار (كوبنهاجن - الدنمارك 21-22 أكتوبر 2008 م).
- المؤتمر السنوي لأكاديمية السلام، (فيوجي - إيطاليا 20-23 أكتوبر 2008 م).
- الندوة الدولية حول لقاء الثقافات على ضفاف المتوسط : كيمياء حوار متواصل (باريس - فرنسا 4 ديسمبر 2008 م).
- المنتدى الدولي الثاني حول تحالف الحضارات، (استانبول - تركيا 6-7 أبريل 2009 م).
- المنتدى السنوي لأكاديمية السلام : (إيفيان - فرنسا 2 مايو 2009 م).
- المؤتمر الدولي حول حوار الحضارات والتنوع الثقافي (القيروان - تونس 2-4 يونيو 2009 م).
- اللقاء الدولي الثاني عشر لتبادل الثقافات والتعرف على الحضارات (القاهرة - مصر 22-30 يوليو 2009 م).
- اجتماع فريق أصدقاء التحالف بين الحضارات (نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية 26 سبتمبر 2009 م).
- الاجتماع الثالث لجهات التنسيق لتحالف الحضارات (الرباط - المغرب 10-11 نوفمبر 2009 م).
- المؤتمر الدولي حول الحوار بين جنوب وشمال المتوسط (أليكانطي - إسبانيا 19-21 نوفمبر 2009 م).
- الندوة الدولية حول القدس مدينة الثقافة والحوار والتعايش (روما - إيطاليا 17-18 ديسمبر 2009 م).

- اجتماع فريق الحوار العربي — الأوروبي : (باريس — فرنسا 27-28 يناير 2010م).
- الاجتماع الأول للفريق الأوروبي — الأمريكي — العربي لتحالف الحضارات لعام 2010 (الرباط — المغرب 12 مارس 2010م).
- اجتماع الشركاء المعنيين بمشروع إعداد الدليل الإرشادي حول تحسين صورة ثقافة الآخر في كتب التاريخ المدرسية في أوروبا والعالم العربي الإسلامي (القاهرة — مصر 22 أبريل 2010 م).
- لقاء القمة لزعماء الأديان العالمية، (باكو — آذربيجان 26-27 أبريل 2010م).
- المؤتمر الثقافي حول الوسطية والحوار من أجل تعزيز التعايش السلمي بين الشعوب، (الكويت — الكويت 11-12 مايو 2010 م).
- المنتدى الدولي الثالث لتحالف الحضارات، (ريو دي جانيرو — البرازيل 28 مايو 2010م).
- الندوة الدولية حول الموسيقى لغة حوار مشتركة بين الثقافات (باريس — فرنسا 2 يونيو 2010 م).
- المؤتمر الدولي حول لقاء عالمين : إسهامات الثقافة العربية الإسلامية في الثقافة الإيبيرية — الأمريكية، (قرطبة — إسبانيا 13 سبتمبر 2010 م).
- الاجتماع التسيقي للمفوضية السامية لتحالف الحضارات، لجهات الاختصاص في الدول الأعضاء والمنظمات المتعاونة معها (برلين — ألمانيا 25-27 أكتوبر 2010م).
- الندوة الدولية كومبوستيل — قرطبة : طريق من أجل التفاهم والحوار (سيون — سويسرا 25-26 نوفمبر 2010م).
- المؤتمر الدولي الثاني حول سبل تفعيل الحوار بين الثقافات والأديان (دكا — بنغلاديش 27-29 نوفمبر 2010 م).
- اجتماع فريق أصدقاء التحالف بين الحضارات (نيويورك — الولايات المتحدة الأمريكية 10 مارس 2011 م).
- الاجتماع الثاني للفريق رفيع المستوى حول السلام والحوار بين الثقافات (نيويورك — الولايات المتحدة الأمريكية 11 مارس 2011 م).
- المنتدى العالمي للحوار بين الثقافات، (باكو، جمهورية آذربيجان 7-9 أبريل 2011م).
- المؤتمر الأول للحركة العالمية للشباب من أجل تحالف الحضارات (باكو — آذربيجان 9-10 أبريل 2011م).
- المؤتمر الدولي الأول حول قيم المواطنة وتحالف الحضارات (الرباط - المغرب 27-29 أبريل 2011م).
- المنتدى الإقليمي للجان الوطنية حول التقارب بين الثقافات (باريس 27 أبريل 2011 م).
- المؤتمر الدولي حول تعارف الحضارات (الإسكندرية — مصر 18-19 مايو 2011 م).
- المؤتمر الدولي الثالث عشر للجمعية الدولية للبحث فيما بين الثقافات (شيربروك — كندا 19-23 يونيو 2011م).

- المهرجان العالمي للثقافة، (برلين — ألمانيا 3 - 7 يونيو 2011 م).
- المؤتمر الدولي حول الإسلام في أفريقيا : التيارات الفكرية والمصادر التاريخية ومناهج البحث، (كوالالمبور — ماليزيا 19- 21 يوليو 2011 م).
- الندوة الثقافية حول الإدماج في أوروبا الجديدة (جنيف — سويسرا 28 سبتمبر 2011 م).
- المنتدى الإنساني الدولي، (باكو — أذربيجان 10- 11 أكتوبر 2011 م).
- الاجتماع الثاني لمراكز الاتصال المعنية بتحالف الحضارات في دول منظمة التعاون الإسلامي، (الرباط — المغرب 17- 18 أكتوبر 2011 م).
- الاجتماع السنوي لمجلس أمناء رابطة أديان من أجل السلام (مراكش — المغرب 16- 17 نوفمبر 2011 م).
- المنتدى الإسلامي — الكاثوليكي الثاني (موقع المغطس — الأردن 21- 23 نوفمبر 2011 م).

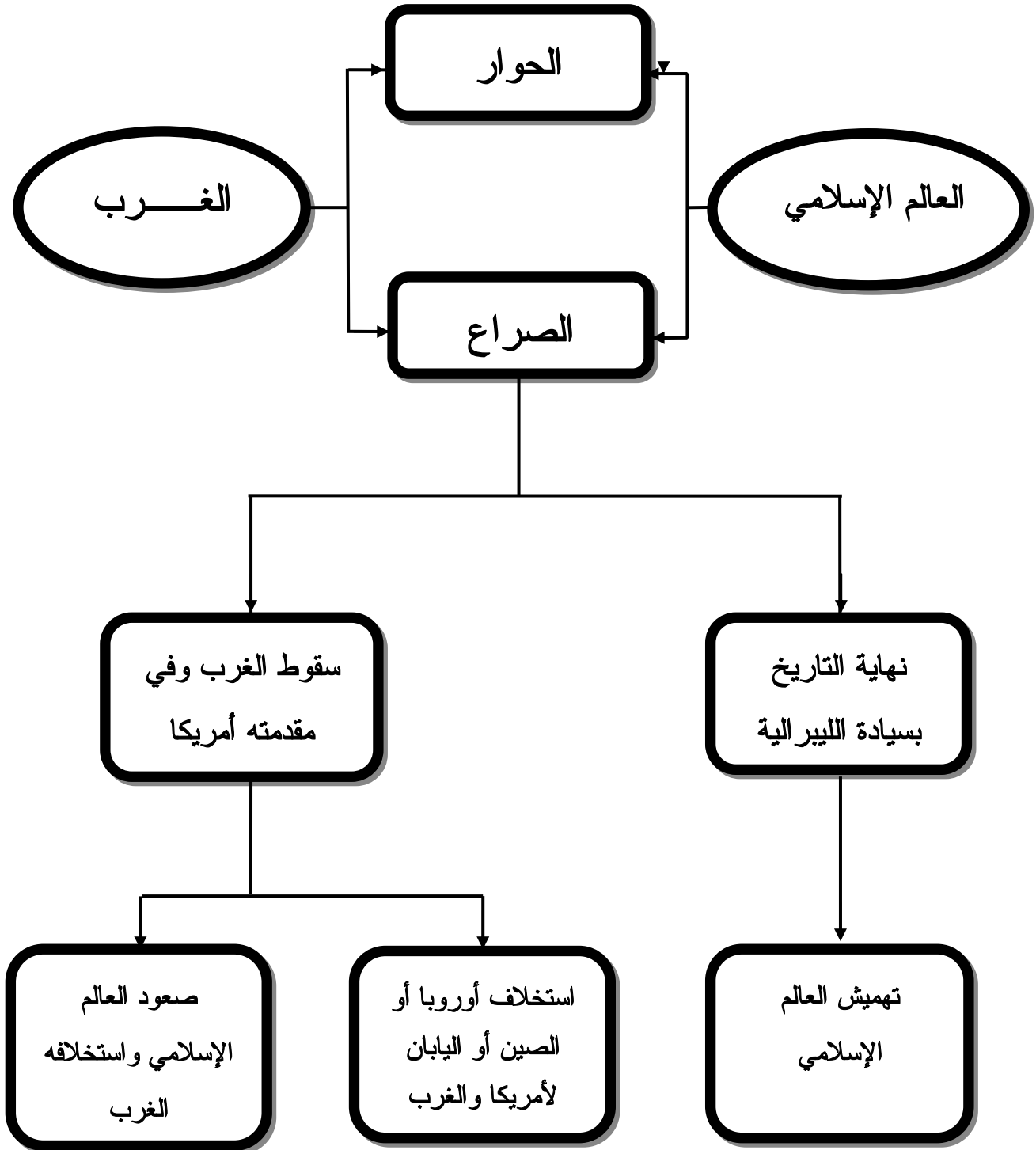
الملحق رقم (10): احتمالات الصدام بين الحضارات (1)



(1) صامويل هنتينغتون، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، المرجع السابق، ص 397.



الملحق رقم (11): الاحتمالات المتعلقة بنمط العلاقة المحتملة بين العالم الإسلامي والغرب وبأوضاعهما المستقبلية (1)



(1) من إعداد الطالب الباحث.

# قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- (1) القرآن الكريم.
- (2) الأحاديث النبوية.
- (3) الجرائد الرسمية:

- (1) الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 36، الصادر بتاريخ 21 يونيو 2009 م.
- (2) الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 69، الصادر بتاريخ 18 ديسمبر 2011 م.

المراجع باللغة العربية:

أولاً: الكتب

- (1) أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، مصر: القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1995.
- (2) إبراهيم الفيومي، محمد، الإستشراق رسالة استعمار، مصر: القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1993.
- (3) إبراهيم مبروك، محمد، الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار: نظرية في دوافع الصدام واحتمالات المستقبل، مصر: القاهرة، مركز الحضارة العربية، ط1، 2002.
- (4) إبراهيم خضر، لطيفة، الإسلام في الفكر الغربي، مصر: القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2002.
- (5) أحمد أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل المسلم، الجزائر: دار الهدى، عين مليلة، ط2، 1992.
- (6) أحمد حران، تاج السر، حاضر العالم الإسلامي، المملكة العربية السعودية: الرياض، اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 2001.
- (7) أحمد سلامة، سلامة، مناطق رمادية، مصر: القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط1، 1994.
- (8) إحسان أوغلي، أكمل الدين، العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد، مصر: القاهرة، دار الشروق، ط1، 2013.
- (9) أي فوللر، جراهام، وأوليسر إيان، الغرب والإسلام: بين التعامل والمواجهة، ترجمة: شوقي جلال، مصر: القاهرة، مؤسسة الأهرام، ط1، 1996.
- (10) إي فيجي، هاري وجرالد، سوانسون، الإفلاس 1995: الانهيار القادم لأمريكا، ترجمة: محمد محمود دبور، الأردن: عمان، دار الأهلية، ط1، 1993.
- (11) الأطرش، محمد، العولمة والعرب، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998.

- (12) الأسيوطي، مرسى، الغرب والإسلام دراسة في الأصول العقائدية والثوابت الثقافية لرؤية الآخر: عولمة أو صراع، مصر: القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 2003.
- (13) الأفندي، عبد الوهاب، "الحركات الإسلامية: النشأة والمدلول وملابسات الواقع"، في الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي، الإمارات العربية المتحدة: أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2002.
- (14) البناء، رجب، المنصفون للإسلام في الغرب، مصر: القاهرة، دار المعارف، ط1، 2005.
- (15) \_\_\_\_\_، الغرب والإسلام، مصر: القاهرة، هيئة الكتاب، ط1، 2002.
- (16) الجندي، أنور، آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في الغرب، لبنان: بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1984.
- (17) الدسوقي، عصام، "11 سبتمبر 2001 ووهم الصراع الديني"، في التقاء الحضارات في عالم متغير: حوار أم صراع، تحرير: عبادة كحيلة، مصر: جامعة القاهرة، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط1، 2003.
- (18) الحمد، تركي، الثقافة العربية في عصر العولمة، لبنان: بيروت، دار الساقى، ط1، 1999.
- (19) اللاوندي، سعد، القرن الحادي والعشرين هل يكون أمريكيا: بحث في استراتيجيا الصراع من أجل الهيمنة على العالم، مصر: القاهرة، دار نهضة مصر، ط1، 2000.
- (20) المطبقاني، مازن، الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة، المملكة العربية السعودية: المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، ط1، 1990.
- (21) الميلاد، زكي، المسألة الحضارية، لبنان: بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999.
- (22) الميلاد، زكي وعلي الربيعو، تركي، الإسلام والغرب: الحاضر والمستقبل، سوريا: دمشق، دار الفكر، ط1، 1998.
- (23) المنجرة، المهدي، الحرب الحضارية الأولى، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق، ط1، 1995.
- (24) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، مصر: القاهرة، دار الشروق، ط1، 1999.
- (25) المشاط، عبد المنعم، "التخلف والتجزئة في العالم الإسلامي"، في قضايا دولية معاصرة، مصر: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز الدراسات الأسيوية، ط2، 1997.

- 26) المغناوي، سعيد، "تشويه صورة الإسلام في الغرب من خلال الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، في صورة الإسلام في الغرب بين حملات التشويه وواجب التصحيح، المملكة المغربية: فاس، كلية الشريعة، ط1، 2006.
- 27) النابلسي، شاكراً، تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2009.
- 28) النشار، مصطفى، "ما بعد العولمة: قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري"، في النقاء الحضارات في عالم متغير: حوار أم صراع، تحرير: عبادة كحيلية، مصر: جامعة القاهرة، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط1، 2003.
- 29) \_\_\_\_\_، فلسفة التاريخ، مصر: القاهرة، شركة الأمل للطباعة والنشر، ط1، 2004.
- 30) السامرائي، قاسم، الإستشراق بين الموضوعية والافتعالية، السعودية: الرياض، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1983.
- 31) السيد سليم، محمد، "التحولات الدولية وأثارها على العالم الإسلامي"، في قضايا إسلامية معاصرة، مصر: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز الدراسات الآسيوية، ط2، 1997.
- 32) السيد صالح، سعد الدين، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، الإمارات العربية المتحدة: الشارقة، مكتبة الصحابة، ط2، 1998.
- 33) السليمي، منصف، صناعة القرار السياسي الأمريكي، الأردن: عمان، مركز الدراسات العربية، ط1، 1997.
- 34) العودة العقابي، علي، العلاقات الدولية: دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، العراق: بغداد، دار الرواد، ط1، 2010.
- 35) العوضي، هشام، موقف الغرب من الإسلاميين، لبنان: بيروت، دار بن حزم، ط1، 1997.
- 36) العطار، علي، العولمة والنظام العالمي الجديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، لبنان: بيروت، دار العلوم العربية، ط2، 2004.
- 37) العيثاوي، ياسين، السياسة الأمريكية بين الدستور والقوى السياسية، الأردن: عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

- (38) العكلة، وسام الدين، التحدي النووي الإيراني: حقيقة أم وهم؟، سوريا: دمشق، دار سوريا الجديدة للطباعة والنشر، د ط، 2013.
- (39) القديري، أحمد، الإسلام وصراع الحضارات، قطر: الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1995.
- (40) القرضاوي، يوسف، الإسلام...حضارة الغد، مصر: القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1995.
- (41) \_\_\_\_\_، المبشرات بانتصار الإسلام، مصر: القاهرة، مكتبة وهبة، ط3، 2004.
- (42) الرميحي، محمد، سقوط الأوهام: العروبة بعد غزو العراق للكويت، مصر: القاهرة، مطابع الأهرام، ط1، 1997.
- (43) الشامي، علي، الحضارة والنظام العالمي: أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، لبنان: بيروت، دار الإنسانية، ط1، 1995.
- (44) الشوباني، شريف، نهاية التفكير، مصر: القاهرة، مطابع الأهرام، ط1، 1998.
- (45) الخفاف، عبد علي، جغرافية العالم الإسلامي: أسس عامة في المحيطين الطبيعي والبشري، الأردن: عمان، دار الشروق، ط1، 1998.
- (46) الغريب، فنسان، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008.
- (47) أمين، أحمد، الشرق والغرب، مصر: القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1955.
- (48) أمين، جلال، عولمة القهر: الولايات المتحدة والعرب والمسلمون قبل وبعد أحداث سبتمبر 2001، مصر: القاهرة، دار الشروق، ط1، 2002.
- (49) أمين شلبي، السيد، التسعينات: أسئلة ما بعد الحرب الباردة، مصر: القاهرة، عالم الكتاب، ط1، 2001.
- (50) \_\_\_\_\_، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2005.
- (51) أرسلان، شكيب، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، لبنان: بيروت، دار مكتبة الحياة، ط2، د ت.
- (52) بدر سلمان، عبد العاطي، العصر النووي: استكشاف اليورانيوم وتقييم خاماته ومكامنه المحتملة في بعض الدول العربية، مصر: القاهرة، دار الكتاب الحديث، ب ط، 2005.

- (53) بوالروايح، محمد، نظريات حوار وصدام الحضارات: رؤية تحليلية نقدية، الجزائر: قسنطينة، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2010.
- (54) بوعشة، محمد، التكامل والتنازع في العلاقات الدولية الراهنة: دراسة في المفاهيم والنظريات، لبنان: بيروت، دار الجيل، ط1، 1999.
- (55) بوقارة، حسين، وآخرون، الانعكاسات الدولية والإقليمية لأحداث 11 سبتمبر 2001، الجزائر: باتنة، منشورات باتنتيت، ط1، 2002.
- (56) بورشتاين، دنيال ودي كيزا، أرنيه، التتين الأكبر: الصين في القرن الواحد والعشرين، ترجمة: شوقي جلال، الكويت: سلسلة كتب عالم المعرفة، جويلية 2001 .
- (57) ببيسيس، صوفي، الغرب والآخرون قصة هيمنة، ترجمة: نبيل سعد، مصر: القاهرة، دار العالم الثالث، ط1، 2002.
- (58) بيرمان، موريس، انحطاط الحضارة الأمريكية، ترجمة: حسين الشوفي، سوريا: دمشق، دار المدى، ط1، 2010.
- (59) بيترمارتين، هانس وشومان، هارلد، فخ العولمة: الإعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة: عدنان عباس علي، الكويت: سلسلة كتب عالم المعرفة، ط1، 1998.
- (60) ببيزون، أحمد، الاقتصاد السياسي وقضايا العالم الثالث في ظل النظام العالمي الجديد، لبنان: بيروت، دار بيسان للطبع، ط2، 1997.
- (61) بكار، عبد الكريم، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، لبنان: بيروت، الدار الشامية، ط1، 1999.
- (62) بن إبراهيم النملة، علي، الشرق والغرب منطلقات العلاقة ومحدداتها، لبنان: بيروت، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط3، 2010.
- (63) بن أحمد الرفاعي، حامد، الإسلام والنظام العالمي الجديد، المملكة العربية السعودية: رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط3، 1419هـ.
- (64) بن نبي، مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، سوريا: دمشق، دار الفكر، دط، 2002.
- (65) \_\_\_\_\_، ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، سوريا: دمشق، دار الفكر، دط، 1985.

- (66) \_\_\_\_\_، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعيبو، سوريا، دمشق، دار الفكر، دط، 2002.
- (67) \_\_\_\_\_، فكرة كومونولث إسلامي، ترجمة: الطيب الشريف، الجزائر: دار الفكر، دط، 2000.
- (68) \_\_\_\_\_، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، سوريا: دمشق، دار الفكر، دط، 1986.
- (69) \_\_\_\_\_، تأملات، سوريا: دمشق، دار الفكر، دط، 2002.
- (70) بن عثمان التويجري، عبد العزيز، الحوار من أجل التعايش، مصر: القاهرة، دار الشروق، ط1، 1998.
- (71) \_\_\_\_\_، العالم الإسلامي والغرب: التحديات والمستقبل، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ط1، 2007.
- (72) بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، محمد أمين، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج4، مصر: القاهرة، المطبعة الوهيبية، دط، 1284 هـ.
- (73) جابر العلواني، طه، إصلاح الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الجزائر: عين مليلة، دار الهدى، ط1، 1991.
- (74) جاكوبي، راسل، نهاية اليوتوبيا: السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة، ترجمة: فاروق عبد القادر، الكويت: سلسلة كتب عالم المعرفة، ط1، ماي 2001.
- (75) جاسم الحجري، يوسف، "المستقبل الاقتصادي للعالم الإسلامي في ظل العولمة"، في مستقبل الأمة الإسلامية، مصر: وزارة الأوقاف، ط1، 2003.
- (76) جواد العزاوي، قيس، العرب والغرب على مشارف القرن الحادي العشرين: مؤشرات إستراتيجية، فرنسا: باريس، مركز الدراسات العربي الأوربي، ط1، 1997.
- (77) جيه بوكنان، باتريك، موت الغرب: أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب، ترجمة: محمد محمود التوبة، المملكة العربية السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2005.
- (78) جراد، عبد العزيز، العلاقات الدولية، الجزائر: موفم للنشر، ط1، 1992.



- (79) جريشة، علي، حاضر العالم الإسلامي، المملكة العربية السعودية: جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط4، 1989.
- (80) داود أوغلو، أحمد، العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية، ترجمة: إبراهيم البيومي، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2006.
- (81) دسوقي كسبة، مصطفى، "المستقبل الاقتصادي للعالم الإسلامي في ظل العولمة"، في مستقبل الأمة الإسلامية، مصر: وزارة الأوقاف، ط1، 2003 .
- (82) هارب، ليدل، الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة: الهيثم الأيوبي، لبنان: بيروت، دار الطليعة، ط3، 1979.
- (83) هارون، فرغلي، الارهاب العولمي..وانهيار الامبراطورية الأمريكية، مصر: القاهرة، دار الوافي للنشر، ط1، 2006.
- (84) هوفمان، مراد ويلفريد، الإسلام كبديل، ترجمة: غريب محمد غريب، المملكة العربية السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ط2، 1997.
- (85) \_\_\_\_\_، الإسلام عام 2000، ترجمة: عادل المعلم، المملكة العربية السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2003.
- (86) هوفمان، مراد ويلفريد والشرفي، عبد المجيد، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، سوريا: دمشق، دار الفكر، ط1، 2008.
- (87) هنتنغتن، صامويل، الإسلام والغرب آفاق الصدام، ترجمة: مجدي شرشر، مصر: القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1995.
- (88) \_\_\_\_\_، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، الأردن: عمان، دار سطور، ط2، 1999.
- (89) ولد خليفة، محمد العربي، النظام العالمي: ماذا تغير فيه؟ وأين نحن من تحولاته؟، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1998.
- (90) حلمي، مصطفى، حضارة العصر..الوجه الآخر، مصر: الإسكندرية، دار الدعوة، ط1، 2001.
- (91) حمدي زقروق، محمود، الإسلام في الفكر الغربي، الكويت: دار القلم، ط2، 1981.
- (92) \_\_\_\_\_، الإسلام والغرب، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2005 .

- 93) \_\_\_\_\_، الإسلام وقضايا الحوار، مصر: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، 2002.
- 94) حسين، آصف، صراع الغرب مع الإسلام: إستعراض العداء التقليدي للإسلام في الغرب، ترجمة: مازن مطبقاني، المملكة العربية السعودية: الرياض، مركز الفكر المعاصر، ط1، 2013.
- 95) حسين، ياسر، الإسلام.. مستقبل أوروبا، مصر: القاهرة، دار الأمين، ط1، 1997.
- 96) حسين، غازي، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية، سوريا: دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 2005.
- 97) حقي توفيق، سعد، الاستراتيجية النووية بعد انتهاء الحرب الباردة، الأردن: عمان، دار زهران للنشر، د ط، 2008.
- 98) طاش، عبد القادر، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، مصر: القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1993.
- 99) \_\_\_\_\_، أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي، مصر: القاهرة، د ط، د ت.
- 100) يوسف القرعي، أحمد، العولمة وصدام الحضارات.. قراءة في فكر محاضير محمد، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2005.
- 101) يzbek حداد، إيفون، المسلمون في أمريكا، مصر: القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1994.
- 102) يكن، فتحي، ماذا يعني إنتمائي للإسلام؟، الجزائر: باتنة، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، د ط، 1989.
- 103) يسين، السيد، الإمبراطورية الكونية.. الصراع ضد الهيمنة الأمريكية، مصر: القاهرة، دار نهضة مصر للنشر والطباعة والتوزيع، د ط، 2004.
- 104) \_\_\_\_\_، الحرب الكونية الثالثة: عاصفة سبتمبر والسلام العالمي، مصر: القاهرة، هيئة الكتاب، ط1، 2003.
- 105) \_\_\_\_\_، العولمة والطريق الثالث، مصر: القاهرة، ميريت للنشر والمعلومات، ط2، 2001.
- 106) يسري أحمد، عبد الرحمان، دراسات في علم الاقتصاد الإسلامي، مصر: الإسكندرية، الدار الجامعية، ط1، 2001.

- 107) كاظم الوالي، عبد الجليل، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، الإمارات العربية المتحدة: العين، دار الكتاب الجامعي، ط1، 2010.
- 108) كوك، ريتشارد وسميث، كريس، انتحار الغرب، ترجمة: محمد محمود التوبة، المملكة العربية السعودية: الرياض، العبيكان، ط1، 2009.
- 109) كوكلر، هانس، تشنج العلاقة بين الغرب والمسلمين.. الأسباب والحلول، تعريب: حميد لشهب، لبنان: بيروت، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 2013.
- 110) كيسنجر، هنري، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، ترجمة: مالك فاضل البديري، الأردن: عمان، دار الأهلية، ط1، 1995.
- 111) \_\_\_\_\_، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟: نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، ترجمة: عمر الأيوبي، لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 2003.
- 112) لكريني، إدريس، التداعيات الدولية الكبرى لأحداث 11 سبتمبر: من غزو أفغانستان إلى احتلال العراق، المملكة المغربية: مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، 2005.
- 113) مهاجراني، عطاء الله، الإسلام والغرب، ترجمة: عادل عبد المنعم سويلم، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2006.
- 114) موسى الشريف، محمد، الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول، مصر: القاهرة، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
- 115) مورو، محمد، الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة، مصر: القاهرة، دار الروضة للنشر والتوزيع، ط1، 2001.
- 116) محمد إبراهيم، عصام، جغرافيا العالم الإسلامي، مصر: القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ط1، 2011.
- 117) محمد إسماعيل، فضل الله، العولمة السياسية: انعكاساتها وكيفية التعامل معها، مصر: الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، ط1، 2008.
- 118) محمد سعيد بن سهو، أبو زعرور، العولمة: ماهيتها، نشأتها، أهدافها، الخيار البديل، الأردن: عمان، دار البيارق، ط1، 1998.
- 119) محمد عوف، أحمد، المؤامرات الخفية ضد الإسلام والمسيحية، مصر: القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1992.

- 120) محمد صالح زهرة، عطاء، النظرية الدبلوماسية، ليبيا: بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1، 1993.
- 121) محمود مصطفى، نادية وأبو زيد، علا وآخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، مصر: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، برنامج حوار الحضارات، ط2، 2007.
- 122) محمود مصطفى، نادية وآخرون، مسارات وخبرات في حوار الحضارات: رؤى متنوعة في عالم متغير، مصر: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، برنامج حوار الحضارات، ط1، 2004.
- 123) محمود غانم، أماني، البعد الثقافي في العلاقات الدولية: دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات، مصر: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، ط1، 2007 .
- 124) محفوظ، محمد، الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، المملكة المغربية: الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.
- 125) منصور الحلو، أحمد، حوار الحضارات، مصر: الإسكندرية، منشأة المعارف، د ط، 2007.
- 126) مصباح، عامر، الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2006.
- 127) مراد، محمد ، السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي بين الثابت الإستراتيجي والمتغير الظرفي، لبنان: بيروت، دار المنهل اللبناني، ط1، 2009.
- 128) نايت بلقاسم، مولود قاسم، أصالة أم انفصالية، ج1، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1991.
- 129) نافع، إبراهيم، انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2002.
- 130) نيكسون، ريتشارد، نصر بلا حدود، ترجمة: المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، مصر: القاهرة، مركز الأهرام، ط4، 1996.
- 131) نعمه، أنطوان وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، لبنان: بيروت، دار المشرق، ط1، 2000.

- 132) نصر الدين، إبراهيم وحلواني أحمد، وآخرون، حال الأمة العربية 2014-2015 الإحصار: من تغيير النظم إلى تفكيك الدول، تحرير: علي الدين هلال، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2015.
- 133) سالم، صلاح، تجليات العقل السياسي ومستقبل النظام العربي، مصر: القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998.
- 134) سليم العوا، محمد، الإسلام والعصر، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2007.
- 135) سليمان الأحمد، عدنان والمجالي، عدنان، قضايا معاصرة، الأردن: عمان، دار وائل للنشر، ط1، 2005.
- 136) سليمان، حامد، غربة الإسلام، مصر: القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1995.
- 137) سنغاس، دييتر، الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، ترجمة: شوقي جلال، مصر: القاهرة، دار العين للنشر، ط1، 2008.
- 138) سعد مصباح، ضو ونصر الدين، محمود، مستقبل توليد الكهرباء بالطاقة النووية، تونس: جامعة الدول العربية، الهيئة العربية للطاقة الذرية، ط1، 2006.
- 139) سعيد، جودت والعلواني، عبد الواحد، الإسلام والغرب والديمقراطية، سوريا: دمشق، دار الفكر، ط1، 1996.
- 140) سعيد رمضان البوطي، محمد، حوار حول مشكلات حضارية، الجزائر: مكتبة رحاب، ط3، 1990.
- 141) سعيقان، أحمد، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، لبنان: بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2004.
- 142) عابد الجابري، محمد، العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة، الكتاب الثاني من سلسلة فكر ونقد، لبنان: بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2009.
- 143) \_\_\_\_\_، قضايا في الفكر المعاصر، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1997.
- 144) عباسي، مدني، نحو انقاذ الإنسان والإنسانية: أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي، الجزائر: مكتبة الرحاب، ط1، 1989.

- 145) عبد الحي، وليد، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية، الجزائر: مؤسسة دار الشروق للنشر، ط1، 1994.
- 146) عبد المنعم مسعد، نيفين ومحمد أحمد، عبد العاطي، السياسات الخارجية للحركات الإسلامية، مصر: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، ط1، 2000 .
- 147) عبد السلام إبراهيم، أيمن، إستخدام المصدر النووي في توليد الطاقة، مصر: المنصورة، المكتبة العصرية، ط1، 2015.
- 148) \_\_\_\_\_، المقومات والمحددات الأساسية لقيام وإنجاز برامج سلمية للطاقة النووية، مصر: المنصورة، المكتبة العصرية، ط1، 2015.
- 149) عبد العزيز، زينب، موقف الغرب من الإسلام: محاصرة وإياداة، سوريا: دمشق، دار الكتاب العربي، ط1، 2004.
- 150) عبد الفتاح الخالدي، صلاح، وعود القرآن بالتمكين للإسلام، سوريا: دمشق، دار القلم، ط2، 2009.
- 151) عبد الصمد، حامد، سقوط العالم الإسلامي: نظرة في مستقبل أمة تحتضر، مصر: القاهرة، دار ميريت للنشر، ط1، 2010.
- 152) عبد الرزاق السامرائي، نعمان، في التفسير الإسلامي للتاريخ، الجزائر: باتنة، دار الشهاب، ط، 1988.
- 153) عبد الغني المرسي، كمال الدين، الخروج من فخ العولمة، مصر: الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2005.
- 154) عبد الغني سعودي، محمد، الجغرافية السياسية المعاصرة: دراسة الجغرافيا والعلاقات السياسية الدولية، مصر: القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط، 2010.
- 155) عدنان سالم، محمد، على خط التماس مع الغرب، سوريا: دمشق، دار الفكر، ط1، 2005.
- 156) عوض الهزائمة، محمد، قضايا دولية: تركة قرن مضى وحمولة قرن أتى، الأردن: عمان، دار الحامد، ط1، 2007.
- 157) عزام، عبد الله، الإسلام ومستقبل البشرية، الجزائر: باتنة، شركة الشهاب، ط1، 1980.
- 158) عكنان، أسامة، إعصار الخليج، الجزائر: باتنة، شركة الشهاب، ط1، 1992.

- 159) علي الحسن الندي، أبو الحسن، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، المملكة العربية السعودية: جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط1، 1987.
- 160) \_\_\_\_\_، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، الكويت: الكويت، دار القلم، ط4، 1983.
- 161) \_\_\_\_\_، واقع العالم الإسلامي، مصر: المنصورة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 1997.
- 162) \_\_\_\_\_، حديث مع الغرب، لبنان: بيروت، دار الإرشاد، ط1، 1967.
- 163) \_\_\_\_\_، موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية، المجمع الإسلامي العلمي، الهند: لكهنو، ندوة العلماء، ط1، 1963.
- 164) علي الحسن الندي، أبو الحسن وخورشيد، أحمد وآخرون، المسلمون ودورهم، الكويت: السالمية، مكتبة الأمل، ط1، دت.
- 165) علي العليان، عبد الله، الإسلام والغرب ما بعد 11 سبتمبر 2001، المغرب: الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005.
- 166) \_\_\_\_\_، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين: رؤية إسلامية، لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004.
- 167) علّوه، محمد، عالمية الإسلام وقضايا العصر، ليبيا: طرابلس، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 1990.
- 168) عمارة، محمد، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، سوريا: دمشق، دار الفكر، ط1، 1998.
- 169) \_\_\_\_\_، إحياء الخلافة الإسلامية: حقيقة أم خيال؟، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2008.
- 170) \_\_\_\_\_، الأصولية بين الغرب والإسلام، مصر: القاهرة، دار الشروق، ط1، 1998.
- 171) \_\_\_\_\_، الحضارات العالمية تدافع أم صراع؟، مصر: القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998.
- 172) \_\_\_\_\_، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2007.

- (173) \_\_\_\_\_، الغرب والإسلام: أين الخطأ؟ وأين الصواب؟، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2004.
- (174) \_\_\_\_\_، هذا هو الإسلام 5، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2006.
- (175) \_\_\_\_\_، هذا هو الإسلام 3، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2005.
- (176) \_\_\_\_\_، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2003 .
- (177) عمارة، محمد والبناء، جمال وآخرون، قارعة سبتمبر، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2002.
- (178) فارس الهيتي، صبري، العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية من وجهة نظر جيوبوليتيكية، الأردن: عمان، الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2010.
- (179) فهمية، شرف الدين، الثقافة الإيديولوجية في العالم العربي، لبنان: بيروت، دار الآداب، ط1، 1993.
- (180) فوكوياما، فرانسيس، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، مصر: القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1993.
- (181) فندي، مأمون، ضحايا الحداثة: أمريكا والعرب بعد أحداث 11 سبتمبر، مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2003.
- (182) فرج، هدى، الإرهاب.. الحصان الخاسر لأمريكا وإسرائيل، مصر: الإسكندرية، المكتب العربي الحديث، ط1، 2009.
- (183) فتحي عثمان، محمد، التجربة السياسية للحركة الإسلامية المعاصرة، بريطانيا: لندن، منشورات مركز المستقبل الإسلامي، ط1، 1991.
- (184) صبري مقلد، إسماعيل، الاستراتيجية والسياسة الدولية: المفاهيم والحقائق الأساسية، لبنان: بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، 1985.
- (185) \_\_\_\_\_، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، الكويت: منشورات دار السلال، ط4، 1985.



- 186) صدوق، عمر، خلفيات وآفاق الوضع العالمي الجديد، الجزائر: جامعة البليدة، معهد الحقوق والعلوم الإدارية، مجموعة أعمال الملتقى الدولي حول النظام الدولي الجديد ومصالح العالم الثالث، 1993.
- 187) قلاله، محمد سليم، التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد، الجزائر: موفم للنشر، ط1، 1990.
- 188) قرم، جورج، تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب، ترجمة: رلى ذبيان، لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط1، 2011.
- 189) رامونيه، إنياسيو، حروب القرن الواحد والعشرين: مخاوف ومخاطر جديدة، ترجمة: أنطوان أبو زيد، لبنان: بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2007.
- 190) رزيق المخادمي، عبد القادر، النظام الدولي الجديد: الثابت والمتغير، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2003.
- 191) \_\_\_\_\_، مشروع الشرق الأوسط الكبير: الحقائق والأهداف والتداعيات، لبنان: بيروت، الدار العربية للعلوم، ط1، 2005.
- 192) رضا بيومي، عمرو، القدرات النووية الإيرانية: بين الإرهاب الأمريكي - الإسرائيلي وازدواج المعايير الدولية، مصر: القاهرة، دار النهضة العربية، د ط، 2011.
- 193) شاكر، محمود، العالم الإسلامي اليوم، مصر: القاهرة، دار الصحوة، د ط، د ت.
- 194) \_\_\_\_\_، سكان العالم الإسلامي، الجزائر: باتنة، شركة الشهاب، ط1، 1989.
- 195) شامة، محمد، الإسلام في الفكر الأوروبي، مصر: القاهرة، دار التراث العربي، ط1، 1980.
- 196) شهاب الدين، فتحي، سقوط أمريكا والغرب .. والبديل الإسلامي، مصر: القاهرة، مؤسسة اقرأ، ط1، 2011.
- 197) شحاتة أبو زيد، رشدي، مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، مصر: الإسكندرية، مكتبة الوفاء القانونية، ط1، 2011.
- 198) شيخ إدريس، جعفر، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، المملكة العربية السعودية: الرياض، مركز البحوث والدراسات، ط1، 2012.

- (199) شلبي، أحمد، صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع، مصر: القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1996.
- (200) شمتز، بول، الإسلام قوة الغد العالمية، ترجمة: محمد شامة، مصر: القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1983.
- (201) شفيق، منير، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، لبنان: بيروت، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991.
- (202) \_\_\_\_\_، الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، لبنان: بيروت، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1991.
- (203) تونسي، بن عامر، قانون المجتمع الدولي المعاصر، الجزائر: الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 1994.
- (204) تيريزا دي بوربون، ماريا، "خواطر حول أنموذج صمويل هنتنغتن"، في الثقافة العربية وثقافات العالم حوار الأنداد، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1999.
- (205) تشومسكي، نعوم، الدول المارقة: استخدام القوة في الشؤون العالمية، ترجمة: أسامة إسبر، المملكة العربية السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2004.
- (206) \_\_\_\_\_، الدول الفاشلة: إساءة استخدام القوة والتعدي على الديمقراطية، ترجمة: سامي الكعكي، لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2007.
- (207) خاتمي، محمد، الإسلام والعالم، مصر: القاهرة، مكتبة الشروق، ط3، 2007.
- (208) خليل، عماد الدين، قالوا عن الإسلام، المملكة العربية السعودية: الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1، 1992.
- (209) خليفة، محمد، النظام الدولي بين المقصود والمنشود، مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ط1، 1992.
- (210) خفاجي، باسم، لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، المملكة العربية السعودية: الرياض، مكتبة الملك فهد، ط1، 2006.
- (211) غارودي، روجي، الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط: كيف نجابه القرن الحادي والعشرين، ترجمة: صياح الجهم وميشيل خوري، لبنان: بيروت، دار عطية للنشر، ط2، 1999.

- (212) \_\_\_\_\_، وعود الإسلام، ترجمة: ذوقان قرقوط، لبنان: بيروت، دار الرقي، ط2، 1985.
- (213) \_\_\_\_\_، حوار الحضارات، ترجمة: عادل العوا، فرنسا: باريس، منشورات عويدات، ط2، 1982.
- (214) \_\_\_\_\_، حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة: عزة صبحي، مصر: القاهرة، دار الشروق، ط3، 2002.
- (215) غريفيثس، مارتن وأوكالاهان، تيري، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، الإمارات العربية المتحدة: دبي، مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2008.
- (216) غضبان، مبروك، المجتمع الدولي: الأصول والتطور والأشخاص، القسم الأول، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1994.

### ثانياً: المذكرات الجامعية:

#### أ/ أطروحات الدكتوراه:

- (1) بن عبد الرحمان بن عثمان القاضي، أحمد، دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، المملكة العربية السعودية: الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1421هـ.
- (2) بن صالح الحميد، حسن، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم، رسالة دكتوراه (منشورة) تخصص شريعة، المملكة العربية السعودية: الرياض، دار الفضيلة، ط2، 2011.
- (3) سعدي، محمد، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام، أطروحة دكتوراه (منشورة)، تخصص الديناميات الجديدة للعلاقات الدولية، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006.
- (4) فوزاري، حسين، الإطار القانوني لتعاون الجزائر الدولي في المجال النووي، أطروحة دكتوراه تخصص القانون العام، الجزائر: كلية الحقوق، جامعة بن يوسف بن خدة، السنة الجامعية 2007-2008.

#### ب/ مذكرات الماجستير:

- (1) بلخير، فؤاد، التعاون في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، مذكرة ماجستير تخصص القانون الدولي والعلاقات الدولية، الجزائر: جامعة بن يوسف بن خدة، كلية الحقوق، 2009-2010.

(2) شبلي، هجيرة، إشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات: زكي الميلاد نموذجاً، مذكرة ماجستير في فلسفة الحضارة، الجزائر: باتنة، جامعة الحاج لخضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، 2012-2013.

### ثالثاً: التقارير:

(1) تقرير حول "التوقعات الاقتصادية في منظمة التعاون الإسلامي: تعزيز الإنتاجية والقدرة التنافسية"، تحرير: صافاش ألباي، منظمة التعاون الإسلامي: أنقرة، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية، 2014.

(2) تقرير حول "التعليم في الوطن العربي"، جامعة الدول العربية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المرصد العربي للتربية، 2012.

(3) تقرير حول "المسألة النووية في الشرق الأوسط"، قطر: جامعة جورج تاون، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، 2012.

(4) تقرير حول "إنجازات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في مجال محو الأمية في الدول الأعضاء"، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: نيروبي، كينيا، 5-7 نوفمبر 2008.

### رابعاً: الملتقيات:

(1) المحجوب، عبد المجيد ومصباح، ضو، "مستقبل الطاقة النووية في الدول العربية"، مؤتمر الطاقة العربي العاشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ديسمبر 2014.

(2) محمد كشك، أشرف، "المشاريع النووية السلمية الخليجية ومتطلبات الأمن النووي"، الملتقى العلمي حول الاستخدام السلمي للطاقة النووية وأثره على الأمن البيئي، كلية العلوم الإستراتيجية، المنامة، البحرين، 20 مارس 2014.

### خامساً: الدوريات:

(1) إبراهيم أبو شوك، أحمد، "نهاية التاريخ والإنسان الأخير في الفكر الغربي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات العربية المتحدة: جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلد 19، ع2، أكتوبر 2003.

(2) إبراهيم العسكري، سليمان، "أيلول الأسود الأمريكي"، مجلة العربي، الكويت، ع 516، نوفمبر 2001.

- (3) البيومي غانم، إبراهيم، "صورة الغرب عند الحركة الإسلامية المعاصرة"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع 1115، سبتمبر 1994.
- (4) الجباعي، أحمد، "ملاحم الوضع الدولي الجديد: تناقضات وآفاق"، مجلة الهدف، ع 1130، ديسمبر 1992.
- (5) الهزاط، محمد، الأهداف الجديدة للسياسة الخارجية الأمريكية في عالم ما بعد الحرب الباردة، مجلة شؤون عربية، ع 114، صيف 2003.
- (6) الواعي، توفيق، "السجل العربي الإسرائيلي هل يغلق أم أنه لم يفتح بعد؟"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع 1250، ماي 1997.
- (7) الحروب، خالد، "الإسلاميون ومسألة التدخل الخارجي: وجهات نظر"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 194، 1995.
- (8) الميلاد، زكي، "تعارف الحضارات: الفكرة، الخبرة والتأسيس"، مجلة الحوار الثقافي، الجزائر: جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم، كلية العلوم الاجتماعية، عدد خريف وشتاء 2013 .
- (9) السيد، رضوان، "المسألة الحضارية.. الصراع والحوار والتواصل"، مجلة شؤون عربية، ع 109، ربيع 2002.
- (10) الرميحي، محمد، "العولمة وفخاها: حتى لا تتحول الرأسمالية إلى حيوان شره"، مجلة العربي، ع 484، مارس 1999.
- (11) الشيخ، حافظ، "مفهوم الشرق الأوسط الجديد"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع 1125، جانفي 1994.
- (12) الشيخ، عبد الله، "النظام العالمي الجديد بين الإستمرار والسقوط"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع 1107، جويلية 1994.
- (13) \_\_\_\_\_، "الإسلام ونظرية الدومينو في السياسة الأمريكية"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع 1258، جويلية 1997.
- (14) الشرقاوي، رأفت، "إستراتيجية إسرائيل النووية"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع 1136، جانفي 1995.
- (15) أمين شلبي، السيد، "سياسة إدارة كلنتون الخارجية: إنجاز أم فراغ سياسي؟"، مجلة السياسة الدولية، ع 144، أبريل 2001.

- 16) أتالي، جاك، "الحضارة الغربية تحمل بداخلها بذور انهيارها"، إعداد: سوسن حسين، مجلة السياسة الدولية، ع 144، أبريل 2001.
- 17) بودهان، يامين، "تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي"، مجلة الوسيط للدراسات الإعلامية، الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع، ع 12، 2006.
- 18) بكر، تامر، "الصراع المذهبي والعنقي في العالم الإسلامي.. الجذور والمستقبل"، في التحولات الكبرى: مستقبل العالم الإسلامي بعد مائة عام من الحرب العالمية الأولى، مجلة البيان، المملكة العربية السعودية: الرياض، ع 11، 2014.
- 19) بشارة، عزمي، "روسيا: الجيوستراتيجية فوق الأيديولوجيا وفوق كل شيء"، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع 17، نوفمبر 2015.
- 20) جمال عرفة، محمد، "نفت المسلمين: آليات جديدة لسلاح قديم"، سلسلة رؤى معاصرة، مصر: القاهرة، المركز العربي للدراسات الإنسانية، السنة الثانية، ع 5، جوان 2008.
- 21) جعفر، خضير، "نحن وفوكوياما ونهاية التاريخ"، مجلة المجتمع الثقافي، لبنان: بيروت، ع 1313، ربيع الآخر 1419 هـ / 1998.
- 22) جرجس، فواز، "الأمريكيون والإسلام السياسي"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 217، مارس 1997.
- 23) ديوب، عمر، "مؤشرات خطيرة تهدد مجتمعات الغرب بالانهيار"، مجلة المجتمع، ع 1250، 20ماي 1997.
- 24) دلبح، محمد، "المخطط الجديد لكلنتون نحو المنطقة العربية"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع 1245، أبريل 1997.
- 25) هاشم نعمة، كاظم، "المتغير الأمريكي ومستقبل الأمن في الخليج العربي"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 93، مارس 1995.
- 26) هنتننتن، صامويل، "صدام الحضارات"، مجلة شؤون الأوسط، لبنان: بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995.
- 27) \_\_\_\_\_، "صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي"، ترجمة: نجيب غضبان، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 226، ديسمبر 1997.

- (28) \_\_\_\_\_، "إذا لم تكن حضارة فماذا تكون"، مجلة شؤون الأوسط، عدد خاص، لبنان: بيروت، مركز الدراسات للبحث والتوثيق، 1996 .
- (29) حنفي، حسن، "الإسلام والغرب..ورقة عمل"، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ع 109، ربيع 2002.
- (30) حسيب، خير الدين، "أزمة الديمقراطية في الوطن العربي"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987.
- (31) طاهر، جمال، "واقع العالم الإسلامي"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع1144، أبريل 1995.
- (32) يوسف، أحمد، "الغرب والصحوه الإسلامية من أفكار الصراع إلى فكرة التفاهم"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع1237، 4 فيفري 1997.
- (33) \_\_\_\_\_، "الحركة الإسلامية والغرب"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع 1050.
- (34) يوسف حتي، ناصف، "أي هيكل للنظام الدولي الجديد"، مجلة عالم الفكر، العددان 3 و4، مارس/أفريل، 1995.
- (35) يحي، رأفت، "القنبلة النووية الباكستانية ولعبة الصراع في جنوب آسيا"، مجلة المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ع 1115، سبتمبر 1994.
- (36) يرولف، ف، "نهاية التاريخ أم البحث عن طريق جديد"، ترجمة: أشرف الصباغ، مجلة الثقافة العالمية، ع58، نوفمبر 1997.
- (37) كامل، عبد العزيز، "المؤشرات الدولية للتراجع الأمريكي"، في: الواقع الدولي ومستقبل الأمة، مجلة البيان، المملكة العربية السعودية: الرياض، ع 5، 2008.
- (38) كوثراني، وجيه، "الإسلام والمسلمون في عالم متغير"، مجلة منبر الحوار، لبنان: بيروت، السنة التاسعة، ع 31، جانفي 1994.
- (39) لبيض، سالم، "من الإستشراق إلى نهاية التاريخ: الفكر الغربي والآخر"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 211، سبتمبر 1996.
- (40) موصللي، أحمد، "النظام العالمي والأصولية الإسلامية"، مجلة منبر الحوار، لبنان: بيروت، السنة الخامسة، ع 18، صيف 1990.

- 41) محمد العسال، أحمد، "حوار الحضارات"، مجلة الفيصل، ع 227، سبتمبر/أكتوبر 1995.
- 42) محمد الصواني، يوسف، "الولايات المتحدة وليبيا: تناقضات التدخل ومستقبل الكيان الليبي"، مجلة المستقبل العربي، ع 431، جانفي 2015.
- 43) نافعة، حسن، "حتمية الزعامة الأمريكية: تحد للإنعزالية الجديدة"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 227، جانفي 1998.
- 44) نبيل فؤاد طه، محمد، "الأسلحة النووية وأولويات الأمن القومي في ضوء إمكانيات بناء قوة نووية عربية"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 271، سبتمبر 2001.
- 45) سالم الشكري، كمال، "مشروع الشرق أوسطية والأمن القومي العربي"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، سوريا: دمشق، المجلد 28، ع 1، 2012.
- 46) سيد أحمد، محمد، "الثقة: فضيلة اجتماعية منشئة لليسر"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 208، جوان 1996.
- 47) سعد أبو عامود، محمد، "النظام العالمي الجديد بين الفكر الغربي والفكر السياسي العربي"، مجلة منبر الحوار، لبنان: بيروت، دار الكوثر، السنة 9، ع 31، شتاء 1994.
- 48) سعدي، محمد، "قراءة في كتاب صامويل هنتنغتون.. من نحن؟ الهوية الوطنية وصدام الثقافات"، مجلة الدولية، المملكة المغربية: مراكش، الداوديات، المطبعة والوراقة الوطنية، ع 1، 2005.
- 49) سعيد، إدوارد، "جوديث ميللر: المتاجرة بالخطر الإسلامي"، مجلة المجتمع، ع 1240، مارس 1997.
- 50) عابد الجابري، محمد، "الديمقراطية وحقوق الانسان"، مجلة كتاب في جريدة، منظمة اليونسكو، ع 95، 5 جويلية 2006.
- 51) عبد الحليم، أحمد، "خريطة القوى النووية في الشرق الأوسط في أوائل القرن الواحد والعشرين: حقائق واحتمالات تطورها"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع 271، سبتمبر 2001.
- 52) عبد الحليم مرسي، محمد، "اليابان التي تستطيع أن تقول: لا"، مجلة الفيصل، ع 196، أبريل 1993.



- 53) عبد الكريم، ذياب، "العولمة ومستقبل العالم الإسلامي: تعريفات وملامح"، مجلة الفرقان، ع99، السنة العاشرة، جويلية 1998.
- 54) عبد الله، عبد الخالق، "العولمة ومحاولة دمج العالم"، الكويت: مجلة العربي، ع465، أوت 1997.
- 55) عبد الرزاق السامرائي، نعمان، "نهاية التاريخ من هيجل إلى فوكوياما"، مجلة الفيصل، ع 243، فيفري 1997.
- 56) عبد الرزاق صالح الطائي، هشام، "الأصولية الإسلامية في الفكر الغربي المعاصر: دراسة تاريخية"، مجلة آداب الرافدين، العراق: جامعة الموصل، ع 57، 2010.
- 57) عبد الرحمان أحمد، أحمد، "العولمة: المفهوم المظاهر والمسببات"، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 26، ع1، ربيع 1998.
- 58) عبد الخالق مصطفى، نيفين، "المشروع الشرق أوسطي والمستقبل العربي"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع193، 1995.
- 59) عوض، ريتا، "صورة العرب والإسلام في الغرب: كيف يعاد تشكيلها"، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ع 109، ربيع 2002.
- 60) علي عبيد، نايف، "العولمة.. والعرب"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع221، جويلية 1997.
- 61) عمارة، محمد، "النظام الدولي الجديد... رؤيا إسلامية"، مجلة العربي، ع443، أكتوبر 1995.
- 62) عمر، محجوب، "الصراع العربي الإسرائيلي وصدام الحضارات"، مجلة شؤون الأوسط، لبنان: بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط1، 1995.
- 63) عثمان، عفيف، "إخفاق الاسلام السياسي"، مجلة منبر الحوار، لبنان: بيروت، السنة التاسعة، ع31، 1994.
- 64) فهمي، أحمد، "التيارات السلفية وخيارات المستقبل"، في: الواقع الدولي ومستقبل الأمة، مجلة البيان، المملكة العربية السعودية: الرياض، ع 5، 2008.
- 65) شاهين، عبد الصبور وآخرون، "العولمة ومستقبل العالم الإسلامي"، مجلة الفرقان، ع 99، جويلية 1998.

- 66) شفيق، منير، "فلسطين والأمة واحتمالات المستقبل"، قضايا المستقبل الإسلامي، الجزائر: مركز دراسات المستقبل الإسلامي، دار المستقبل، ج 1، ع 4، 1992.
- 67) خفاجي، باسم، "استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام: قراءة في تقرير راند 2007"، سلسلة رؤى معاصرة، مصر: القاهرة، المركز العربي للدراسات الإنسانية، السنة الأولى، ع 4، ماي 2007.
- 68) \_\_\_\_\_، "قراءة للواقع الداخلي الأمريكي: مؤشرات ودلائل الانتقال الحضاري"، في: الواقع الدولي ومستقبل الأمة، مجلة البيان، المملكة العربية السعودية: الرياض، ع 5، 2008.
- 69) غضبان، مبروك، "النظام الدولي الجديد بين الطموح الأمريكي لقيادة العالم وتحديات الاستعمار الحديث"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر: جامعة باتنة، ع 1، 1994.

### سادسا: الجرائد:

- 1) البدري، فاطمة، "خاتمي سيلقي في نيويورك خطابا حول حوار الحضارات"، جريدة الخبر، الجزائر: ع 3318، 10 نوفمبر 2001.
- 2) القسم الدولي، "بعد بوش .. برلسكوني يتناول على الإسلام"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر: ع 274، 29 سبتمبر 2001.
- 3) \_\_\_\_\_، "حوار الحضارات.. كتاب للرئيس الإيراني محمد خاتمي"، جريدة النصر، الجزائر: ع 10689، 3 أوت 2002 .
- 4) \_\_\_\_\_، "نتائج زيارة خاتمي لإيطاليا والفاتيكان: تحطيم العزلة وإرساء حوار بين الإسلام والغرب"، جريدة الخبر، الجزائر: ع 13 مارس 1999.
- 5) الشيخ، عبد الله، "الصراع بين الغرب والدول الإسلامية - الكونفوشيوسية"، جريدة الراية، الجزائر: ع 20، من 22 إلى 28 جانفي 2000.
- 6) \_\_\_\_\_، "صراع الحضارات .." جريدة الراية، الجزائر: ع 19، من 15 إلى 21 جانفي 2000.
- 7) إسماعيل، فادي، "العولمة: رؤية مختلفة من مثقفي أمريكا المسلمين"، جريدة القدس، فلسطين: ع 10445، 2 ماي 2000.
- 8) بوزيد، بومدين، "صدام الحضارات: شعوب التحدي وغياب دولة المركز"، جريدة الخبر، الجزائر: ع 23 جانفي 1999.

- (9) \_\_\_\_\_، "صدام الحضارات: إعادة تأصيل الأنا الغربي"، جريدة الخبر، الجزائر: 09 جانفي 1999.
- (10) بوعزيز، يحي، "حوار الحضارات والتمثيل الأعرج للجزائر في الجامعة العربية"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر: ع 329، 2 ديسمبر 2001.
- (11) بلحيمر، محمد، "بريجنسكي في كتابه: الفوضى، الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين"، جريدة الفجر، الجزائر: 19 جوان 2001.
- (12) بلخير، محسن، "الديمقراطية عند مالك بن نبي"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر: ع 377، 30 جانفي 2002.
- (13) بن سالم الذهبي، حسين، "العولمة الثقافية والبعد الإسلامي"، جريدة القدس، فلسطين: ع 10445، 02 ماي 1999.
- (14) ديرا، محمد، "الموقف الإسلامي من التعايش"، جريدة الأخبار، المملكة المغربية: ع 739، 10 أفريل 2015 .
- (15) ولد خليفة، محمد العربي، "النظام العالمي الجديد من النظرية إلى آليات التطبيق"، جريدة العالم السياسي، الجزائر: ع 678، 26 أكتوبر 1998.
- (16) حسان، خالد، "مثلث الشيطان: واشنطن، تل أبيب، نيودلهي"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر: ع 313، 13 نوفمبر 2001.
- (17) طيار، نذير، "سقوط الحضارة الأمريكية بين بن نبي ورجاء غارودي"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر: ع 351، 30 ديسمبر 2001.
- (18) يخلف، سعدون، "محاربة الإسلام تحت غطاء محاربة الإرهاب"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر: ع 280، 6 أكتوبر 2001.
- (19) سعدي، إبراهيم، "هنتينغتن، ابن لادن وصراع الحضارات"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر: ع 287، 14 أكتوبر 2001 .
- (20) عوض، صالح، "متى ينهض المارد الإسلامي؟"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر: ع 5096، 11 ماي 2016.
- (21) عياشي، أمميدة، "أي مستقبل لجماعات الإسلام المسلح" جريدة اليوم، الجزائر: ع 808، 26 سبتمبر 2001.

(22) فنينش، ج، "رؤى تفتح ملف العلاقة بين الإسلام والغرب"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر: ع 373، 26 جانفي 2002.

(23) صادق شراب، ناجي، "نحن والعولمة والسياسة"، جريدة القدس، فلسطين: ع 10445، 02 ماي 1999.

(24) تقي، جاسم، "أمريكا وراء تفجيرات 11 سبتمبر"، جريدة الخبر، الجزائر: ع 3444، 10 أفريل 2002.

### سابعا: مقالات على شبكة الإنترنت:

(1) الخزندار، سامي، "أسباب ومحركات الصراعات الداخلية العربية"، تاريخ التصفح: يوم 2009/05/22، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/0f3a3346-a14e-48bd-9d9a-7063e2408465>

(2) الخطيب، معتز، "الغرب.. ميلاد المفهوم ونهايته"، تاريخ التصفح: يوم 2015/03/28، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CE531F2D-79E1-4EDE-BC01-5899EAC100.htm>

(3) بوابة "حوار الحضارات"، تاريخ التصفح: يوم 2014/04/21، من الموقع الالكتروني للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة:

<https://www.isesco.org.ma/ar/dialogue-among-civilizations/#>

(4) بن المختار الشنقيطي، محمد، "الحركات الإسلامية وهجمات 11 سبتمبر.. خلفيات وخفيات"، تاريخ التصفح: يوم 2009/04/27، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/10/3/>

(5) \_\_\_\_\_، "الدولة والصراع"، تاريخ التصفح: يوم 2010/03/02، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/a3bebb90-a618-4e1d-8215-30a0a8cd7443>

(6) بن عنتر، عبد النور، "الإسلاميين والسلطة"، تاريخ التصفح: يوم 2009/09/15، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/1beb1bfe-88c7-416b-96de-9c79f5d8d4af>

(7) جرجس، فواز، "أمريكا والإسلام السياسي، صدام الثقافات أم صدام المصالح"، تاريخ التصفح: يوم 2007/08/21، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/books/2001/5/5-7-1.htm>

(8) كيسنجر، هنري، "هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟: نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين"، تاريخ التصفح: يوم 2009/04/05، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/books/2002/1/1-30-1.htm>

9) محمد، إسماعيل، "النزاعات في العالم الإسلامي: ضحاياه 600 ألف قتيل"، تاريخ التصفح: يوم 2009/06/12، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/8105cfaf-99d3-41b2-bfa4-20770a61ed3e>

10) ملكاوي، أسماء، "حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات"، تاريخ التصفح: يوم 2008/06/07، من موقع الإنترنت:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/c73b7204-f2e5-4083-9476-9908b7e5bf64>

11) سالا، مايكل، "الإسلاميون والغرب: تقارب أم حرب باردة جديدة؟"، ترجمة: هشام العوضي، تاريخ التصفح: يوم 2007/08/16، من موقع الإنترنت:

<http://www.naseej.com/islamic/bayan/125/htm1/P132-c1>

12) راغب، موسى، "هل سقطت نظرية شبنجلر حول انهيار الحضارة الغربية وتبوء حضارة التتين الأصفر محلها؟"، تاريخ التصفح: يوم 2014/05/27، من موقع الإنترنت:

<http://m.moheet.com/2012/05/19/1621129/-html#.WDo5UBJ77Mz>

### المراجع باللغة الأجنبية:

#### أ/ المراجع باللغة الإنجليزية:

- 1) Francis Fukuyama, **The end of history and the last man**, the free press, New York, 1992.
- 2) Gaudat Bahgat, « **Democracy in the Arab World: analyst approach**», international affairs review, N2, august 1994.
- 3) Gregory Gause, **Beyond Sectarianism: The New Middle East Cold War**, Brookings Doha Center Analysis Paper, Brooking Doha Center, Doha, Qatar, N° 11, July 2014.
- 4) Jacques Attali, «**The Crash of Western Civilization: The Limits of the Market and Democracy**», Foreign Policy, N°107, summer 1997.
- 5) Oswald Spengler, **The decline of the west: form and actuality**, Translated by Charles Francis Atkinson, Ruskin hous, london.1927.
- 6) Robert .S.chase, Emily.B.hill, and Paul kennedy, «**Pivotal state U.S strategy**», Foreign affairs rivew, vol 75, N° 01, January-February 1996.
- 7) Samuel p. Huntington, «**The clash of civilizations**», foreign affairs rivew, vol 72, N° 03, summer1993.
- 8) **Websters New collegiate Dictionary**, 1991.

#### ب/ المراجع باللغة الفرنسية:

- 1) **Dictionnaire Hachette**, Hachette livre, Paris, France, édition 2011.
- 2) Michael Klare, «**Les Stratèges de Washington se préparent à de nouvelles expéditions guerrières**», le monde diplomatique, novembre 1993.

# فهارس البحث

فهرس العناوين

فهرس الملاحق

<b>العالم الإسلامي والغرب وجدلية الحوار والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة</b>	
-1 10	مقدمة
-11 98	<b>الفصل الأول: حول مفهومي العالم الإسلامي والغرب</b>
12	<b>المبحث الأول: العالم الإسلامي.. مؤشرات القوة والضعف</b>
12	المطلب الأول: حول مدلول العالم الإسلامي
12	الفرع الأول: تعريف العالم الإسلامي
15	الفرع الثاني: موقع العالم الإسلامي
15	الفرع الثالث: دول العالم الإسلامي
17	المطلب الثاني: العالم الإسلامي.. مؤشرات القوة
17	الفرع الأول: إستراتيجية الموقع
18	الفرع الثاني: عوامل الوحدة
21	الفرع الثالث: الثروات الطبيعية
24	الفرع الرابع: الإمكانيات النووية الإسلامية
34	المطلب الثالث: العالم الإسلامي.. مؤشرات الضعف
34	الفرع الأول: المعضلة الثقافية
42	الفرع الثاني: المعضلة الاقتصادية
51	الفرع الثالث: المعضلة السياسية
61	الفرع الرابع: المعضلة الأمنية
70	<b>المبحث الثاني: حول مفهوم الغرب</b>
70	المطلب الأول: مفهوم النظام الدولي الجديد
72	الفرع الأول: تعريف النظام الدولي الجديد
74	الفرع الثاني: خصائص النظام الدولي الجديد
76	الفرع الثالث: أهداف النظام الدولي الجديد
80	المطلب الثاني: العولمة كأهم سمات النظام الدولي الجديد

80	الفرع الأول: تعريف العولمة
85	الفرع الثاني: طبيعة العولمة
85	الفرع الثالث: أسباب العولمة
86	الفرع الرابع: أبعاد العولمة
87	الفرع الخامس: أهداف العولمة
87	الفرع السادس: تأثيرات العولمة
90	المطلب الثالث: الغرب كمحور للنظام الدولي الجديد
91	الفرع الأول: تطور مفهوم الغرب
93	الفرع الثاني: الغرب ليس واحدا
94	الفرع الثالث: المركزية الحضارية الغربية
98	خلاصة الفصل
-99 186	<b>الفصل الثاني: العالم الإسلامي والغرب.. موقف الأنا من الآخر</b>
100	<b>المبحث الأول: موقف العالم الإسلامي من الغرب</b>
100	المطلب الأول: تصورات العالم الإسلامي التاريخية للغرب
101	الفرع الأول: الحروب الصليبية
104	الفرع الثاني: إعادة فتح إسبانيا
104	الفرع الثالث: تفكيك الإمبراطورية العثمانية
106	الفرع الرابع: الحركة الاستعمارية
108	الفرع الخامس: قيام إسرائيل
110	الفرع السادس: التدخل الغربي
114	المطلب الثاني: الاتجاهات العامة لموقف المسلمين من الغرب
114	الفرع الأول: تيار التقليد للوافد الغربي وموقف القبول المطلق للغرب
117	الفرع الثاني: تيار التقليد للموروث وموقف الرفض المطلق للغرب
122	الفرع الثالث: تيار التوفيق بين الثقافة الإسلامية ومعطيات الحضارة الحديثة
128	المطلب الثالث: موقف الحركات الإسلامية من الغرب
128	الفرع الأول: الحركة الإسلامية السلفية
134	الفرع الثاني: الحركات الإسلامية السياسية
138	الفرع الثالث: الحركات الإسلامية المسلحة



140	المبحث الثاني: موقف الغرب من العالم الإسلامي
140	المطلب الأول: تصورات الغرب التاريخية للعالم الإسلامي
140	الفرع الأول: أجنبية الإسلام
142	الفرع الثاني: الإسلام وفقدان أوروبا للوحدة المتوسطية
143	الفرع الثالث: تراث الحقبة الاستعمارية
143	الفرع الرابع: الثورة الإسلامية في إيران
145	الفرع الخامس: أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001
146	الفرع السادس: الإرهاب والجهاد
147	المطلب الثاني: الاتجاهات العامة لموقف الغرب من العالم الإسلامي
147	الفرع الأول: موقف الغرب الإعلامي
154	الفرع الثاني: موقف الغرب الأكاديمي
162	الفرع الثالث: موقف الغرب الرسمي
171	المطلب الثالث: الإستراتيجية الغربية تجاه العالم الإسلامي
171	الفرع الأول: إستراتيجية الاحتواء المزدوج
177	الفرع الثاني: إستراتيجية الدول المحورية
179	الفرع الثالث: الإستراتيجية العسكرية
181	الفرع الرابع: المشروع الشرق أوسطي
186	خلاصة الفصل
-187 248	الفصل الثالث: العالم الإسلامي والغرب بين الحوار والصراع
188	المبحث الأول: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "حوار الحضارات"
191	المطلب الأول: حوار الحضارات في الأدبيات الغربية
191	الفرع الأول: الاتجاه الداعي لحوار الحضارات
197	الفرع الثاني: الاتجاه الرافض لحوار الحضارات
198	الفرع الثالث: الاستعلاء الغربي ومصير حوار الحضارات
200	المطلب الثاني: حوار الحضارات في الأدبيات الإسلامية
200	الفرع الأول: مبادرات حول حوار الحضارات
207	الفرع الثاني: عقدة الدونية ومدى مصداقية حوار الحضارات

209	الفرع الثالث: نظرية المؤامرة وفشل حوار الحضارات
211	المطلب الثالث: نحو تعارف الحضارات كبديل لحوار الحضارات
212	الفرع الأول: نقد حوار الحضارات كمدخل لتعارف الحضارات
214	الفرع الثاني: مرتكزات نظرية تعارف الحضارات
220	الفرع الثالث: التفاعل الحضاري كمدخل للتعارف ومنه إلى الحوار
224	المبحث الثاني: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "صدام الحضارات"
224	المطلب الأول: "صدام الحضارات" والنمط المستقبلي للصراع الدولي
225	الفرع الأول: الغرب والحاجة الدائمة للعدو
228	الفرع الثاني: الهوية كمحور للصراع الدولي المستقبلي
230	الفرع الثالث: مبررات الصراع الحضاري
233	المطلب الثاني: العالم الإسلامي ضمن "الغرب ضد الباقي"
233	الفرع الأول: علاقة الغرب بالحضارات الأرثوذكسية واليابانية والهندية
234	الفرع الثاني: علاقة الغرب بحضارة أمريكا اللاتينية والحضارة الإفريقية
235	الفرع الثالث: علاقة الغرب بالحضارتين الإسلامية والكونفوشوسية
239	المطلب الثالث: صراعات العالم الإسلامي ضد جيرانه
239	الفرع الأول: الحدود الدموية للإسلام
241	الفرع الثاني: الحضارات المرشحة للتصادم مع الحضارة الإسلامية
243	الفرع الثالث: الصراع الحضاري ومركزية التنظير الغربية
248	خلاصة الفصل
-249 301	الفصل الرابع: العالم الإسلامي والغرب بين "نهاية التاريخ" و"سقوط الغرب"
250	المبحث الأول: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "نهاية التاريخ"
251	المطلب الأول: "نهاية التاريخ" وسيادة الليبرالية الغربية
251	الفرع الأول: "نهاية التاريخ" بنهاية الحرب الباردة
252	الفرع الثاني: حول معنى "نهاية التاريخ"
254	الفرع الثالث: مبررات سيادة الليبرالية الغربية
256	المطلب الثاني: "نهاية التاريخ" ومستقبل العالم الإسلامي
256	الفرع الأول: ثنائية عالم التاريخ وعالم ما بعد التاريخ
257	الفرع الثاني: وضع العالم الإسلامي ضمن "العالم التاريخي"

259	الفرع الثالث: العالم الإسلامي.. حدود جاذبية الإسلام
261	المطلب الثالث: مدى مصداقية "نهاية التاريخ"
262	الفرع الأول: "نهاية التاريخ" والغرور الغربي
263	الفرع الثاني: "نهاية التاريخ" والإستراتيجية الغربية تجاه الآخر
264	الفرع الثالث: "نهاية التاريخ" في مواجهة "أفول الغرب"
265	المبحث الثاني: العالم الإسلامي والغرب ومقولة "سقوط الغرب"
265	المطلب الأول: الغرب واحتمال السقوط
267	الفرع الأول: محدودية الدورة الحياتية للحضارة
271	الفرع الثاني: الاختلال بين الفكرة والمادة
278	الفرع الثالث: الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط
288	المطلب الثاني: الأقطاب المرشحة لاستخلاف أمريكا والغرب
288	الفرع الأول: الكتلة الأوروبية
290	الفرع الثاني: الصين
292	الفرع الثالث: اليابان
295	المطلب الثالث: العالم الإسلامي واحتمال الصعود
295	الفرع الأول: صعود العالم الإسلامي في الأدبيات الغربية
300	الفرع الثاني: صعود العالم الإسلامي في الأدبيات الإسلامية
304	الفرع الثالث: صعود العالم الإسلامي والسنن الإلهية
311	خلاصة الفصل
312	خاتمة
320	الملاحق
337	قائمة المصادر والمراجع
365	فهارس البحث:
366	فهرس العناوين
371	فهرس الملاحق
372	الملخص
373	Abstract
374	Résumé

الصفحة	عنوان الملاحق	الرقم
321	مؤشرات أساسية حول العالم الإسلامي	1
323	مؤشرات البحث العلمي في العالم الإسلامي	2
325	التجارة البينية لدول منظمة المؤتمر الإسلامي لسنة 2007	3
327	خصائص التخلف السياسي لدى بارسونز	4
327	أكثر الدول الإسلامية نزاعاً	5
328	نزاعات تسبب فيها الخلاف السياسي	6
328	الفروق الرئيسية بين النظام الدولي القديم والنظام الدولي الجديد	7
329	التيارات الثلاثة في موقف المسلمين من الغرب	8
330	أهم نشاطات "الإيسيسكو" ISESCO في مجال حوار الحضارات	9
335	احتمالات الصدام بين الحضارات	10
336	الاحتمالات المتعلقة بنمط العلاقة المحتملة بين العالم الإسلامي والغرب وبأوضاعهما المستقبلية	11

ملخص:

يعتبر مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب واحدا من أهم المواضيع التي حظيت باهتمام واسع على الصعيد السياسي والإعلامي والأكاديمي في فترة ما بعد نهاية الحرب الباردة سواء في العالم الإسلامي أو في الغرب.

يهدف هذا البحث إلى تحليل موضوع مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، وذلك من خلال البدء بتحديد مفهوم كل منهما، ثم معرفة المواقف المتبادلة بينهما، وانتهاءً إلى الاحتمالات المستقبلية المتعلقة بنمط العلاقة المحتملة بينهما، وبأوضاعهما المستقبلية. بالنسبة للمواقف المتبادلة بين العالم الإسلامي والغرب فلا يمكن فهمها إلا بعد تحليل التصورات والخلفيات والتجارب التاريخية التي تعتبر كمحددات لموقف كل طرف من الآخر، ومن ثم سلوكه تجاهه.

يمكن تقسيم السيناريوهات المستقبلية المرتبطة بنمط العلاقة المحتملة بين العالم الإسلامي والغرب إلى احتمالين رئيسيين هما: الحوار والصراع، حيث أن الأول يغلب عليه الطابع المثالي في حين يوصف الثاني بالواقعية.

أما عن الاحتمالات المستقبلية المتعلقة بوضع كل من العالم الإسلامي والغرب على سلمّ الريادة العالمية فيمكن تلخيصها في ثلاثة احتمالات هي: احتمال التفوق المطلق للغرب كصورة أقرب إلى السيناريو الذي رسمه فرنسيس فوكوياما، واحتمال سقوط الغرب، واحتمال صعود العالم الإسلامي الذي يتبناه بعض المفكرين المسلمين والغربيين.

## **Abstract:**

---

### **Abstract:**

The future of the relationship between the Islamic world and the West is one of the most important topics which received political, media and academic attention for the period after the end of cold war, both in the Islamic world and in the West.

The aim of this research is to analyze the future relations between the Islamic world and the West, by beginning with the determination of the concept of the Islamic world and the West, and then the analysis of their mutual positions, and finishing with the future probabilities concerning the type of relationship between them, and their status on the global leadership scale.

The mutual positions between the Islamic world and the West can be understood only after the analysis of perceptions and historical experiences, which are considered as determiners of the position of each party to the other.

The future scenarios of the relationship between the Islamic world and the West can be divided into two main probabilities: dialogue and conflict, the first one of which is dominated by the ideal character, while the second is considered as a realistic possibility.

Regarding the future prospects concerning the status of the Islamic world and the West on the global leadership scale, it can be summarized in three possibilities: the possibility of the absolute superiority of the West as an image closer to the scenario painted by Francis Fukuyama, the possibility of the decline of the West, and the possibility of the rise of the Islamic world which has been adopted by some muslim and western thinkers.

## Résumé:

---

### Résumé:

L'avenir de la relation entre le monde islamique et l'occident est considéré comme l'un des thèmes ayant reçu une grande attention sur le plan politique, médiatique et académique durant la période qui a suivie la fin de la guerre froide, que ce soit en monde islamique ou en occident.

Cette recherche vise à analyser le devenir de la relation entre le monde islamique et l'occident, en commençant par la détermination de la notion du monde islamique et de l'occident, puis l'identification des positions mutuelles, et en finissant par les futures probabilités concernant le type de relation entre eux, et leurs statuts sur l'échelle de leadership mondial.

Concernant les positions mutuelles entre le monde islamique et l'occident, elles ne peuvent être appréhendées qu'après l'analyse des conceptions et des expériences historiques, qui sont considérées comme déterminantes de la position de chaque partie vis à vis de l'autre.

Les scénarios envisageables de la relation entre le monde islamique et l'occident se subdivisent en deux probabilités principales: le dialogue et le conflit. La première est dominée par le caractère idéal, tandis que la seconde est considérée comme une possibilité réaliste.

Et a propos des perspectives d'avenir concernant les statuts du monde islamique et de l'occident sur l'échelle de leadership mondial, elles peuvent se résumer en trois possibilités: la possibilité de l'hégémonie absolue de l'occident comme une image plus proche du scénario peint par Francis Fukuyama, la possibilité du déclin de l'occident ,et la possibilité de la montée du monde islamique qui a été adoptée par certains penseurs musulmans et occidentaux.